وزارة التعليـــم العالـــي و البحـث العلمـــي
جامعة الجزائر العاصمة
كلية العلـــوم الإنسانيـــة و الإجتماعيـــة
قسم التاريـخ - بوزريعـة - الجزائـر العاصمـة

المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي
1830- 1900

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

إعداد الطالب
محمد بجاوي

إشراف الأستاذ
د/ شاوش حباسي

السنة الجامعية 2006 / 2005

المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي

1900 - 1830

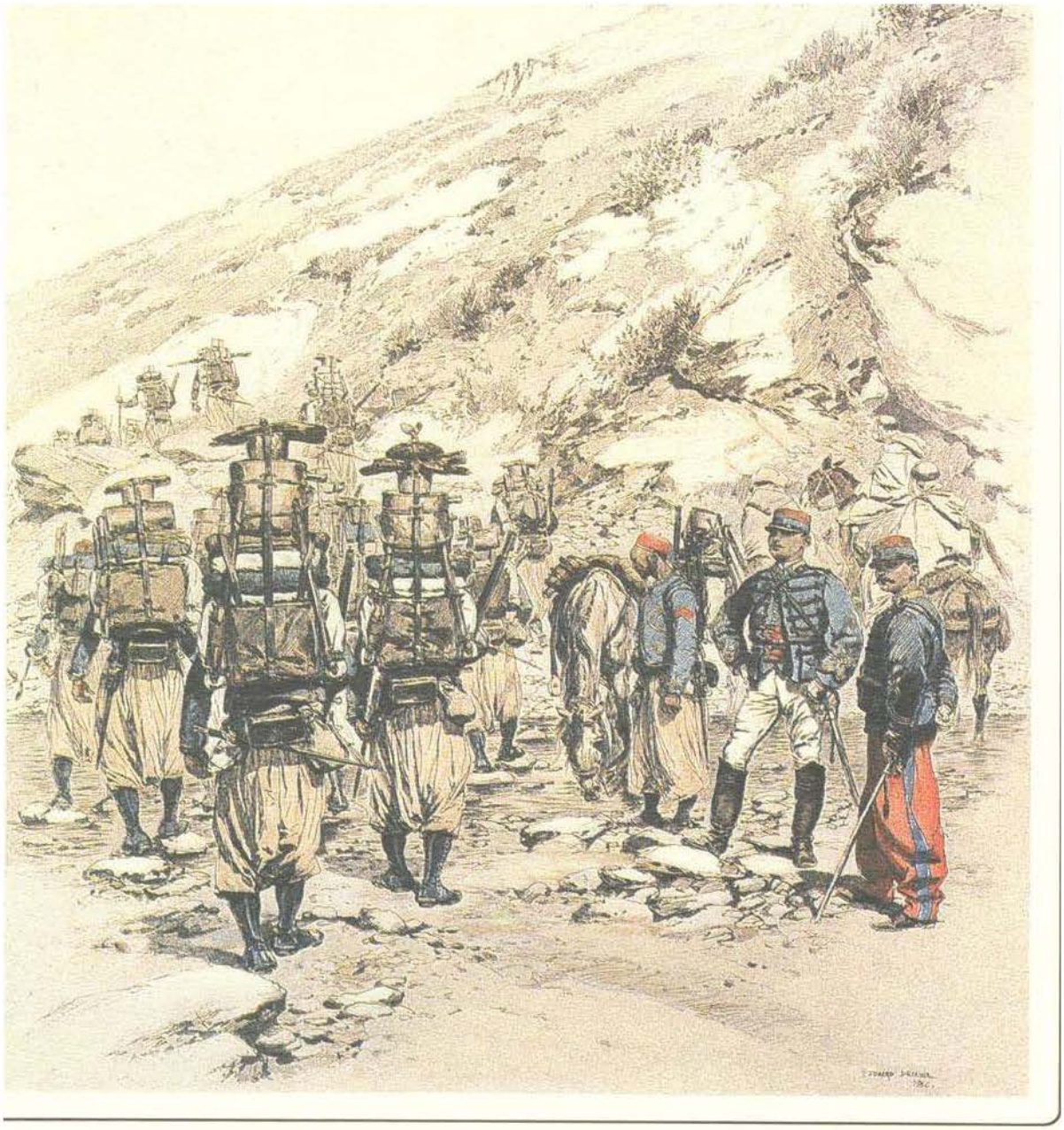

Tirailleurs algériens en colonne en 1886 (Edouard Detaille).

قال رب العرش العظيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

" إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما (17) وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما (18).

"من سورة النساء"

صدق الله العظيم

وقال تعالى في محكم تنزيله أيضا:

بسم الله الرحمن الرحيم :

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (105) .

"من سورة التوبة"

صدق الله العظيم

الإهـــداء

إلى كل الأخيار من أبناء بلادي ،وأخص بالذكر منهم:

أ - أولئك الذين يعملون بكل جد و إخلاص في سبيل الله والوطن.

ب -أولئك الذين لا يخونون بلادهم وأمتهم مهما كانت إغـراءات الحيـاة أو مصاعبها.والذين لا تكلّ ألسنتهم أبدا عن ترديد القولين الخالدين:

1-بلادي و إن جارت علي عزيزة * و أهلي و إن ضنوا علي كرام

2-وطني لو شغلت بالخلد عنـ..ـه * نازعتني إليه في الخلد نفسـي

ج- إلى أمي وأبي : متعهما الله بالصحة والعافية وأبقاهما لنا ذخرا

د – إلىالأرواح الطاهرة : جدي امحمد ،جدي فضيل ،جدتي فطيمة. رحمهم الله

فإلى كل هؤلاء الأخيار أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع .....

محمد بجاوي

شكر وامتنان:

لعلني كنت من المحظوظين حين تشرفت بالمثول أمام لجنة المناقشة التي ترأستها أستاذتنا الفاضلة الدكتورة /مسعودة يحياوي وبحضور الأستاذين الكريمين / الدكتور صابر خالد شريف والدكتور شاوش حباسي، هؤلاء الأكارم الذين عقدوا جلستهم المباركة يوم 30 سبتمبر2006 على الساعة العاشرة صباحا الموافق لليوم الثاني من شهر رمضان المعظم سنة 1427 هجرية بإحدى قاعات قسم التاريخ .

وكانت الصراحة تطبع مناقشاتهم التي لم يبخلوا علي خلالها بالنصح الرشيد والتوجيه السديد خدمة للعلم وللصالح العام خاصة وأن موضوع البحث كان بكرا وربما جريئا في بعض الحالات، وعلى كل فإنني بفضل تلكم التوجيهات عمدت لتقويم ما بدا بحاجة إلى تقويم أو ترتيب .

وإذا كان هذا البحث الذي بين أيديكم اليوم قد اعتمد على المصادر والمراجع الأجنبية بصفة تكاد تكون كلية، بحيث أن الفصل الأول كانت مصادره ومراجعه أجنبية بنسبة قد تزيد عن 80 % في حين أن الفصلين الثاني والثالث كانت المصادر بهما مع المراجع فرنسية 100 % ، أقول هـذا للتذكير فقط بأن الفضل في القدرة على التعامل مع هذا الكم الهائل من المصادر الأجنبية يعود إلى ما تعلمته من أستاذتنا الفاضلة خلال آخر موسم دراسي كان لي بالجامعة 1986 – 1987 حـين كنت قد تشرفت بوجودي ضمن طلبة السنة الأولى ماجيستير وقد كانت أستاذتنا آنـذاك الـدكتورة مسعودة يحياوي تشرف على تدريسنا حلقة بحث وتحليل النصوص التاريخية المكتوبـة باللغـة الفرنسية. حيث تعلمنا منها الكثير. فكانت مرشدتنا إلى كيفية الاستفادة من تلك النصوص كمصادر بحث ومراجع ، دون أن تغفل عن إفادتنا بتقنيات أساليب اللغة الفرنسية وقواعدها.واستشراف أبعاد معانيها كقراءة ما بين السطور. فإلى هذه الأستاذة الفاضلة الشكر الجزيل على كل ما قـدمت لنـا حينها من فضل دون أن تنتظر من وراء ذلك جزاء ولا شكورا، ومع ذلـك فأنـا لا أملـك إلا أن اشكرك أستاذتي على كل ما قدمته لنا ساعتها، وما تفضلت به من توجيهات قيمة خلال مناقشة هذه المذكرة، عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يشكر الله لا يشكر الناس ... وحاشا الله أن يكون المسلمون من الجاحدين أو الناكرين لجميل عباد الله الصالحين .

أما بالنسبة لأستاذنا الكريم الدكتور صابر خالد شريف الذي وإن لم أكن قد تشرفت بالدراسة على يديه من قبل إلا أنني حظيت اليوم بالاستفادة من توجيهاته وإرشاداته ، وتشجيعه إياي ووعـده لي بمساعدتي في أبحاثي مستقبلا (كل ما احتجت إلى ذلك) فشكرا له علىكرمه النبيل ذاك.

أما أستاذي الدكتور شاوش حباسي فلقد كان بالنسبة لي نعم الأخ الكريم والموجه والمرشد لي فـي عملي طيلة المدة التي استغرقها هذا البحث الذي أشرف عليه مشكورا ، ومهما قلت فلن أفيه حقـه ولذلك أقول مختصرا : بورك فيك أستاذي ، وجزاك الله عني الجزاء الذي تستحق .

وأما أخي وصديقي الدكتور عمار بن خروف فإني أوجه إليه خالص شكري على كـل مـا قدمه لي من دعم ونصح سديد وتوجيه رشيد. وتشجيع على مواصلة هذا البحث .

وقبل أن أختم كلمتي هذه لا بد من أن أوجه تحياتي واحتراماتي إلـى كـل أسـاتذاتي الكريمـات وأساتذتي الأكارم ممن حظيت بالدراسة على أياديهم البيضاء خلال مرحلة الليسانس ومـا بعـدها

وأقول لجميعهم: لكم مني الاحترام والتقدير على كل عمل طيب لقيته وزملائـي مـنكم ، ولسـاني حالي يردد دوما مقولة الإمام علي كرم الله وجهه : من علمني حرفا كنت له عبدا ، فكيف بنا نحن وقد تعلمنا منهم الكثير ورأينا الكثير على رأي أحمد أمين في كتابه حياتي فلهم منـي موفـور السلام وجزيل الشكر والامتنان إلى آخر العمر.

وهنا قد لا أكون مخطئا إذا قلت : ربما يوجد من قد يتساءل عن الفائدة المرجوة من دعـاء طالب عادي لأساتذة كرام يفوقونه علما وقد يكونون أعلى منه عند الله درجات. فأجيبهم بأننا نحـن المسلمين نهتدي بسنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك قوله لعمر بن الخطاب(ض) حين كان يستعد لزيارة الكعبة الشريفة قبل فتح مكة : لاتنسنا بدعائك يا أخيي...

أ- مختصر المجلات و النشرات:

1-Bulletin du comité de l'Afrique française → A-F

2-Bulletin du comité de l'Afrique française sup. → A-F-S

3-Revue africaine ——————————→ R-A
4-Revue de Paris ——————————→ R-P
5-Revue des deux mondes ——————————→ R-D-M
6-Revue politique et parlementaire ——————————→ R-P-P
7-Revue de l'Afrique du Nord ——————————→ R-A-N
8-Revue de la méditerranée ——————————→ R-M
9-Temps modernes ——————————→ T-M
10- Gouvernement Général de l'Algérie.-------G.G.A
11-commissariat Général du centenaire de L'Algerie --- C.G

ب- المصطلحات العسكرية المتداولة في هذه المذكرة والخاصة بالجيش و فصائله:

1- الرتب العسكرية:	
Soldat	جندي
Caporal	عريف
Sergent	رقيب
Sergent Chef	رقيب أول
Adjudant	مساعد
Adjudant Chef	مساعد أول
Sous Lieutenant	ملازم
Lieutenant	ملازم أول
Capitaine	نقيب
Commandant	رائد
Lieutenant Colonel	مقدم
Colonel	عقيد
Général	جنرال
Maréchal	ماريشال

2- الفصائل العسكرية:	
Escadron	سرية
Section	فوج
Détachement	مفرزة
Brigade	مجموعة بناحية ما
Compagnie	كتيبة
Bataillon	فيلق
Régiment	لواء
Division	قسم
Corps	السلك
Troupe	فصيلة
Corps des Zouaves	السلك الزواوي
Corps des chasseurs d'Afrique	سلك قناصة افريقيا
Les Chasseurs Algeriens	القناصة الجزائريون
Tirailleurs Algériens	الرماة الجزائريون
Les Spahis	الصبايحية
Les Goumiers	الغومية
l'Armée d'Afrique	الجيش الإفريقي
l'Armée d'Orient	الجيش المشرقي

تحركات الجيش:

بعثة عسكرية	- Expédition
حملة عسكرية	Campagne
معركة	Bataille
حرب	Guerre
حامية عسكرية	Garnison
حصن صغير	Redoute
حصن	Fort

ملاحظة :

في هذه المذكرة يوجد عدد من الصور والخرائط التي سقط منها المصدر الذي أخـذت منـه ولذلك نلفت الانتباه إلى أن مصادرها تعود إلى المؤلفات التالية :

1- Commissariat Générale du Centenaire de l'Algérie: **L'Armée d'Afrique 1830-1930**, Ed: Librairie de l'armée, Alger 1930

2-Casèrne Charon : l'Armée d'Afrique, éditeur : L'organe de liaison. Alger 1924.

3- Duruy Victor : Le 1er Régiment de Tirailleurs Algériens (Histoire et campagnes), éditeur : Librairie Hachette et Cie, Paris 1899 .

4-M. Daumas (Général) : La grande Kabylie, éditeur : L.Hachette et Cie à Paris, Librairie de l'Université Royale de France à Alger 1847.

5- Julien (Charles Andrée) : Histoire de l'Algérie contemporaine, 2ème édition conquête et colonisation 1827–1871, éditeur : Presse Université de France (P.U.F) Paris 1964

6- Henri Blet : Les étapes de la conquéte de L'Algérie. Extrait de la colonisation française,T.2 de 1789-1870 .éditeur : Arthand, Paris1946

7- Robert Huré (général): L'armée d'Afrique (1830-1962), éditeur : Charles Lavauzelle, Paris 1977.

تنبيه:

أخي القارئ إن المعلومات التي قد تجدها بين دفتي هذه المذكرة تسعى إلى إعطاء إجابات عن تساؤلات عديدة طرحها أكثر من دارس لتاريخ الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830 ، ونحن لا ندعي أننا أجبنا بما فيه الكفاية عن هذه التساؤلات التي تمثل في حد ذاتها إشكالية هذا البحث الذي نسعى من ورائه إلى إضاءة درب القارئ فقط ، دون أن نصدر حكما على هؤلاء أو أولئك، بل كل ما في الأمر أننا سعينا إلى استعراض الأحداث كما وقعت وليس كما نبغي أن تكون.

فالأحداث بمسبباتها ومؤثراتها قد لا تبدو للدارس على حقيقتها لأن هناك أشياء كثيرة تكون قد بقيت خافية على الباحث. ربما لإغفال أو إهمال من أرخوا لها أو بسبب قصور لدى الباحث نفسه.

وعليه فإن الإشكالية التي نعمل على توضيحها من خلال التساؤلات التالية هي :

أ- ماهي الضمانات التي كانت للفرنسيين الغزاة حين جندوا بعض الجزائريين في صفوف جيوشهم منذ البداية ؟...أولنقل لماذا اضطرالفرنسيون إلى تجنيد الجزائريين في صفوف جيوشهم واضعين بين أيديهم السلاح بعد أن لقنوهم التدريبات العسكرية الضرورية؟.

ب- ما هي دوافع بعض الجزائريين للتجند في صفوف الجيش الغازي ؟...مع العلم أن المجندين في الجيش الفرنسي بمقتضى قانون التجنيد الإجباري 03 فيفري 1912 أمرهم معروف وهو لا يحتاج إلى توضيح إضافي سوى ما ذكر من معاناة الرافضين للتجنيد.وما تبع ذلك من تعسف في حق الأهالي الجزائريين.

ج- من هم أولئك الزواويون المجندون الأوائل في صفوف جيش الغزاة منذ الأسابيع الأولى لسقوط مدينة الجزائر، مع العلم أن منطقة الزواوة الشهيرة تقع في قلب بلاد القبايل الكبرى وفيها يقبع ضريح الولي الصالح سيدي محمد بن عبد الرحمن بوقبرين وكما هو معروف فإن أتباع الطريقة الرحمانية كانوا منذ بدايات الغزو الفرنسي للجزائر مناوئين ومحاربين للغزاة ، وقد أورد مصطفى الأشرف في كتابه المعتمد مرجعا من مراجع هذه البحث بأن الجنرال دوماس ذكر ما جاء على لسان أحد الجواسيس المتعاونين مع الفرنسيين قوله: إن طلاب زاوية ريفية تقع في ناحية جامع الصهاريج بمنطقة القبايل، و هي زاوية سيدي عبد الرحمن، (شكلوا فيما بينهم فرقة من الفدائيين)، و أن عددهم بلغ 600 أو 700 طالب، و كلهم يجيدون القراءة و الكتابة، كما أنهم مدربون على القتال و مسلحون بالبنادق و السيوف الطويلة و العصي الحديدية.

ثم إن أتباع الطريقة الرحمانية كانوا من المؤيدين والداعمين لثورة المقراني سنة 1871 وهو ماجعل السلطات الفرنسية آنذاك تضطهدهم وتصادر أملاكهم ...وبالإضافة إلى كل هذا فإن الفرنسيين أنفسهم وباعترافهم في أكثر من مصدر ذكروا بأنهم لم يتمكنوا من دخول منطقة القبائل ,وإحكام قبضتهم عليها إلا خلال سنوات 1857 - 1864 .

د- فمن هم أولئك الجزائريون عامة ممن انضووا تحت لواء التعاون والتحالف مع الفرنسيين ضد القاومين من أهاليهم ومواطنيهم للوجود الفرنسي في البلاد؟...

ه- كيف تمكنت فرنسا من التغلغل والسيطرة على بلاد شاسعة كالجزائر وفيها ذاك الكم من الوطنيين والرجال المستعدين للموت والدفاع عن الأرض العرض تحت لواء كل من البطلين المقاومين العنيدين: الأمير عبد القادر ، وأحمد باي قسنطينة .مع العلم أن الجزائر ما انفكت تنجب رجالا شجعانا ، أقوياء ، صابرين ، قادرين على التأقلم مع كل الأجواء، و مقاومين للإجهاد و الجوع و الحرمان من أبسط ضرورات الحياة، و هي صفات قلما تجتمع في عناصر جيش من الجيوش في العالم، و قد أقر الضباط و القادة العسكريون الفرنسيون أنفسهم بهذه الصفات التي يمتاز بها الجزائريون .

و- لماذا لم يتمكن الأمير عبد القادر و كل المقاومين الجزائريين للاحتلال من دحر الغزاة مع أنهم كانوا يتمتعون بثقة أهاليهم و يضمون في صفوفهم رجالا من أبناء جلدتهم وهبوا أرواحهم في سبيل الله و الوطن؟

ي-وأخيرا لماذا كان أولئك المجندون يحاربون بكل قوة ويحققون الانتصارات الحاسمة للفرنسيين سواء داخل التراب الوطني أو خارجه مما جعل الفرنسيين المؤرخين منهم و القادة العسكريين و السياسيين يتشدقون في كل مرة من أن أولئك المجندين إنما كانوا يقومون بالدفاع عن العلم الفرنسي و شرف الإمبراطورية الفرنسية بكل جد و إخلاص و تفان. حقا إنه أمر غريب!.

أما والوضع كما كانوا يزعمون، فلماذا لم يحاول الفرنسيون تحسين أوضاع أولئك المجندين الجزائريين الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية، و هم المتشدقون دوما بالحرية وحقوق الإنسان و الأخوة . بل تركوا المجال فسيحا للمستوطنين الذين حققوا انتصاراتهم السياسية والاقتصادية و الاجتماعية على حساب الشعب الجزائري برمته مع أن أبناءه المجندين شاركوا في توسيع الرقعة الترابية للإمبراطورية الفرنسية خارج القارة الأوروبية.

هذا ملخص لما كنا نسعى إلى الإجابة عنه ، فالله نرجو أن نكون قد وفقنا على الأقل بعض التوفيق في مسعانا ، وما ذلك على من يرجو الله ببعيد .

محمد بجاوي

مقدمة:

سبحان الله الذي كرم الإنسان بالنعم التي لا تعد و لا تحصى، و زينه بالعقل، و زود الأخيار من بني الإنسان بالشجاعة و الصبر حتى يتمكنوا من درء جور الأشرار عن عباده المغلوبين على أمرهم ، و بعد...

فلعلي لا أجانب واقعا مرا إذا قلت بأن التأريخ للجزائر المستعمرة شاق و عسير على اختلاف مراحله وعصوره، و ذلك لقلة المصادر و الوثائق، و انشغال أسلافنا عن التدوين و الكتابة التاريخية بصد الغزوات الاستعمارية المتوالية على بلادنا منذ أقدم العصور، لأن بلادنا بليت و كل بلدان الشمال الإفريقي باستعمار تواصل لعدة قرون من طرف الفينيقيين و الرومان، ثم الوندال فالبيزنطيين، وهو الأمر الذي ربما جعل أسلافنا يهتمون أكثر بصد الهجمات و الوقوف في وجه الغزاة و المستعمرين على حساب التشييد الحضاري لمستقبل الجزائر و الأجيال الصاعدة...

ففي العصور الوسطى مثلا انتقلت عدوى الخلافات الدينية والخصومات المذهبية من الشرق الإسلامي إلى هذا الوطن الجريح، فظهرت الزعامات الدينية و طغت على الوحدة القومية للمسلمين، و تأثرت الجزائر أكثر من غيرها بالأزمات السياسية و العسكرية حتى كادت صورتها الشخصية تضيع في خضم الصراع الحاد و المرير بين الدول المغاربية في القرن الثالث عشر الميلادي: الدولة الحفصية في المغرب الأدنى، والدولة الزيانية في المغرب الأوسط ، والدولة المرينية في المغرب الأقصى، و عانت الجزائر حينذاك صراعا شديدا و قاسيا من أجل المحافظة على وجودها و بقائها ضد بني حفص شرقا و بني مرين غربا، هؤلاء الذين كانوا جادين و مصممين على تذويبها وتصفية وجودها.

وبعد أن وقعت الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي عانت الكثير من المرارة و الحرمان لأن غلاة الاستدمار الفرنسي كانوا يهدفون إلى جعل البلاد مستعمرة نموذجية، و مستوطنة كولونيالية تكون نواة لإمبراطوريتهم الحديثة التي كانوا يسعون إلى إنشائها آنذاك خارج القارة الأوروبية...

و عملت الإدارة الاستعمارية على محو الشخصية القومية الجزائرية، و فصل البلاد و العباد عن ماضيهم و أمجادهم الفكرية و الحضارية مستعملة كل الحيل و المؤامرات لتحقيق مبتغاها.

و وجد الشعب الجزائري نفسه وجها لوجه أمام إرادة المسخ و الفسخ و التشويه لماضيه و أمجاده الحضارية لإزالة كيانه و تصفية وجوده القومي، فصمم الشعب عند ذاك على المقاومة و الكفاح العسكري و السياسي طيلة مائة وثلاثين سنة، حفظت له هذه المقاومة كرامته و شخصيته من جهة، و لكنها ضاعفت تخلفه عن الركب الحضاري من جهة أخرى، و حالت دون مشاركته بصفة فعالة في إقامة الأسس المتينة لصرح حضارة مدنية حديثة.

وتاريخ الجزائر منذ بداية القرن التاسع عشر و حتى نهايته كما نعرفه اليوم من الكتابات الفرنسية ليس صحيحا كله و ليس كاملا لأنه كتب من وجهة نظر معينة خدمة للوجود الاستدماري الفرنسي في هذه الربوع و تكريسا للاستعمار في هذه الديار.

ومن هنا فان الكتاب الفرنسيين باستثناء قلة من المعاصرين، أهملوا وثائق الجزائريين و لم يهتموا إلا بما يخدم فكرهم و اتجاههم المتحيز لتكريس الاستعمار و الاستيطان البغيض.

و الحق، الحق أقول بأنه ما كان لمثلي أن يخوض في ميدان الكتابة التاريخية و البحث بنفسية متحررة لولا الأرضية التي عبدها لنا من قبل أساتذتنا المؤرخون الذين حملوا في أذهانهم صورة متميزة لمدرسة تاريخية جزائرية أصيلة تتوخى الحقيقة والصواب ، دفعا لكل تحيز أو تدليس .

ومن هنا فبدافع من حبي لوطني و السعي إلى المعرفة الحقة لما جرى من أحداث و وقائع تاريخية في الجزائر، تم اختياري لموضوع: " المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي 1830 – 1900 وهو لعمري موضوع يعطي الكثير من المعاني و الدلالات للعلاقة التي كانت تربط الجزائريين المغلوبين على أمرهم بالمستعمرين الفرنسيين، و ما نتج عن ذلك من تناقض في السياسة الفرنسية تجاه الجزائر المستعمرة.

والحقيقة إن الحديث عن المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي و إقحامهم في العديد من الحملات العسكرية و الحروب الطاحنة يستلزم الصبر و الأناة في البحث و التحليل قبل إصدار أي حكم عن أولئك المجندين الذين وجدوا أنفسهم مضطرين للعمل في صفوف الجيش الفرنسي من أجل لقمة العيش، ما دامت السلطات الفرنسية لا تهتم بما كان يعود بالنفع على الأهالي الجزائريين في الميدانين الاجتماعي و الاقتصادي ، فأغلب السكان الجزائريين كانوا يئنون تحت وطأة الجوع والفقر المدقع، فلم يبق أمام أولئك البائسين سوى البحث عن مصدر للرزق أينما كان و كيفما كان.

وما دام الفرنسيون بحاجة إلى رجال لتدعيم جيوشهم، فلا مانع إذن من أن يستغل الحثالة من ذوي النفوس الضعيفة تلك الظروف ليتجندوا في صفوف الجيش الفرنسي لضمان لقمة العيش.

و مع ذلك فإنه لا يغيب عن أذهاننا أن قضية التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي بدأت منذ الأسابيع الأولى لغزو مدينة الجزائر و سقوط حكومة الداي، إذ تمكن الكونت دي بورمون بالاتفاق مع بعض الزعماء الزواويين من تجنيد فرق من المحاربين الزواويين للعمل في صفوف الجيش الفرنسي، و هذا أمر يكاد يكون عاديا في كل الشعوب التي غزاها الفرنسيون الذين كانوا يستغلون بعض العناصر المحلية للاستعانة بهم في إخضاع أهل البلاد المراد استعمارها!.

والزواويون كانوا منذ عقود يعملون في صفوف الجيش الإنكشاري التركي، و بذلك كانوا بعيدين عن بقية المجتمع الجزائري، فعلاقتهم بالقبائل إذن، كانت تعتمد على جمع الضرائب و الغرامات للمخزن... و عليه فبمجرد سقوط حكومة الداي وجد أولئك الفرسان الزواويون أنفسهم وجها لوجه أمام القبائل و الدواوير التي كانت تنظر إليهم بعين السخـ ـط... و لذلك ربما لم يبق أمام أولئك المتعودين على الخدمة في الجيش و الحالة هذه سوى الاحتماء بسلطة الغزاة محافظة على أنفسهم و مصالحهم.

واستغل الفرنسيون تجربة أولئك الزواويين في حفظ أمن البلاد أيام العهد التركي، فاستخدموهم لتحقيق أغراضهم التوسعية، و من تجربتهم مع أولئك عمدوا إلى إنشاء فرق عسكرية أخرى دعموا بها جيوشهم، ثم راحوا يطورونها فيما بعد حتى غدت تلك الفصائل العسكرية المشكلة من الجزائريين من أحسن الفصائل العسكرية في الجيش الفرنسي.

وبعد أن تم للفرنسيين تأسيس الفرق الزواوية و تنظيم فرق الصبايحية عمدوا إلى إنشاء سلك خاص بالقناصة الجزائريين لينتقلوا فيما بعد إلى إنشاء فيالق الرماة الجزائريين الذين صار لهم فيما بعد، باع لا يستهان به و شهرة ساطعة في الجيوش الفرنسية حيث اعتبروا الركيزة الأساسية لهذه الجيوش التي غزت مختلف الأقطار في هذا العالم الواسع...

وعلى إثر الانتهاء من دراسة بيبليوغرافية تاريخ الجزائر و المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي خلال الفترة 1830-1900، خلصت إلى اليقين بأن كل ما كتب عن هذه الفترة لم يحدد قضية المجندين في صفوف الجيش الفرنسي بالشكل الذي يروي ظمأ المتطلعين إلى معرفة أساليب التجنيد والإقحام الحقيقي لأولئك المجندين الجزائريين في حروب فرنسا داخل التراب الوطني وخارجه.

والفرنسيون عامة سواء منهم الجنرالات و الضباط الذين كتبوا مذكراتهم أو المؤرخون الذين أرخوا لهذه الفترة ، جميعهم يركزون على الولاء و التفاني و الإخلاص في خدمة العلم الفرنسي مع الطاعة العمياء للقادة و الضباط من طرف أولئك المجندين ؟.

والواقع أن أولئك المجندين لم يكن لهم الخيار فيما كانوا يقومون به لأنهم مرتزقة ولا يهمهم سوى إنقاذ حياتهم من الموت، فقد كانوا في رأيي كالمساجين الذين يجبرون على القيام بالأعمال الشاقة، فهل يعتبر ما يقوم به مثل أولئك السجناء أن سلوكهم هذا نابع من الانضباط و الولاء و الإخلاص و التفاني في خدمة أسيادهم!...

ومن ثمة فقد عمدت إلى تتبع كل الحروب و المعارك التي أقحم فيها أولئك المجندون الجزائريون عامة ، وخلصت إلى التركيز على بعض الحروب التي أقحموا فيها خارج التراب الوطني لإعطاء صورة واقعية عن هذه

العلاقة التي كانت تربطهم بالفرنسيين، حيث كانت إسهاماتهم في حروب فرنسا تدخل في إطار القيام بأي عمل عسكري مقابل أجر معين يتلقاه أولئك المجندون بواسطة عقد التجنيد.

إن البحث في هذا الموضوع يعتبر بكرا لأنه لم يخضع للدراسة والبحث من طرف المؤرخين و الباحثين الجزائريين و الحديث عنهم كأن يأتي عرضا عند الكتاب الفرنسيين أمثال: آزان، ليسبيس، أو المعاصرين لتلكم الأحداث مثل: دوماس،والدوق دومال، ودوروي فيكتور وغيرهم...

في حين أن المؤرخين الجزائريين ربما لم يروا في تجنيد الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي شيئا مهما يمكن الوقوف عنده مليا مادامت البلاد كلها آنذاك كانت واقعة تحت السيطرة الكاملة للاستعمار الفرنسي، و بالتالي فكل ما انجر عن ذلك يمكن إدراجه في خانة حيف و جور المستعمر الفرنسي الذي دمر البلاد و العباد... فبقي هذا الجانب حسب معلوماتي يفتقر إلى الإثراء، لا بد من تناوله بشكل من الأشكال.

ولذلك فإن تناولي لهذا الموضوع بالذات جاء كمحاولة بسيطة من أجل الدفع بعجلة البحث في مساحة، أهملها الباحثون عامة و المؤرخون الجزائريون خاصة.

كما أن هذه االدراسة جاءت أيضا بدافع ذاتي تمثل في رغبة نفسية دفينة وجهتني إليها عدة تساؤلات لطالما راودتني منذ أن كنت يافعا...

وهذه التساؤلات يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- كيف تأتى للفرنسيين احتلال بلاد مثل الجزائر و هي التي ما انفكت تنجب رجالا شجعانا ، أقوياء ، صابرين، قادرين على التأقلم مع كل الأجواء ، و مقاومين للإجهاد و الجوع و الحرمان من أبسط ضرورات الحياة ، وهي صفات قلما تجتمع في عناصر جيش من الجيوش في العالم، و قد أقر كل الضباط و القادة العسكريين الفرنسيين أنفسهم بهذه الصفات المميزة للجزائريين .
2- لماذا انخرط بعض الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي الغازي لبلادهم؟ ألم يكن هؤلاء يدركون هدف الغزاة الفرنسيين؟.
3- لماذا لم يتمكن الأمير عبد القادر و كل المقاومين الجزائريين للاحتلال من دحرالغزاة مع أنهم كانوا يتمتعون بثقة أهاليهم و يضمون في صفوفهم جنودا من أبناء جلدتهم وهبوا أرواحهم في سبيل الله و الوطن؟
4- لماذا غامر الفرنسيون بتجنيد بعض الجزائريين في صفوف جيوشهم واضعين بين أيديهم السلاح بعد أن لقنوهم التدريبات العسكرية الضرورية...
5- لماذا كان أولئك المجندون الجزائريون يحاربون بقوة و يحققون الانتصارات الحاسمة للفرنسيين سواء داخل التراب الوطني الجزائري أو خارجه ؟!...

مما جعل الفرنسيين سواء المؤرخين منهم أو القادة العسكريين و السياسيين يتشدقون في كل مرة من أن أولئك المجندين الجزائريين إنما كانوا يقومون بالدفاع عن العلم الفرنسي و شرف الإمبراطورية الفرنسية بكل جد وإخلاص و تفان... حقا إنه أمر غريب!...

6- أما والوضع كما كانوا يزعمون، فلماذا لم يحاول الفرنسيون تحسين أوضاع الجزائريين ، و هم المتشدقون دوما بالحرية و حقوق الإنسان و الأخوة . بل تركوا المجال فسيحا للمستوطنين الذين حققوا انتصاراتهم السياسية والاقتصادية و الاجتماعية على حساب الشعب الجزائري الذي أمد الإمبراطورية الفرنسية بالمجندين الذين ساهموا بشكل كبير في توسيع رقعتها الترابية خارج القارة الأوروبية.

هذه الاستفسارات و غيرها كثير لم نتعرض له ، وجميعها تتطلب الدراسة و البحث للإجابة عنها، و مهما كانت الإجابة عن هذه التساؤلات فإننا معشر الجزائريين ، و نحن نستعرض مثل هذا البحث نشعر بالافتخار والاعتزاز بكل ما له علاقة ببطولات أبناء شعبنا الذي قيض الله له رجالا أبطالا ومجاهدين وقفوا في وجه الغزاة مدافعين عن الأرض والعرض حتى توفاهم الله ، ولعزيمتهم الصادقة في الكفاح والنضال والصبر على مجابهة الغزاة المعتدين رزقهم الله في بداية النصف الثاني من القرن العشرين(ثورة نوفمبر المجيدة)، بالخلف الطيب الذي

تمكن من لم الشمل و جمع كلمة أبناء هذا الوطن على ضرورة تحقيق الوحدة من أجل الحرية و الاستقلال للتخلص من ربقة الاستدمار الذي دمر البلاد و العباد.

وكان بين الجزائريين و المستعمرين الفرنسيين طيلة قرن و ربع قرن صراعات و معارك و حروب انتهت باستقلال الجزائر عام 1962 و الحمد الله ، بفضل تضحيات الشهداء و كفاح أبناء هذا الوطن بعد أن أدرك الجميع أن الحرية و في جميع الحالات : تؤخذ و لا تعطى... لأن المستعمرين في مختلف الأزمنة ، إن أخذوا شيئا فإنهم لا يتخلون عنه أبدا مهما كانت الظروف ، حتى يجدوا أنفسهم مضطرين إلى ذلك اضطرارا.

قد تبدو هذه الدراسة للوهلة الأولى أنها تعبر عن وجهة نظر واحدة... و هي انتقاد للإدارة الاستعمارية في الجزائر. و الحقّ إن هذا ليس من نيتي، و إن كان الأمر يبدو كذلك فهذا نتيجة لطبيعة الإشكال و حساسية الموضوع ورهافة المشاعر تجاه الاستغلال الفاحش لكل الطاقات البشرية في قضايا لم يكن للجزائريين فيها ناقة و لا جمل.

ولكن كل ما هنالك أنني أردت البحث عن إجابات شافية و كافية عن التساؤلات التي كانت تراودني عن علاقة المجندين الجزائريين بالدولة الفرنسية، إلى جانب رغبتي الملحة في أن أشارك في تشييد صرح التأريخ لبلادي منذ بداية عهد الإستعمار الفرنسي ، و للإجابة أيضا عن السر الذي كان يتمتع به الضباط العسكريون الفرنسيون الذين تمكنوا من ترويض بعض أولئك الجزائريين و تسخيرهم لأغراضهم الاستعمارية.

مع العلم أن شباب هذه الأمة لم يجد أيام الاستعمار من يحميه من براثن المستعمرين الذين أقحموا أولئك الشباب في حروب لم تعد لا عليهم و لا على أهاليهم بما كان يمكن أن ينتظر من أية حرب يخوضها أي شعب من الشعوب!.

إننا عندما نتصفح كتابات المؤرخين الفرنسيين أمثال: كامي روسي، غبريال إيسكير، غوتيرو غوستاف، أو الضباط و الجنرالات الفرنسيين أمثال: سانت آرنو، الجنرال دوباريل، و الجنرال بول آزان، و غيرهم. نجدهم بصفة عامة يأخذون نفس التوجه من حيث علاقة المجندين الجزائريين بفرنسا: ولاء، إخلاص و تفان في خدمة العلم الفرنسي، و ما تضحياتهم في مختلف الحروب التي أقحموا فيها في مختلف بقاع العالم إلا تحصيل الحاصل.

فالشباب الجزائري في رأيهم جزء لا يتجزأ من فرنسا التي لم يكن وجودها في الجزائر إلا من أجل تحرير الفرد و ترقيته و انتشاله من مستنقع التخلف المقيت، و كذا لتعليم هذا الجزائري مبادئ الحرية و الديمقراطية. و في نفس الوقت تشعرك هذه الكتابات و أنت تطلع عليها أنها تنوه و تشيد بالعبقرية الفرنسية التي جعلت من أولئك المجندين آلات حرب قوية صلبة قلما يوجد مثلها في العالم، و الفضل كل الفضل في اكتشاف هذه القدرات العجيبة يعود إلىعبقرية الضباط و القادة الفرنسيين.

فالتاريخ إذن دراسة موضوعية للأحداث الماضية حتى نتمكن من إصلاح الحاضر و بناء المستقبل، و هي معادلة لا تستقيم ولا يرجى منها النفع للأجيال الصاعدة إلا إذا بنيت على حقائق سليمة.

و قد اخترت فترة 1830-1900 لنستعرض من خلالها كيفية تجنيد بعض الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي منذ الأسابيع الأولى للغزو، ثم أنواع الفئات المتعاونة مع المحتلين لنخلص إلى بعض الحروب التي أقحم فيها أولئك المجندون سواء أكانوا فيها مرغمين أو متطوعين، فالمهم هو جمع مادة يمكن العودة إليها بسهولة ليستشف منها القارئ الدور الفعال والعملي لأولئك المجندين الجزائريين في هذه الحروب، و يدرك مدى المعاناة و الآلام التي تكبدها المجندون و هم تحت رحمة من كان يرى فيهم آلات حرب لا بد من استغلالها إلى أبعد حد، بعد أن خسروا أهاليهم ومواطنيهم.

فإن وفقنا بعض التوفيق فيما كنا نصبو إليه فإن الفضل في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى ما تعلمناه من أساتذتنا الأكارم من أمثال الدكتور أبو القاسم سعد الله ، والدكتور جمال قنان ، والدكتور مولاي بالحميسي ، والدكتور ناصر الدين سعيدوني ، وغيرهم ، وهم جميعهم كانوا يلفتون انتباهنا إلى معاناة شعبنا بمختلف فئاته خلال مختلف المراحل من تاريخه حينما كان مستعمرا من طرف الفرنسيين.

و إلى أستاذي الشاب / الدكتور شاوش حباسي الذي لفت انتباهي إلى أن مثل هذا البحث يجب أن يعتمد على المصادر الحية أولا ثم لا بأس من أن يدعم بآراء و أفكار المعاصرين. و لذلك ركزنا على ما جاء في كتابات المؤرخين المعاصرين لتلكم الحقبة أمثال فيكتور دوروي و الدوق دومال في كتابه عن الزواويين و الفرق المشاة و

مذكرات الجنرالات و الضباط الذين قادوا أولئك المجندين في مختلف مراحل حروبهم مثل: الجنرال روفيغو، و الماريشال فالي، و الماريشال سانت آرنو، و الجنرال دوباريل، و الجنرال فوارول، لنخلص إلى الاستفادة بكل من جاء بعدهم، أمثال كامي روسي و إيسكر غابريال و غوستاف غوتيرو و كذا الاستفادة من المذكرات و الرسائل التي كتبها أولئك القادة العسكريون إلى أهاليهم معبرين عما كانوا يشاهدونه أو ما كان يعتمل في صدورهم، فراحوا ينفسون عن أنفسهم من خلال مراسلاتهم الشخصية التي لم تكن مراقبة بالطبع.

وبعد ذلك اعتمدنا على ما جاء في كتابات المعاصرين أمثال جوليان في كتابه تاريخ الجزائر المعاصرة و كذلك كتاب: الجيش الإفريقي من 1830-1962 للجنرال أوري (Huré) دون أن نغفل عما ورد في بعض كتابات المؤرخين الجزائريين و العرب أمثال: الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر والدكتور يحيى بوعزيز في كتابه ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين. و كذا ما ورد في مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة و كتاب المغرب العربي: الجزائر، تونس، المغرب، للدكتور صلاح العقاد. وكذا ما ورد في كتاب مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة، المجتمع، الذي استوحى معلوماته من شهادات و تقارير الضباط العسكريين لتلك الحقبة، و بذلك توصلت بعون الله إلى عرض هذه الدراسة على الشكل الآتي:

الفصل الأول:

و تعرضنا من خلال هذا الفصل للنواة الأولى للفرق العسكرية التي بدأ الفرنسيون يشكلونها من الجزائريين لتجنيدها في صفوف الجيش الغازي بدءا من أوت 1830 و استمروا في تنظيمها حتى نهاية سنة 1841. و ما تلا الغزو من طرد للأتراك عامة و لعناصر الجيش الإنكشاري خاصة، و اضطرار دي بورمون إلى الاستعانة ببعض العناصر المحلية، و من ثمة وجد الجزائريون أنفسهم مضطرين إلى تنظيم المقاومة الشعبية التي عمت الوسط ، الغرب و الشرق الجزائري بعد سقوط حكومة الداي و انسحابها نهائيا من الساحة. ثم كيف تمكن الفرنسيون من استمالة بعض الجزائريين إلى صفوفهم و كونوا منهم دروعا متعاونة معهم من أجل فرض الهيمنة الفرنسية على الوطن الجزائري، ليختم الفصل الأول بشهادات الضباط العسكريين حول المجندين الجزائريين و المتحالفين معهم.

الفصل الثاني:

ويتعلق الأمر في هذا الفصل بتنظيم الفرق العسكرية المشكلة من الجزائريين في تشكيلات مختلطة مع الجنود الفرنسيين و الأوروبيين أو أسلاك خاصة بالجزائريين يؤطرها و يقودها ضباط فرنسيون لنصل في النهاية إلى القوانين التنظيمية لفرق المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي من عام 1830 إلى نهاية عام 1900، لنعرج في نهاية هذا العرض إلى الحديث عن توافد بعض الجزائريين على الجيش الفرنسي حسب المراحل الثلاث للفترة الممتدة من 1830 إلى1900.

و يختم الفصل الثاني هذا بشهادات حية للضباط و الجنرالات الفرنسيين الذين كانوا يشيدون بقيمة المجند الجزائري و توصياتهم بضرورة استغلاله في كل الحروب التي سيخوضها الجيش الفرنسي عبر العالم، حيث تكثر الأمراض و الأوبئة، على أساس أن المجندين الجزائريين أكثر مقاومة للإجهاد و للأمراض، و أكثر صبرا من غيرهم على المكاره و الصعوبات الجمة.

الفصل الثالث:

وهو الفصل الذي يتحدث عن وضعية المجندين الجزائريين في بعض الحروب التي أقحموا فيها رغم أنهم لم يجنوا من ورائها غير الدمار و الخراب لأهاليهم خاصة إن قتلوا في تلك المعارك أو عادوا منها بعاهة مزمنة.

و بعد استغلال هذه الطاقات البشرية التي ذهبت تضحياتها و دماؤها هدرا لم تسجل أية تحسينات أو ترتيبات ترضي أهاليهم ومواطنيهم .

ويختم الفصل الثالث بتسجيل بعض الشهادات و الآراء التي أطلقها القادة و الجنرالات الفرنسيون و كلها تنويه بما قدمه أولئك المجندون لفرنسا و للجيش الفرنسي، حتى أنهم كانوا يقولون في عدة مواقف و مواقع منها: حروبهم في المكسيك و مدغشقر. لولا وجود هؤلاء المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي ما كان لفرنسا أن تفكر في خوض هذه الحروب.

ونختم هذا العرض بحمد الله على ما آتانا من صبر و أناة في إطار بحثنا هذا و الذي يعود الفضل في كل ذلك إلى ما تعلمناه من أساتذتنا الأجلاء في مرحلة الليسانس و ما بعدها، و على ما بذلوه من جهود مضنية في سبيل تعليمنا و توجيهنا لما يخدم الصالح العام للوطن و الأمة... و من أجل هذا فأنا لكل واحد ممن تشرفت بالدراسة على يديه من الشاكرين الذين لا ينسون فضل أساتذتهم الأجلاء و لسان حالي يردد دوما مقولة الإمام علي كرم الله وجهه : " من علمني حرفا كنت له عبدا ". فكيف بنا نحن وقد تعلمنا منهم الكثير ورأينا من بعضهم ما رأينا على رأي أحمد أمين رحمه الله . فلهم منا موفور السلام وجزيل الشكر والأمتنان إلى آخر العمر .

ولا يفوتني بهذه المناسبة أيضا التنويه بما قدمه لي العاملات و العاملون في مختلف دور المصادر والمراجع والمكتبات العمومية من خدمات وتسهيلات . فلهم الشكر و الثناء و بارك الله فيهم. و عندما اكتمل البحث، والحمد لله ، وجدت إلى جانبي ابنتي البارة الآنسة منيرة وولدي العزيز محمد ناصر الدين ، وكذلك الابن الطيب طاس محمد الذين ساعدوني على إخراج هذه الدراسة إلى النور في أحسن حلة ، فلهم الشكر على عملهم المتقن... بعد أن صبروا علي في النسخ ونقل الصور و السحب كذلك.

و لكل من ساعدني من قريب أو بعيد أحر التشكرات و الدعاء باليمن و البركات و السلام على الجميع من العلى القدير و رحمته تعالى و بركاته.

محمد بجاوي

بالأخضرية في **28** أكتوبر**2005** م

الموافق / **25** رمضان**1426** هجري

الفصل الأول: النواة الأولى للمجندين الجزائريين

في صفوف الجيش الفرنسي **1830-1841**

أولا: اضطرار الغزاة إلى تجنيد

بعض الجزائريين منذ عام 1830.

أ- طرد الأتراك من الجزائر

ب- هبة المجاهدين الجزائريين لمقاومة الغزاة:

1-ابن زعمون . 2 - ابن سعدي . 3- ابن سالم خليفة الأمير

4-الأمير عبد القادر. 5- احمد باي قسنطينية

ثانيا:

المجندون الجزائريون الأوائل

في الجيش الفرنسي **1830**

أ- الفرسان الزواويون:

1- آغا الزواويين

2- معسكر الزواويين

ب- الكراغلة يجندون برعاية يوسف

ثالثا:

المتعاونون الجزائريون

مع الغزاة منذ **1830**

أ- رؤساء القبائل والشيوخ الطامعون في الحكم

1-1- زعيم قبائل الدوير و السميلة

1 – 2 - مصطفى بن اسماعيل في عش النسر

2- السلطان عبد الرحمن شيخ توقرت

3 - شيخ العرب فرحات بن سعيد

4- ابن قانة شيخ العرب البسكري

ب- القياد و الباشاغوات

ج- شهادات وآراء الفرنسيين عن المجندين والمتحالفين معهم.

د- خلاصة الفصل الأول

إن فكرة استغلال الجزائريين مجندين في صفوف الجيش الفرنسي تعود إلى الكونـ ـ ـت دي بورمون قائد الحملة العسكرية الغازية لمدينة الجزائر في جويلية 1830، حين تأكد من أن التوغل في أعماق هذا الوطن ليس بالأمر الهين. و لذلك سعى إلى تدعيم جيش الاحتلال بالعناصر المحلية حتى يتمكن من السيطرة على هذه البلاد التي ظهرت له في بداية الأمر من السهل احتواؤها، و لاشيء يعيقه عن التوغل في مناطقها الداخلية.

لكن الأحداث التي تلت استيلاء الجيش الفرنسي على مدينة الجزائر و طرد الأتراك منها، بينت بشكل لا يدع مجالا للريبة أن هناك عملا كبيرا و جهودا عسكرية متواصلة تنتظر الفرنسيين عند مجابهتهم للجزائريين الذين لم يكن من السهل عليهم قبول محتل أجنبي في بلادهم يتحكم في مصيرهم.

فكيف تم هذا التجنيد إذن لبعض الشباب الجزائري في صفوف الجيش الفرنسي؟... وهذا الشعب معروف منذ العصور الغابرة بحبه لحريته و استماتته في سبيل الدفاع عن وطنه. ثم كيف تأتى للغزاة الفرنسيين استخدام بعض العناصر الجزائرية الشابة في مستهل غزوهم للبلاد؟...

ذلك أنه بعد تعيين الجنرال كلوزيل على رأس جيش الاحتلال خلفا للكونت دي بورمون، وجد نفسه مضطرا إلى التعامل مع الشعب الجزائري من دون واسطة، مستفيدا من الخطوات التي قطعها سلفه مع القبائل الزواوية التي تم الاتفاق معها منذ 25 أوت 1830.

فالعناصر الزواوية 500 فارس التي تركها معسكرة بمدينة الجزائر تحت تصرف الفرنسيين، مكنت الحاكم الجديد الجنرال كلوزيل من التغلب على صعوبة التعامل مع الجزائريين[1] الذين أبدوا مقاومة عنيفة للفرنسيين الذين حاولوا التوسع في عمق البلاد. " بعد أن طرد منها الأتراك الذين كانوا متعودين على قيادة البلاد و العباد في هذه الربوع[2]

وبما أن الجنرال كلوزيل كان يفتقر إلى تعليمات واضحة بشأن القطر الجزائري[3] فإنه لكي يتمكن من التعامل الفعلي مع الجزائريين اتخذ قرارا يقضي بتخفيض عناصر جيش الاحتلال إلى الثلث، و كتب من أجل ذلك إلى وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 1830/09/06 يخطره بإمكانية سحب ثلثي الجيش الفرنسي من الجزائر. لأن بقاء 10000 جندي في هذه المستعمرة حسبه " كفيل بقدرة الحكومة على المحافظة على احتلال مدينة الجزائر، و كذا مواصلة احتلال مدينتي وهران و عنابة[4]".

وتبعا لسياسته هذه القاضية بتخفيض عدد عناصر جيش الاحتلال[5]. فإن الجنرال كلوزيل اتخذ قرارا آخر يقضي بإنشاء فيلقين من المجندين الجزائريين بتاريخ 1830/10/01، و قد دعم هذا القرار فيما بعد بالأمرية الملكية بتاريخ 1831/03/21، و أطلق على هذين الفيلقين تسمية الزواويين (Les Zouaves) الذين كانوا معروفين من قبل مجيء الفرنسيين بما كانوا يقدمونه من خدمات عسكرية في عهد الدايات، و قد أعطي اسم الزواويين لهذه الكتائب التي استقبلت في صفوفها كل الأهالي الجزائريين من دون تفرقة في الأعراق أو بين سكان المدن و الأرياف عربا كانوا، قبايل أو كراغلة[6]... ثم إن وجود الضباط الفرنسيين الذين لا يفهمون لغة أهل البلاد، جعلهم يشعرون

---

[1] - Duruy Victor: **le 1er régiment de Tirailleurs Algériens (Histoire-Campagnes)**, Ed: Hachette et Cie, Paris 1899, p. 3.

[2] - Duc D'Aumale: **Les Zouaves et les chasseurs à pied**, Ed: Michel Levy frères, Paris 1855, pp.13-14.

[3] - Idem.

[4] - G.G.A: **Correspondances du Général Rovigo, T.1**, par Esquer Gabriel, Ed: Typographie Adolphe Jourdan, imprimeur de l'université, Alger 1914, p.6.

[5] -الفصائل العسكرية الأولى لجيش الإحتلال غادرت الجزائر العاصمة بتاريخ 1830/10/18، و كان لمغادرتها هذه المستعمرة(الجزائر) أثر غير مريح على وضع الفرنسيين في الجزائر.
المصدر نفسه، ص. 6

[6]- Huré Robert (Général): **L'Armée d'Afrique 1830-1962**, Ed: Charles Lavauzelle, Paris 1977, p. 20.

بالخوف و الوحشة وسط هؤلاء الغرباء عنهم، و لذلك كان من الضروري تجنيد فرنسيين أو أوروبيين متطوعين أيضا وسط هذه الفصائل الزواوية[7]".

وبعد ستة أسابيع من صدور قرار كلوزيل المؤسس للفصائل العسكرية الجزائرية، توجه مؤسس هذه الفصائل نحو المدية في أول حملة عسكرية عليها، و هناك تلقى أولئك المجندون الأوائل في صفوف الغزاة أولى ضربات المقاومين الجزائريين في فج موزاية[8]. مبرزين بقدراتهم البدنية و كفاءتهم الحربية ميزة هذا السلك من المجندين الجدد في صفوف الجيش الفرنسي[9]

وبقي المجندون الزواويون شهرين كاملين في المدية بعد أن قرر الجنرال كلوزيل ترك حامية عسكرية بالمدية من الجنود الفرنسيين و الجزائريين، حيث عاش أولئك المجندون أياما عصيبة حيث كانوا يصارعون هجمات الثوار الجزائريين ليل نهار، في الوقت الذي لا يمكنهم فيه التخلي عن أسلحتهم إلا من أجل القيام بعمل ضروري كبناء الحصون و تنظيم التحصينات، و غيرها من ضروريات الحياة اليومية و هم بمعزل عن كل مساعدة من قبل الجيش الفرنسي، بل لم تكن لهم حتى إمكانية الحلم بأية مساعدة[10]، لأن المكان كان عرضة للهجمات المتوالية من طرف المقاومين الجزائريين الذين كانوا لا يتوقفون عن توجيه ضرباتهم لجيش الاحتلال و كل المتعاونين معه. و كان المجندون الزواويون دائما في المقدمة حيث يتلقون الضربات الموجعة. و أمام مزرعة الباي المخلوع مصطفى بومزراق، قتل أحد الضباط الزواويين[11]، فكان بذلك أول ضابط من الزواويين يقتل على أيدي الوطنيين الجزائريين[12].

وفي الأيام الأولى من شهر جانفي 1831 غادرت هذه الفصائل العسكرية من الزواويين عاصمة التيتـري[13]، غير أن الجنرال، بيرتيزن Berthézène الذي خلف الجنرال كلوزيل زحف على المدية في الحملة العسكرية الثانية من أجل تدعيم موقف الباي مصطفى بن الحاج عمر الذي نصبه كلوزيل في حملته العسكرية الأولـى بتـاريخ 22 نوفمبر1830 بايا على التيتري، بعد أن عزل و طرد الباي الأسبق مصطفى بومزراق الذي رفـض التعـاون مـع المحتلين، لكن ابن الباي المخلوع حاصر الباي الجديد في المدية عاصمة بايلك التيتري مما دفع الحاكم العام بيرتيزن إلى التدخل في 25 جوان 1831 لفك الحصار عن الباي الموالي للفرنسيين، و عندما استتب الأمر لهذا الباي انسحب الجنرال بيرتيزن بجنوده بمن فيهم من الزواويين يبغي العودة إلى مدينة الجزائر، لكنه أثنـاء الطريـق تعرضـت مؤخرة جيشه إلى هجوم كاسح من قبل الثوار الجزائريين بفج الثنية وهي منطقة تقع بين المدية و البليدة و كان ذلك بتاريخ 03 جويلية 1831، مما أدى إلى سقوط العديد من عناصر الجيش الفرنسي قدرته البلاغات الرسمية يومهـا بـ 250 قتيلا، و هذا ما شجع المقاومين الجزائريين فيما بعد على مواصلة هجمـاتهم علـى المراكـز الأماميـة للفرنسيين بالجزائر العاصمة[14].

ومما يذكر الدوق دومال في كتابه عن الزواويين بخصوص الهجوم الذي شنه المقاومون الجزائريـون علـى مؤخرة الجيش، هو أن الرائد دوفيفيي Duvivier عندما رأى الخطر محدقا بعناصر مؤخرة الجيش، عاد على رأس الفيلق الثاني المشكل من المجندين الزواويين إلى نجدة المحاصرين، و بذلك توقف المقاومون الجزائريون عن شـن

---

[7]- Idem.

[8]- يقصد بأولى ضربات المقاومين الجزائريين في فج موزاية، حملة كلوزيل على المدية التي وقعت 1830/11/22، و ستأتي الإشارة إليها لاحقا.

[9]- **Rovigo**: op. cit, p. 5.

[10]- **Duc D'Aumale**: op. cit, p. 19.

[11]- لم أعثر على اسم هذا الضابط في العديد من المصادر التي تحدثت عن هذه الواقعة!.. و لعل السبب يعود إلى كون هذا الضابط من الأهالي الجزائريين.

[12] - Camille Rousset: **La Conquête de l'Algérie 1841-1857**, 3e éd., Ed: Plon, Paris. 1904, pp. 18-20

[13]- **Duc D'Aumale**: op. cit, p. 19.

[14]- **Duc D'Aumale**: p. 21 – Voir aussi, Rovigo: op. cit, p.11.

هجماتهم الضارية و ملاحقة الجنود الفرنسيين" *ليتمكن هذا الرائد مع مجموعة من الضباط النشيطين من الانسحاب بمن بقي من المحاصرين حيا، بعد أن جمعوا معداتهم العسكرية.* "[15]

وبعد هذه الحملة العسكرية الفاشلة بالنسبة للفرنسيين الذين تكبدوا خلالها خسائر في الأرواح تشجع الجزائريون أكثر على مواصلة الكفاح و مقاومة المحتلين، بل ذهب عنهم الخوف من الجيش الفرنسي الذي كان ينظر إليه على أنه جيش لا يغلب. " و ازداد الجزائريون كرها للاستعمار الفرنسي و حقدا على الغزاة، و كان من نتائج هذه الكراهية و هذا الحقد على الفرنسيين: ظهور صعوبة تجنيد المزيد من الشباب الجزائري في صفوف الجيش الفرنسي، الأمر الذي دفع القيادة العسكرية الفرنسية إلى جمع عناصر الفيلقين الزواويين في فيلق واحد متكامل، بعد أن عجزوا عن تكملة تعداد الفيلق الثاني، و هو أمر أقره الجنرال *بيرتيزن* نفسه[16].

وفي خلال هذه الأحداث يتعرض الرائد مومي و هو أحد الضباط الفرنسيين في السلك الزواوي إلى حادث خطير يضطره للعودة إلى فرنسا، في حين أن رفيقه دوفيفيي استدعي لمهام أخرى في مدينة بجاية، و بذلك تسند قيادة الفرق الزواوية بمدينة الجزائر مع رتبة قائد فيلق إلى النقيب لاموريسيير De Lamoricière الذي أدخل على هذا السلك العسكري الجديد في الجيش الفرنسي، و لأول مرة منذ تأسيسه ما يعرف بالتكوين العسكري وهو الأمر الذي جعل الجميع يشيد بالقدرات العسكرية للرجل الذي أسندت إليه مهمة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها و هي (إنشاء أول مكتب عربي)، "و قد أظهر لاموريسيير خلال أداء وظيفته الإدارية أنه كان على دراية كبيرة باللغة و العادات الجزائرية، إلى جانب جرأته و إقدامه و سرعة البديهة لديه[17]"، التي من دون شك لم تكن تخلو من الحيل و المكر و الخداع كما هي عادة و طبيعة معظم السياسيين و العسكريين الفرنسيين الذين تعاملوا مع الملف الجزائري منذ بداية الغزو إلى أن تحصلت الجزائر على استقلالها. و قد كان له دور خطير فيما بعد على المقاومة الجزائرية.

وباختصار نقول بأنه بالرجوع إلى الوراء قليلا نجد بأن الزواويين الذين شكلوا النواة الأولى للفصائل العسكرية المكونة من الجزائريين قد دعموا الجنرال كلوزيل أيضا ،وفي شهر سبتمبر 1830 زودوه بسرية ثم بسريتين من المجندين الجزائريين، حيث أصبحت هذه الكتيبة كلها تحمل اسم "القناصة الجزائريون"، و جميعهم يحملون اسم " الزواويين" .

وبدايتهم في خوض المعارك الحربية في صفوف الجيش الفرنسي، أظهرت قيمتهم العسكرية عندما دربهم و قادهم " ضباط عسكريون من أمثال: دوفيفيي و النقيب لاموريسيير و قائد السرايا ماري-مونج، و هؤلاء جميعهم عرفوا كيف يستغلون كفاءة أولئك المجندين الجزائريين، و كيف يوجهون تلك العناصر ذات الكفاءة العالية و الصبر المتين، و القدرة على تحمل الصعاب و الشدائد من أجل مساعدة الجيش الفرنسي على الاستيلاء و السيطرة على مختلف المناطق التي كانت تعارض بشدة تقدم الفرنسيين في أعماق الوطن الجزائري[18]" و تأبى الرضوخ بطبيعة الحال لهؤلاء المعتدين على حرمة البلاد و العباد

وقد جاءت الأمرية الملكية المؤرخة في 07 مارس 1833 لتنظم وضعية المجندين الجزائريين حين حددت عدد الكتائب في السلك الزواوي بعشرة: منها 8 كتائب للمجندين الفرنسيين و كتيبتان اثنتان من المجندين الجزائريين، مع اشتراط وجود 12 جنديا فرنسيا ضمن كل كتيبة جزائرية[19] و لعل هذا القرار المنظم لوضعية المجندين الجزائريين ضمن كتيبتين يكون في كل منها 12 عنصرا فرنسيا جاء بعد أن تأكدوا من أن المجندين الجزائريين لم يكن انخراطهم في صفوف الجيش الفرنسي عن رغبة و اقتناع، و لكنهم التحقوا بالجيش الفرنسي لظروف و أسباب خاصة؟.

---

[15] - **Idem**: op. cit, p. 23
[16] - Deladriere. P: **Coup d'oeil sur l'armée d'afrique**, Paris, s.D. p.17
[17] - **Duc d'Aumale**: op. cit, pp. 24-26.
[18] - Lespes. R. (Capitaine): **Les Troupes Indigènes de l'Algérie au service de la France**, Ed: Minerva, Alger. 1928, pp. 9-10.
[19] - **Duc D'Aumale**: Op. cit, pp. 20-23.

ولكي تتخلص الحكومة في باريس من عناصر ثورة 14 جويلية الذين كانوا يجوبون شوارع باريس و الـذين صار عددهم يتضاعف يوما بعد يوم، وجهتهم نحو الجزائر حيث تم إدماجهم في السلك الزواوي. لكـن الضـباط و القادة العسكريين في الجزائر رأوا ذلك غير مفيد بل قد يعود بالضرر على الطرفين: لتعود كل فريق على مسـاوئ الفريق الآخر، فعمدت الحكومة عند ذاك إلى تنظيم الأوروبيين في سلك خاص هو سـلك اللفيـف الأجنبـي (La Légion Etrangère). أما كتائب المتطوعين البارسيين على الخصوص فقد شكلت منهم الخط 67 للجيش الفرنسي بعد أن سحبوا جميعهم من السلك الزواوي. هذا السلك الذي كان يضم إلى جانب الزواويين بعضـا مـن الشـباب الجزائريين الذين التحقوا لسبب أو لآخر بالجيش الفرنسي، و هم عادة من سكان مدينة الجزائر و ضواحيها، و بذلك أدرج جميع أولئك الجزائريين في الفرق التي كانت قد شكلت النواة الأولى لسلك الزواويين[20].

[20] - **Duc D'Aumale**: Op. cit, pp. 16-18.

أولا: اضطرار الغزاة إلى تجنيد بعض الجزائريين منذ عام 1830:

بعد اتفاقية الاستسلام التي تمت بين الكونت دي بورمون قائد الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر و الداي حسين يوم 1830/07/04، دخلت القوات الفرنسية الغازية مدينة الجزائر العتيدة صباح يوم 1830/07/05 و استولت على ما كان في خزائن الحكومة الجزائرية من أموال، و قد تداول الناس فيما بينهم حديثا مفاده أن بعض قادة الجيش الفرنسي نهبوا ما كان في تلكم الخزائن من أموال...ونفائس، حيث كان يقدر ما في الخزينة الجزائرية بسبعة أطنان و312 كلغ ذهبا ، ومن الفضة 108 أطنان و704 كلغ[21]

أما الداي حسين فقد تركوا له حرية اختيار المكان الذي يريد الإقامة فيه، فاختار مالطا لكن طلبه قوبل بالرفض، ثم وقع اختياره أخيرا على مدينة نابولي بإيطاليا، فسمح له الفرنسيون بالذهاب إليها، و هناك استقبل بحفاوة و تكريم كما يستقبل الزعماء و الرؤساء. و هناك أيضا قام الرجل بعدة محاولات لاسترداد ملك الجزائر الضائع[22] غير أن هذه المحاولات اليائسة لم تثمر إلا عن طرده من إيطاليا بضغط من الحكومة الفرنسية.

فغادر الداي حسين نابولي الإيطالية باتجاه مصر العربية في ضيافة محمد علي الذي أقنعه بضرورة الإقلاع عن هذه المحاولات التي لن تجدي نفعا على الإطلاق. أما بقية الجند العثماني فقد رحل منهم إلى الأناضول بتركيا 2500 رجل، و هم الذين كانوا يكونون الفرق الإنكشارية[23].

ونظرا لانعدام التعاون والتنسيق بين حكومة الداي و باقي زعماء القبائل في هذا الوطن، اعتقد الكونت دي بورمون بأن بلاد الجزائر صارت مهيأة لاستقبال الفرنسيين و التعاون معهم، و لم يعد يرى أمامه سوى الأتراك كحجر عثرة في طريق توغل الفرنسيين في باقي المناطق الداخلية للبلاد. و لذلك قرر طرد الأتراك من الجزائر حتى يخلو الجو للوافدين الجدد[24]، و لكن الأمر لم يكن كما كان يعتقد أولئك العسكريون لأن المقاومة العنيفة التي خاضها الجزائريون ضد الغزاة عندما وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام المحتلين الجدد، غيرت نظرة القادة العسكريين و تبدد الاعتقاد السائد لديهم، و أصبح لزاما على قائد الحملة أن يتخذ قرارا براغماتيا للمحافظة على المكسب الثمين الذي تحصل عليه ، ويعالج في نفس الوقت النتائج السلبية المترتبة عن قرار طرده للأتراك، و هو القرار الذي انتقده حتى بعض الجنرالات الذين شاركوا في العمليات الحربية بقصد إخضاع الجزائريين فيما بعد[25]. فما هو هذا القرار البراغماتي؟..

يبدو أن القرار يتمثل في سعي العسكريين الفرنسيين إلى العمل بكل جدية من أجل جلب العناصر المحلية إلى صفوف المحتلين بقصد الاستعانة بهم على ضبط الأمور في هذا الوطن الذي أصبح فيه كل شيئ يوحي بصعوبة المهمة التي ما زالت تنتظر الغزاة، خاصة و أن طرد العناصر التركية من الجزائر لم يساعد مطلقا الجيش الفرنسي على التوسع في المناطق الداخلية لأنهم لم يكونوا متعودين على التعامل مع الجزائريين. فكيف تم طرد العناصر التركية من الجزائر؟ وماذا جنى الفرنسيون من وراء ذلك؟...

ثم لماذا هب الجزائريون ثائرين في وجه الغزاة ؟... ذلك ما سنكتشفه من خلال استعراض ما يلي:

ا- طرد الأتراك من الجزائر:

بعد استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر، عمد قائد الحملة العسكرية إلى إعطاء الأمر بترحيل عناصر الجيش الإنكشاري الذين كانوا يمثلون في رأيه العقبة الوحيدة في وجه التوسع بداخل البلاد، و في نفس الوقت أمر بتجريد جميع سكان مدينة الجزائر من الأسلحة التي كانت بحوزتهم. وحددت تعليماته مصير العناصر الباقية من الجيش الإنكشاري و الكراغلة المتزوجين بإمكانية بقائهم في منازلهم مع أهاليهم.

---

[21]-عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ،ج 3، الناشر ديوان المطبوعات الجامعية ،ط الجزائر 1982، ص .418.

[22] - **Rovigo**: op. cit, p.16.

[23]- د/ صلاح العقاد: **المغرب العربي (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)**، الناشر مكتبة الأنجلو مصرية، ط 1962، ص 103.

[24] - **Duc D'Aumale**: op. cit, pp. 13-14.

[25] - Du Barail (Général): **Mes souvenirs, T.1**, Ed: Collection Georges Barba, Paris. 1894, p.49.

أما العناصر التركية التي لم تكن لها عائلات ترتبط بها في الجزائر، و تأخرت عن الرحيل فقد وجب عليها التصريح بالجهة التي ترغب في الذهاب إليها سواء في أوروبا أو آسيـا أو إلى أي بلد إفريقي آخر تختاره هذه العناصر.

و من جهة أخرى فقد أعطى القائد العام للشرطة مسيو دوبينيوس D'AUBIGNOSE مهلة ثلاثة أيام للمتخلفين عن تسليم أسلحتهم، ابتداء من يوم 1830/07/15 كي يسلموا ما بحوزتهم من سلاح إلى السلطات العسكرية الفرنسية.

كما أمر في نفس الوقت جميع العناصر التركية التي تنتسب إلى الجيش الإنكشاري أو إلى حكومة الداي بالتقدم إلى المقر العام للشرطة بغرض تسجيل أسمائهم و عناوينهم[26].

واستجابة لهذا الإنذار فإنه بتاريخ 1830/07/22 كان 965 عنصرا من الأتراك قد أعلنوا عن مقر إقامتهم، و كان 42 فردا منهم قد طلبوا السماح لهم بالتوجه إلى مدينة تونس أو إلى مدينة إزمير[27] في حين أن 53 شخصا منهم قدموا طلباتهم للحصول على رخص الإقامة المؤقتة، فكان لكل واحد منهم ما طلب.

و إلى جانب كل هذا فإن الكثيرين من الأتراك الأغنياء استقلوا البواخر الراسية في الميناء للذهاب على متنها إلى الجهات التي يقصدونها على حسابهم الخاص. كما سعى بعض الأتراك إلى بيع حاجياتهم قبل السفر النهائي[28].

ولعله من باب الإشارة القول إلى أن يعقوب بكري[29] استغل الظروف المأساوية التي كان عليها الناس بعد دخول الجيش الغازي لمدينة الجزائر ليتصل بكل الوجهاء و الأغنياء من الأتراك، و راح يزرع في نفوسهم الهلع و الخوف مما ينتظرهم على أيدي الغزاة من سوء العاقبة و المصير، موضحا لهم أن ما جاء في النداء الذي وجهه قائد الحملة العسكرية إلى سكان مدينة الجزائر و القبائل المجاورة لها[30] ما هو إلا تكتيك حرب و خدعة، أما الحقيقة فهي غير ذلك على الإطلاق. فهب أولئك المروعون الخائفون على أنفسهم و أموالهم إلى تقديم الأموال و الهدايا و الرشاوى إلى هذا الرجل النصوح، الذي كانت له علاقات معترف له بها مع الفرنسيين منذ سنين "عله يلين قلبه" فيقدم على نصرة هؤلاء المساكين و التوسط لهم لدى قائد جيش الاحتلال[31].

أما من الجانب الآخر فقد أمر دي بورمون بإلقاء القبض على كل الوجهاء الأتراك و القياديين في حكومة الداي، و التوجه بهم مباشرة إلى السفن الراسية في الميناء لنقلهم بعيدا خارج التراب الجزائري. و إذا كان هذا الإجراء كما يقول المؤرخ الفرنسي غوتيرو: قد لقي ارتياحا كبيرا في نفوس الجزائريين: "فهو من دون شك يقصد الغوغائيين من عامة الناس الذين يشعرون بالحسد و الغيرة من كل من هو محظوظ بغض النظر عن البعد الوطني أو الإنساني".

و لكن اليهود المعروفين " بطبعهم الوقح، عندما لا يخافون على مصيرهم، و يكونون في مأمن من كل طارئ" فإنهم تطاولوا على أسيادهم القدامى بالكلام الجارح و البذيء... فكان لسلوكهم هذا تأثير سلبي على عامة الجزائريين الذين انقلب حقدهم و غلهم على هؤلاء الأتراك، إلى ما يشبه الشفقة و الرحمة تجاه هؤلاء المطرودين[32].

أما الدافع الحقيقي لطرد أولئك الأتراك بمثل هذه الصورة المخزية، فذلك لأن القادة العسكريين للحملة الغازية كانوا يعتقدون بأن الأتراك هم الذين سيشكلون العقبة الكأداء في طريق جنود الاحتلال للسيطرة الكلية على هذا

---

[26] - Gautherot Gustave: **La Conquette d'Algérie 1830**, Ed: Payot, Paris. 1929, p.183.

[27]- إزمير: مدينة ساحلية بها مرفأ يقع على بحر إيجه بتركيا.

[28] - **Gautherot Gustave:** op. cit, p.184.

[29]- **يعقوب بكري و بوشناق هما:** الوسيطان اليهوديان في قضية ديون فرنسا تجاه الجزائر. و هي القضية التي كانت من بين أسباب غزو الجزائر في جويلية 1830 كما هو معروف.

[30] - **Revue Africaine**: n° 31 janvier 1862, Ed: Challamel Ainé, Paris 1860, pp. 150-153.

[31] - **Gautherot Gustave**: op. cit, pp. 184-185.

[32]- هذا الكلام ورد في التقرير الذي وجهه **دوبينيوس** إلى الحاكم العام **دي بورمون** بتاريخ 1830/07/30، و قد ذكره كذلك المؤرخ الفرنسي غوتيرو غوستاف في المصدر السابق، ص185.

الوطن، و لذلك سارعوا إلى ترحيلهم و طردهم من الجزائر[33] بهذه الصور المخزية التي تنعدم فيها الإنسانية و يصبح فيها المغلوب كالطريدة.

إن مقاومة الشعب الجزائري للغزاة الفرنسيين أثبتت بعد ذلك أن أصحاب الأرض لم يكونوا من السذاجة بمكان حتى يرحبوا بهؤلاء الغزاة الجدد، و ما المقاومة العنيفة التي انطلقت في وسط البلاد و غربها و شرقها إلا دليل قاطع على أن القادة العسكريين الفرنسيين قد أخطأوا في تقديرهم، و في تقييمهم لهذا المجتمع الجزائري المسلم، و الذي إن قبل التعايش بسلام مع الأتراك المسلمين (في وقت لم تكن فيه الحدود الترابية تفصل بين المسلمين. فحيثما حل المسلم فهو في بلاده و بين إخوانه في الدين، يجاهد أينما كان مقامه فهو في سبيل نصرة الإسلام و المسلمين. أينما حل و ارتحل). فالشعب الجزائري المسلم لم يكن مستعدا إذن للعيش تحت حكم الأجانب من المسيحيين أو غيرهم، و كانت نظرة المجتمع الجزائري آنذاك لكل من هو على غير دين الإسلام بأنه كافر...

ولعل الجنرال دوباريل Du Barail الذي عاش في الجزائر أثناء اشتداد المقاومة و تضحيات الجزائريين في سبيل طرد الغزاة المحتلين قد أدرك هذه الحقيقة حين قال في مذكراته:" *إن الفرنسيين ارتكبوا خطأ فادحا عندما طردوا الجيش الإنكشاري، فهؤلاء المماليك كانوا على استعداد لمساعدتنا في قضيتنا، و البقاء في خدمتنا. فلقد حطمنا الإدارة التركية، و لم نتمكن من وضع شيء بديل آخر عنها. و من حسن الحظ أن هناك بعض الكراغلة ما يزالون في البلاد و يمكن الاعتماد عليهم*[34]".

ب- هبة المجاهدين الجزائريين
لمقاومة الغزاة المحتلين:

يبدو أن سقوط مدينة الجزائر العاصمة حدث بسرعة أدهش حتى القادة العسكريين للحملة أنفسهم مما جعل الجنرال دي بورمون يعتقد أن بقية المناطق الجزائرية الأخرى ستستسلم تبعا للعاصمة، و لذلك بعث برقية إلى رئيس مجلس الدولة، وزير الشؤون الخارجية السيد بولينياك في 07 جويلية 1830 يخطره فيها بأنه يكفيه 15 يوما فقط للانتهاء من إخضاع هذه البلاد.[35] و قد جاءت بعض الأحداث مؤكدة لهذا الاعتقاد، إذ أعلن مصطفى بومزراق حاكم بايلك التيتري اعترافه بالسلطة الفرنسية.[36] كما أعلن حسن باشا باي وهران اعترافه بتغيير الحكومة و عبر عن استعداده للتعاون مع السلطات الفرنسية التي اكتفت بهذا و لم ترسل قواتها لاحتلال مدينة وهران قبل جانفي 1831، و الظاهر أن الكثيرين من الحكام الأتراك القدامى كانوا مستعدين للتعاون مع الغزاة على أمل أن يحتفظوا بمناصبهم و امتيازاتهم كما كانوا في عهد الدايات.[37]

أما بالنسبة للأهالي الجزائريين فقد ساءهم محاولة الفرنسيين التوغل في أعماق البلاد بدل الاكتفاء بما وقع تحت أيديهم في مدينة الجزائر بعد إزاحة الأتراك منها. و الجزائريون بصورة عامة كانوا متعودين على التعايش مع الأتراك لأن أغلب المناطق الداخلية للقطر الجزائري لم تكن تابعة للأتراك إلا اسميا. فالجزائريون إذن كانوا يحكمون أنفسهم بأنفسهم و لذلك كانوا يتصدون لكل محتل يرغب في السيطرة عليهم أو الحد من حريتهم، و من بين أولئك الأبطال الأحرار من يلي ذكرهم:

1- ابن زعمون:

---

[33] - Esquer Gabriel: **La prise d'Alger 1830**, Ed: l'Afrique Latine, Alger 1923, p.397.

[34] - Du Barail: **Mes souvenirs T.1**, op. cit, p.49.

[35]- **بولينياك** Polignac Jules Armand : ولد في مدينة فرساي و عاش خلال الفترة (1780-1847) كان رئيسا لمجلس الدولة و وزير للشؤون الخارجية في نهاية حكم الإمبراطور شارل العاشر. هو الذي نفذ عملية الحملة العسكرية على الجزائر في 14 جوان 1830 و هو صاحب الأمريات التي كانت سببا في ثورة 14 جويلية 1830. حكم عليه بالسجن المؤبد ثم أطلق سراحه سنة 1836. ص 814 (Dictionnaire historique) .

[36] - Du Barail: **Mes Souvenirs T 1**, op. cit, p.49.

[37]- د/ **صلاح العقاد**: مرجع سابق ص.104.

هذا الرجل الوطني أقبل على الفرنسيين ذات يوم من أيام أواخر شهر جويلية من عام 1830 بصفته زعيما لقبائل الفليسة و عرض تعاونه مع الحكومة الفرنسية باسم عرب المتيجة بشرط أن لا تتدخل الإدارة في حياة السكان و أن لا تحتل بلادهم، و لكن هذا الزعيم سرعان ما تحول عن موقفه عندما تبين له أن الحكام الجدد إنما يريدون توسيع دائرة احتلالهم خارج المدن الساحلية.

ولكن الفرنسيين كانوا يرغبون في التوسع والتوغل في أعماق البلاد، ومما يدل على طموحهم ذاك هو المحاولة الأولى التي قام بها دي بورمون عندما توجه في حملة عسكرية على البليدة بناء على اتفاقه مع مصطفى بومزراق باي التيتري الذي أشار عليه باحتلال مدينة البليدة، و من جهة أخرى حتى يجعل الاتصال بين الجزائر العاصمة و المدية سهلا ومتواصلا. و ربما كان الباي يرغب في إيقاع الفرنسيين بين مخالب الجزائريين الرافضين لتوغل الغزاة في المناطق الداخلية للبلاد.

و كان هذا الاقتراح مواتيا للجنرال المغتر بقوته، و الذي كان يريد أن يظهر للجزائريين و الفرنسيين على السواء بأنه لا يخاف من التوغل في الأراضي الداخلية بعيدا عن الشريط الساحلي للبلاد.[38]

و لقد كان الجنرال دي بورمون في حملته العسكرية الاستعراضية هذه مدعما بفرقة من المشاة تضم من ألف إلى 1200 جندي، و مائة فارس على ظهور الخيل، و أربعة مدافع ثقيلة، وصل بها إلى البليدة بتاريخ 1830/07/23 مستعرضا هناك قواته ليفرض بعد ذلك شروطه. و قفل راجعا دون أن يدخل المدينة بعد أن استقبل من طرف الممثلين عن الأهالي. لكنه أثناء رجوعه فاجأته قبائل المتيجة في كمين بمنتصف الطريق بين العاصمة و مدينة البليدة في منطقة تسمى سيدي هايد و أصابت من كبريائه و غطرسته، و لكي يتمكن الجنرال من الانسحاب، كان عليه أن يفتح لنفسه طريقا على أشلاء جثث القتلى من أتباعه، و جثث القتلى من أعدائه الذين حاصروه و كادوا النيل من شخصه. " وانسحب الجنرال دي بورمون إلى مدينة الجزائر خائفا مذعورا يوم 25 جويلية 1830، على رأس جيش مضطرب مشدوه بعد أن فقد من عناصره 60 جنديا بين قتيل و جريح".[39]

وكان لهذا الفشل الذريع الذي أصاب الكونت دي بورمون في حملته العسكرية الأولى على البليدة صدى كبير لدى الفرنسيين الذين أزعجهم كثيرا أن تهتز سمعة الجيش الذي غزا مدينة الجزائر و استولى عليها في ظرف قياسي، أما و الحال هذه فقد بات الأمر يختلف الآن عما كانوا يعتقدون، و لذلك فإنه بالرغم من المجهودات الكبيرة التي بذلها دي بورمون في سبيل تكريس الاحتلال الفرنسي للجزائر، إلا أن حكومة لويس فيليب رأت ضرورة استبداله بالجنرال كلوزيل الذي كان من أنصار الاحتلال الشامل و التوغل في أعماق الوطن الجزائري.

وكان أول عمل قام به كلوزيل عندما وصل إلى الجزائر في سبتمبر 1830 هو استخدام المحاربين الزواويين في حملته العسكرية على المدية بتاريخ 1830/11/17 و كان مدعما بجيش قوامه 7000 جندي اخترق بهم فج الثنية حيث اعترض طريقه المقاومون الجزائريون للحيلولة دون وصوله إلى الهدف و بعد قتال عنيف تمكن من مواصلة زحفه على المدية بعد أن خسر من جنده 220 قتيلا، و دخل بمن بقي معه عاصمة التيتري المدية في 1830/11/22،حيث أمر بعزل باي التيتري مصطفى بومزراق و سجنه، و في الأخير تم ترحيله إلى الإسكندرية بعد أن رفض التعاون مع الفرنسيين الذين عينوا مكانه مصطفى الحاج بن عمر على رأس حامية عسكرية بالمدية و في 26 نوفمبر عاد كلوزيل بجيشه إلى البليدة، و بعد انسحابه منها في اليوم الموالي هاجم زعيم قبائل الفليسة ابن زعمون الحامية الفرنسية التي فقدت من رجالها 50 جنديا كانوا قد أرسلوا إلى مدينة الجزائر لجلب السلاح و الذخيرة الحربية من هناك.[40]

---

[38] - **Rovigo**: op. cit, p.5.
[39] - **Idem**: op. cit, p.5.
[40] - **Idem:** pp.5-6.

2- ابن سعدي:

وعلى كل فإن الظروف التي عاشتها البلاد بعد الغزو الفرنسي و سقوط مدينة الجزائر في أيدي الغزاة وهـو الأمر الذي أدى بدوره إلى سقوط حكومة الداي حسين، جعل البلاد كلها تعيش فراغا سياسيا رهيبا لم تسـتطع أيـة سلطة آخرى أن تملأه، و انفسح المجال عند ذاك لظهور عدد من الزعماء المحليين الذين حاول كل واحد مـنهم أن يجد لنفسه مكانة في المنطقة ليسيطر على ما يستطيع من الجهات و الأقاليم كالحاج أحمد باي قسنطينة بشرق البلاد، و الأمير عبد القادر بغربها.[41]

وفي خلال حكم الجنرال بيرتيزن، و أثناء الأحداث التي سبقت تعيينه خلفا للجنرال كلوزيل، ظهر مقاوم آخر عنيد في منطقة متيجة، و هو المجاهد المدعو ابن سعدي الذي كان يدعو مواطنيه إلـى الجهـاد و مقاتلـة الغـزاة الغاصبين. فالتف حوله رجال كثيرون، زحف بهم على مدينة الجزائر، و أثناء زحفه انضم إليه فـي وادي الكرمـة زعيم آخر يدعى محي الدين بن مبارك الذي آلمه كثيرا أن يرى الفرنسيين يحتلون البلاد، و يسعون إلى التوسع في مناطقها الداخلية. و حصلت بين قوات المجاهدين المقاومين و جيش الاحـتلال، معركـة عنيفـة انتهـت بـانهزام الفرنسيين، و فرار من نجا منهم إلى العاصمة، فتبعهم ابن سعدي الذي فرض عليهم الحصار في مدينـة الجزائـر لينتهي الأمر إلى إبرام اتفاق مع القيادة العسكرية الفرنسية يقضي باحتفاظ كل فريق منهما بما تحـت يـده، و فـتح مدينة الجزائر في وجه تجارة أهل متيجة.[42]

واصل ابن سعدي و رجاله مقاومة الفرنسيين معتصمين بالمناطق الجبلية الحصينة في وسـط الـبلاد التـي راحوا منها يشنون الغارات على القوات الفرنسية، و رغم تغيير الحكام العامين إلا أن منطقة القبائل الثائرة واصلت غاراتها على المحتلين، مما اضطر الحاكم روفيغو إلى رفع الحصار عن المقاومين، و الدخول في مفاوضـات مـع ابن سعدي لوضع حد لهذا التطاحن، و هذه المقاومة العنيفة.

وكادت المفاوضات أن تنجح لولا أن رجال ابن سعدي قاموا باعتقال وفد فرحات بن سعيد شيخ العرب الذي جاء إلى العاصمة لإعلان ولائه للفرنسيين، و عاد محملا بالهدايا، حيث قتل معظم رجال هـذا الوفـد. و غضـب روفيغو من هذا الإجراء الذي يمنع بعض الشيوخ من التعاون أو التحالف مع الفرنسيين، و قام تبعا لذلك بردة فعـل مماثلة، حيث كلف بعض عملائه باختطاف أحد شيوخ قبيلة العوفية، و كانت لهذا الشيخ سمعة وهيبة و مكانة خاصة في المنطقة. و بذلك انقطعت المفاوضات و عاد ابن سعدي من جديد إلى الزحف على مدينة الجزائر، لكـن قواتـه هذه المرة لم تكن قادرة على المجابهة، فانسحب إلى المناطق الجبلية محتميا بها حتى لا يصل إليه جيش الاحتلال. و بعدها التحق بقوات الأمير عبد القادر. في حين أن الزعيم الآخر في منطقة القبايل وهوالمجاهد ابن زعمـون اعتزل العمل المسلح، تاركا الأمر للشباب لكي يقودوا العمل الثوري.[43]

3-أحمد بن سالم خليفة

الأمير عبد القادر:

لقد كان للمجاهد ابن زعمون نفوذ كبير في منطقة واسعة من جبال جرجرة، و قد بايع الأمير عبد القـادر و لكنه لم يقبل لتواضع في نفسه أن يكون خليفة له، و بناء على توصية منه قام الأمير باختيار رجل يعد مـن أحسـن مساعديه، و هو أحمد ابن سالم الذي تولى منصب خليفة الأمير في منطقة سباعو ببلاد القبايل، و كان يتمتع هـو الآخر بنفوذ كبير بين جميع السكان في القسم الشرقي من ولاية الجزائر.[44]

واستطاع ابن سالم أن يشكل في منطقة القبايل قوات احتياطية قدمت للمقاومين دعما قويا، و بعد سقوط مدينة المدية في أيدي الفرنسيين و تكليف خليفتها المجاهد محمد بن عيسى البركاني بقيادة أخرى في مكان آخر. التحقـت

---

[41] - **Gautherot Gustave**: op. cit, p.171.

[42]- د/ يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين**، ط 1، دار البعث قسنطينة، 1980، ص ص 12-13.

[43]- **نفسه**: ص 13.

[44]- مصطفى الأشرف: **الجزائر – الأمة و المجتمع**- ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983. ص 92.

فيالقه النظامية بأمر من الأمير عبد القادر ببلاد القبايل للعمل تحت قيادة ابن سالم الذي كان من أغنياء المنطقـة، و لكنه ضحى بكل شيء في سبيل قضية وطنه.[45]

ومما يلفت الانتباه إلى أن تصريحات ابن سالم و كتاباته تقدم عنه صورة شاب مدرك تمام الإدراك للوضـع السياسي للبلاد في ظل تكالب العسكريين الفرنسيين على البلاد الجزائرية و أهلها من أجل السيطرة عليها و إخضاع أبنائها.

و كان ابن سالم يتمتع بذكاء حاد، و لعل الرسالة التي وجهها إلى الجزائريين توضح ذلك حيـث قـال فيهـا: " لا تنخدعوا أيها الجزائريون، و لتعلموا أن فرنسا دولة قوية، و ما أرسلت قواتها العسكرية إلى هذه البلاد إلا لكـي تخضعنا جميعا لسيطرتها، و ما أنا إلا مواطن مثلكم. و ربما لم تسمع بي فرنسا أبدا.

إن الوسيلة الوحيدة لإيقاف هؤلاء الغزاة هي أن تقاتلوهم متحدين و بدون هوادة... و أن تعاقبوا الخونـة الـذين رضوا بالذل و استسلموا...[46] "

ولم تقتصر المقاومة في بلاد القبايل على الزعماء و الفرسان المحاربين فقط و لكنها كانت تضم كل طبقـات المجتمع حيث سعى الجميع إلى وقف زحف المحتلين بمقاتلتهم كما دعاهم إلى ذلك ابن سالم، و من ذلك ما جاء في كتاب "القبايل الكبرى" لضابط فرنسي يدعى دوماس حيث ذكر ما جاء على لسان أحد الجواسـيس مـن العمـلاء المتعاونين مع الفرنسيين قوله:" إن طلاب زاوية ريفية تقع في ناحية جامع الصهاريج بمنطقة القبايل، و هي زاويـة سيدي عبد الرحمن، شكلوا فيما بينهم فرقة من الفدائيين، و أن عددهم بلغ 600 أو 700 طالب، و كلهم يجيـدون القراءة و الكتابة، كما أنهم مدربون على القتال و مسلحون بالبنادق و السيوف الطويلة و العصي الحديدية.[47] "

ففي هذه المنطقة الميمونة من وطننا الكبير نلاحظ أيضا أن أبناء الجبال الشامخة لم يقصروا أبدا في الدفاع عن سهل متيجة و مساندة ابن زعمون، و خليفة الأمير عبد القادر في توغلهما عبر السهول و الهضاب العليا، و لم يقصـروا في إيواء المناضلين القادمين من التل و الجنوب... و حمايتهم من الجيش الفرنسي المطارد لهم.[48]

وقد شهد الكولونيل لونوبل بذلك حين ذكر بأن أحد الضباط الفرنسيين شرح لنا في كتابه الذي ألفـه عـن تاريخ منطقة القبايل، الأسباب التي جعلت جيش بيجو لا يستطيع أن يتقدم إلى الأمام للقبض علـى الأميـر عبـد القادر سنة **1837** و ذلك " لأن عبد القادر كان تحت حماية 1500 رجل من أبناء القبايل" و هكذا يبدو لنـا بكـل وضوح بأن الأمير عبد القادر لم يستقبل في منطقة القبايل من طرف الجنود فحسب، ولكنه اسـتقبل مـن طـرف الأهالي الفلاحين الذين أحسنوا مثواه في ديارهم و رافقوه، و حالوا ساعة الخطر بين الجيش الفرنسي و بين ضيفهم الكريم، ولهذا السبب فشل بيجو في القبض على الأمير عبد القادر.[49]

وتستمر منطقة القبايل في المجابهة و الصمود في وجه الغزاة الفرنسيين. و في كل مناسبة يظهـر أبناؤهـا الأشاوس و نساؤها آيات الشموخ والإباء، من ذلك ما ذكره الجنرال دوماس في كتابه حين قال: " في سـنة **1844** سئل رؤساء منطقة القبايل لماذا دافعوا بضراوة عن قراهم ضد جيش كامل قاده الجنرال بيجو بنفسه، فأجابوا: كنا مستعدين أن نستسلم بعدما شاهدنا ذلك الجيش الجرار، إلا أن نساءنا اللواتي ساءهن ميلنا إلى الصـلح أقسـمن اليمين على أن يخرجن عن طاعتنا إذا لم ندافع عن أنفسنا مهما يكن من أمر. "[50]

ولعل هذه المقاومة و هذا الصمود الذي تبناه الجميع هو الذي جعل دخول الاستعمار الفرنسـي إلـى منطقـة القبايل الأبية برجالها و نسائها يتأخر إلى سنوات 1857/ 1864، قبل أن يحكم الفرنسيون قبضتهم على الجميع.

---

[45]- **مصطفى الأشرف:** مرجع سابق ص. 122.
[46]- **نفسه** ص. 123
[47]- **نفسه** ص ص. 121-122

[48]- **مصطفى الأشرف** مرجع سابق ص ص. 133-134.
[49]- **نفسه:** ص. 121.
[50]- **نفسه:** ص.121.

4- الأمير عبد القادر

(1832-1847):

وفي القطاع الوهراني كان الوضع بالنسبة للقادة العسكريين الفرنسيين أكثر تعقيدا، لأن معظم القبائل هناك كانت تشن الغارات المتتالية على الفرنسيين الذين " حاولوا من جانبهم تبرير مصدر هذه الغارات إلى تحريض سلطان المغرب الأقصى، لكن الحقيقة غير ذلك، لأن الجزائريين هم الذين حاولوا تحريك ضمير السلطان لينبهوه إلى الأخطار المتوقعة ضد بلاده نتيجة احتلال الفرنسيين للجزائر المرتبطة بالمغرب و بأهالي المغرب بصلات القربى و الجوار و التاريخ و العقيدة.[51]

وفي الوقت الذي شدد فيه الجزائريون هجماتهم على الغزاة، بدأت أهداف القادة الفرنسيين تتعقد أكثر فأكثر، فارتفعت بذلك نفقات الاحتلال و كانت النتيجة أن تقلصت قوات الاحتلال إلى الثلث، مما جعل الدوق روفيغو يعيب على الجنرال كلوزيل تسرعه في اتخاذ القرارالذي يسمح بترحيل الثلثين من الجيش الفرنسي و هو الأمر الذي جعل الأطماع تتوسع لدى الأمراء و يتحرش الجميع بالفرنسيين " خاصة إذا علمنا أن العرب ولدوا ملاحظين لما يجري حولهم. ثم إن مفاوضات كلوزيل مع باي تونس بقصد تسليمه إمارة وهران و قسنطينة لشقيقيه الأميرين التركيين لكي يعملا تحت إدارة السلطة الفرنسية، ما هو إلا دليل على هذا التردي الذي وصلت إليه سمعة الجيش الفرنسي العاجز أمام مقاومة الأهالي الجزائريين.[52]

وتطلع الجزائريون بالقطاع الوهراني إلى زعمائهم الدينيين من شيوخ الطريقة الصوفية لإنقاذهم من هول ماينتظرهم على أيدي الغزاة ،وتوسموا في أولئك الشيوخ القدرة على القيادة والزعامة في حركة الجهاد والمقاومة ضد الفرنسيين الذين يسعون إلى الاحتلال الشامل للبلاد.

وكان الشيخ محي الدين بن مصطفى بن المختار الحسيني أحد أولئك الزعماء الدينيين الذين برزوا للجهاد في منطقة معسكر، وكان قبل مجيء الفرنسيين يكافح طغيان الحكام الأتراك وتعسفهم. الأمر الذي دفع الباشا التركي لنفيه إلى وهران عام 1825.

وكان محي الدين ينتمي إلى الطريقة الصوفية القادرية ويتمتع بثقة وتأييد أتباعه ولذلك تصدوا معه لمقاومة الحملات العسكرية الفرنسية على الناحية الغربية الوهرانية التي أحرز فيها الجزائريون على انتصارات معتبرة خاصة في معركتي خنق النطاح الأولى والثانية خلال شهر ماي1832 وكذا معركة برج رأس العيون بوهران حيث قطعوا خطوط المواصلات على الجنرال بوييه الذي كان يحاول التوسع في احتلال هذه المنطقة.

ولكن تقدم الشيخ محي الدين في السن جعله لايستطيع مواصلة قيادة الجهاد ، فاتجهت أنظار الأهالي الجزائريين الى ابنه الشاب عبد القادر. فقبل الأب والابن العرض ، وقام زعماء قبائل غريس وغيرها في منطقة معسكر بمبايعة عبدالقادر بن محي الدين على السمع والطاعة في السراء والضراء ، وعلى بذل أنفسهم وأموالهم وأولادهم في سبيل إعلاء كلمة الله وحماية الوطن، وكان ذلك بتاريخ 1832/11/27 رغم أن عمره آنذاك لم يكن قد تجاوز 24 سنة، ولكنه رغم صغر سنه فقد كان يتمتع بصفات الزعامة من حماس وإيمان وشجاعة وحسن تدبير.

وابتدأ الأمير عبد القادرجهاده ببسط نفوذه على مختلف القبائل وإخضاعها له حتى يواجه الغزاة الفرنسيين بجبهة قوية موحدة ، وكلفه ذلك جهودا كبيرة لأن أكثر القبائل كانت متعودة على حياة الاستقلال والنفور من الخضوع لسلطة مركزية ، وحتى يكون في موقف قوي فإن الأمير عبد القادر اعتمد في مجابهة الفرنسيين على الوازع الديني والرضا بزعامة سلطان مراكش حتى يستميله إليه ويكسب تأييده في كفاحه وجهاده ، واتخذ من مدينة معسكر عاصمة له ، ثم راح يبذل المحاولات ليقطع على الفرنسيين خطوط التموين إلى مراكزهم بوهران، وانتزع منهم كثيرا من القبائل التي كانت قد تحالفت معهم وخضعت لسلطتهم كما استولى على ميناء أرزيو الساحلي ليتمكن عن طريقه من الاتصال بالعالم الخارجي للحصول على تأييده وعلى الأسلحة اللازمة والمؤن الضرورية . غير أن

---

[51]- د/ يحيى بوعزيز: مرجع سابق، ص.15.

[52] - **Rovigo**: op. cit, p.6.

العسكريين الفرنسيين تفطنوا إلى خطة الأمير وعمدوا إلى استعادة مدينة أرزيو منه ، في حين تمكن هو من افتكاك مدينة تلمسان منهم ، وشدد الحصار على مدينة مستغانم، وبذلك لم يتمكن الجنرال دي ميشال حـاكم وهـران مـن القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر[53].....

معاهدة دي ميشال 1834

نتيجة لنجاح سياسة المقاطعة التي عمل على تحقيقها الأمير عبد القادر فضل دي ميشال حـاكم وهـران أن يسلك طريق اللين والمفاوضة مع هذا المقاوم العنيد ، واغتنم فرصة وقوع أربعة من المتنصرين في قبضة الأميـر ليبدأ في توجيه الرسائل المتعددة إليه طالبا منه الصلح وإطلاق سراح أولئك المتنصرين .

وبعد تردد من الأمير وإلحاح من الجنرال دي ميشال أجاب عبد القادر في النهاية على الرسائل الموجهة إليه معبـرا عن استعداده للتفاوض. وكان يأمل أن يجد الفرصة المواتية لتوطيد مركزه ونفوذه على القبائل التي كانـت مـاتزال غير خاضعة له أو ممن كانت قد شقت عصا الطاعة في وجهه. ثم إن هذه المفاوضات فـي حـد ذاتهـا ستكسـبه الشرعية والاعتراف به من طرف الفرنسيين ، وفعلا فقد أسفرت المفاوضات بين الطـرفين عـن توقيـع الصـلح المعروف بمعاهدة دي ميشال يوم 1834/02/24 التي تم الاتفاق بموجبها على وقف الأعمال الحربيـة ، وإطـلاق سراح الأسرى الفرنسيين ، وحرية التجارة . كما نصت هذه المعاهدة على انفراد الأمير عبد القادر بالسـلطة فـي جميع أنحاء القسم الغربي من الوطن الجزائري ماعدا مدن وهران ، أرزيو، مستغانم . وعلـى إثـر توقيـع هـذه المعاهدة حصلت فترة من الهدوء في القطاع الوهراني حيث تمكن الأمير من توسيع نفوذه وضم كثير مـن القبائـل والجهات إلى سلطانه[54].

وراح الأمير يهتم بالشرق الجزائري الذي سكتت عنه المعاهدة وكذلك المناطق المحيطة بالجزائر العاصـمة فتوغل في إقليم التيتري مستوليا على المدية في أفريل 1835 وكذا على مليانة ، واستولى أيضا على واحة بسـكرة بالجنوب الشرقي. ورغم هذا التوسع إلا أنه كان يعاني من عدة صعوبات ومنها مشاكل قبائل الدوير والسميلة التـي كان يتزعمها مصطفى بن اسماعيل .

كما أثيرت حول هذه المعاهدة ضجة وخصومة انتهت بنقضها بعد أن امتنعت الحكومة الفرنسية عن الموافقة عليهـا بحجة أنها لاتعدو كونها مبادرة شخصية للجنرال لا تلزم الحكومة الفرنسية في شيء ولذلك سارعت إلى عزل دي ميشال وعينت مكانه الجنرال تريزيل عام **1835** الذي كان من أنصار الحرب فصمم على نقض المعاهدة ، وحدثت بينه وبين الأمير عبد القادر مواجهة في غابة مولاي اسماعيل قرب مدينة سيق في جوان 1835 تكبد فيها الجـيش الفرنسي خسارة عدد كبير من القتلى والجرحى ، ولم يهضم الجنرال تريزيل هذه الهزيمة فهاجم في اليوم المـوالي قوات الأمير في نهر المقطع حيث حصلت بين الطرفين معركة رهيبة لم ينج من الهلاك فيها الجنرال تريزيل نفسه وبعض مرافقيه إلا بصعوبة كبيرة بعد أن فروا إلى وهران للاحتماء بها .

ولكي تخفف الحكومة الفرنسية من أثار هذه الصدمة الكارثية التي حلت بجيشها أمام قوات الأمير عمدت إلى عزل حاكم وهران وكذا ديرلون الحاكم العام بالجزائر، وعينت الجنرال كلوزيل حاكما عاما على الجزائر في جويلية 1835. وقد كان معروفا بدعوته لسياسة الاحتلال الشامل للجزائر ولذلك صمم منذ البدايـة علـى تطبيـق فكرتـه وسياسته موجها كل جهوده لإضعاف قوات الأمير عبد القادر، فسار بنفسه على رأس جـيش جـرار لايقـل عـن 11000 مقاتل إلى مدينة معسكر لمداهمة الأمير ، وكان ذلك في ديسمبر 1835 بغرض تحطيم قواته هناك ، لكـن سياسته المبنية على احتلال المدن ثم إخلائها استغلها الأمير وقام بفرض حصار شديد على مدينة تلمسـان وأعـاد إخضاع القبائل الجنوبية التي كانت قد خرجت عن طاعته، وألحق بالفرنسيين هزيمة شديدة عند مصب نهر تافنـة

---

[53]- يحي بوعزيز: مصدر سابق ص16-17

[54]- يحي بوعزيز: *الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري . ط2 دمشق 1964. ص ص 31-32.*

وقطع بذلك المواصلات البرية بين وهران والمركز العسكري الذي أقامه الفرنسيون في مرسى رشـقون، وهكـذا أصبح موقف العسكريين الفرنسيين ضعيفا فبعثوا الى حكومتهم يطلبون النجدات السريعة، فأرسلت الـيهم نجـدات كبيرة بقيادة الجنرال بيجو في ماي 1836 الذي سارع إلى مدينة تلمسان لفك الحصـار عـن الحاميـة الفرنسـية الموجودة بها وأستحدث طوابير عسكرية خفيفة وسريعة لملاحقة الأمير وقواته وبذلك تمكن بفضـل هـذا التكتيـك الحربي من إلحاق هزيمة بقوات عبد القادر في معركة الزقاق الشهيرة في جويلية 1836 كما تمكن بعد معركة تافنة من فك الحصار عن المعسكر الفرنسي الذي كانوا قد أقاموه في واد تافنة[55] .

معاهدة تافنة **1837**:

بعد الإنجازات العسكرية الحاسمة التي حققها الجنرال بيجو راح يسعى إلى تطبيق سياسـته المبنيـة علـى التدمير والتخريب لكل ماهو حي في محاربته للأمير عبد القادر حتى ينتهي من مقاومته التـي أقضـت مضـاجع الفرنسيين. كما توعد وتهدد بإحراق البلاد والعباد ممن يتعاونون مع الأمير عبد القادر وأتباعه ، وهو يرمـي إلـى عزل المقاومة عن عامة الشعب الجزائري حتى يتمكن من القضاء عليها نهائيا ، لكن الجزائريين الذين وجدوا فـي شخصية الأمير عبد القادر نعم الرجل الإنسان و نعم الحاكم اليقظ و النبيه الذي تمكن من استبدال الإدارة التي كانت بيد المخزن في العهد التركي، وقضى على الخلافات التي كانت تنشب بين القبائل، فأقام العدل و الإخاء بين الناس و قد استطاع هذا الرجل الفذ بموهبته و عبقريته أن يجد حلا لمشكلة أعيى حلها حتى الدول الحديثة. ذلـك أن الأميـر عبد القادر تمكن من تحقيق التوازن بين الطبقات الغنية المحافظة على التقاليد من جهة و بين الكفاءات البشرية التي برزت من عامة الشعب، فاختارها للقيادة و منحها ثقته.[56] ولذلك ألتف الناس حوله وناصروه بكل ما أوتوا من إرادة وعزم حتى أن سكان سهل غريس الواقع في نواحي معسكر، ردوا على تهديدات الجنرال بيجو بجواب مليء بعزة النفس و شموخ الكبرياء و الإباء الذي يمتاز به الجزائريون قاطبة، فجميعهم ينظرون إلى كل معتد على أنه دخيـل، و أجنبي لا بد من طرده من البلاد مهما طال الزمن، و هذا بغض النظر عن دينه و عرقه، و يبدو هـذا التصـور واضحا بما لا يدع مجالا للشك حين نتأمل الرد الشجاع الأبي الذي رد به أولئك السكان الأشاوس علـى الجنـرال بيجو و هو رد لا شك أنه كان يجول في خاطر كل الجزائريين ما عدا أولئك الذين سقطوا في مستنقع خدمة الغـزاة على حساب أبناء وطنهم.

و مما جاء في رد سكان سهل غريس على الجنرال بيجو ما يلي:" *نقسم بالله أنه لن يكون بيننا و بينك لقـاء إلا في ميادين القتال، و لعلكم أيها الفرنسيون تظنون بأنكم قادرون على أن تحكموا العرب. فهلا حكمتم بلادكـم؟!... أما سكان هذه البلاد فلن تنالوا منهم سوى البارود، و لتكن على بينة و دراية من أن رئيسنا و أميرنا عبد القادر نعده منا و إلينا... و نحن أصحاب الأرض و البلاد و ما أنتم إلا عابرو سبيل... و حتى و لو بقيتم ثلاثـة قـرون كالأتراك، فلا بد من أن تخرجوا... و هل يخفى عليك أن بلادنا الشاسعة تمتد من وجدة إلى تونس، و أنها تضـم الساحل و التل و الصحراء ، و أن المرأة عندنا تقطع وحدها كل هذه المناطق الواسعة من غيـر أن يصـيبها أي مكروه من أحد... و إن نفوذكم لا يتجاوز التراب الذي تدوسه أقدام جنودكم ... و لكي تتأكد من كلامنا هذا، مـا عليك إلا أن تذهب إلى الصحراء، و سوف ترى...*"[57]

وهذا الرد يوضح ما للجزائريين من عزة و أنفة و وطنية متجردة عند الضرورة من كل العواطف الدينيـة و العرقية، و يبين كذلك مدى عزم الجزائريين على المقاومة المستميتة من أجل الحرية و الإنعتاق... ....

ولأن الجنرال بيجو تأكد من التفاف الجزائريين على الأقل في القطاع الوهراني حول قائدهم ورئيسهم عبد القادر فإنه خذ يلوح بفكرة عقد الصلح ، وأثمرت اتصالاته الأولى عن هدنة مؤقتة بين الطرفين تمكن الأمير خلالها من

---

[55]- يحي بوعزيز:. *ص 21*

[56] - **Duc d'Orléans**: op. cit, pp.408-409.

[57] - Camille Rousset: **La conquète de l'Algérie 1841-1857**, 3e éd. Ed: Plon, Paris 1904. pp.50-51.

استعادة الأسرى الجزائريين من القوات الفرنسية . وكتب الجنرال بيجو حاكم وهران إلى الأمير عبد القادر بعد ذلك يخيره بين أمرين : الصلح أو الحرب المدمرة .

فرد الأمير مرحبا بالسلام ومستعدا للعمل من أجل تحقيق الصلح الدائم ، وقد قام بدور الوساطة بينهما تاجر يهودي يدعى مردخان بن دران الذي كوفئ بعد ذلك باحتكار التجارة بين الطرفين ، لأن المعاهدة التي أمضيت نصت على اعتباره وسيطا للأمير في كل مايحتاج إلى شرائه من أسلحة وذخائر حربية وغيرها من فرنسا التي تشتري بدورها بواسطته من الأمير ماتحتاج إليه من حبوب وأغنام ومحصولات زراعية لتموين القوات الفرنسية ، وقد وقعت هذه المعاهدة يوم 1837/05/30 بوادي تافنة ولذلك سميت باسم هذا الوادي[58] ... ومما جاء فيها :

1- يعترف الأمير عبد القادر بالسلطة الفرنسية على مدينتي الجزائر ووهران وتحتفظ فرنسا كذلك بالمناطق المجاورة لهاتين المدينتين .
2- تعترف فرنسا بإمارة الأمير عبد القادر على إقليم وهران وإقليم التيتري والقسم الذي لم يدخل تحت نفوذ فرنسا في إقليم الجزائر من الناحية الشرقية.
3- يدفع الأمير للفرنسيين مقدارا من الحبوب وعددا من الأبقار في مدينة وهران على مراحل ثلاث .
4- تتخلى فرنسا للأمير عن مدينة تلمسان وقلعة المشوار مع المدفعية القديمة التي كانت بها ،وتتخلى كذلك عن مرسى رشقون.
5- يطبق مبدأ حرية التجارة بين الطرفين في الإقليمين، كما يجري تبادل المجرمين بينهما.
6- لكل من فرنسا والأمير الحق في تعيين ممثلين عنه في مدن وأقاليم الطرف الآخر لرعاية مصالح الناس التابعين له.

وبعد توقيع هذه المعاهدة بأشهر قليلة هاجم الفرنسيون مدينة قسنطينة واحتلوها، وكان استيلاؤهم عليها بداية لتوسعهم وتوغلهم في القطاع القسنطيني حيث استولوا على مدينة جيجل وسطيف وغيرهما، والأمير عبد القادر يتتبع الأحداث ولا يحرك ساكنا، ولم نسمع أنه حاول إنجاد قسنطينة ولو فعل ذلك لتبدلت الأمور بشكل مغاير، ولكن سكوته وإحجامه عن نصرة قسنطينة كان سببا قويا لتفرغ الفرنسيين بعد ذلك لمحاربته بشكل أعنف وأخطر، كما أن بعض المناوئين للأمير استغلوا الصلح الذي عقده مع الفرنسيين وراحوا ينشرون ضده حملات دعائية منفرة منه ومن أسلوبه في المقاومة بعد أن تشدد في تحصيل الزكاة والضرائب، فقام محمد بن عودة زعيم قبيلة أولاد مختار بالدعوة لشق عصا الطاعة على الأمير، ومبايعة محمد بن عبد الله البغدادي الذي قدم من بغداد زاعما أنه من ذرية عبد القادر الجيلالي ومدعيا أنه المهدي المنتظر[59].

ورغم كل ماسبق فإن الأمير استغل فرصة السلام التي أعقبت اتفاقية تافنة وراح يوطد نفوذه وسلطته حيث أخضع معظم إقليم وهران وإقليم التيتري وقضى على كل المنافسين له من الذين كانوا يظهرون بين حين وآخر ومنهم محمد التيجاني الذي تحصن بقلعة عين ماضي التي كان بها ممتنعا حتى على السلطات التركية قبل الغزو الفرنسي ، لكن الأمير شدد الحصار على هذا المناوئ حتى استولى على حصنه وهدمه بعد ذلك ثم قام بتعيينه هو نفسه نائبا عنه في المنطقة بشروط خاصة وذلك تأليفا له ولأصحابه حتى لا يخسره[60].

---

[58]- محمد بن الأميرعبد القادر: تحفة الزائرفي مآثر الأميرعبد القادر وأخبار الجزائر، الإسكندرية 1903،ص178.

[59]-_المصدر نفسه: ص188.

[60]-يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص24

نقض معاهدة تافنة

والعودة إلى الحرب:

ما انفك الفرنسيون يشعرون بالقلق إزاء الجهود التي كان يبذلها الأمير عبد القادر لإقامة دولة حديثة منذ عقد معاهدة تافنة سنة 1837 لأن ذلك كان سيؤدي حتما إلى طرد الغزاة الفرنسيين من البلاد وهم الذين كانوا يستميتون من أجل الاحتفاظ بالجزائر والتوسع في احتلال مختلف مناطقها.

ولما كانت معاهدة تافنة قد أهملت الإشارة إلى مصير القطاع القسنطيني فقد عمد الفرنسيون إلى تفسير ذلك على أنه من حقهم السيطرة عليه ، وفي نفس الوقت فسر الأمير عبد القادر قضاء الفرنسيين على أحمد باي على أنه فسح للمجال أمامه كي يعمل هناك ويمد نفوذه بالقطاع القسنطيني ليسيطر عليه باعتباره أمير البلاد الشرعي ، كما أن المعاهدة نفسها تقيد الفرنسيين بالاحتفاظ بالمناطق التي احتلوها من قبل. ولذلك راح يوسع دائرة نفوذه حيث استولى على منطقة القبائل حتى شرقي مدينة سطيف وسيطر كذلك على معظم واحات الصحراء من البيض إلى بسكرة ، وأصبح بذلك في وضع يسمح له أن يقطع على الفرنسيين طريق الاتصال بين الجزائر وقسنطينة ، وهو الحصار الذي سيمكنه مستقبلا من طرد المحتلين نهائيا ، غير أن الغزاة الفرنسيين تفطنوا لهذه الخطة وأدركوا الخطر الذي كان يتهدد مصيرهم في هذه البلاد من جراء ذلك، فاحتجوا عليه وأبلغوه أن أعماله تلك تعد خرقا لاتفاقية تافنة التي تمنع عليه حسب تفسيرهم الخاص مد نفوذه إلى الإقليم الشرقي لهذا الوطن.

ولما كان الوضع حساسا وخطيرا حاول الأمير أن يصل معهم إلى اتفاق سلمي لحل هذه المعضلة حرصا منه على إبقاء حالة السلام التي تمكنه من مواصلة أعماله الإنشائية لتوطيد دعائم حكمه ودولته ،غير أن الفرنسيين كانوا مصممين على دفعه إلى حالة الحرب وتمزيق المعاهدة بعد أن تمكنوا من القضاء على مقاومة أحمد باي وأمنوا ظهورهم من ناحية الشرق الجزائري وتلك كانت نيتهم منذ تفكيرهم أول الأمر في عقد معاهدة تافنة.

ولكي يجد الفرنسيون مبررا للعودة إلى حالة الحرب قام الجنرال فالي الحاكم العام للجزائر بتقديم مشروع معاهدة جديدة للأميرعبد القادر تتضمن امتيازات جديدة للفرنسيين بغرض إحراج قائد المقاومة. ومن الطبيعي إذن أن يرفض الأميرهذه الشروط لأنها نقض صريح لمعاهدة تافنة وبذلك وجد الفرنسيون الحجة لدفع سير الأحداث نحو التأزم أكثر إذ أرسلوا قوات عسكرية إلى قسنطينة عبر المناطق التي كانت خاضعة لسلطة الأمير تحديا له وإثارة منهم لمشاعره، وذاك ما دفعه إلى الحرب كما كانوا يخططون .

واحتج الأمير عبد القادر لدى الحاكم العام فالي، وأرسل إلى لويس فيليب يعلمه بالوضع الخطيرمتهما القادة العسكريين في الجزائر بالعمل من أجل نقض الصلح السابق طالبا منه التدخل للمحافظة على السلام...

وبعد أن أصبحت الأمور لاتحتمل ، جمع الأمير مجلس الشورى في شهر جويلية 1839 وعرض عليه الوضع الخطير طالبا من أعضاء المجلس أن يتحملوا مسؤولياتهم، مع إلحاحه على العمل من أجل المحافظة على السلم .ثم كتب إلى الحاكم العام بالجزائر يخطره بإعلان الحرب وينذره بشر العواقب ، ومما جاء في رسالته تلك، والمؤرخة في 1839/11/18 مايلي: " إن جميع الأهالي متفقون على الجهاد في سبيل الله، وقد أجهدت نفسي في تغيير رأيهم لأؤكد لهم طاعتي لكتاب الله ، ولقد صدقتك وما غششتك ، وإني أحذرك بما وقع، فابعث لي بوكيل وهران والزم نفسك حيث أنت...ولقد كتبت إلى ملكك فأجابني بأن أتصل بك في كل ما يتعلق بالحرب والسلم في هذه البلاد، فاعلم أنني قد أنذرتك، وأنني قد اخترت الحرب[61].

وبذلك عاد الطرفان إلى حالة الحرب، وقامت القبائل الموالية للأمير في أواخر شهر نوفمبر1839 بهجوم شامل على إقليم متيجة تحت قيادة نائبه وخليفته ابن سالم فأهلكت الكثيرين من المعمرين الأوروبيين وخربت مزارعهم .أما في إقليم الجزائر فقد استولى الفرنسيون على شرشال والمدية وملیانة، ولم تفلح قوات الأمير في استرجاعها...

---

[61]- محمد بن الأميرعبد القادر: مرجع سابق ،ص234

وفي شهر جانفي 1842 استولى الفرنسيون على تلمسان ثم على تاقدامت وتمكنوا لأول مرة منذ غزوهم للجزائر من ربط الاتصال البري بين الجزائر ووهران مرتكبين أثناء تحقيق ذلك مجازر بشرية، بعد أن خربوا معظم القرى والمداشر التي كا نت في طريقهم.

وإزاء تكاثر أعداد عناصر الجيش الغازي، انتقل الأمير بقواته إلى جبال الونشريس وواصل من هناك هجماته وإغاراته على مراكز العدو واتخذ لنفسه عاصمة متنقلة من الخيام قسمها إلى ثلاثة أقسام هي: الزمالة ، والدائرة ، والمحلة ، كما استحدث بها قسما خاصا لاجتماع مجلس الشورى .

انسحاب الأمير

إلى مراكش:

عندما علمت السلطات العسكرية الفرنسية بخبر هذه العاصمة المتنقلة أخذت تبحث عنها وتتعقبها من مكان إلى آخر، غير أن القوات الفرنسية بقيادة ابن الملك الدوق دومال اعترض سبيل الأمير فجأة قرب مدينة بوغار عند قرية طاقين حينما كان الأمير متوجها الىجبال عمور، وجرت بين الطرفين معركة كبيرة عرفت باسم معركة الزمالة في شهرماي 1843،حيث تفوق الفرنسيون الذين أسروا من قوات الأمير حوالي 3000 شخص كما استولوا على معظم المؤن والذخائر ومنها مكتبة الأمير الخاصة ، وكاد هو نفسه يقع أسيرا بأيدي الفرنسيين مما اضطره بعد مطاردة الفرنسيين له لمدة 07 أشهر أن يلجأ إلى مراكش بعد أن فشل في تحقيق صلح مع الفرنسيين بالجزائر وفرنسا، لأن الجنرال بيجو كان مصرا على التسليم ويلوح له بمنحه مرتبا ضخما والسماح له بالإقامة في الأستانة بتركيا[62].

وبعد انسحاب الأمير عبد القادر إلى مراكش توغل الدوق دومال في الجنوب حتى بلغ مدينة بسكرة ، وقد كرمت الحكومة الفرنسية الجنرال بيجو ومنحته لقب الماريشالية اعترافا منها بمجهوداته الخاصة ، وقد أعلن بيجو في حفل تكريمه من أن الحرب الجدية في الجزائر قد انتهت. وذلك بسبب فرار الأمير عبد القادر إلى مراكش ومغادرته البلاد.

وسلطان مراكش عبد الرحمن بن هاشم عندما فتح بلاده للأمير وأتباعه كان يعاني مشاكل وصعوبات داخلية منها كثرة ثورات الجند وبعض القبائل ، ولذلك اعتذر عن تقديم المساعدات العسكرية لأشقائه الجزائريين . وقال في رسالة وجهها إلى الأميرعبد القادر جاء فيها قوله: "إننا نتمنى الحضور بأنفسنا في غمار المسلمين ومباشرة القتال بأيدينا بين صفوف المسلمين ، ولكن ما نحن فيه من قمع العتاة وكف البغاة جهاد ، بل أفضل من جهاد النصارى حسب ما نص على ذلك إمامنا مالك رحمه الله، ونية المرء خير من عمله والسلام[63]."

وحينما استقر الأمير بضواحي وجدة من إقليم الريف وجد القبائل هناك ثائرة على السلطان فأخضعها ورفض طلبها بمبايعته أميرا عليها لأنه كان يريد من دخوله إلى مراكش تحقيق هدفين اثنين هما :

1- إقناع الشعب المغربي بضرورة التأهب والتحرك لنصرة أشقائه في الجزائر.

2- بعث روح الثقة والطمأنينة في نفوس الجزائريين الذين دخلوا معه هناك حيث يجدون أنفسهم في أرض عربية بين إخوانهم المسلمين آمنين من غدر العدو.

وهذا بطبيعة الحال ما قد يبعث الأمل والشجاعة في نفوس الجزائريين داخل البلاد المحتلة فيتحمسون لحركة الجهاد، وبذلك يمكن أن يتغير الوضع فيجد الغزاة أنفسهم في الجزائر محرجين وغير آمنين.

وكانت فرنسا قلقة محرجة لوجود الأمير في مراكش ولذلك احتجت لدى السلطان الذي رد عليها بأن الأمير قد سيطر على بلاد الريف وهو عاجز عن إخراجه منها، فشددت فرنسا في الضغط على السلطان وعلى الأمير ووجهت قوات عسكرية كبيرة إلى حدود مراكش لمراقبة الأمور عن كثب ، وأقام لاموريسيير تبعا لذلك مركزا عسكريا قرب قرية مغنية.

---

[62]- محمد بن الأميرعبد القادر: مرجع سابق ،ص281

[63]- د/يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص 29

واضطر السلطان بضغط من الأهالي أن يبعث بعض قواته التي أقامت مركزا عسكريا في وجدة ليكون في مواجهة مركز مغنية العسكري ، فزحف الجنرال بيجو بقوات عسكرية ضخمة على المركز وألحق بالجيش الشريفي هزيمة كبيرة في شهر أوت 1844 ، وكان عبد القادر قبل حصول هذه المعركة قد حذر السلطان من الإقدام على محاربة الفرنسيين بصورة علنية لأنه كان يعلم حقيقة الوضع في مراكش وضعف إمكانيات الجيش المغربي، ثم إنه كان يخشى من أن تؤدي هزيمة الجيش المغربي إلى ضياع الأمل في انتصار الجزائريين . ومن حسن حظ السلطان آنذاك أن الفرنسيين لم يكونوا مستعدين لمواصلة الحرب والتدخل السافر في مراكش خوفا من تشتت جهودهم واثارة حقد الإنجليز، ولذلك تقدم بيجو إلى حكومة السلطان بعد هزيمة الجيش المغربي بطلبين هما:

1- إبعاد الأمير عبد القادر من البلاد المغربية.

2- تخطيط الحدود الجزائرية المغربية.

غير أن السلطان رفض هذين الطلبين فتقدم بيجو بجيشه واحتل وجدة بعد أن أنزل بالجيش الشريفي الذي كان تحت قيادة ابن السلطان هزيمة ساحقة في معركة وادي إيسلي ، وفي نفس الوقت كان الأمير جوانفيل قد وصل إلى الموانئ المغربية على المحيط الأطلسي بقوات بحرية ، وخرب ميناء طنجة وضرب ميناء موغادور واحتل المدينة وهدد بالزحف على العاصمة فاس، وبذلك حلت الهزيمة النكراء بسلطان مراكش برا وبحرا في وقت واحد ووجد السلطان نفسه عاجزا عن مواصلة الحرب فمال إلى الصلح مثلما كانت ترجو فرنسا ذلك .

وتم عقد معاهدة بين فرنسا وسلطان مراكش في 1844/09/12 وسميت باتفاقية طنجة تعهد فيها السلطان بعدم تقديم أية مساعدة للأمير عبد القادر، بل والعمل على طرده خارج مراكش أو اعتقاله لسجنه أو تسليمه إلى السلطات العسكرية الفرنسية.

وبعد إبرام الاتفاقية بين الطرفين جاءت اتفاقية ثانية سميت باتفاقية لالة مغنية في مارس 1845 .حيث تم بموجبها تخطيط الحدود الجزائرية المغربية الممتدة من الساحل إلى ثنية الساسي ببني سناسن وتوزعت بينهما تبعية القبائل والقصور الموجودة مابين ثنية سناسن والأطلس الصحراوي ، واعتبرت الصحراء الكبرى بعد ذلك أرضا مفتوحة لامالك لها[64].

عودة الأمير إلى

الجزائر عام **1845** :

وحاول السلطان استدراج الأمير عبد القادر الى فاس حتى يتمكن من اعتقاله وتسليمه للفرنسيين لكن الأمير تفطن للمكيدة واعتذر بلباقة عن الانتقال إلى فاس بحجة أن رفاقه وجنوده لايرضون بالتخلي عنه أو فراقه وغيابه عنهم . لكن السلطان المغربي لم يتوقف عن الضغط على الأمير وأتباعه فاغتنم قائد المقاومة الجزائرية ظهور حركة ثورية ضد الفرنسيين تزعمها بومعزة عام 1845 ليعود إلى الجزائر لمتابعة حركة الجهاد والمقاومة. غير أنه أثناء رجوعه التقى بكافينياك قرب سيدي ابراهيم في سبتمبر 1845 حيث دارت بينهما معركة كبيرة انهزم فيها الفرنسيون وقتل عدد كبير من جنودهم منهم الضابط مونتانياك وأسر الأمير حوالي 600 جندي فرنسي .

وعندما استقر الأمير عبد القادر في الجزائر لمعاضدة بومعزة في ثورته لم يكن هذا الأخير مخلصا في تعاونه مع الأمير لأنه حسب المؤرخ الفرنسي بول آزان: لم يكن بومعزة مخلصا في تعاونه مع الأمير عبد القادر لإدراكه أن شخصية قائد المقاومة تحول دون هيبته وبروزه هو كقائد[65] .

وانتقل الأمير عبد القادر إلى بلاد القبايل سنة 1846 بغرض التنسيق والتنظيم مع خليفته أحمد بن سالم، لكن الأمير كاد أن يقع بين يدي الماريشال بيجو المدعم بجيش جرار، ولولا وقوف ومساندة سكان المنطقة الذين وفروا له ألف وخمسمائة رجل منهم لحمايته من الفرنسيين لكانت النهاية المؤلمة[66].

---

[64]-paul azan : L'Emir abdelkader ,op.cit, p.200et les suivantes.

[65] -Idem :p.205

[66]- مصطفى الأشرف: مرجع سابق ، ص121

وأمام تأزم الوضع على الفرنسيين الغزاة في الجزائر سارعت الحكومة إلى إرسال نجدات كبيرة للماريشال بيجو الذي أخذ يعمل على تطويق الأمير والحد من نشاطه ، وإرغام القبائل التي تؤيده على نبذ طاعته . كما أن استسلام خليفته أحمد بن سالم للفرنسيين في مارس 1847 تسبب من جهة أخرى في زعزعة مركز الأمير عبد القادر وتأثر حركة المقاومة والجهاد في الجهة الشرقية لإقليم الجزائر، فتحول الأمير إلى الناحية الغربية ، وتتبعه الماريشال بيجو مشددا على القبائل بالقمع والتقتيل والتخريب حتى تكف عن مساندتها لقائد المقاومة العنيد[67] .

نهاية بطل

المقاومة العنيد:

عندما اشتد الضغط على الأمير عبد القادر بعد أن أمعن بيجو في التنكيل بالقبائل التي كانت تسانده وتقدم العون له وخاصة في بلاد القبايل. أسرع مرة أخرى بالعودة إلى بلاد مراكش حيث تقيم دائرته عند نهر ملوية وراء جبال بني سناسن. وبمجرد دخول الأمير إلى المغرب طلبت فرنسا من السلطان أن يخرجه من بلاده تنفيذا لاتفاقية طنجة 1844 ، فبعث السلطان إلى الأمير عبد القادر يطلب منه الاستسلام إليه أو الخروج من بلاده طوعا قبل أن يضطره إلى استعمال القوة ضده .

وبعد هذا الانذار أخذ السلطان يحرض القبائل الموالية له كي تضيق الخناق على الأمير وأتباعه في معسكره وتقطع عليهم سبل التموين. فاحتج الأمير لدى السلطان وأنذر تلك القبائل بسوء العاقبة نتيجة أعمالهم الشريرة التي لاتليق بالمسلمين تجاه إخوانهم المسلمين. لكن السلطان جهز جيشا كبيرا تحت قيادة باللاحمر ووجهه لمحاربة الأمير وأتباعه ، وبالطبع لم يتمكن الأمير عبد القادر من إقناعه بفساد ذلك الأمر الذي يجعل المسلمين يتقاتلون فيما بينهم . والتحم الجيشان في معركة طنجة- معركة تافريست - التي انتهت بانكسار الجيش الشريفي ومقتل قائدهم باللاحمر نفسه .

وكانت هذه المعركة في حد ذاتها سبة ومعرة للسلطان اهتز لها ضمير الشعب المغربي الذي نقم على السلطان لإقدامه على محاربة إخوانه المسلمين الذين جاؤوا إلى بلاده يطلبون الحماية والأمان، وبعث الأمير إلى السلطان وفدا يخطره بأن باللاحمر هو الذي اضطره إلى القتال، وأن الأمير إنما قام فقط بالدفاع عن النفس، لكن السلطان رفض الاستماع إلى صوت الحق وجهز جيشا قوامه 50 ألف جندي أسند قيادته الى ابنيه أحمد ومحمد وكلفهما بمحاربة الأمير عبد القادر الذي تناقصت أعداد قواته التي لم يبق منها سوى 1000 فارس و2000 جندي من المشاة .

واضطر الأمير مرة أخرى للدفاع عن النفس والأهل والأتباع وحصلت بينه وبين الجيش الشريفي معركة طاحنة في 1847/12/15 على ضفاف نهر ملوية تكبد فيها الجيش المغربي خسائر فادحة، وعلى إثر هذه المعركة التي كانت آخر مسمار دقه السلطان في ظهر بطل المقاومة الجزائرية، عبر الأمير النهر بدائرته صوب وطنه الجزائر بمحاذاة الساحل حيث وجد الجنرال لاموريسييرفي انتظاره وقد حشد لاستقباله ألف جندي فرنسي وزعهم على طول الحدود لأنه كان يعلم بالأحداث التي وقعت بين السلطان والأمير الذي وجد نفسه هذه المرة بين نارين : قوات السلطان من ورائه والجيش الفرنسي أمامه .... فماذا عساه يفعل ياترى ؟.. ! ...

لقد جمع الأمير فرسانه وأهله وكبار أصحابه وتداول معهم الأمر الحرج الذي آلوا إليه، فقرروا في النهاية: التسليم للفرنسيين ، فأرسل الأمير رسولا الى الجنرال لاموريسيير يخبره بعزمه على التسليم بشروط هي:

أ- أن يقدم الجنرال لاموريسيير تعهدا مكتوبا ينص على أن تترك الحكومة الفرنسية للأمير ولمن أراد من أتباعه حرية الهجرة إلى الأسكندرية أو إلى عكة.

ب- أن تضمن هذا التعهد شخصية فرنسية رسمية .

ج- أن يعطى عهد الأمان لجميع رفاقه الإداريين والجنود، ويسمح لكل واحد منهم بالالتحاق بقبيلته.

---

[67]- د/يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص 31

د- اذا قبل الجنرال هذه الشروط عليه أن يوقعها ويختمها بطابع القيادة[68] .

ورحب الجنرال لاموريسيير بهذه الشروط ، ورد على الأمير يخطره باستعداده لتوقيع التعهد وأخبر من جهة أخرى الدوق دومال بالأمر وطلب منه التوجه إلى جامع الغزوات حيث حضر الأمير الذي سلم نفسه وسيفه وكان ذلك في 1847/12/27 على أمل أن يحملوه إلى الإسكندرية كما كان ينتظر لكن الفرنسيين حملوه إلى ميناء طولون الذي شهد انطلاق الحملة الغازية على الجزائر عام 1830 ، ومن هناك حمل إلى مدينة بو في مقاطعة أورليان حيث بقي بها سجينا لمدة خمس سنوات ونصف ولم يطلق سراحه إلا نابليون الثالث عندما أعتلى عرش فرنسا عام 1852 . وذهب الأمير إلى الشرق واتخذ من دمشق مقرا له حتى وافته المنية عام 1883 عن عمر يناهز 76 سنة[69]

وبعد استقلال الجزائر التي كان هذا المجاهد والبطل المغوار يحلم برؤيتها حرة مستقلة عمدت الحكومة الجزائرية إلى نقل رفاته من مدينة دمشق إلى مقبرة العالية بالجزائر العاصمة في شهر جويلية عام 1966 م بمناسبة الاحتفال بعيد الاستقلال الوطني ، ومنذ ذلك الحين اعتمدت صورة الأمير عبد القادر رمزا للدولة في كل الإدارات العمومية وعلى الأوراق النقدية .

---

[68]- د/ يحي بوعزيز: مرجع سابق ص 33).

[69]-- د/ يحي بوعزيز: الأمير عبد القادررائد الكفاح الجزائري، ط.2 .دمشق 1964 ص47 وما بعدها

الأمير عبد القادر بن محي الدين **1807 - 1883**

رمز المقاومة والجهاد في الجزائر **1832 - 1847**

مصدر الصورة :-Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation

5- أحمد باي قسنطينة[70]

1830- 1848:

رجل من رجال الدولة و السياسة قبيل الاحتلال، و مقاوم عنيد للفرنسيين حتى سنة 1848. بـدأت متاعبـه الداخلية منذ عودته من الجزائر العاصمة بعد حضوره الاجتماع الذي عقد في سيدي فرج لدراسة التدابير الكفيلة لرد الحملة الفرنسية على أعقابها بعد أن بدأت طلائعها تظهر في الأفق سنة 1830.

ولقد عارض أحمد باي خطة قائد الجيوش الجزائرية الآغا إبراهيم صـهر الداي حسين في كيفية تنظيم خطـة الدفاع التي كانت تبدو عقيمة في نظر باي قسنطينة، و اقترح بدلها خطة لو طبقت بالشكل الذي ارتآه الحـاج أحمـد آنذاك لكانت النتيجة ربما أجدى و أنفع، و لكن الكلمة الأخيرة كانت للآغا إبراهيم صهر الـداي و قائـد الجيـوش الجزائرية، و كان من نتائج تشبثه برأيه انتصار الفرنسيين في معركة سيدي فرج و معركة اسطاوالي حيث فقـدت الجيوش الجزائرية مدافعها. واضطرت للانسحاب إلى الخلف .

وانسحب الحاج أحمد باي إلى واد القليعة فجنان مصطفى باشا ثم إلى قنطرة الحراش مساء يـوم 5 جويليـة 1830 تاريخ تسليم مدينة الجزائر للفرنسيين بعد اتفاق قائد الحملة العسكرية دي بورمون مع الداي حسين.[71]

و لحق عدد كبير من الجزائريين الهاربين من وجه الغزاة بالحاج أحمد باي الذي انسحب بهم إلى خميس الخشنة و بودواو ثم نزل الجميع في وادي الزيتون حيث لحق بهم رسول دي بورمون الـذي عـرض علـى الحـاج أحمـد الاستسلام مقابل إبقائه بايا على بايلك قسنطينة مع دفع ضريبة سنوية للفرنسيين.

و بعد اثنين و عشرين يوما من السير في طريق مليء بالمشاكل و الصعوبات وصل الحاج أحمد باي إلى الحامـة من ضواحي قسنطينة، و هناك علم بقيام انقلاب في غيابه تزعمه عدد من الضباط الأتراك الذين كان على رأسـهم القائد سليمان الذي عين نفسه بايا على بايلك قسنطينة و خليفة له هو ولد شكال محمود، و اسطنبولي و جيمي علي و وزان أحمد...

وبمجرد أن علم سكان المدينة بوصول الحاج أحمد إلى الحامة و خروج زعماء الانقلاب لمحاربته سـارعوا إلى زعيم الانقلاب القائد سليمان فاعتقلوه و قتلوه، و بذلك فشل الانقلابيون و دخل الحاج أحمد قسنطينة و نفذ حكـم الإعدام في المتآمرين الباقين و طلب من سكان بايلك قسنطينة أن يتخلصوا من كل الأتراك الـذين التجـأوا إلـيهم، فاستجاب الناس لندائه و نفذوا تعليماته.[72]

وبعد هذه الأحداث بأيام قلائل اتصل الحاج أحمد برسالة من الحاكم الذي خلف دي بورمون و هو الجنـرال كلوزيـل الذي عرض بدوره على الباي الاستسلام و دفع الجزية لفرنسا مقابل إبقائه بايا في منصبه. و جمع الحـاج أحمد أعضاء ديوانه و عرض عليهم الأمر لكن أولئك الأعضاء رفضوا الالتزام بأي أمر قبـل استشـارة السـلطان العثماني.

وأبلغ الحاج أحمد رسول كلوزيل بما قرره أعضاء الديوان مؤكدا له في نفس الوقت بأنه عندما يتصل برأي السلطان سيجيب الحاكم الفرنسي، لكن دهشته كانت كبيرة عندما علم فيما بعد أن الجنرال كلوزيل قد عزله من منصبه و أبرم

---

[70]- **الحاج أحمد الباي:** ينتمي إلى أسرة كروغلية من بايلك قسنطينة، فهو إذن من أب تركي و أم جزائرية من عائلة ابن قانة التي كانت تقطن في بسكرة. و كان جده أحمد القلي بايا على البايلك القسنطيني، و ابوه كان يشغل منصبا كبيرا في حكومة الداي حسين.
وتحصل الحاج أحمد على منصب خليفة باي قسنطينة سنة 1817 بعد أن عاد من أداء فريضة الحج. و كان الرجل كثير المناورة ضد البايات و عند اكتشاف أمره من طرف الباي الجديد ابراهيم الكريتلي سعى هذا الأخير لدى الداي الذي عزل الحاج أحمد من منصبه و فرض عليه الإقامة الجبرية لمدة ثلاثة أشهر في أحواز الجزائر العاصمة، ثم نفي بعدها إلى مليانة التي أقام بها عاما و نصف عام، ثم سمح له بالإقامة في البليدة حيث أقام بها مدة عام و نصف عام أيضا.
و نظرا لكثرة الاضطرابات الداخلية في بايلك قسنطينة اقترح **الآغا يحيى** قائد القوات العسكرية في البليدة على **الداي حسين** تعيين الحاج أحمد في منصب الباي على بايلك قسنطينة لأنه الأقدر و الأكفأ على فرض النظام هناك. و وافق الداي و تم تنصيب الحاج أحمد بايا على قسنطينة من طرف صديقه **الآغا يحيى** عام 1826.

[71]- **مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة:** ترجمة محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط الجزائر 1973. ص ص 13- 16.

[72]- **د/ يحيى بوعزيز:**مرجع سابق ص37.

اتفاقا في 16 ديسمبر 1830 مع باي تونس ينص على تعيين شقيقيه: مصطفى باشا بايا على بايلك قسنطينة، و خير الدين بايا على بايلك وهران.

وعند ذاك تبين للحاج أحمد باي بأن الفرنسيين إنما كانوا يخادعونه لربح الوقـت فقـط. و بـالرغم مـن أن الحكومة الفرنسية لم توافق على مشروع كلوزيل إلا أن الجفاء صار مستحكما بين الحاج أحمد و باي تونس[73].

و إلى جانب المشاكل التي كان يثيرها باي تونس ضد الحاج أحمد باي فقد كان لهذا الأخير خصوم بالداخل أبـرزهم مصطفى بومزراق باي التيتري، و الباي السابق على بايلك قسنطينة إبراهيم الكريتلي و كذلك فرحات بـن سـعيد شيخ العرب السابق على الصحراء الشرقية الذي كان قد عزله أحمد باي من منصبه و عوضه بخاله ابن قانة.

أما مصطفى بومزراق فقد حاول أن يخلع على نفسه لقب الباشا و طلب من الحاج أحمد الخضوع له مقابل إبقائه بايا على بايلك قسنطينة، لكن الحاج أجاب رسول باي التيتري: " ليس عندي له أي جواب، و البـارود هـو الفاصـل بيننا"[74]

وتحالف بومزراق مع الباي إبراهيم الذي عينه من جديد بايا على بايلك قسنطينة بعد أن عزل منهـا الحـاج أحمد باي و هكذا تعاون الباي إبراهيم مع فرحات بن سعيد على محاربة باي قسنطينة، لكن هذا الأخير ألحق بهمـا هزيمة اضطرتهما إلى الفرار، فانسحب فرحات بن سعيد إلى أولاد جلال حيث بقي هناك يواصل غاراته و هجماته ضد الحاج أحمد طيلة سبع سنوات مستعينا بسكان وادي جدي، أما الباي إبراهيم فقد فر هاربا إلى تونس و منها عاد إلى مدينة عنابة، حيث ارتبط بالفرنسيين الذين كانوا قد غزوا مدينة عنابة و دخلوها من دون حرب في أوت 1830 بقيادة الجنرال دامريمون.

ورغم الهجمات التي كانت تقوم بها القبائل المجاورة لمدينة عنابة و التي كانت غير راضية عـن تصـرفات الحامية التركية التي سلمت المدينة للفرنسيين من دون حرب، فإن القيادة العسـكرية الفرنسـية أمـرت الجنـرال دامريمون و كتائبه العسكرية إلى الانتقال إلى وهران تاركين وراءهم مدينة عنابة بيد الحامية التركية التي كانت قد شقت عصا الطاعة على باي قسنطينة بعد أن تمكن الباي إبراهيم الكريتلي من التأثير على العناصر التركيـة ضـد غريمه. و بقيت تلك الحامية التركية تواجه مصيرها أمام القبائل المتحرشة بها.[75]

وبعد مضي عام عن احتلال عنابة في 1830/10/30 ارتأى قائد القوات الفرنسية الجنرال بيرتيزن أن يوطد رجله في بايلك قسنطينة فوجه كتيبة بتعداد 120 زواويا تحت قيادة الرائد هودر الـذي وصـل إلـى عنابـة فـي 1831/09/14 حيث كان باي قسنطينة الأسبق إبراهيم الكريتلي الذي كان يسعى إلى اسـتعادة أمجـاده و كسـب الثروة، و كان على استعداد للتعاون مع الفرنسيين في سبيل تحقيق أهدافه، و لذلك سرعان ما تعاون مع الرائد هودر الذي أمد ابراهيم الكريتلي ببعض الأموال نظير خدماته، لكن هذا الأخير استخدم هذه الأمـوال لكسـب ولاء و ود جنود القصبة بعنابة، و انقسم عناصر الحامية إلى قسمين: قسم بقي على ولائه للفرنسيين و القسم الأكبر صار مواليا للباي السابق إبراهيم الكريتلي الطموح و بذلك تمكن من السيطرة على الحامية و الخروج عن ولائه للفرنسـيين، و عند عودة الرائد هودر كانت نيران القلعة تفتك بكل من يحاول الاقتراب منها، و رغم وصول الرائد دوفيفيي بفرقة من 250 جنديا زواويا إلا أن هذه الحملة العسكرية فشلت في استرجاع سيطرتها علـى المدينـة، و لـذلك عـادت عناصرها خائبة إلى الجزائر العاصمة في 1831/10/11.[76]

وشعر الحاج أحمد باي قسنطينة بخطر الباي السابق إبراهيم الكريتلي في مدينة عنابـة فوجـه إليـه حملـة عسكرية بقيادة الخزناجي بن عيسى الذي حاصر الحامية التركية بعد أن تمكن من دخول المدينة بمساعدة المـوالين

---

[73] - **Julien (charles andre):Histoire de L' Algérie contemporaine.2ED . conquète et colonisation (1827-1870) ED:p-u-f.paris 1964.**, pp. 123-124-146-148.

[74]- مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة: مرجع سابق، ص ص 20-24.

[75] - L. Darier Chatelan (Lieutenant en corps) **: Historique du 3e régiment de tirailleurs Algériens,** Ed: Georges Hein, Constantine. 1888, p. 2.

[76] - **Idem:** op. cit, p.3.

له ، و هكذا أجبر الباي إبراهيم على الاعتصام بالقصبة إلى أن فاجأتهما معا القـوات الفرنسـية بقيـادة الجنـرال بيرتيزن.[77]

وتمكن النقيب أرماندي من مخادعة و مراوغة الخزناجي بن عيسـى قائد القوات الجزائرية و دفعه إلـى الهدنـة و توقيف القتال ريثما يرد الجنرال روفيغو على مقترحات باي قسنطينة. و خلال هذه الهدنة عاد يوسف مـن تـونس التي ذهب إليها لشراء الخيل، و توجه رفقة النقيب أرماندي بصحبة 30 بحارا إلى القلعة التي كانت بيـد الحاميـة التركية الموالية للباي السابق إبراهيم، و بعد مشادات عنيفة بين الأتراك الموالين ليوسف و الأتراك الموالين للبـاي إبراهيم تمكن الفرنسيون من استرجاع القلعة التي هرب منها الباي إبراهيم، ليرفع العلم الفرنسي بعد ذلك في أعلـى القلعة.[78]

وبسبب هذا لم يتمكن بن عيسى من السيطرة على المدينة بعد أن صارت القلعة بيد الفرنسيين الـذين رمـوا جنوده بمدافعها فقتلوا الكثيرين من العناصر الوطنية المجاهدة. و في 8 أفريل 1832 وصلت التعزيزات الفرنسـية إلى عنابة التي انسحبت منها جيوش الحاج أحمد الباي بقيادة الخزناجي بن عيسى الذي عاد أدراجه إلى قسنطينة بعد أن أفشل الفرنسيون مسعاه في استرجاع عنابة.[79]

أما الباي الأسبق إبراهيم الكريتلي الذي فر من القصبة إلى الجبال القريبة من عنابة، والتي اتجه منهـا إلـى بنزرت في تونس فقد عاد من جديد إلى القبائل التي كانت موالية له حيث جمع منها جيشا تعداده 1200 إلـى 1500 جندي دخل بهم ساحة مدينة عنابة في 1832/9/8 لكن القوات الفرنسية تمكنت من القضاء عليهم جمـيعهم بمـدافع القلعة التي كانت تحتلها العناصر التركية الموالية ليوسف قائد هذا الفيلق الذي كان يضم 120 تركيا من المشـاة و 80 فارسا. و كانت القيادة العسكرية في الجزائر العاصمة آنذاك قد أوصت منـذ 1832/08/24 باسـتخدام أولئـك الأتراك مع مضاعفة أعدادهم، لكن مع الحذر منهم.[80]

أما الباي إبراهيم فقد تمكن من الهرب أخيرا والتحق بالمدية حيث واقته المنية هناك سنة 1834. و بعـودة كلوزيـل على رأس الحكومة العامة بالجزائر في ديسمبر 1835 اتجهت الأنظار مرة أخرى إلى يوسف الذي صـار رجـل المهمات الخطيرة، إذ أنه عين من جديد قائدا على الحامية التركية، و كانت مهمته تنحصر في جمع القبائل المجاورة لمدينة عنابة تحت لوائه ، و كان عليه أيضا أن يرفع من تعداد الفيلق التركي إلى 1000 مجند و أن يعمـل علـى تلقينهم التدريبات العسكرية الملائمة لمجابهة جيش المشاة لباي قسنطينة الحاج أحمد.[81]

لكن الماريشال ميزون وزير الحرب آنذاك لم يسمح سوى برفع التعداد إلى 500 جندي فقط بسبب الإمكانيات المالية المحدودة.[82]غير أن الواقع يكذب هذا الإدعاء لأن يوسف لم يتمكن من جمع العدد المطلوب بسبب معارضـة القبائل المجاورة لعنابة للتجند في صفوف الغزاة.[83]وليس بسبب عجز أو نقص في الإمكانيات الماليـة كمـا كـانوا يزعمون.

وفي خضم هذه الظروف العصيبة وصل إلى قسنطينة حمدان خوجة مبعوثا مـن لـدن الـدوق دي روفيغـو بالجزائر العاصمة و عرض على الحاج أحمد الاستسلام و دفع مبلغ ثلاثة ملايين فرنك غرامة مالية كضريبة سنوية و تعويض عن الحروب السابقة مقابل إبقائه حاكما عاما على بايلك قسنطينة، فوافق الباي و أعضاء ديوانـه علـى العرض شريطة موافقة السلطان العثماني و انسحاب الفرنسيين من عنابة و الاكتفاء بإقامة قنصلية لهم هناك.[84]

---

[77] - **Julien:** op. cit, pp. 92-93.
[78] - **L. Darier Chatelan:** op. cit, p. 3.
[79] - **Idem:** pp. 4-5.
[80] - **Julien:** op. cit, pp. 132-135.
[81] - **L. Darier Chatelan** : op. cit,. p.2.
[82] - **Idem** : pp. 4-5.
[83] - Pellissiers de Reynaud : **Annales Algériennes, Tome.1,** Ed : Librairie Militaire, Paris 1854, p.
[84] - د/ عبد الجليل التميمي: بحوث و وثائق في التاريخ المغربي 1816-1871، الدار التونسية، ط 1972، ص ص 184-192.

الحملة العسكرية الأولى

عـلى قسنطينـة 1836:

ولكي يتمكن الحاج أحمد من كشف مزاعم يوسـف المملوك التونسي الذي كان يحضر لحملة عسكرية علـى قسنطينة، فإنه أوعز إلى شيخ وادي الزناتي أن يزور هذا المملوك في عنابة ليرى بنفسه ما يجري هناك، و استقبل يوسف ضيفه بحفاوة بالغة و أهداه بندقية. فلما سأله الشيخ عن موعد طرد الفرنسيين رد عليه بأنه لا يدري متى يتم ذلك الأمر. و هنا تأكد الشيخ من زيف ادعاءات يوسف لسكان القبائل المجاورة لعنابة، و ظهر جليا بـأن النشـاط الذي كان يقوم به هذا المرتزق يدخل في إطار استعدادات فرنسا لشن حملة عسكرية على مدينة قسنطينة و تنصيبه بايا عليها بعد إسقاط الحاج أحمد منها، و فعلا فقد أكد الجواسيس في عنابة هذه الحقيقة المرة للباي الحـاج أحمـد، الذي راح يستعد للمواجهة حتى لا يأخذ على حين غرة[85].

وانطلقت الحملة العسكرية على قسنطينة في شهر نوفمبر 1836 بوضع الفيلق التركي في مجموعة رينيي، و كان من مهام هذا الفيلق التعرف على المنطقة في بداية العملية العسكرية، ثم عمد الفرنسيون إلى وضعه في المقدمة لتلقي الصدمات الأولى. و في 15 نوفمبر خرج الطابور العسكري بقيادة الجنرال كلوزيل الذي عسكر فـي الجهـة السفلى لمدينة قالمة يوم 16 نوفمبر على أطراف وادي سيبوس.

و استعدادا للمواجهة و الدفاع عن مدينة قسنطينة أوكل الحاج أحمد هذه المهمة إلى الخزناجي بـن عيسـى و إلـى محمد بن البجاوي بعد أن وفر لهما 1000 فارس و 30 مدفعا. و استدعى من سائر مناطق البايلك قوات كبيرة بلـغ تعدادها 5000 فارس و 2500 رجل من المشاة عسكر بهم في وادي الأحد بـسيدي مبروك حيث تقدم بهم لملاقـاة العدو الذي كان قد خرج من عنابة. و تمركز الحاج أحمد بجيشه في عقبة العشارى بين الحامة و قسنطينة، و بعـد الصدام الأول بين الجيشين قرر الحاج أحمد عدم الدخول معهم في معركة فاصلة لعدم ملاءمـة المكـان، و لـذلك استدرجهم عن طريق المناوشات حتى اقترب بهم من سفوح مدينة قسنطينة حيث الطبيعة الوعرة المسالك، و بـذلك صار جنود الغزاة بين فكي كماشة: قوات المدينة المستعدة للدفاع عن قسنطينة من جهة، و قوات الحاج أحمد التـي اتخذت من وراء مؤخرة قوات العدو مركزا لها.

وساعدت الطبيعة قوات الحاج أحمد في الإجهاز على الجيش الفرنسي بهطول أمطار غزيرة بشكل متواصـل ألحقت بسبب ذلك خسائر معتبرة بعناصر الجيش الفرنسي الذي لم يتمكن من التقدم و الحركة. و عند ذاك هـاجمهم أحمد باي و قتل عددا معتبرا من جنود الغزاة.

وتمركز الأعداء في هضبة المنصورة و سيدي مبروك، و نصب مدافعه بها لقصف مدينة قسنطينة بعـد أن قسم قواته إلى قسمين: قسم بقي في المنصورة و قسم تمركز في الكدية ليشن من هناك هجوما آخر على أمـل أن يطبق على المدينة[86].

أما الحاج أحمد فقد تمركز في الطريق المؤدي إلى قسنطينة حيث نصب مدافعه و من هناك جعل العدو فـي الوسط بينه و بين القوات المدافعة عن المدينة. و دامت المعارك أسبوعا كاملا ليلا و نهارا، و لما عجز الفرنسـيون عن دخول باب القنطرة و اقتحام باب الحديد و تأكدوا من فشلهم انسحبوا من الميدان خاصة بعد أن أوشكت ذخائرهم الحربية على النفاد[87].

و تبعهم الحاج أحمد مطاردا حتى و صلوا إلى ما وراء قالمة و مجاز عمار في 28 نوفمبر 1836، و قد كان يظن أن عمله هذا سيجبرهم على مفاوضته لتحقيق السلم و الاعتراف به، غير أن ذلك لم يحصل على الإطلاق. و في 1 ديسمبر 1836 توجه الفرنسيون بالفيلق التركي نحو عنابة و قد صار يضم 300 مقاتل فقط بعد أن كانوا عند بـدء العمليات الحربية 500 مجند.[88]

---

[85] - **Julien:** op. cit, pp. 132-135.

[86] - **Idem**: op. cit, pp. 134-135.

[87]- **مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة:** مرجع سابق، ص ص 50-57.

[88] - **L. Darier Chatelan**: op. cit, p. 7.

وقد سر الحاج أحمد بانتصاره الباهر فكتب إلى السلطان العثماني يخبره بتفاصيل الأحداث فرد عليه السلطان برسالة تهنئة و وعده بنجدة عسكرية من الجنود و المهندسين و المدافع. و فعلا فقد وصلت هذه النجدة إلـى تـونس على متن أربع بواخر، لكن باي تونس حجز المدافع الإثني عشر، و رد باقي الجنود الأتراك على أعقابهم بـدعوى أن فرنسا هددته بمهاجمة بلاده إن سمح بوصول تلك النجدة إلى قسنطينة، و حاول بعد ذلك أن يعتذر للحاج أحمـد بوعد أكد فيه عزمه على إرسال تلك المدافع في الوقت المناسب. و لكنه لم يفعل، و فهم الحاج بعد ذلـك أن البـاي التونسي كان يراوغ و يخادع طمعا في ضم بايلك قسنطينة إليه.[89]

الحملة العسكرية الثانية

عـلى قسنطينة 1837 :

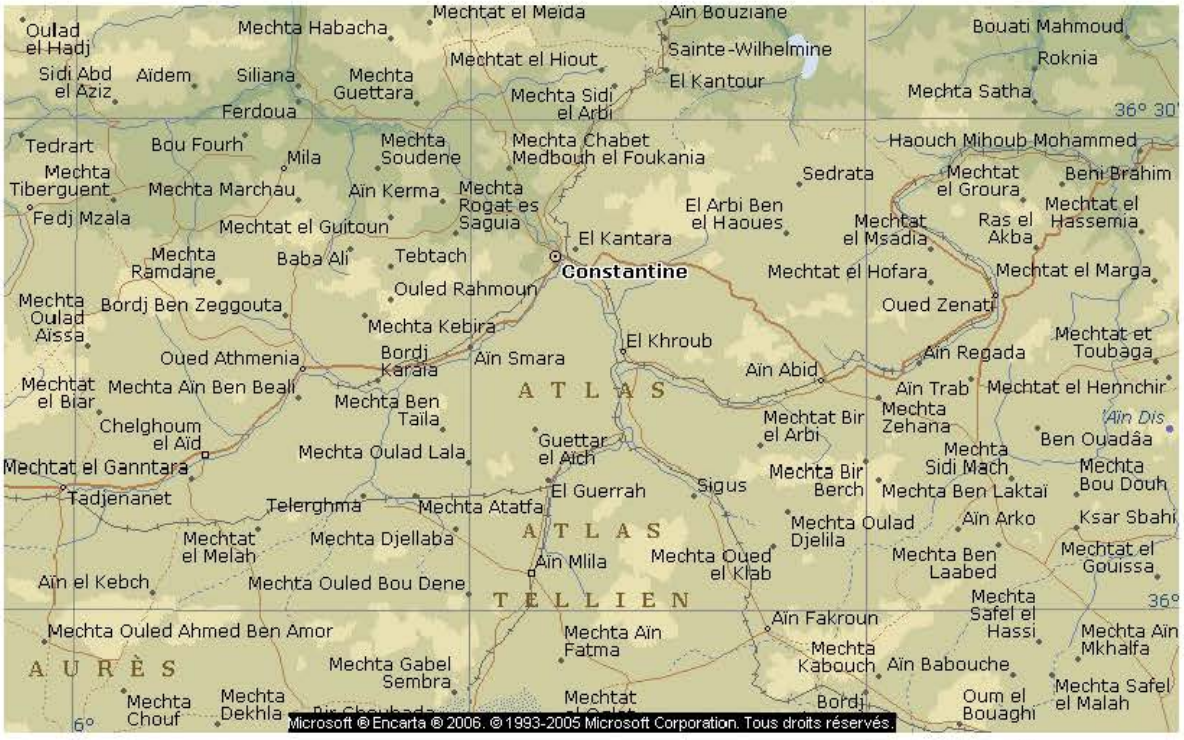

مصـــــــدر الخريطـــــــة -

Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation

[89]- مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة: مرجع سابق، ص ص 61-62.

لقد بقي الفيلق التركي المجند في صفوف جيش الغزاة على حاله خلال فترة عام تقريبا و هي الفترة التي كانت تفصل بين الحملة العسكرية الأولى و الثانية على قسنطينة، لأن يوسف مؤسس ذلك الفيلق رأى أحلامه السياسية تتبخر بعد فشل الحملة العسكرية الأولى على مدينة الحاج أحمد باي و لذلك أهمل هذه الفرقة العسكرية بسبب أنه كان يفكر في الانسحاب من عنابة التي كان كل شيء فيها يذكره بفشله في الحصول على رتبة باي بايلك قسنطينة. و فعلا فقد عوض يوسف بنقيب الصبايحية بيريتي الذي خلفه بعد ذلك الملازم الأول إيليفر الذي صار يحمل فيما بعد رتبة آغا عساكر المشاة.[90]

واستمرت البعثات الدبلوماسية متواصلة بين الحاج أحمد و الجنرال دامريمون قائد القوات العسكرية في عنابة من أجل الوصول إلى صيغة لعقد الصلح بين الطرفين، و كان الوسيط في هذه البعثات الديبلوماسية هو اليهودي بوجناح الذي كان يثير شكوك أعضاء الديوان، و لذلك كلف الحاج أحمد اثنين من المخازنية و كاتبه محمد العنتري بالسفر إلى عنابة للاتصال مباشرة بالجنرال دامريمون لدراسة شروط الصلح بعد أن وافق الحاج أحمد باي على دفع ضريبة سنوية و مبلغ من المال تعويضا عن الحروب السابقة مع رفضه أن يترك الحرية للناس كي ينضموا إلى الفرنسيين أو أن يخضعوا لهم. غير أن هذا الوفد عاد إلى قسنطينة دون أن يحقق أي نتيجة تذكر لأن الفرنسيين كانوا وقتها قد أنهوا استعداداتهم للهجوم على مدينة قسنطينة الأبية.[91]

وتفطن الحاج أحمد لمراوغة الفرنسيين الذين كانوا يسعون إلى ربح الوقت و تأكد من أن الحرب هي التي ستقرر مصير العلاقة الفرنسية ببايلك قسنطينة، فاستدعى من أجل مواجهة ذاك الموقف قوات كبيرة و قادة الجيوش من مختلف جهات البايلك، و جمع الرجال المختصين في استعمال المدافع، و كلف الخزناجي علي بن عيسى و البجاوي بالدفاع عن المدينة من الداخل رفقة 4500 رجل[92]. أما الفرنسيون من جانبهم فقد أعدوا لهذه الحملة الثانية إعدادا جيدا، فنتيجتها في رأيهم ستكون حاسمة، و لذلك حضروا لعملياتها العسكرية تحضيرا دقيقا.

و كانت الحملة العسكرية الثانية على قسنطينة في شهر أكتوبر 1837، حيث عينت فرقة من المجندين الأهالي و كانت تضم 119 رجلا من الفيلق التركي لتكون في مقدمة الفصائل العسكرية للجنرال تريزيل.[93]

أما من جانب أحمد باي فقد وضع عددا من الألغام أمام الأبواب الرئيسية لمدينة قسنطينة، و اتجه بعد ذلك إلى مضيق عمّار و هاجم القوات الفرنسية التي بدأت تتجمع هناك، ثم انسحب إلى وادي الزناتي كما فعل في الحملة الأولى و منه إلى الصومعة حيث التحق به الشيخ مولاي الشقفة من جبال البابور على رأس حوالي 10000 متطوع، مع عدد آخر من الزعماء الكبار. أما القوات الفرنسية فقد تمركزت في المنصورة و نصبت المدافع باتجاه قسنطينة و اتجه جزء منها للتمركز في الكدية قرب المسلخ.[94]

وانطلقت المدافع الفرنسية تضرب حصون قسنطينة و هنا عمد القائد العام دامريمون إلى طلب الاستسلام من سكان المدينة، و تكفل أحد المجندين الأتراك بالقيام بهذه المهمة وسط لهيب المدافع من الجانبين، و لم يكن أحد يتوقع عودة هذا المبعوث حيا، لكنه عاد بجواب شفاهي من قائد القوات المدافعة عن قسنطينة الخزناجي علي بن عيسى جاء فيه قوله: " في مدينة قسنطينة يوجد لدينا الكثير من المؤن و الذخائر الحربية و البنادق، و إذا كان الفرنسيون في حاجة إليها فإننا سنعطيهم منها. أما نحن فإننا لا نعرف شيئا اسمه الاستسلام... سندافع عن مدينتنا و منازلنا، و لن يكون الفرنسيون أسيادا على قسنطينة قبل أن يذبحوا آخر فرد من المدافعين عنها". و استمع الجنرال دامريمون إلى هذا الجواب باهتمام كبير ثم صاح قائلا: " إنهم فعلا رجال... أبطال و شجعان". ثم خرج ممتطيا حصانه يريد تفقد المدفعية الجديدة التي نصبت مؤخرا حيث بالغ الجيش الفرنسي في قنبلة المدينة. لكنهم عندما حاولوا اقتحام المدينة من باب الحديد أمر الحاج أحمد الباي علي البومباجي الجورجي بقذفهم بالمدافع،

---

[90] - **L. Darier Chatelan**: op. cit, p.8

[91] - **مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة**: مرجع سابق: ص ص 65-68.

[92] - **Julien**: op. cit, p. 141

[93] - **L. Darier Chatelan**: op. cit, p.8

[94] - **Julien**: op. cit, pp. 141-142

فقذفهم بها و قتل عددا كبيرا من جنود الغزاة و من بينهم القائد العام دامريمون الذي كان يشـرف علـى عمليـات إطلاق نيران المدافع. فأصابته قذيفة مدفعية و هو على ظهر حصانه فأردته قتيلا و كان ذلك يوم 1837/10/11.[95]

وبالغ الجيش الفرنسي في رمي المدينة بالقذائف المدفعية و الهجوم على أسوارها حتى أحدث بها شـروخا و أبطل مفعول المتفجرات التي وضعت أمام أسوارها، و بدأت عناصر الجيش الفرنسي تتسرب إلى داخـل المدينـة. فأمر عند ذاك ابن عيسى السكان بالخروج من الباب الخلفي من ناحية الصخرة و خرج هو معهم، فرماهم الأعـداء بالمدافع و قتلوا الكثيرين منهم، كما قتل الخليفة البجاوي خلال المقاومة وسط المدينة.

واغتنم اليهود فرصة هذه الاضطرابات و أخذوا ينهبون أمتعة الناس و الحلي التي يعرفون أماكنها، و من ضـمنها أمتعة و أموال علي بن عيسى.[96]

وسقطت المدينة العتيدة الشامخة في أيدي الفرنسيين يوم 1837/10/13.[97] و فكر الحاج أحمد في محو هـذه الهزيمة التي تعرضت لها قسنطينة على أيدي الغزاة، فاستدعى قادته المتبقين إلى الاجتماع حيث اقترح عليهم تكوين زمالة تضم أمتعتهم و أفراد عائلاتهم و التوجه بهم إلى الجنوب حيث وسائل الحماية متوفرة، و بعـد ذلـك يتوجـه الرجال المحاربون إلى الطريق الرابط بين قسنطينة و عنابة ليقطعوا الاتصالات بين الفرنسيين و بذلك يسهل عليهم طرد الأعداء من قسنطينة. لكن خاله شيخ العرب البسكري ابن قانة عارض هذه الخطة بدعوى أن فرحات بن سعيد عدوهما اللدود يستعد لمهاجمتهم من الجنوب، و عليه فلا بد من القضاء عليه أولا. و بالرغم من أن الباي لم يكـن يستحسن هذا الاقتراح لكنه لم يجد بدا من موافقة خاله الذي كان يهدف من وراء هذا الاقتراح إلى الاستحواذ علـى أموال الباي أحمد عندما يستدرجه إلى الصحراء ، ليكتشف الباي في النهاية أن موافقته لرأي خاله كانت هي مصابه الأعظم، و أن فرحات بن سعيد الذي حاربه سبع سنوات، هو رجل الحرب و البارود بحق، لأنه كان يقاتل لوحـده مائـة رجـل، أمـا خالـه ابـن قانـة فيعتبـر امـرأة إلـى جانبـه[98]

---

[95] - **L. Darier Chatelan:** op. cit, p.9

[96]- **د/ يحيى بوعزيز:** مرجع سابق، ص45.

[97] - **L. Darier Chatelan:** op. cit, p.9

[98]- **مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة:** مرجع سابق، ص ص 77-78.

نهاية أحمد باي البطل:

و بقي الحاج أحمد ينتقل من منطقة إلى أخرى هاربا من وجه الأعداء الذين حاولوا أن يدفعوه إلى الاستسلام و الانتهاء من أمر حالة الحرب التي يقودها ضدهم. و في ربيع عام 1839 خرجت قوات فرنسية لمهاجمته في وادي ريغ الذي انسحب إليه بعد أن هاجمته قوات الجنرال نيغرييه في ماي 1838. وحاول الفرنسيون استعمال كل الوسائل من الغدر و الخيانة وتحريض المتعاونين معهم لإلقاء القبض عليه أو الدفع به إلى الاستسلام ، لكن دون جدوى.

و في عام 1842 انتقل الحاج أحمد من وادي ريغ إلى منطقة النمامشة لمدة شهرين ثم انتقل إلى جبال الأوراس لجمع أفراد عائلته و أثاثه و أملاكه التي هربها إلى هناك ، فخرج لمهاجمته طابور عسكري فرنسي لم يفلح في مسعاه ليعود من حيث أتى بعد أن استقر الحاج أحمد بمن معه في جبال الأوراس الوعرة المسالك.

و في عام 1843 استنجد به أولاد دراج ثم أولاد سلطان الذين بقي بين ظهرانيهم عاما و نصف عام، و في خلال تلك الفترة خرج لقتاله طابور فرنسي آخر من سطيف فانتصر عليهم الحاج أحمد، فحضر طابور آخر بعد أسبوع و تمكن الحاج أحمد من التغلب عليهم أيضا. و في هذه الفترة عين الدوق دومال ابن الملك الفرنسي حاكما عسكريا على إقليم قسنطينة في أواخر 1843.

ومع بداية عام 1844 اتجه الدوق إلى منطقة بسكرة لمحاربة الحاج أحمد الذي ما انفك يواجه حملات مسعورة من قبل الجيش الفرنسي القادم من سطيف.[99]

و كان الحاج أحمد خلال هذه الفترة مدعما بنحو 700 فارس من أولاد سلطان، و حاول الفرنسيون القضاء عليه حيث تلاحم الجيشان لمدة يومين في الهجوم الفرنسي الأول الذي باء بالفشل، فشكلوا بعد ذلك ستة طوابير من أجل الوصول إلى قمة الجبل التي كان يعتصم بها الحاج أحمد و الذين كانوا معه. و في كل مرة كان الحاج أحمد باي يردهم على أعقابهم منهزمين. وقد ذكر في مذكراته أن المعارك دامت 15 يوما، و أن المعركة الأولى كانت ضارية إلى درجة أنه قال عنها بأنها كانت أكبر معركة خاضها في حياته.[100]

وشن الجنرال بيدو حملة عسكرية على سكان وادي عبدي سنة 1845 فاستنجدوا بالحاج أحمد، لكنه عندما ذهب إليهم وجدهم مختلفين على أنفسهم و أدرك بالفراسة أن خوضهم للحرب على ذلك الوضع يعد بمثابة انتحار لهم، ومن أجل ذلك نصحهم بالاستسلام لكنهم رفضوا نصحه وعز عليهم تخلى الحاج أحمد عنهم ، لكنه في النهاية لبى رغبتهم مكرها. غير أن أولئك الناس بمجرد أن بدأت المعركة تفرقوا و هربوا من الميدان متخاذلين. فاضطر الحاج أحمد للعودة إلى قرية منعة التي كان قد نزل ضيفا عند أحد أعيانها من قبل ، و هو المدعو ابن العباس و لمدة عام كامل. و تبعه الفرنسيون بعد هذه الأحداث إلى قرية منعة، لكنه انسحب منها إلى جبل أحمر خدو حيث بقي هناك لمدة عامين.....

وكتب إليه قائد القوات الفرنسية في بسكرة طالبا منه الاستسلام و وضع حد لحالة الحرب هذه ، و بعد تبادل الرسائل كتب إليه أيضا القائد العسكري في باتنة و وعده بأن تستقبله السلطات الفرنسية بالحسنى و تعيد إليه ممتلكاته التي فقدها، فتأثر بذلك. و يظهر أن كبر سنه و المشاق التي تحملها طوال 18 سنة جعلته لا يستطيع أن يتحمل عبء المقاومة بعد أن قل أنصاره و تفرقوا عنه. ولذلك اغتنم الحاج أحمد فرصة خروج قائد باتنة العسكري على رأس قوات عسكرية إلى بني وجانة للقيام بعمل عسكري هناك، فأرسل إليه رجلا من أعوانه المخلصين و طلب منه أن يرسل إليه مبعوثا ليتفاوض معه و يبلغه ما يريده بالضبط و بصورة نهائية. و بعد يومين عاد الرسول فسر الحاج أحمد بكلامه و أبلغه نيته في الاستسلام على أن يبدو الأمر أمام الناس طبيعيا لأنه لم يبق أمام الباي أحمد سوى الاستسلام.

---

[99] - د/ يحيى بوعزيز، ص48.

[100] - مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة، ص ص 92-94.

وبعد هذه الاتصالات و الاستعدادات حمل الحاج أحمد أفراد عائلته ليلا و اتجه بهم نحو المكان المتفق عليه، و في الصباح الباكر حضر المندوب العسكري و قاد البطل المستسلم إلى حاكم باتنة الذي أكد له و عوده السـابقة في إعادة أملاكه و السماح له بالهجرة إلى إحدى البلدان الإسلامية، و تم ذلك يوم 5 جوان 1848 على يد الضـابط سان جيرمان.و بعد التحية و تبادل عبارات المجاملة توجهوا بالحاج أحمد إلى بسكرة التي بقي بها ثلاثة أيام نقلـوه بعد ها إلى باتنة فقسنطينة حيث استقبل باحترام و بقي بها ثلاثة أيام أخرى ، تذكر خلالها أمجاده فيها. ثم وجه إلى سكيكدة و بعد يومين حولوه بحرا إلى الجزائر العاصمة التي وصل إليها بعد رحلة دامت يومين.[101]

وخصصت له السلطات الفرنسية مقرا للسكنى في الجزائر العاصمة و أجرة شهرية بمبلغ 12000 فرنـك. و بقي الرجل ينتظر الإذن له بالهجرة إلى الشرق و لكن السلطات الفرنسية خانت وعدها مثل مـا خانـت مـن قبـل وعودها مع الأمير عبد القادر.

لكن العناية الإلهية كانت إلى جانب أحمد باي الذي لم يطل به المقام في هذه الإقامة الجبرية سوى عـامين . حيث انتقل بعدها إلى الرفيق الأعلى سنة 1850 ودفن هذا البطل المغوار الذي عاش أواخر حياتـه مقاومـا أبيـا بجوار ضريح الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي.[102]

---

[101]- مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة: ص ص 100-102.

[102] - د/ يحيى بوعزيز: ص51.

ثانيا: المجندون الجزائريون
الأوائل في صفوف الجيش
الفرنسي **1830**.

من المؤكد حقا أن المجندين الأوائل من الزواويين هم الذين شكلوا بالفعل النواة الأولى للمجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي منذ 1830. ذلك أن هذه الفرق العسكرية المشكلة من الجزائريين كانت في مستوى تطلعات قادة الغزاة الذين جندوهم بغرض الاستفادة من خدماتهم العسكرية في أرض جديدة عن الفرنسيين الذين كانوا بالتقريب يجهلون كل شيء عن التركيبة الاجتماعية و السياسية للمجتمع الجزائري. هذا المجتمع الذي و إن كان قد قبل التعايش من قبل مع الأتراك فذلك لأنهم مسلمون أولا، و لأنهم كانوا لا يتدخلون في حياة السكان، على الأقل في المناطق الداخلية. و يتضح هذا المعنى من خلال العرض الذي تقدم به ابن زعمون زعيم قبائل الفليسة في جويلية 1830 عندما عرض تعاونه مع الحكام الجدد باسم عرب متيجة، بشرط أن لا يتدخل الفرنسيون في حياة السكان و أن لا يحتلوا بلادهم[103].

وقد نالت هذه الفرق العسكرية الزواوية شهرة كبيرة ضمن صفوف الجيش الفرنسي بسبب حضورها القوي في ميادين المعارك و الحروب التي بقيت شاهدة على قدراتها العسكرية طيلة قرن من الزمن[104].

و لعل شهرة الجيش الإفريقي و الجيش المشرقي الفرنسيين مكتسبة من وجود أولئك الزواويين و غيرهم من المجندين الجزائريين في صفوفهم، حيث برزت للعيان قدرات الزواويين العسكرية بشكل ملفت للانتباه منذ الحملة العسكرية الأولى التي قادها الجنرال كلوزيل على المدية في 1830/11/22، الأمر الذي دفع السلطات الفرنسية فيما بعد إلى إعطاء هذه الفرق العسكرية من الجزائريين و غيرهم من الأوروبيين تسمية الزواويين Zouaves بصفة دائمة بالرغم من أن الزواويين صاروا فيما بعد يمثلون الأقلية بعد أن ضم الكثيرون من المتطوعين الأوروبيين من باريس و غيرها إلى هذا السلك الذي بقي يحتفظ بهذه التسمية الشهيرة رغم إنشاء و تأسيس أسلاك عسكرية أخرى من الأهالي الجزائريين.

ورغم قيمة الإنجازات الحربية التي حققها الزواويون للجيش الفرنسي إلا أن الكثيرين من العسكريين الذين جاؤوا من بعد، لا يكادون يعرفون عن أصولهم و مآثرهم التي تميزهم عن غيرهم من العساكر و المجندين الآخرين شيئا.

و لهذه الأسباب حاول الدوق دومال من خلال كتابه الزواف و القناصة المشاة أن يملأ هذا الفراغ حتى يقدم عنهم تعريفا واضحا و دقيقا مع أنه يقر بكل موضوعية بأن إدراك هذه الغاية ليست
بالأمر الهين، بسبب أن التأريخ لهذا السلك العسكري يحتاج إلى أكثر من مؤلف أضف إلى كل هذا، افتقار الدوق دومال إلى الوقت و إلى الإمكانيات المادية حسب قوله[105].

ويمكن تصنيف أولئك المجندين الأوائل في صفوف الجيش الفرنسي إلى صنفين كان لهما الأثر المشجع للقادة العسكريين الفرنسيين لمواصلة غزوهم للبلاد ، ذلك أن أولئك المجندين استغلهم الغزاة في إخضاع مختلف منـاطق الوطن الجزائري للهيمنة الاستعمارية... و هم:

أ-المحاربون الزواويون Les Zouaves:

لم يكن الغزاة يومها يعتقدون أنهم سيواجهون مقاومة عنيفة من الأهالي الجزائريين خاصة بعد أن تـم لهـم التخلص من فرق الجيش الإنكشاري، و كل الموالين لحكومة الداي حسين، لكنهم عشية عودتهم من البليدة بتـاريخ

[103] - **Rovigo**: op. cit, p. 5.
[104] - **Lespes. R:** op. cit, p.7.
105-**Duc d'Aumale**: op. cit, p. 05

1830/07/25. بعد أن تعرضوا لهجوم كاسح للمقاومين من قبائل الفليسة صحوا على وضع جديد. ومن هنـا بـدأ الكونت دي بورمون يسعى بكل جدية للخروج من هذا الوضع المتأزم الذي وجد نفسه فيه، بعـد أن تأكـد مـن أن مشكلة الغزاة مع الجزائريين ستكون حادة و عنيفة، و لذلك راح يفكر في طريقة تمكنه مـن الاسـتعانة بالعناصـر المحلية عله يجد من بينهم من يقبل التعاون معه حتى يتمكن من السيطرة على المنطقـة المحتلـة و يبسـط نفـوذ الفرنسيين على البقية من الجزائريين الرافضين للتوغل الفرنسي الاستعماري في البلاد. فكان أن اهتدى إلى إمكانية استمالة بعض العناصر الجزائرية التي كانت تعمل و تتعاون مع الأتراك و تزودهم بالفرسان المحـاربين لفـرض النظام و السيطرة على القطر الجزائري.

و كان أن أخرجه من وضعه المتأزم، التقرير الذي وفاه به قائد شرطته دوبينيوس بتاريخ 1830/08/12، و الـذي أوضح له فيه على الخصوص بأن قبائل الزواوة[106] التي كانت تمد الأتراك بالرجال المحاربين طيلة عشرات السنين قد تم الاتفاق معها[107]...

وبما أن الأمر كان قد استتب للفرنسيين في عاصمة البلاد ، فإن بعض وجهاء القوم الزواويين القـاطنين في مدينة الجزائر تداولوا أمر الوضع الجديد الذي آلت إليه البلاد، فقرروا في النهاية مواصلة التعاون مـع الحكـام الجدد، ما دام ذلك يضمن لهم و لعائلاتهم التي تقطن في سفوح أعالي الجبال الوعرة المسالك مصدرا للعيش الـذي تعودوا عليه منذ عشرات السنين.

وصادف رغبة أولئك الزواويين في مواصلة الخدمة العسكرية حاجة الفرنسيين لرجـال محـاربين عـارفين بالبلاد و مسالكها، و متعودين على التعامل مع الأهالي الجزائريين منذ العهد التركي،[108] ثم إن تجنيد الزواويين في صفوف الفرنسيين الراغبين في التوسع سيحول دون مجابهة بعضهما، كما يحمي هذا التعاون بين الطرفين المجندين الزواويين من نقمة الأهالي الذين كانوا مجبرين على دفع الإتاوات و الضرائب لهم في عهد الأتراك.

ولقد ساعد على تحقيق هذا الاتفاق بين الفرنسيين و الزواويين وجود زعيم الزواويين السيد عاجي أبراشمان كيني الذي كان إلى غاية 6 جويلية 1830 الممثل الوحيد لقبائل الزواوة عند حكومة الداي في كل ما يهم هذه القبائل الزواوية و مطالبها عند الحكام الأتراك، و لكنه توقف عن أداء هذه المهام بمجرد إمضاء الداي لاتفاقية الاستسـلام للفرنسيين، و مع ذلك فإن هذا الرجل لم يفقد وزنه عند هذه القبائل، أو يفقد الزواويون من جهتهم الثقة في شخصه.

و عندما انسحب الزواويون من ساحة المعركة بعد استسلام حكومة الداي، سارعوا إلى اصطحاب زعيمهم إلى حيث يوجدون حتى يحفظوه من كل مكروه أو أي خطر قد يصيب شخصه.[109]

[106] - الزواوة حسب رواية المؤرخين الفرنسيين هم قبائل بربرية لم تكن خاضعة للأتراك إلا إسميا ... و حسب الخريطة الأولى المرفقة بهذا البحث، فإن قبائل الزواوة تقع مضاربها في جبال الظهرة بالأطلس التلي شمالي غرب مدينة المدية على بعد 28 كلم و جنوبي غرب مدينة البليدة على بعد 40 كلم. و يحيط بقبائل الزواوة كل من قبائل بوخروبة، أولاد رابح، حمامرية، أولاد أوعيل. و قد أشاع الفرنسيون بعد أن تعاونت معهم قبائل الزواوة منذ نهاية شهر جويلية 1830 بأن الزواوة المقصودة تنتمي إلى منطقة في بلاد القبائل الكبرى بين ولايتي تيزي وزو شرقا وشمال ولاية البويرة حتى مدينة بجاية وهذا حسب ما توضحه خريطة مكتب الطوبوغرافية بالجزائر العاصمة المنجزة في 1857 و هي الخريطة المدرجة مع هذا البحث أيضا.

و حسب اعتقادي فإن نسبة قبائل الزواوة المتعاونة مع الفرنسيين منذ أوت 1830 إلى منطقة القبائل الكبرى مغالطة استعمارية دسها الفرنسيون مكافأة لهذه الجالية على تعاونها معهم، و ربما لاستمالة سكان منطقة القبائل إلى صفوفهم خاصة و نحن نعلم بأن البعثات التبشيرية المسيحية ركزت بشكل قوي على منطقة القبائل. ثم إن منطقة القبائل التي تضم ضريح الولي الصالح سيدي محمد بن عبد الرحمن بوقبرين بقرية آث اسماعيل دائرة بوغني حاليا لم يتمكن الفرنسيون من إخضاعها إلا خلال سنوات 1864/1857..فكيف تعاونت معهم منذ بدايةغزوهم للجزائر؟

1- انظر الخريطة التي أعدها المؤرخ **Henri Blet** عن مراحل الغزو الفرنسي للجزائر، فستوضح لك بأن منطقة القبايل كانت **حتى سنة 1857** حرة ممتنعة عن متناول أيدي الفرنسيين الغزاة. فكيف يمكن إذن أن نتصور بأن الزواويين الذين تعاونوا مع الغزاة منذ شهر جويلية 1830 كانوا من منطقة بلاد القبايل التي بقيت خارج نطاق الاحتلال الفرنسي **حتى ذلك الحين ؟...**

2- كما أن هناك رسالة بعثها بيجو إلى زعماء منطقة القبائل يؤكد فيها أنهم كانوا محاربين للفرنسيين و متعاونين مع الامير عبد القادر الذي دخل منطقة القبائل برضا أهلها عام 1837 لكي يطرد منها الزواتنة.

3- شهادة الكولونيل **لونوبل** في كتابه الجيش الإفريقي الصفحة 472 يقول فيها: إن الأمير عبد القادر دخل منطقة القبائل أيضا سنة 1846 و أنه فلت من بين أيدي الجنرال **بيجو** المدعم بجيش جرار بفضل مساندة سكان المنطقة الذين وفروا له 1500 رجل منهم لحمايته من الفرنسيين.

فكل هذه الشهادات تؤكد إذن على أن أولئك المتعاونين الأوائل من الزواويين ليسوا قطعا من زواوة بلاد القبايل.

[107] - **Gautherot Gustave**: op. cit, p.191.

[108] - **Idem** p.192.

[109] - **Idem**: p.191.

الفصل الأول ـــ"

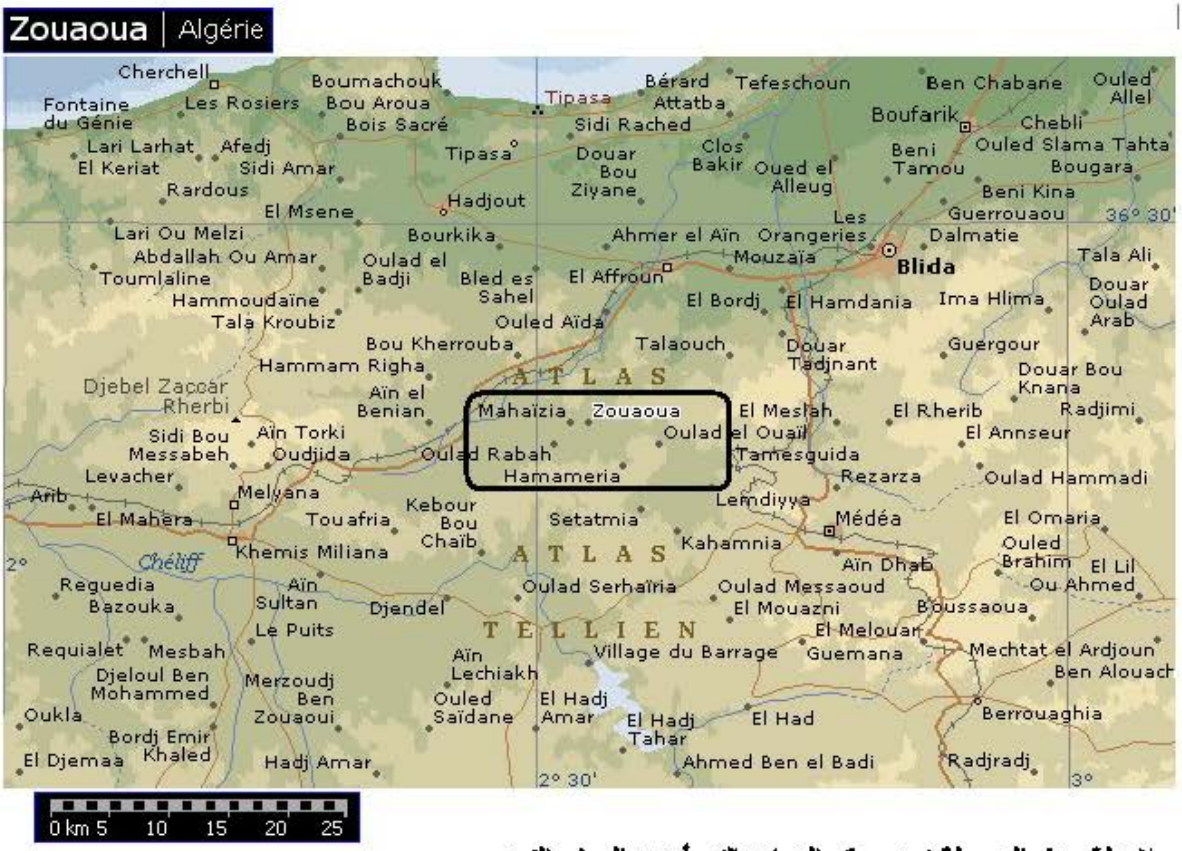

ملاحظة: هذه الخريطة تبين موقع الزواوة التي أمدت الجيش الفرنسي

بالمجندين المتعاقدين معه منذ 1830/08/25 أما مصدر هذه الخريطة فهو:

Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation

---

وهذا لعمري فوق ما كان ينتظره الفرنسيون، ومكافأة له على هذا الاقتراح الاستراتيجي الهام طلبوا منه الإفصاح عن رغباته و أمانيه لتظير هذه الخدمات الجليلة التي قدمها لهم، فكان أن طلب من الغزاة: " أن يجعلوا منه القائد

[110]- **Gautherot Gustave**: op. cit, p. 192.

الأعلى لفصائل الفرسان الزواويين برتبة آغا الزواويين، و يسمحوا له بلبس البرنوس و حمل الشارات التشريفية، و أن يتم تنصيبه في هذا المنصب من طرف الحاكم العام الكونت دي بورمون نفسه كعربون محبة و تقدير لشخصه من جانب الفرنسيين و ليس مجرد استجابة لمطالبه.[111] "

بعد هذا الاتفاق الذي تم بين الغزاة الفرنسيين و زعيم القبائل الزواوية التي زودت الجيش الفرنسي بفرقة من المجندين المحاربين للعمل في صفوفه، سارع الكونت دي بورمون إلى إخطار وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 1830/08/25 ليقول له: " لقد تمكنت من الحصول على فرقة من ألفي مجند من قبائل الزواوة الذين ما انفكوا يقدمون لنا خدماتهم المعتبرة ، و نحن حاليا نستحوذ على **500** جندي منهم، و جميعهم متمركزون في مدينة الجزائر، و ينتظرون فقط، الإشارة منا للانطلاق في عملهم ضمن صفوف الجيش الفرنسي[112] "

و بعد تعيين كلوزيل حاكما عاما خلفا للكونت دي بورمون سارع هذا الحاكم الجديد بتاريخ 6 سبتمبر 1830 إلى مكاتبة وزير الحرب يخبره بإمكانية الاستغناء عن ثلثي الجيش الفرنسي و تعويضهم بسلك من المجندين الزواويين الجزائريين، و بعدها مباشرة كان أولئك المجندون في مقدمة حملته العسكرية على المدية أين اعترض المقاومون الجزائريون طريقه محاولين منعه من الوصول إلى هدفه، غير أنه بفضل ما كان عنده من مجندين زواويين تمكن من فتح طريقه و تحقيق هدفه رغم المقاومة العنيفة التي حاولت منعه من مواصلة زحفه.[113]

و بعد هذه التجربة التي خاضها كلوزيل مع المحاربين الزواويين اتجه إلى الاستفادة بكل جدية من خدمات القبائل الزواوية التي دعمته هو الآخر بسرية من المجندين ثم بسريتين تمت هيكلتهم فيما بعد تحت تسمية: القناصة الجزائريون وهذا النوع من المجندين المتطوعين في هذا السلك الإضافي حافظ على تسمية الزواويين الذين أظهروا منذ بداية عملهم في صفوف الجيش الفرنسي إمكانيات بدنية كبيرة و قدرات عسكرية فائقة بعد أن أشرف على تدريبهم و قيادتهم ضباط أمثال العقيد: دوفيفيي و لاموريسيير، و كذا قائد هذه السرايا ماري-مونج **Marey-Monge**[114] "

ن إجراء تجنيد أولئك الأوائل من الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي بمثابة اللبنة الأولى لمسيرة استغلال الطاقات البشرية الجزائرية في كل الحروب و المعارك التي خاضها الجيش الفرنسي الذي استفاد كثيرا من هذه العناصر المحلية التي كانت في جميع الحالات تتقدم صفوفه الأمامية. و هو إجراء ساعد فيما بعد الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية على التوسع في جميع مناطق القطر الجزائري، و كذا عبر مختلف البلدان في القارات الثلاث.

2- معسكر الزواويين:

وعمد قائد الفرق الزواوية لاموريسيير إلى نقل هذه الفصائل العسكرية إلى الإقامة في إحدى ضواحي مدينة الجزائر ليستقر الرأي في النهاية على تخصيص مركز دالي إبراهيم للمجندين الجزائريين الزواويين الذين أقاموا بأنفسهم كل المؤسسات و الهياكل التي كانوا يحتاجون إليها، فلقد كان منهم: البناؤون، الحدادون، العمال... " و جعل لاموريسيير أيام المجندين مليئة بالنشاط و العمل المتواصل، و خلال فترات الاستراحة كان يدفعهم إلى التدريب العسكري المكثف من أجل تحسين أدائهم، و كان بذلك يحضرهم لمهام عسكرية خطيرة، بحيث أنهم كانوا يجرون لمدة ساعات طويلة في سهول المتيجة و مضائق جبال الأطلس التلي، و خلال هذه التدريبات التي كانوا يجرونها في الفضاء الواسع كثيرا ما كانوا يخوضون معارك مفتعلة؟!..." ربما تكون تلك المعارك ضد أناس عزل أو اعتداءات على كل من كانوا يصادفونه في طريقهم ، و المهم في كل هذا أن يصل بهم قائدهم إلى المستوى المطلوب من الرجل العسكري المحترف الذي ينفذ كل ما يطلب منه من دون مناقشة، و بذلك حقق أولئك المجندون الزواويون تقدما ملحوظا في كل ما تعلموه من صناعة و حرف يدوية مختلفة إلى جانب انضباطهم و طاعتهم العمياء لرؤسائهم

---

111 - **Gautherot Gustave**: op. cit, p. 192.
112 - **Duruy Victor**: op. cit, p.3.
113 - **Rovigo**: op. cit, pp. 5-6.
114 - **Lespes. R:** op. cit, p.9.

و كذا امتلاكهم للخبرة العسكرية و الحربية التي كانت هي الهدف الأساس من كل هذا النشاط المتواصل.[115]

وقد لاحظ قادة و ضباط المجندين الزواويين أن هذه العناصر كانت تمتاز بذكاء حاد و خصوصيات فريدة من نوعها في إدارة المعارك الشرسة مما جعلهم بحق و بشكل ملحوظ أكثر قوة و بروزا في كامل اللواء مقارنة مع غيرهم من الجنود في الجيش الفرنسي.

وجـاءت الأمـرية الملكيـة التي تنص على تنظيم وضعية المجندين الجزائريين بتاريخ 7 مارس 1833 والتي حددت عدد الكتائب في السلك الزواوي بعشرة منها: ثمانية كتائب للمجندين الفرنسيين و كتيبتان اثنتان من المجندين الجزائريين، مع اشتراط وجود اثني عشر جنديا فرنسيا ضمن كل كتيبة جزائرية[116] و لعل هذا القرار المنظم لوضعية المجندين الجزائريين ضمن كتيبتين يكون في كل منها 12 عنصرا فرنسيا جاء بعد أن تأكد القادة من أن المجندين الجزائريين لم يكن انخراطهم في صفوف الجيش الفرنسي عن رغبة و اقتناع و لكنهم التحقوا بجيش الغزاة لظروف و أسباب خاصة....؟...

وبعد الهزيمة النكراء التي ألحقها الأمير عبد القادر بالجنرال تريزيل حاكم وهران في معركة وادي المقطع الشهيرة عام 1835 وجدت السلطات الفرنسية نفسها مضطرة إلى عزل تريزيل مع الحاكم العام في الجزائر دروي ديرلون، و إعادة الجنرال كلوزيل إلى الجزائر حاكما عاما للمرة الثانية و ذلك في جويلية 1835. فكان أول إجراء اتخذه هو نقل أولئك الزواويين إلى مقاطعة وهران للقيام بحملة عسكرية بهدف القضاء على الأمير عبد القادر في عاصمته معسكر بعد أن أدرك و استوعب الاستراتجية الملائمة التي يجب أن يطبقها لتدعيم الوجود الفرنسي في هذا الوطن[117] الأبي الذي رفض أحراره الإستسلام أمام ضربات المحتلين.

وما أن انتهى كلوزيل من مداهمة معسكر عاصمة الأمير في ديسمبر **1835** حتى سارع هذا الجنرال بعد شهر من ذلك إلى فك الحصارالذي كان مضروبا على الحامية التركية في مشوار تلمسان. و صادف أن كان من بين المحاصرين: مصطفى بن اسماعيل أحد الذين صاروا من الأعوان المقربين للفرنسيين بعد ارتكابهم للعديد من المجازر في حق الموالين للأمير عبد القادر.[118]

وعاد الجنرال كلوزيل بعد أداء هذه المهمة التي كان يعلق عليها الكثير من الآمال بقصد الانتهاء من مقاومة الأمير عبد القادر، و قفل الجنرال عائدا إلى مقاطعة الجزائر و معه المجندون الزواويون في مقدمة طوابيره العسكرية الأولى، و لما وصل إلى فج موزاية الذي دافع عنه المقاومون الجزائريون بقوة خلال حملته العسكرية الأولى على المدية. لكن المجاهدين الجزائريين هذه المرة لم يتمكنوا من الصمود أمام الجيش الفرنسي بسبب معرفة الجنرال للمنطقة التي كانت له بها تجربة سابقة ولحسن اختياره لنقطة الهجوم، بعد أن كلف المجندين الزواويين بالاستيلاء على مراكز الحراسة العالية التي كانت تشرف على الطريق، وفعلا فقد تمكن أولئك الزواويون من إسقاط هذه المراكز و احتلالها بسرعة فائقة، رغم صعوبة تضاريس المنطقة إلا أنهم تمكنوا من إنجاز مهمتهم بمهارة عالية سقطت معها مقاومة الوطنين الجزائريين[119]...

من خلال الملاحظات و الشهادات التي سجلها الضباط الفرنسيون عن قدرات و كفاءة الزواويين في مختلف معاركهم الشرسة سواء من حيث صد الهجمات التي كان يشنها المقاومون للاحتلال أو من حيث القدرة على الاستيلاء على المراكز التي كانت بأيدي الوطنيين، فإن القيادة العسكرية اقتنعت بأن الزواويين هم الأقدر على مجابهة المقاومين الجزائريين و لذلك كانت تأمر بوضعهم دائما في المقدمة لتلقي الضربات الأولى، و من أجل ذلك سعى الفرنسيون بكل الطرق إلى استغلال هذه الطاقات البشرية المحاربة معتمدين على ما يمكن جلبه من شباب

[115] - **Deladriere. P**: op. cit, p.18
[116] - **Duc d'Aumale**: op. cit, pp. 20-23.
[117] - **Idem**: p. 32.
[118]- Paul Azan: **Les grands Soldats de l'Algérie**, Publication du Comité National Métropolitain du centenaire de l'Algérie. Orléans 1930, p.40
[119]- **Duc d'Aumale**: op. cit, p. 33.

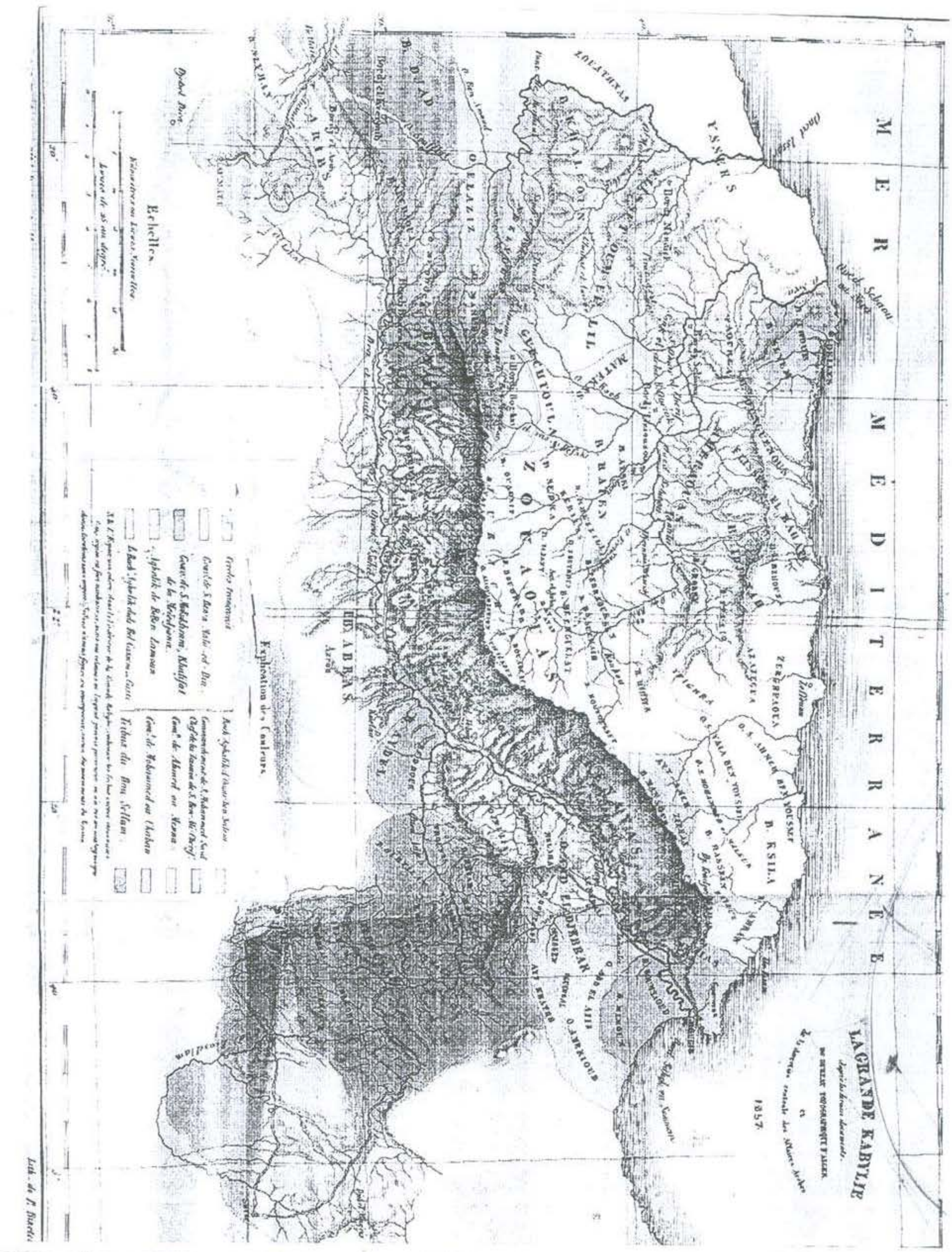

- خريطة القبائل الكبرى:حسب آخر وثائق مكتب الطبوغرافيا للجزائر العاصمة.المديرية المركزية للشؤون العربية1847ومن خلالها يتضح موقع الزواوة بمنطقة القبايل. أما مصدرهذه الخريطة، فهو:

-M. Daumas : La grande Kabylie. éditeur L.Hachette et Cie à Paris, Librairie de l'Université Royale de France à Alger 1847.

ضائع في وحل الفقر و الضياع و مشاكل أخرى[120] لتجنيده في صفوف الجيش ليستغل في احتلال المواقع، و الاستيلاء على الأقاليم المختلفة، لما لأولئك المجندين الجزائريين من صبر على المشـاق و مقاومـة للجـوع و الأمراض، كما سيتضح ذلك في مختلف الحملات العسكرية التي أقحم فيها المجندون الجزائريون في صفوف الجيش الفرنسي في العديد من بقاع العالم.

وفي بداية الأمر تم إدماج الفرق الزواوية في صفوف فصائل المجندين الفرنسيين، ضمن كتيبتـين خفيفتـين للخيالة و كانت تسمى القناصة الجزائريون Les Chasseurs Algériens « حيث كان المجندون الزواويون بها يشكلون الأغلبية الساحقة، و من خلالها برهنوا عن قدرات و إمكانيات لم تكن واضحة فيهم من قبل، و صاروا فيما بعد يمثلون الأبطال الحقيقيين للجيش الإفريقي، لكن مع مرور الوقت انضم إليهم المتطوعون الباريسـيون، و شـيئا فشيئا لم يعد أولئك الزواويون يشكلون الأغلبية الساحقة كما كانوا من قبل في السلك الزواوي الذي انضم إليه أيضـا القناصة الصبايحية كإضافيين ملحقين بهم.[121]

وبصلابة المجندين الزواويين و بسواعد بعض من شباب هذا الوطن الذين انضـووا تحـت لـواء الخدمـة العسكرية الفرنسية بسبب ظروف المعيشة الصعبة و ظروف أخرى افتعلها الغزاة لجلبهم إلـى صـفوفهم، تمكـن الفرنسيون من الانتصار على مقاومة الأمير عبد القادر في غرب ووسط البلاد، ثم القضاء نهائيا على مقاومة الحاج أحمد باي قسنطينة في الشرق، بعد أن عرف الفرنسيون كيف يفجرون في هذه العناصر قـدرات حربيـة كبيـرة، استغلوها لأجل تحقيق أهدافهم الاستعمارية.

ولكي يتمكن الحاكم العام من المحافظة على المناطق المحتلة في مقاطعة الجزائر، فإنه لم يستطع الاسـتغناء عن المجندين الزواويين و لذلك لم تشركهم السلطات العسكرية في الحملة الأولى على قسنطينة و التي انتهت كمـا هو معروف بالفشل الذريع غير أن الحملة العسكرية الثانية على قسنطينة في أكتوبر 1837 تم فيها إشراك فيلق من المجندين الزواويين الذين تقدموا الصفوف الأمامية بقيادة الدوق دي نمور « Duc de Nemours ». و فـي هـذه المرة حققوا الانتصار الحاسم على قوات أحمد باي" ليس من أجل الانتقام و إعادة الاعتبار للجيش الفرنسي المنهزم في الحملة العسكرية الأولى، و لكن من أجل انتصار باهر يمحون به خيبة الفرنسيين في حصـارهم الأول علـى المدينة العتيدة عام **1836**... ".[122]

وقد عمدت السلطات العسكرية إلى استصدار المرسوم الملكي بتاريخ **1837/03/20** الذي بموجبـه تأسـس الفيلق الزواوي الثالث لحماية مقاطعة تلمسان تحت قيادة العقيد كافينياك « Cavignac » ثم استصـدرت مرسـوما ملكيا آخر ينص على ضم الفيلق الثالث إلى الفيلقين السابقين الأول و الثاني ليصبح كل أولئك المجندون يشكلون فيما بعد السلك الزواوي[123] في **1838/01/01** ، وبذلك صار كل فيلق من هذه الفيالق الثلاثة مشكلا من 06 كتائب[124].

[120]- Julien Charles André: **Histoire de l'Algérie Contemporaine, conquête et colonisation 1827-1871,** 2e éd, Ed: Presse Université de France (P.U.F), Paris 1964. p.279.

[121] - **Lespes R:** op. cit, p.10.

[122] - **Duc d'Aumale**: op. cit, p. 33.

[123]- بلغ تعداد الفيلقين الأول و الثاني بمقاطعة الجزائر 1024 جندي منهم 758 فرنسيا و 38 ضابطا أما الفيلق الثالث فهو خاص بمقاطعة وهران و قد كان يضم في صفوفه 263 جنديا منهم 193 فرنسيا و 20 ضابطا.

[124] - **Deladriere. P**: op. cit, pp.19-22.

ب-الكراغلة يجندون
برعاية يوسف:[125]

الكراغلة و أبناء الفقراء الذين جندوا غداة سقوط الجزائر العاصمة بزعامة المملوك التونسي الـذي ارتـبط اسمه بمآسي الجزائريين منذ الغزو الفرنسي لمدينة الجزائر في 05 جويلية سنة 1830 حيث كـان هـذا المملـوك التونسي شوكة حادة في جسد هذا الشعب الذي عانى الكثير من الويلات، وقد ساهم هذا المرتزق بشكل كبيـر فـي تجنيد بعض الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، ونظرا لخدماته المعتبرة و الجليلة في خدمة الغزاة الفرنسـيين أطلق عليه الجنرال بيجو اسم "سلطان الجيش الإفريقي Murât de l'armée d'Afrique".
لقد جعلت الصدفة من هذا المرتزق العسكري متعاونا قويا مع الغزاة في كل محطات الاحتلال الفرنسي منذ الإنزال الأول للجيوش الفرنسية في سيدي فرج 14 جوان عام 1830 و حتى نهاية الإخضاع و السـيطرة الكاملـة علـى الجزائريين في بلاد القبائل خلال سنوات 1864/1857.[126]

وبفضل الاستعداد الفطري و الإعداد العسكري المحكم الذي تلقاه في قصر باي تونس، منذ أن كان صبيا فإنه مباشرة بعد التحاقه بالجيش الفرنسي عمد إلى تأسيس فرقة من المجندين الجزائريين المتطوعين و هم من "الكراغلة " وعلى حسابه الخاص، حيث كان قد حمل معه مجوهرات يوم فراره من تونس، باعها بقيمة 30 ألف فرنك و بهذه الأموال جهز تلك الفرقة من المجندين المغامرين.[127]

واقترح هذا المغامر يوسـف على القيادة العسكرية الفرنسية تنظيم خرجات دركية، يراقب من خلالهـا كـل منطقة الساحل القريبة من مدينة الجزائر ليضمن بذلك سلامة و أمن القوات الفرنسـية المتمركـزة فـي ضـواحي الجزائر، و نجح في مسعاه و نال إعجاب القادة العسكريين ، فدفعه طموحه إلى أن يطلب منهم السماح له بالخروج إلى عاصمة التيتري على رأس هؤلاء الكراغلة المجندين ليحمل المؤن و الذخائر الحربية إلى الحامية التركية فـي المدية بعد أن وافق حاكمها باي التيتري على التعاون مع الفرنسيين " و قد تعدى ببغاله المحملة جبالا كانت تفصـل مدينة المدية عن سهول المتيجة عبر ممر ضيق رآه الجزائريون من المستحيل تجاوزه و لا القدرة على الاحتفاظ به ولذلك لم يولوه أية أهمية تذكر، و هناك بالمدية زود الحامية التركية الموالية للفرنسيين بما كانت تحتاج إليه. و منذ ذلك الإنجاز لم يعد يتداول من كلام وسط عناصر الجيش الفرنسي سوى الحديث عن مغـامرة الكـابتن يوسـف و فرسانه الكراغلة.[128]

[125]-من هو يوسف؟: يبدو من خلال المصادر التي كتبت عن يوسف أنه شخصية أسطورية ذات جذور غير مؤكدة، لكن جميع من كتب عن يوسف يقول بأنه ولد سنة 1808 في جزيرة آلبي **Elbé** الإيطالية في البحر الأبيض المتوسط شرق جزيرة **كورسيكا**. ومن مسقط رأس يوسف اختطف وهو ما يزال غلاما من طرف قرصان تونسيي أهداه بدوره إلى باي تونس.
وعاش يوسف معظم طفولته ومرحلة مراهقته في قصر الباي حيث تلقى تربية عسكرية ليكون ضمن عساكر الحرس بالقصر. لكنه بعد اكتشاف علاقته بإحدى أميرات القصر فر هاربا في جنح الظلام بعد أن أدرك أن القوم به يتآمرون ليقتلوه على فعلته.
والتجأ يوسف إلى قنصل فرنسا في تونس السيد **ليسابس Lessepes** الذي ساعده على الهرب في قارب كان متجها إلى الجزائر العاصمة التي وصل إليها يوسف في 16 جوان يعني يومين بعد نزول الجيوش الفرنسية الغازية في سيدي فرج عام 1830.
ومن هناك اتصل بالقيادة العامة للجيش الفرنسي حيث عينه **دي بورمون** مترجما برتبة آغا العرب، وعندما جاء **كلوزيل** أعجب بالشاب يوسف وكلفه بمهام خطيرة برز خلالها للعيان كاختصاصي في مجال الضربات اليدويه والحملات الغازية، وكان بطبعه طموحا وذكيا وشجاعا.
شارك في جميع العمليات العسكرية التي قام بها الجيش الغازي في الجزائر، وكان له في كل حملة عسكرية نصيب ومهمة محددة، لقد كان يوسف جنديا مغامرا سخّر كل إمكانياته التي كانت كبيرة لخدمة الاحتلال الفرنسي للجزائر. وكثيرا ما كان المؤرخون والملاحظون الفرنسيون يتساءلون بأسف" لماذا لم يكن رؤساؤه يعترضون على طريقته في محاربة خصومه التي كانت إرهابية وغير مؤسسة إذ كان يستعمل ضد أعدائه كل الوسائل السياسية والحربية الدنيئة راميا عرض الحائط بكل القيم الإنسانية. ولذلك سرعان ما تحصل يوسف على مختلف الرتب في الجيش الفرنسي، فمن رئيس خيّالة الصبايحية إلى رتبة جنرال فرنسي في نهاية المطاف.
ولمزيد من المعلومات أنظر بعض هذه المصادر التي كتبت عنه:

1- Paul Azan : **Les Grands soldats de L'Algérie**, pp. 58 et les suivantes.
2- Paul Azan: **L'Armée Indigène (nord-Africaine).**
3- Du Barail (Général) : **Mes souvunirs, T. 1.** pp. 49 -50.
4- Huré. R. (Général) : **L'Armée d'Afrique 1830- 1962**, pp. 25 -26.

[126]- **Lespes R:** op. cit, pp. 13-14.
[127]- Paul Azan: **Conquête et pacification de l'Algérie**, Ed: Copyrigth la librairie de France, Paris 1929. p.58.
[128]- Du Barail (Général) : **Mes souvenirs, T.1**, op. cit, p.50.

ولعل أهم ما ساعد هذا المملوك على أداء هذه المهمة و التي لم يكن ليكتب لها النجاح لو لم يكن هذا المجند في صفوف الجيش الفرنسي قد تربى في تونس و تعرف على عادات وطبائع و لغة أهل البلاد، ومساعدة الفرسان الكراغلة الذين وصلوا إلى هدفهم دون أن يعترض طريقهم أحد.

وعندما عين الجنرال كلوزيل خلفا للكونت دي بورمون حاكما عاما، بعث برسالة إلى باي التيتري مصطفى بومزراق يطلب منه التعاون كما كان متفقا على ذلك مع الكونت دي بورمون من قبل، لكن الباي هذه المرة رفض التعاون مع الفرنسيين بعد أن رأى ما حاق بهم إثر عودة دي بورمون من البليدة في 25 جويلية 1830.

و لذلك جهز كلوزيل حملته العسكرية ضد المدية، و خرج معه يوسف المملوك التونسي بفرقته، و هناك تمكن من قتل قائد تركي بعد أن افتك منه حصانه.وبذلك برزت مواهبه العسكرية واضحة للعيان ، فعينه كلوزيل نقيبا على رأس سرية من القناصة الجزائريين في 02 ديسمبر 1830، و ظل نجمه يسطع في سماء الإجرام و التنكيل بالجزائريين الذين كثيرا ما غرهم اتقانه للعربية و اسمه العربي ليمر عبرهم نحو هدفه و هم يعتقدون أنه مسلم فلا خوف عليهم منه، أما بالنسبة للفرنسيين فإنه كان عندما يعود بفرسانه من أية غارة على الأهالي الجزائريين إلى الثكنة تستقبله الفصائل العسكرية الفرنسية بالتصفيقات و التهاليل، و كأنه البطل المغوار"[129].

ولقد افتك يوسف رتبة رئيس سرية بفضل عمل جبار قام به ليمحو العار الذي لحق بالجيش الفرنسي في عهد الحاكم العام بيرتيزن « Berthézene » الذي فشل في احتلال مدينة عنابة عام 1831، و راح الحاكم العام يومها يبحث عن الوسيلة التي تنقذه من هذا الإخفاق لكن يوسف كان حاضرا في الوقت المناسب حيث طلب السماح له بفتح هذه المدينة بطريقته الخاصة. ذلك أن يوسف خلال إقامته في تونس كانت له علاقات طيبة مع رجال حامية قلعة عنابة. و بكل هدوء انطلق يوسف مع صديقه الكابتان بويسان داموندي « Buissan D'Amandy » في فرقة المدفعية على متن فرقاطة حتى ساحة المدينة و هناك نزل و اقترب من باب القلعة الذي فتح له، فدخل رفقة البحارة الذين كانوا معه و تمركزوا بالقلعة التي كانت تحمي الخطوط الأمامية للساحة، و سلم جميع من كان في القلعة أمرهم للفرنسيين الذين احتلوها من دون مقاومة تذكر[130].

واصل يوسف هذا المملوك التونسي خدمته للجيش الفرنسي بكل قوة و إصرار منذ بداية الغزو، حيث أنه يكفي للدلالة على ذلك أنه كان سباقا إلى تكريس تجنيد بعض الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، و كونه تابع كل محطات الغزو الفرنسي للجزائر[131].

ثم إن الاستعدادات الفطرية و التدريبات المكثفة التي تلقاها يوسف في قصر باي تونس منذ أن كان غلاما ساعدته على أن يشارك في جميع العمليات العسكرية التي خاضها الفرنسيون أثناء توغلهم في المناطق الداخلية، حيث أظهر خلال هذه العمليات الحربية قدرات عسكرية كبيرة أهلته لنيل كل الرتب العسكرية بفضل ما كان يتمتع به من مهارة و كفاءة عالية في قتال خصومه. فمن مجرد رئيس فرقة الخيالة غير النظامية صار قائدا لسرايا الأهالي الجزائريين المضافة و الملحقة بقناصة إفريقيا، ثم قائدا لسلك الصبايحية الذي تم تنظيمه بصفة قانونية سنة 1841، ثم تحصل على رتبة نائب عقيد لفرق الصبايحية بوهران، ثم عقيدا لعشرين سرية من سرايا الصبايحية. و كان عليه أن ينتظر حتى سنة 1851 كي يجود عليه الفرنسيون برتبة جنرال ضمن صفوف الضباط الأهالي، و تحصل على وسام الصليب الكبير و هو أعلى وسام شرف. و عند انسحابه من الجيش كان قد تحصل على رتبة جنرال فرنسي و هي الرتبة التي طالما انتظرها و كافح من أجل الحصول عليها[132]، و ارتكب في سبيل الوصول إليها كل أنواع القتل و التخريب و الغدر بأبناء الشعب الجزائري الذي كان آمنا مطمئنا إلى وضعه قبل دخول المستعمرين الفرنسيين بلاده......؟!...

---

129 - Paul Azan: **Conquête et pacification de l'Algérie**, op. cit, p.58.
130 - Du Barail (Général): **Mes souvenirs, T.1**, op. cit, p.49.
131 - **Huré Robert** (Général): op. cit, p.26.
132 - Paul Azan: **Les Grands Soldats…**, op. cit, pp.48-50.

وحاول الفرنسيون إنشاء سلك عسكري من أبناء الطبقة الارستوقراطية في الجزائر يضم في صفوفه أبناء العائلات النبيلة و الشريفة كي يجعلوا من عائلاتهم سندا و حصنا يجابهون به تنامي سلطة الأمير عبد القادر الذي راح يتوسع في البلاد، غير أن ذاك المشروع لم يكتب له النجاح بسبب الدور المزدوج الذي قام به القياد و الباشاغوات و شيوخ القبائل، فهم من جهة متعاونون ظاهريا مع الفرنسيين و من جهة أخرى فقد كانوا ضد أن يصبح أبناء المسلمين يعملون تحت سلطة و إمرة النصارى "المسيحيين".

أضف إلى كل أولئك الذين شاركوا في إفشال هذا المشروع، ما كان يقوم به ضباط المكاتب العربية الذين كانوا يسعون من جهتهم إلى الاحتفاظ بالفرسان الجيدين تحت إمرتهم من أبناء العائلات الذين كانوا يجندونهم ضمن صفوف القومية التابعين لهم، ليضمنوا ولاء أهاليهم[133].

والواقع أنه لم يكن يلتحق بالتجنيد التطوعي في صفوف الفرنسيين سوى أبناء القرى و المداشر الفقيرة الذين كان وضعهم الاجتماعي و الاقتصادي متردیا و سیئا بسبب انعدام فرص العيش الكريم بالإضافة إلى الإهانات التي كانوا يلاقونها من قبل الرؤساء و القياد، و كان لهذه المعاملة السيئة أثر سلبي على القيادة العسكرية، لأن هذا الصراع استمر حتى و هم مجندون في الجيش الفرنسي.

و لكي يتمكن القادة العسكريون من تدعيم جيوشهم بالرجال عمدوا إلى فتح المجال أمام كل القادمين المتطوعين، حتى و إن كان الراغب في التجنيد لا يملك الحصان المطلوب الذي هو شرط أساسي للقبول في صفوف الجيش[134].

ومن جانب آخر فقد اعتمد الفرنسيون على الكراغلة و الأتراك من أجل استخدامهم في إخضاع القبائل من البدو الرحل، فأولئك المجندون في الجيش الفرنسي كانوا أحسن من غيرهم لسهولة تكيفهم مع المهمات التي تولوها و التي كانوا متعودين عليها منذ العهد التركي. ذلك أن القبائل الرحل كانت تخاف من هؤلاء منذ أن كانوا يلاحقونهم عندما يرفضون دفع ماترتب عليهم من ضرائب مفروضة[135].

ولقد تم تشكيل هذه الأسلاك الإضافية من الأهالي الجزائريين في كل من وهران و عنابة و خاصة قسنطينة التي أنشئ بها فيلق أظهر كفاءة عالية عند كل اختبار و ظهر ذلك بوضوح في الحملة على سطيف في أكتوبر **1839**، حيث احتج الدوق دورليون « Duc D'orleans » الذي نظم هذه الفصيلة العسكرية من العناصر التركية بقوله: "لقد عوملت هذه الفصيلة التركية بشكل غير لائق البتة، حيث كنا نعطيهم **16** سنتيما يوميا مع قطعة صغيرة من البسكويت، و بهذه الأجرة كان عليهم أن يوفروا اللباس و الحاجيات الأخرى... عجيب أمر هؤلاء كنا نرسلهم إلى مراكز لا يجدون بها اللحم و لا حتى الفرينة و نتركهم يعسكرون في الفضاء الواسع من دون أغطية أو رداء أو حتى معطف يقيهم البرد ليلا و الحرارة نهارا... إنهم يتعذبون و يموتون، و لكنهم أبدا لا يشتكون أو يتذمرون"[136].

ولعل سبب هذا الخنوع، هو أن هذه الفئة من السكان بالجزائر كانت قبل الغزو الفرنسي تعيش بمعزل عن الجزائريين، و لذلك وجدت نفسها غريبة عندما حل الفرنسيون في البلاد و هذا ما جعلها ترضى بالهوان و الذل لأنها لم تتمكن من أن تنصهر في هذا المجتمع. و بقيت أجنبية... ففضلت السير في ركاب الأعداء على أن تكون مع عامة المجتمع بعد أن أعمى التكبر بصيرتها.

---

133 - Du Barail (Général): **Mes souvenirs, T.1**, op. cit, p.59.
134- **Julien:** op. cit, p.273.
135- G.G.A: **Correspondances du Maréchal Valée**, 1e Série, par Georges Yver, Ed: édition Larose, Paris 5e 1949, pp. 220-223.
136- **Julien:** op. cit, pp.273-279.

ثالثا:

المتعاونون الجزائريـون مع الغزاة **1830**.

لقد سبق و ذكرنا بأن سقوط حكومة الداي حسين بشكل مفاجئ جعل البلاد كلها تعيش فراغا سياسيا رهيبا مما فتح المجال على مصراعيه أمام الزعماء المحليين لكي يحاول كل واحد منهم أن يجد لنفسه مكانا معتبرا، غير أن قصر نظر الكثيرين منهم جعل الصراع بينهم عنيفا بحيث اعتقد كل واحد منهم أنه الأحق بالولاية و الإمارة، و رغم وجود رجلين عظيمين من أمثال الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري الذي تمكن من فرض سلطانه على مساحات عريضة في هذا الوطن، و كذلك الحاج أحمد باي قسنطينة في الشرق، لكن الأمر في النهاية انتهى لغير صالحهما بسبب وجود مناوئين لهما من ذوي الطمع و الجشع الذين ربما لا يحسنون من فنون السياسة إلا التربع على العرش و حب الذات الذي أعمى بصيرتهم مثل مصطفى بن اسماعيل زعيم الدوير و السميلة بغرب البلاد و الذي كان يناصب الأمير عبد القادر العداء، لأنه ببساطة لم يتمكن من أن يكون هو الآمر و الناهي[137].

و كذلك شيخ العرب فرحات بن سعيد و السلطان عبد الرحمن شيخ توقرت بشرق البلاد فكلاهما كان يريد حكم المنطقة لنفسه، و الانتقام من الحاج أحمد باي قسنطينة. و سارع كل منهما إلى التعاون مع الفرنسيين على أمل أن ينال الحظوة عندهم فيفوز بما كان بين يدي الحاج أحمد باي[138].

وكان المستفيد الأول و الأخير من هذا الصراع الداخلي على الزعامة، الغزاة الفرنسيون طبعا لأنهم عرفوا كيف يوقعون هذا و يضربون ذاك، مستغلين حقد هؤلاء على أولئك، وطمع و جشع أولئك الذين كانوا ما يزالون يسيرون أموررعاياهم كما كان أسلافهم منذ قرون خلت، فبوجود هؤلاء وأولئك استغل الفرنسيون الوضع و استفادوا من خدمات أولئك الذين وجدوا أنفسهم متعاونين مع الفرنسيين أو بالأحرى خدما لهم يضربون بهم الوطنيين الرافضين للاحتلال الفرنسي للبلاد.

وتبعا لهذا الوضع المتردي الذي كانت تعيشه البلاد في ظل هذا التطاحن على السلطة و المكاسب الذاتية يمكن تصنيف أولئك المتعاونين مع الفرنسيين إلى عدة أصناف، و الذين بسبب سوء تصرفهم تمكن الغزاة الفرنسيون من التوسع في البلاد و بسط نفوذهم و السيطرة في النهاية على الجميع، مستغلين سذاجة البعض من أولئك الذين كانوا يرون في الغزاة المحتلين حلفاء لهم يمكن بواسطتهم تحقيق المآرب و الأهداف. ثم بعد ذلك يكون لهم شأن آخر مع الغرباء. فالسياسة كانت دائما تبنى على تبادل المصالح و من ثم فإن عدو اليوم يمكن أن يصبح صديقا في المستقبل، و حليف اليوم يمكن أن يصير عدوا في المستقبل.

ويمكن تصنيف أولئك المتعاونين و المتحالفين مع الغزاة الفرنسيين إلى أصناف عدة و كل واحد من أولئك المتعاونين مع المستعمرين كانت له أسبابه و دوافعه، و أهدافه، و هم كالأتي:

أ- رؤساء القبائل والشيوخ الطامعون في الحكم :

وهم الذين كانوا يسعون إلى توسيع رقعة نفوذهم و السيطرة على المناطق القريبة منهم فرادوا يعملون متعاونين مع الغزاة تارة بسبب الطمع و تارة أخرى تحت طائلة الخوف و الرهبة و الوعيد.

و إذا كان الغزاة الفرنسيون قد تمكنوا من التغلب نسبيا على المناوئين لهم في وسط البلاد ما بين مدينة الجزائر و عاصمة التيتري المدية بفضل ما توفر لديهم من مجندين جزائريين خاصة فرسان قبائل الزواوة التي لم يعد لها ما يدفعها إلى محاربة الحكام الجدد الذين ربطت بينهم المصالح الحيوية، فإن بقية المناطق و الأقاليم الأخرى لهذا

137 - Paul Azan: **Les Grands Soldats…**, op. cit, p.41.

138 - Gabriel Esquer: **Correspondance du Général Voirol (1833-1834)**, Ed: Edouard Champion, société de l'histoire de France, Paris 1924, pp. 427-429.

الوطن الشاسع كانت ما تزال بعيدة عن متناول أيدي الفرنسيين الذين لم يدخروا وسعا في سبيل فرض هيمنتهم الكلية على هذا الوطن...

ففي القطاع الوهراني مثلا كانت معظم القبائل فيه تشن غاراتها على الغزاة رغم أن الفرنسيين عرفوا كيف يؤسسون نظام الأهالي المساندين للاحتلال منذ إعلان حاكم وهران حسن باشا ولاءه للفرنسيين و دخول الجنـرال كلوزيـل مدينة وهران من دون حرب أو مقاومة في **16** ديسمبر **1830**، إذ سعت بعض القبائل التي كانت تعمل في جـيش المخزن في العهد التركي إلى المحافظة على امتيازاتها السابقة و كونت لأجل ذلك ميليشيات خاصة شكلت فيما بعـد سرايا إضافية للجيش الفرنسي عرفت بفرق القومية التي كانت تتقدم كتائب جنود الاحتلال في محاولة منها لإخضاع المناطق و الأقاليم التي استعصى على الفرنسيين إدراجها تحت سلطتهم، فكان أولئك القومية في غـرب الـبلاد أداة حادة لضرب القبائل الرافضة للاحتلال الفرنسي.

و من بين أهم هذه القبائل التي انضمت إلى الفرنسيين في تحالف وثيق منذ عام 1835 نجد قبائل الدوير و السـميلة التي كانت قراها و مداشرها تقع في سهول مليطة بالجنوب الشرقي القريب من مدينة وهران[139].

وكان فرسان قبائل الدوير و السميلة يعملون قبل الغزو الفرنسي مع رجال المخزن في العهـد التركـي ثـم سرعان ما انقلبوا و راحوا يعملون مع الفرنسيين بعد سقوط حكومة الداي، و ضمنت هـذه القبائـل بتعاونهـا مـع الفرنسيين ما عرف بالشرطة المسلحة للأقاليم المعترفة بسلطة الفرنسيين عليها، و المرتبطة معهم باتفاقية **16** جوان **1835**، و قد كانت هذه القبائل تمد الجيش الفرنسي بالرجال المحاربين الذين "عملوا في إطار التجنيـد العسـكري التطوعي انتقاما من الأمير عبد القادر و مساندة لزعيمهم مصطفى بن اسماعيل[140]".

وإذا كان الفرنسيون قد عمدوا إلى عقد معاهدة سلام مع الأمير عبد القادر عـام 1834 فـذلك لأن نشـاطه الحربي كان يقلق الفرنسيين في غرب البلاد، و لجوءهم إلى المهادنة كان من أجل بحث السبل الكفيلة و القادرة على مواجهته، فإن الأمير هو الآخر من جانبه كان يسعى إلى هدنة تمكنه من توطيد أركان حكمه و خاصة في وسـط و شرق البلاد مستغلا الثغرة في معاهدتـه مع دي ميشال التي لم تشر إلى ضرورة بقاء كل طرف في موقعه، و لذلك توغل الأمير عبد القادر في إقليم التيتري و دخل المدية بتاريخ **1835/04/24** التي عين بها خليفته محمد بن عيسى البركاني حاكما عليها من قبله.

و بعد أن لام وعاقب وجهاء قبائل الشلف على تقاعسها في محاربة الفرنسيين انتقل إلى مليانة حيث عين بها خليفته مرابط القليعة آغا الفرنسيين القديم محي الدين و بهذا الإنجاز صار الأمير عبد القادر سلطانا على أكبر قسـم فـي مقاطعتي وهران و التيتري[141].

وكلف الأمير عبد القادر خليفته في المدية محمد بن عيسى البركاني بمهاجمة الحاج أحمد باي في بسـكرة و هناك في منطقة ميزاب عُين خليفة الأمير الحسن بن عزوز، فأغضب هذا التعيين فرحات بن سعيد شـيخ العـرب البسكري الذي كان يتظاهر بولائه للأمير في عهد الحاج أحمد باي قسنطينة على أمل أن ينال عنده الحظوة و يفوز بمنصب الخليفة في هذا القطاع، لكن خيبة أمله هذه المرة دفعته إلى الاتصال بالمريشال فـالي « **Valée** » بقصـد التعاون معه لمحاربة خليفة الأمير الذي انتبه إلى أمره و ما يخطط له فقبض عليه و اعتقله لينهي بذلك أمـر هـذا الطامع[142].

أما في القطاع الغربي فإن الأغنياء من أفراد المشوار في تلمسان و الإنتهازيين من المخـزن القـديم كـانوا مستبشرين بانتصارات لاموريسيير و بيجو، خاصة بعد أن أغدقت عليهم السلطات العسكرية الفرنسـية الأمـوال و الألقاب فصاروا يفكرون في الدور الكبير أو بالأحرى في الدور الوضيع الذي سيقومون به حين يستتب الأمن فـي الجزائر التي أصبحت خرابا، و خيم عليها الحزن. و قد أدرك الفرنسيون من يلائمهم من الأهالي الجزائريين كـي

139 - **Lespes R**: op. cit, p.10
140 - Paul Azan: **Les Grands Soldats…**, op. cit, p.39
141 - Paul Azan: **L'Emir Abdelkader**, Ed: Hachette et Cie, Paris 1925, p.111
142 - **Idem**: p.12

يصبح لهم حليفا و عميلا. فعمدوا إلى تحطيم وحدة الصف كي يتمكنوا من مناهضة مشروع الأمير عبد القادر الرامي إلى بث روح الديمقراطية بين الإطارات[143]. إذ عمدوا منذ السنوات الأولى من الاحتلال إلى انشاء مخزن جديد و تشجيع طبقة جديدة من ذوي الامتيازات و المسخرين لخدمة أغراضهم، و قد رضيت بذلك نفوس العملاء، لأن فرنسا تحميهم من انتقام الشعب[144].

ومن بين الذين تحالفوا مع الفرنسيين و شكلوا برجالهم فرقا إضافية للجيش الفرنسي نجد زعيم الدوير الآغا مصطفى بن اسماعيل الذي عقد تحالفا مع الجنرال كلوزيل الذي خلصه من الحصار الذي كان مضروبا عليه في تلمسان، و أبقاه حاكما و آغا على قبائل الدوير و السميلة. هذا الرجل الذي أخذته العزة بالإثم و العناد كان من بين السكاكين التي شاركت في طعن الوطنيين، ليستتب الأمر في النهاية للفرنسيين، و لذلك لم يمض وقت طويل حتى صار هذا الرجل من بين الأسماء البارزة في الجيش الفرنسي أمثال لاموريسيير و روفيغو. و لخدماته الكثيرة و الكبيرة لصالح الهيمنة الفرنسية في الجزائر ذكره الجنرال بيجو المعروف بسياسته المبنية على التدمير و التخريب لكل عمران "الأرض المحروقة" فقال بشأنه عندما كتب لوزير الحرب الفرنسي مايلي:

"إن الآغا مصطفى بن اسماعيل رجل محترم و صاحب رأي جيد[145]... و ليس مجرد رجل شجاع فقط..."[146].

1-1-زعيم قبائل الدوير و السميلة :

رغم التوسع الذي أحرزه الأمير عبد القادر في غرب البلاد و وسطها و شرقها، إلا أن المشاكل و الصعوبات التي كان يلاقيها بالقطاع الوهراني كانت كبيرة و معقدة خاصة من طرف قبائل الدوير و السميلة التي سعى زعميها مصطفى بن اسماعيل إلى تدبير انقلاب على الأمير عبد القادر بعد مبايعته بالإمارة، فلما فشل في مسعاه، التحق آنذاك بالفرنسيين الذين خدمهم كالعبد الذليل بعد أن أخذته العزة بالأثم و الكبرياء، و عدم القدرة على الرضوخ لأي كان من بني قومه، و كذا لعجزه عن التنازل عما كان عليه من حظوة و سلطان عند أسياده الأتراك قبل الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830[147] و لعل تقدمه في السن الذي تجاوز 67 عاما من عمره آنذاك هو الذي جعله غير قادر على التنازل.

وبسبب تعنت هذه القبائل التي رفضت الانصياع للأمير عبد القادر و رفضت كذلك قطع علاقاتها مع الغزاة، بدأت الهدنة التي كانت قائمة بين الفرنسيين و الأمير تتدحرج نحو المواجهة بعد أن طلب زعماء هذه القبائل المغرر بهم الحماية و النصرة من حاكم وهران تريزيل[148] **Trézèl** الذي انتقل بكتائبه العسكرية إلى مسرغين يوم 11 جوان 1835، الذي صادف في ذلك اليوم أن مجموعة من الفرسان التابعين للأمير عبد القادر اختطفت شيخ الدوير اسماعيل ولد قاضي و توجهوا به على ظهر بغل إلى معسكر عاصمة الأمير عبد القادر، لكن فرسان قبيلته المدعمين بحضور و مساندة الجنرال تريزيل و جنوده سارعوا إلى ملاحقة المختطفين، و خلصوا الأسير من بين أيديهم[149].

ولكي يتمكن الجنرال من حماية هذه القبائل التي "حسب زعمه" كانت ترغب في مواصلة لعب دور رجال المخزن في العهد الفرنسي كما كانت عليه خلال العهد التركي، انتقل إلى الكرمة حيث عسكر هناك على بعد 12 كلم

---

[143]- مشروع الأمير الذي أقام العدل و أشاع الإخاء بين الناس، و فتح المجال للكفاءات و منحها القيادة و الثقة في تولي الأمور،انظر مؤلف:
Duc d'Orléan: op. cit, pp. 408-409

[144]- **مصطفى الأشرف**: مرجع سابق، ص. 59

[145]- يقصد بصاحب الرأي الجيد: توجيهات الآغا في محاصرة و ضرب جيش الأمير في معركة الزقاق التي انهزم فيها الأمير عبد القادر. بعد أن كان في العام السابق قد ألحق هزيمة نكراء بالفرنسيين في معركة وادي المقطع الشهيرة.

[146] - **Lespes R**: op. cit, p.11

[147] - **Camille Rousset**: op. cit, pp. 80 et suivantes.

[148]- الحاكم العام روي ديرلون: عندما لاحظ تمكن الأمير من تنظيم نفسه أكثر في الوسط و الشرق الجزائري بعد الهدنة التي عقدها مع حاكم وهران دي ميشال عمل على عزل هذا الأخير و تعويضه بالجنرال تريزيل الذي سعى منذ البداية إلى نقض الهدنة بافتعاله قضية الدوير و السميلة.

[149] - Paul Azan: **Conquête et pacification de l'Algérie**, op. cit, p.107

من وهران في الطريق المؤدي إلى معسكر، و هناك حدد المعالم الأولى للاتفاق مع قبائل الدوير و السميلة فـي 16 جوان 1835 حيث اعترفت تلك القبائل بسلطة و سيادة الفرنسيين على المنطقة، و كان على تلك القبائـل أن تـدفع ضريبة سنوية للجيش الفرنسي مع مواصلة تزويده بالفرسان المتطوعين للخدمة العسكرية في صفوفه[150] بالرغم من أن اتفاق الهدنة الموقع بين الأمير عبد القادر و الجنرال دي ميشال حاكم وهران آنذاك كان قد حدد وضـع قبائـل الدوير و السميلة تحت سلطة الأمير عبد القادر.

ولذلك فإنه بناء على هذه الهدنة المتفق على بنودها بين الجزائريين و الفرنسيين، بعث الأمير عبـد القـادر رسالة إلى الحاكم بالعاصمة دروي-ديرلون « **Drouét d'Erlon** » بتاريخ 1835/06/17 طلب فيها منه معاقبة حاكم وهران الجديد و تعويضه بغيره، لأنه يحول دون تمكن الأمير من فرض سلطانه على رعيته من قبائل الدوير و السميلة، كما تنص على ذلك معاهدة 1834... و بالطبع فالأمير لم يتلق الرد على رسالته تلك، لأن الموقف الذي كان تريزيل قد اتخذه بشأن هذه القبائل لم يكن من أجل حبه لهم أو إشفاقا عليهم " و لكنه موقف حتمي للرد على مـا كان يسعى إليه عبد القادر من تخطيط يمكنه من عزل الفرنسيين عـن السـكان الجزائـريين، حتـى إذا وصـلت المفاوضات إلى مرحلة الأخذ و الرد و المساومة، يكون عبد القادر سلطانا على البلاد و العباد، ما عدا النقاط الثلاث التي يحتلها الفرنسيون و هي: وهران، أرزيو، و مستغانم...[151] ".

ولذلك زحف حاكم وهران تريزيل بجيشه المدعم بالمجندين من قبائل الدوير و السميلة على التليلات التي تبعد عن وهران بنحو 24 كلم، يوم 19 جوان 1835 بثلاثة فيالق و ثلاث سرايا و ثلاث قطع مدافع و أربـع عربـات لحمل مؤونة 10 أيام، و أثناء تحركه نحو الهدف تلقى رسالة من مصطفى بن اسماعيل المحاصـر مـع الحاميـة التركية في مشوار تلمسان من طرف قوات الأمير عبد القادر التي كانت تمنع وصول الإمـدادات الفرنسـية إلـى تلمسان من وهران... و طلب هذا الحاقد على الأمير من الجنرال تريزيل أن يتعاون معه على غرار تعاونـه مـع قبائل الدوير و السميلة، و هذا أيضا ما كان يسعى إلى تحقيقه الجنرال تريزيل الذي أسرع بالكتابة إلى الحاكم العـام يوم 20 جوان 1835 ليقول له: "إنه لمن الضروري بمكان أن نحتفظ بسلطاننا على القبائل المجاورة لـوهران، و كذلك على الكراغلة في تلمسان. إنها الطريقة الوحيدة لنكون أسيادا في هذه البلاد... حتى نتمكن من جني و ربح المكاسب منها...[152] ".

وفي معسكر التليلات تلقى تريزيل انذارا حقيقيا من الأمير عبد القادر يتعلق بالقبائل الخارجة عن طوعـه و التي يعتبرها من جملة الرعايا المسلمين، و قبائل الدوير من جملة الرعايا المسلمين. و الأمير مسلم و دينه لا يسمح له بإبقاء المسلمين تحت سلطة الكفار، و لذلك فالأمير حذر الجنرال الفرنسي من مغبة تعصبه و تصـرفه الأخـرق الذي لا يجلب إلا الدمار و الخراب حيث قال في تحذيره: "عليكم باختيار ما يناسبكم، و إلا فإن الله هو الذي يختار و يقرر"... ورد تريزيل على هذا التحذير بقوله: " نحن لا نحمي قبائل الدوير و السميلة فقط... و لكننا نحمي كـل القبائل التي تطلب حماية ملك فرنسا..."

وبعث الجنرال تريزيل برسالة الأمير عبد القادر إلى الحاكم العام بالعاصمة، بعد أن أضاف إليها العبـارات التالية: "إنكم ستلاحظون من خلال رسالة عبد القادر، أنه عازم من دون شك على تحطيم هاته القبائل إذا لم نقـم بمنعه من ذلك، و عند ذاك سنفقد نهائيا احترامنا و هيبتنا و سلطتنا على هذه الأرض...[153] ".

ولأجل ما ذكر من أسباب عزم تريزيل على نقض المعاهدة، و راح يعتدي على المناطق التابعة للأمير علـه يظفر بما لم يظفر به دي ميشال من قبل، إذ لم يمض على قدومه إلى وهران أكثر من شهرين حتى سعى إلى إغراء قبيلتي الدوير و السميلة بالانتقال إلى المنطقة المحتلة من طرف الفرنسيين، مما دفع الأمير إلى اعتبار ذلك الانتقـال نقضا صريحا للمعاهدة، و طالب بإرجاع القبيلتين إلى المنطقة التابعة له، تنفيذا لشروط تسليم الفارين.

---

[150] - Paul Azan: **Conquête et pacification de l'Algérie,** op. cit p.107
[151] - **Idem** op. cit, p.108
[152] - **Idem.**
[153] - Paul Azan: **Conquête et pacification de l'Algérie,** op. cit, p.109

ولم يقف تحدي تريزيل عند هذا الحد بل إنه خرج بقوات كبيرة إلى المنطقة الداخلية التي يسيطر عليها الأمير، و في وادي المقطع التقى الخصمان، و استطاع جيش الأمير عبد القادر أن يوقع القوات الفرنسية "المدعمة بالمجندين من القبائل الخارجة عن طاعته" في كمين بوادي المقطع، و أن يلحق بهم أكبر هزيمة لحقت بالغزاة الفرنسيين منذ أن وطئت أقدامهم شاطئ سيدي فرج عام 1830، و لقد كان لهزيمة الجيش الفرنسي في وادي المقطع دوي كبير في باريس بالرغم من أن البلاغات الرسمية حاولت التخفيف من وقع الصدمة، حيث راحت تقدر الخسائر الفرنسية بـ 254 جنديا و 400 جريح. و كان من نتائج هذه الهزيمة أن سارعت السلطات الفرنسية إلى عزل الحاكم العام في العاصمة الجنرال ديرلون و كذلك الجنرال تريزيل حاكم وهران، و أعادت الجنرال كلوزيل إلى الجزائر للمرة الثانية، و هو الذي كان و ما يزال من أكبر أنصار الاحتلال الشامل للجزائر[154].

وكان أول ما فكر فيه هذا العائد للمرة الثانية بعد و صوله إلى مقر عمله في أوت 1835 هو الانتقام من الهزيمة النكراء التي مني بها الفرنسيون في معركة وادي المقطع، و يبدو من عزمه هذا أنه لم يعد هناك مكان للهدنة إلا بإخضاع الأمير لسلطة فرنسا، و ظن أنه يستطيع الحصول على مبتغاه باحتلال معسكر عاصمة الأمير عبد القادر، و جهز لأجل تحقيق هذا الحلم حملة عسكرية كبيرة لتدمير هذه المدينة بمن فيها، و دفع بفرسان الدوير و السميلة إلى التجند في صفوف جيشه حتى تمكن من جمع 11 ألف جندي زحف بهم على معسكر للإجهاز عليها[155] لكن الأمير عبد القادر تفطن للخطة التي كان يرمي إليها كلوزيل و لذلك أخلى عاصمته معسكر قبل أن يصل إليها جنود الاحتلال يوم 1835/12/06، و التي رغم خلوها من أصحابها إلا أن الجيش الفرنسي خربها قبل الانسحاب منها بعد أن أتلف جل معالمها الانسانية و العلمية.

وبعد هذا الاكتساح الفاشل وجه كلوزيل ضربته الثانية نحو تلمسان التي كانت قوات الأمير عبد القادر تحاصرها حتى تمنع تموين الحامية العسكرية من مدينة وهران، و ساعدت الحامية التركية كلوزيل على دخول المدينة و احتلالها، و هناك تمكن من تخليص مصطفى بن اسماعيل الذي كان محاصرا في مشوار تلمسان، و كان الأمير عبد القادر يسعى إلى إلقاء القبض على هذا الرجل الذي كان وراء خروج قبائل الدوير و السميلة عن طاعته و تعاونهم مع المحتلين الفرنسيين.

و بمجرد أن رأى مصطفى بن اسماعيل الجنرال كلوزيل قادما حتى بادره بالقول: "عندما رأيتك يا جنرال "كلوزيل" نسيت مصائبي و أحزاني كلها ... وها أنا أضع نفسي وأتباعي تحت تصرفك... و سوف تقر عينك بنا...[156] ".

وعند عودة كلوزيل إلى الجزائر هذه المرة كان يحلم بالقضاء على الأمير عبد القادر في عاصمته معسكر لكنه فشل، و لم يفشل في محاولته اليائسة هذه فقط ، بل إنه تلقى أيضا فشلا آخر بشرق البلاد عندما حاول التخلص من أحمد باي قسنطينة الذي استطاع طوال هذه الفترة أن يحافظ على استقلال القطاع القسنطيني.

ولسوء حظ الجزائر أن حبل التنسيق لم يكن قائما بين الأمير عبد القادر في الغرب و الحاج أحمد باي في الشرق حتى يتم تنظيم عمليات المقاومة ، بل كان التنافس بينهما حادا و يبدو ذلك من خلال قيام محمد البركاني خليفة الأمير عبد القادر بمحاربة خليفة الباي في بسكرة، و ما نجم عن ذلك من صدام بين أتباع هذا و ذاك و لهذا حاول الزعماء الآخرون ممن لم يجدوا مكانا لهم معهما أن يلجؤوا إلى الفرنسيين.[157]

ففي ظل هذه المنافسة بين الوطنيين المقاومين حيث كان كل واحد منهم يرى نفسه أهلا لأن يخرج الكفار من البلاد و ينفرد بحكم هذا الوطن المترامي الأطراف، وصل إلى وهران أحد القادة العسكريين الذين اتبعوا سياسة الأرض المحروقة، إنه الجنرال بيجو « Bugeaud » و كان ذلك في ماي 1836 حيث كانت مهمته تقتصر على إيجاد وسيلة ما لتخليص القوات الفرنسية المحاصرة في تلمسان، أو على الأقل لرسم خطة تمكن الجيش الفرنسي من

---

[154]- د/ صلاح العقاد: **المغرب العربي (الجزائر-تونس-المغرب الأقصى)**، مكتبة الأنجلو- مصرية، ط 1962. ص 114

[155]- فرسان الدوير و السميلة عوضوا فرق اللفيف الأجنبي التي تخلت عنها فرنسا لإسبانيا، والذين تم تعويضهم بـ **5500** جندي من قومية القبائل المتحالفة مع جيش الإحتلال: **Huré R**: op. cit, p.29 .

[156] - **Lespes R**: op. cit, pp.11-13.

[157]- Paul Azan: **L'Emir Abdelkader**, op. Cit, p.111

استخدام نهر التافنة الذي يصل بين تلمسان والبحر الأبيض المتوسط، لتموين الحامية، "وفعلا فقد تمكـن الجنـرال بيجو خلال فترة قصيرة من قدومه من وضع الأسس الأولى لخطته في محاربة جيش عبد القادر الذي كانت سراياه تتحرك بسرعة فائقة في مختلف الجهات.[158] "

2-1-مصطفى بن اسماعيل

في عش النسر:

لقد كان الهدف من إرسال الجنرال بيجو إلى القطاع الوهراني يتمثل في فك الحصار عن تلمسـان، وخـلال فترة قصيرة قضاها في الميدان تمكن من استحداث طوابير خفيفة لملاحقة جيش الأمير عبد القادر و كتائبه السريعة الحركة، و من بين الفرق الصغيرة التي استحدثها هذا الجنرال مجموعة سرايا بقيادة آغـا الـدوير مصـطفى بـن اسماعيل الذي فك عنه الحصار الجنرال كلوزيل قبل مقدم الجنرال بيجو، و منذ ذلك الحين و الآغا ما آنفك يبـرهن عن ولائه و تفانيه في خدمة الفرنسيين نكاية في الأمير عبد القادر. و كانت للآغا مصطفى بن اسماعيل اليد الطولى في هزيمة جيش الأمير في معركة الزقاق التي خرج منها بعاهة أودت، بيده اليمنى كعربون عن إخلاصه وتفانيـه في خدمة أسياده.[159]"

وتمكن الجنرال بيجو من إحراز انتصار حاسم للقوات الفرنسية على حساب قوات الأمير في معركة الزقـاق بفضل ما كان يضم في صفوفه من فرسان الدوير و السميلة بقيادة زعيمهم مصطفى بن اسـماعيل الحاقـد علـى الأمير، حيث أعد هذا المناوئ العنيد أكثر من 400 فارس شارك بهم في العمليات الحربية ضد قوات الأمير.

و لعل معرفة مصطفى بن اسماعيل للمنطقة و شعابها، بالإضافة إلى نصائحه و توجيهاته للفيالق العسكرية الفرنسية في الميدان يعود الأثر الأكبر في هزيمة قوات الأمير عبد القادر. و كان لهذا الانتصار الذي حققه بيجـو على قوات الأمير في معركة الزقاق نتائج وخيمة حلت بالبلاد، لأن الفرنسيين بهذا الانتصار حطموا التنامي السـريع لقـوات الأمير في المنطقة و حدوا من طموحه للاستيلاء على مناطق أخرى، كما أنه وضع حدا لنظرة الإعجاب و الاعتزاز التي كانت القبائل تنظر بها إلى انتصارات الأمير، و في نفس الوقت فك الحصار عن المعسكر الفرنسي في التافنـة و على مدينة تلمسان[160].

وبالرغم من هزيمة الأمير عبد القادر في معركة الزقاق إلا أن الجانب الفرنسي سعى إلى عقـد هدنـة مـع الأمير الذي هو نفسه كان يميل إليها، لأن الأهالي الجزائريين بالغرب كانوا يعانون كثيرا من أهوال الحرب المدمرة التي قادها بيجو ضد كل من يقف حجر عثرة في وجه المحتلين الذين كانوا مصرين على التوغل في أعماق الوطن الجزائري مهما كانت العراقيل.

وتحقيق هدنة مع الفرنسيين لا شك أنه يريح الأمير كذلك بعض الوقت و يكفل له الفرص الكافية لنشر نفوذه و تنظيم صفوفه ليتمكن من بسط سلطانه على مناطق كثيرة و جديدة في القطر الجزائري و فعلا فقـد تـم توقيـع المعاهدة بين الأمير و الفرنسيين في 30 ماي 1836 بوادي التافنة وبذلك سميت المعاهدة باسم هذا الوادي[161].

و بالرغم من أن هذه المعاهدة لم تكن ترضي أو تروق لـ مصطفى بن اسماعيل لأنه كان يسعى أكثر من الفرنسيين إلى الانتهاء من مقوامة الأمير و القضاء عليه في أسرع وقت ممكن ليخلو له الجو. إلا أنه رضي بها مكرها ما دام أسياده الفرنسيون يقرونها و يسعون إلى تحقيقها، خدمة لأغراضهم التوسعية في مناطق أخرى من البلاد.

ومن الضروري بمكان أن نسوق في هذا الموضع قصة ذكرها المؤرخ الفرنسي بول أزان تدل من جهة على تواضع الأمير عبد القادر و شعبيته، و تدل في نفس الوقت على ترفع العائلات التي كانت تتعاون مع الأتراك فيمـا

---

[158] - Plée Léon: **Abdelkader – Nos soldats – Nos Généraux,**
Ed :collection Georges Barba, Paris 1866, pp. 81 et suivantes.

[159] - Paul Azan, **Les Grands Soldats…**, op. cit, p.41.

[160] - **Plée Léon**, op. cit, p.85

[161]- الأمير محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر،** ج1، الإسكندرية 1903. ص ص 170 و ما بعدها.

كان يعرف برجال المخزن، و تبرز بوضوح تكبرهم على عامة الشعب من جهة أخرى، و توضح بشكل بين سـبب كراهية آغا الدوير و السميلة للأمير عبد القادر، إذ تذكر القصة بأن مصطفى بن اسماعيل كان يعتبر الشـاب عبـد القادر سليل أسرة أدنى و أقل من أسرته، و كثيرا ما كان يتحدث عن الفترة التي كان فيه هذا الطفل عبد القادر يأتي إلى وهران و يتناول الطعام مع الخدم، و كيف أن الآغا مصطفى أنقذ عبد القادر و أباه محي الدين من انتقام الباي حسن. "و ذات يوم بعد مبايعة الأمير عبد القادر... لم يجد هذا الآغا بدا من الذهاب إلى زيارة الأمير في معسكره، رغم أنه شق عليه التنازل للقيام بتلك الزيارة، فلما وصل إلى معسكر وجد الأمير قد عقد مجلسا للاسـتماع إلـى شكاوى الناس. غير أن عبد القادر الذي كان يعامل الناس بالحسنى لم يقطع الجلسة لاستقبال شيخ الدوير، فقـال مصطفى بن اسماعيل الذي حز ذلك الموقف في نفسه كثيرا: أقسم بالله أن لا تقع عيني على عينك بعد اليوم، مـا دام الذين كانوا خداما عندي بالأمس قد أصبحوا اليوم من ذوي الكلمة النافذة عندك ! بل صاروا يرفعون أصواتهم أمامي"[162]

ومقابل خدمات هذا الآغا الذي خدم الفرنسيين بكل إصرار و عزم، بقصد الفتك بغريمه عبد القادر وأتباعـه، قلده الفرنسيون رتبة جنرال فرنسي، و بذلك صار عمله في خدمة المستعمرين الفرنسيين يتطور باضطراد يوما بعد يوم حتى أنه كان يرافق بفرسانه القومية القسم العسكري للقائد لاموريسيير، و كان يرافق طـوابير السـفاح بيجـو باستمرار عندما تسعى هذه الطوابير إلى ملاحقة جيش الأمير.

كما أن مصطفى بن اسماعيل قاد الجيش الفرنسي في حملة عسكرية سنة 1842 مصحوبا بفرقة من القوميـة كانت تضم 600 فارس توغل بهم مشارف الصحراء حيث اقتحم مدينة كوجيلات التي كان الأمير قد جعلها مخزنـا لذخائره المهربة من معسكر عندما غادرها متحاشيا لقاء كلوزيل في ديسمبر سنة 1835.

وبذلك طعن هذا الرجل قائد المقاومة الكبيرة في العمق لأنه ما كان لقادة الجيش الفرنسـي أن يتمكنـوا مـن الوصول إلى هذا المخبأ لولا قيادة مصطفى بن اسماعيل الذي كان يعرف مجاهل الصحراء و شعابها و كـان هـذا المتعاون مع الفرنسيين قد سبق له أيضا أن شارك في الاستيلاء على مدينة كوجيلات عندما كان حليفا للأتراك قبـل الغزو الفرنسي[163].

وبعد احتلال مدينة كوجيلات أو عش النسر كما صارت تسمى فيما بعد. و بعد أن تم الاستيلاء على الذخائر الحربية و المؤن العسكرية المخبأة هناك، صعد مصطفى بن اسماعيل إلى أعلى مكان في التـل و صـاح بـأعلى صوته: " يا ابن محي الدين، يا عبد القادر... هذه البلاد لا يمكن أن تكون لرجل دين "مرابط " مثلك... لرجل مـن رجال الزوايا... فلقد أخذ الفرنسيون هذه البلاد عن طريق الغزو من الأتراك الذين خدمتهم طـول حيـاتي؟!... و للأمة التي عرفت كيف تنتزعها منهم تعود هذه الأرض... و لكنها لن تكون لك أنت!... لقد سـاعدت بكـل مـا أوتيت من قوة و عزم هؤلاء الفرنسيين ليأخذوا هذا الملك... لأنني أنا الجندي الفارس لا أسـتطيع أن أطيـع أو أخضع إلا للجنود من أمثالي...لقد قدت الفرنسيين إلى أبواب الصحراء... و أستطيع الآن أن أموت هانئا، فالعدالة الكاملة ستكون، و هي التي ستعترض طريقك و طموحك السخيف!..."[164].

وقبل أن يقضي الآغا مصطفى بن اسماعيل نحبه سنة 1843 كان قد تحصل على وسام الشرف من نوع **La Cravate de Commandeur** بتاريخ 1842/02/05. و مات الرجل وهو في سن الثمانين من عمره على ظهر جواده عندما كان عائدا بفرقة القومية التي كانت قد ألقت القبض على مجموعة من الأهالي الجزائريين الهاربين من وجه الجيش الفرنسي الذي استولى على مدينة الزمالة المتنقلة، و بعد أن نكل بهم و اغتصب منهم غنائم معتبرة راح يقطع إقليم فليتة عائدا إلى وهران، فوقع في كمين نصبته له سرية من سرايا الأمير عبد القادر، فقتلتـه و قطعـت

[162] - Paul Azan: **L'Emir Abdelkader**, op. Cit, p.33
[163]- Paul Azan: **Les Grands Soldats…**, op. cit, p.40
[164] - **Idem**: p.41

رأسه و يده، و انسحبت من الميدان لتقديم الرأس و اليد إلى الأمير الذي أمر بدفن بقايا الرجل العنيد، دون عرضها علىالناس كما كان منتظرا، احتراما منه للأموات[165].

وبهذه النهاية ينتهي مسعى رجل حاقد ساهم بشكل كبير في تدعيم الجيوش الفرنسية بمحاربين مـن القومية الجزائريين الذين كانوا من الرواد الأوائل في تحطيم مقاومة الأمير عبد القادر الذي وقف بكل شجاعة و صبر في وجه جحافل الجيش الفرنسي " الذي عاث في البلاد فسادا أثناء المقاومة و بعدها بشكل لا نظير له، استنكره حتى بعض المؤرخين الفرنسيين أنفسهم[166]... ".

2-السلطان عبد الرحمن

شيخ توقـرت:

و من بين أولئك اللاهثين وراء الحكم نجد عبد الرحمن شيخ توقرت الذي بعث إلى الجنرال فوارول Voirol بتاريخ 24 فيفري 1834 رسالة يطلب فيها من الفرنسيين مساعدته للقضاء على الحاج أحمد باي قسنطينة الذي كان ما يزال يطالبه بدفع الضرائب مع أن عاصمة البلاد "مدينة الجزائر" قد سقطت تحت أيدي الفرنسيين، و يتعهد هذا الشيخ الثائر على الحاج أحمد باي، من جانبه إذا وافقه الفرنسيون على خطته أن يوفر من الجنود عشرين ألف فارس دون حساب عدد المشاة إذا ما قرر الجنرال المساعدة و أعلن الحرب على أحمد باي قسنطينة. و في مقابل كل هذا لا يطلب من الفرنسيين سوى أن يتفضلوا عليه بقبوله بايا على قسنطينة، و بدوره عند ذاك سيتعهد بدفع الضرائب للفرنسيين، و يجعل من الجنرال المصون سلطانا على العرب في كل أنحاء الأيالة، و لم ينس بطبيعة الحال هذا الطامع الطموح "أن يغري الجنرال الفرنسي بما في خزائن قسنطينة من كنوز و ذهب، يفوق مقداره ما وجد في خزائن الجزائر العاصمة عندما دخلها الفرنسيون ذات يوم من أيام جويلية 1830[167]".

ولم تكن ظروف الفرنسيين في تلك الفترة تساعدهم على قبول هذا العرض لخوض هذه المغامرة و إلا فإن التاريخ اليوم يذكرنا بأن السلطان عبد الرحمن شيخ توقرت قد تربع ذات مرة على عرش قسنطينة الكسيرة و لو لعدة أيام فقط.

ولعل المعاملة السيئة و السلوك المشين الذي انتهجه بعض الحكام الأتراك هو الذي جعل العديد من رؤساء القبائل يناصبون الحكام الأتراك العداء و يتمنون إزاحتهم، ليس حبا للفرنسيين كما سيتضح ذلك لاحقا من شهادات الضباط العسكريين أنفسهم[168]، و لكن انتقاما من أولئك المتجبرين الظلمة في رأيهم طبعا و بعدها سيكون لكل مقام مقال...

فسكان مدينة المدية على سبيل المثال كانوا قد ضاقوا ذرعا من تصرفات جند الحامية التركية و من خليفة أحمد باي، ولذلك سارعوا بدورهم إلى طلب المساعدة من الجنرال فوارول و يرجون منه التدخل لتخليصهم من "حزب الأتراك " و خليفة أحمد الباي محمد الخوجى الذين كانت إساءاتهم للأهالي لا تحتمل... لكن الفرنسيين الذين كانوا قد تعلموا من خلال تجاربهم التي عاشوها خلال الحملتين العسكريتين على المدية سنتي 1830/1831[169] لم يحاولوا التدخل آنذاك لأنهم ببساطة لم يكونوا مستعدين لتوجيه حملة عسكرية أخرى ضد الحامية التركية بالمدية[170]، و اكتفى الجنرال فوارول بالرد على طلب سكان المدية بقوله :"عليكم بالصبر و المقاومة إلى حين نتمكن من

---

165 - **Julien:** op. cit, p.279
166 - **Id.**
167- Gabriel Esquer: **Correspondance du Général Voirol (1833-1834)**, op. cit, pp.427-429.
168 - G.G.A: **Correspondances du Général Rovigo, T.1**, op. cit, p.28
169 - **Idem:** p.11
170 - **Idem:** p.318

مساعدتكم بكل جدية"[171]. و دعاهم بعد ذلك إلى انتظار قرار الحاكم العام الذي من دون شك سيعمل علـى إيجـاد السبل الكفيلة لضمان حمايتهم و تخليصهم من الأتراك الظالمين[172].

3-شيـخ العـرب

فرحـات بن سعيد:

وليت الأمر كان بهذا الشكل في مقاطعة الجزائر فقط بل حتى في الصحراء بالشرق الجزائري كـان هنـاك شيخ العرب فرحات بن سعيد الذي عزله أحمد باي قسنطينة عن قيادة القبائل عام 1826 فأثر ذلك على الرجـل و جعل منه العدو اللدود لباي قسنطينة خاصة و للأتراك عامة، و لم يعد ينتظر سوى سـاعة الانتقـام لنفسـه حتـى يسترجع هيبته و سلطانه، و من أجل ذلك كتب هو أيضا إلى الدوق روفيغو يطلـب منـه المسـاعدة و المسـاندة لاسترجاع حقه المهضوم[173].

ولم تكن ظروف الفرنسيين تسمح يومها بالتدخل عسكريا في قسنطينة و لذلك لم يلق طلبه الآذان الصـاغية، لكن شيخ العرب هذا بقي شاقا عصا الطاعة في الصحراء على حاكم بايلك قسنطينة الذي كان يعاني من تحرشـات الفرنسيين و تقاعس الباب العالي عن نصرته، لكن الظروف تغيرت و أصبح الفرنسيون يسعون إلى فتح قسـنطينة لبسط نفوذهم الكامل بالشرق الجزائري، بعد أن تمكنوا من عقد هدنة مع الأمير عبد القادر المقاوم العنيد للفرنسيين.

و حلت سنة 1837 و عزم الفرنسيون على مهاجمة قسنطينة للمرة الثانية بعد أن فشلوا في تحقيـق هـدفهم سـنة 1836، و جهزوا لذلك جيشا بقيادة الجنرال دامريمون **Damrémont** الذي سارع شيخ العرب إلى مكاتبته مذكرا إياه أنه ما يزال على عهده من حيث كرهه و حقده على الباي و يشكره في نفس الوقت على تعيينه حموده بن شيخ البلاد "قايد" على الصحراء و يخطره في نفس الوقت بأن الأهالي يشكرون الجنرال على حسن اختياره لشخص القايد الذي لم يدخر وسعا في سبيل مساعدة و رعاية شيخ العرب في كل ما يحتاج إليه[174].

وعندما وصلت الجيوش الفرنسية إلى قسنطينة و بدأت حصارها بتاريخ 1837/10/01 خرج شيخ العـرب على رأس جيش قوامه ألف فارس و آخرون انضموا إليه بالقطاع القسنطيني مساندين و مؤيدين، فكتب إلى الجنرال يخطره بمقدمه على رأس أتباعه و هو يتمنى له النجاح في مسعاه، و يخبره أيضا بأن سفره دام ثمانية أيام قبـل أن ينزل عند أهل قبيلة أولاد عبد النور[175]، حيث ينتظر تعليمات سيده الجنرال.

و تشاء الصدف أن يقتل قائد الحملة العسكرية الجنرال دامريمون يوم 1837/10/11 أثناء تبادل إطلاق النـار مـع المقاومين الأحرار في قسنطينة و الذين أبدوا مقاومة بطولية للحصار الجهنمي الذي قاده الفرنسـيون فـي حملـتهم الثانية ضد المدينة العتيدة.

وأخذ الماريشال فالي القيادة العسكرية للحملة خلفا للجنرال دامريمون، و بعد أن اطلع على المراسلات التـي كانت تصل القيادة العامة وجد من بينها رسالتي شيخ العرب فرحات بن سعيد، فبادر الماريشال بالكتابة إليه بتـاريخ 1837/10/25[176] طالبا منه الحضور بين يديه للاتفاق و التعاون معه، كما يشكره أيضا و يشكر القبائل التي وقفت معه و ساعدته في مسعاه الرامي إلى مساندة الفرنسيين الذين لا ينسون أصدقاءهم!... و يعده بالمساعدة التي يرغب فيها هو و جميع القبائل الموالية له[177].

---

171 - **Idem**: p.328
172 - **Idem**: p.734
173 - **Idem**: p.28
174 - G.G.A: **Correspondances du Maréchal Valée**, op. cit, pp. 14-15
175- قبيلة أولاد عبد النور تقع مضاربها في الجهة الغربية لقسنطينة بحمام قرقور حتى مضارب الوادي: Idem. p.15
176- - تولى فالي الحكومة العامة بتاريخ 1837/10/25 بالنيابة ثم صار حاكما عاما بصفة رسمية ابتداء من 1837/12/01 و استمر في منصبه ذاك حتى 1840/12/29. و خلال هذه المدة واصل مجهوداته من أجل تطبيق سياسة الاحتلال المحدود الذي انطلق منذ عام 1834.
177 - G.G.A: **Correspondances du Maréchal Valée**, op. cit, pp. 15-16.

وكان أول عمل فكر فيه الماريشال فالي و قام بتنفيذه هو تنظيم القطاع القسنطيني من حيث تطبيق السياسة الخاصة بمعاملة الأهالي الجزائريين، تلكم السياسة التي صارت فيما بعد تطبق على مستوى كل الأقاليم و الجهات بكامل القطر الجزائري.

وكانت هذه السياسة ترتكز أساسا على إسناد إدارة البلاد إلى شخصيات وطنية نافذة لها وزنها بين الجزائريين تحت إشراف القائد الأعلى للإقليم، حتى لا تحكم فرنسا البلاد حكما مباشرا يسبب لها من المتاعب و المصاريف ما يمكن الاستغناء عنه.

فالماريشال فالي عندما قسم السلطة و وزعها على عدة رؤساء، إنما كان يريد أن يتجنب الخطأ الذي ارتكبته السلطات العسكرية في منطقة القطاع الوهراني عندما عقدت معاهدة التافنة التي زادت إلى حد بعيد من نفوذ الأمير و وسعت من رقعة سلطانه.

فقرارات 30 سبتمبر 1830 كانت بمثابة نقطة انطلاق لعلاقات الفرنسيين مع الشخصيات التي لها نفوذ في القطاع القسنطيني و هي التي ركزت دعائم ذلك التنظيم.

و كان عدد هؤلاء الأعيان من الشخصيات النافذة خمسة و هم:

ابن عيسى، حملاوي، علي بن با أحمد، مقراني و فرحات بن سعيد الذي عوضه بوعزيز بن قانة سنة 1840.

و الحقيقة أن هذه الشخصيات لم تكن من الموظفين بالمعنى الكامل، و الأصح أن نسميهم حلفاء و عملاء للفرنسيين، و قد كان لهم حرس خاص يضمن حمايتهم. و من المهام الأساسية التي كانوا يقومون بها خدمة لأسيادهم الفرنسيين هي جباية الضرائب و تعيين شيوخ القبائل[178].

ولعل المؤرخ لويس رين هو من حدد بدقة و وضوح نوعية الخدمات التي كانت تؤديها العائلات الكبرى و بالمعنى الأصح هذه الشخصيات المتحالفة و المتعاونة مع الغزاة الفرنسيين، هذه الشخصيات التي ضمن لها القرار الصادر في سبتمبر 1830 كامل الامتيازات في القطاع القسنطيني لأن المصالح السياسية و الاقتصادية منسجمة و متبادلة بين الغزاة و العملاء وفي ذلك يقول رين: " لم تكن الإدارة الفرنسية في حاجة إلى رجال الإدارة و لا إلى موظفين، بل كان الفرنسيون في حاجة إلى حلفاء من ذوي الجاه و السلطان، أي إلى أناس يمكن بما لديهم من حسب و نسب و شخصية قوية مؤثرة أن يكونوا خير واسطة بين المحتلين و بين الأهالي الجزائريين الذين استطاع الأمير عبد القادر أن يؤثر فيهم باسم الإسلام. و قد يكون من البلادة أن يتوقع الفرنسيون من هؤلاء الحلفاء الذين لم يكونوا يحلمون بهم، شيئا آخر غير الدعم السياسي و العسكري.......... و كذلك كان الأمر"[179].

4- ابن قانة شيخ العرب البسكري:

إنه حليف آخر للفرنسيين تعاون معهم بدافع من الأنانية و حب الذات و السعي الأعمى إلى تحقيق السلطان لأنه من طينة من طبع الله على قلوبهم حب التسلط، ذلك هو شيخ العرب البسكري ابن قانة الذي كان أقل شهرة من مصطفى بن اسماعيل و أقل سعيا منه نحو المجد العسكري، غير أنه عرف بمحاربته لخليفة الأمير عبد القادر في منطقة ميزاب الحسن بن عزوز الذي سبق ذكره، و ابن قانة هذا عندما حارب خليفة الأمير ارتكب حماقات شنيعة ضد السكان الموالين لخصمه كما ذكر المؤرخون الفرنسيون، حيث قطع هذا الحليف الأخر للفرنسيين 500 زوج من آذان الناس الذين قتلهم أو أسرهم... و بعث بهذه الأذان إلى الجنرال غالبوا **Galbois** الذي كافأه على عمله الفظيع هذا في حق الموالين للأمير عبد القادر و الرافضين للوجود الفرنسي في البلاد، و ذلك بأن سلمه 50.000 فرنك مع الكثير من الهدايا... و قلده وسام ضابط الشرف[180]... ".

---

[178] - **Augustin Bernard**: L'Algérie,op. cit, pp.197-199.

[179]- **مصطفى الأشرف**: مرجع سابق، ص ص. 60-61

[180] - Paul Azan: **L'Emir Abdelkader**, op. Cit, pp. 111 et suivantes.

ومن سوء حظ الجزائريين و حظ كل من زعيمي المقاومة بالشرق الجزائري و غربـه أن تكالـب عليهمـا المناوئون لهما فقد كان شعور كل واحد من المنافسين أنه الأحق بقيادة المقاومة و زعامة الرجال. و كانت النتيجـة أن تمكنت فرنسا من القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري و بعده بقليل كانت نهاية مقاومـة الحاج أحمد باي قسنطينة[181]. و أما باقي المنافسين فقد انطفأوا الواحد بعد الآخر كزبد البحر على الشاطئ لأن هدف كل واحد منهم كان هو القضاء على الآخر ليخلو له الجو و لذلك تحالفوا مع الفرنسيين بالفرسان المحـاربين قصـد الإطاحة بالخصم، فحب السلطان أعمى بصائر هؤلاء الضيعفة نفوسهم و الذين غدوا وراء المجد الزائف يلهثون، فلم يبق لهم من ذكر سوى أنهم شاركوا في جراح و آلام أبناء جلدتهم.

ومما يوضح ضعف نفسية ابن قانة و أنانيته أنه استسلم للفرنسيين عندما لاحظ توالي الهجمات على الحـاج أحمد خاصة بعد الحملة العسكرية التي قادها الجنرال نيغـري في ماي 1838 و الذي أرسل إلى باي قسنطينة يطلب منه الاستسلام، فتظاهر ابن قانة أنه يسعى ليكون واسطة بين ابن أخته الحاج أحمد و الفرنسيين. و لكن الحاج أحمد رفض ذلك دون أن يثني خاله عن عزمه على الاستسلام[182]. و لعل الحاج أحمد كان يريد التخلص من مشاكل خاله و أطماعه المادية التي لم تكن لتنتهي عند حد معلوم.

و يتضح ضعف ابن قانة هذا يوم أن غدر بابن أخته الحاج أحمد الذي انهزم أمام جحافل الفرنسيين فـي قسنطينة بتاريخ 1837/10/13. ذلك أن الحاج أحمد بعد هذه الكارثة فكر في محو الهزيمة فاستدعى قادته البـاقين واقترح عليهم تكوين زمالة تضم أمتعتهم و أفراد عائلاتهم و التوجه بهم إلى الجنوب حيث وسائل الحماية متـوفرة، ثم يتوجه الرجال بعد ذلك إلى التمركز في الطريق الرابط بين قسنطينة و عنابة ليقطعوا الاتصال بـين الفرنسـيين، وبذلك يسهل عليهم طرد الأعداء من قسنطينة، لكن خاله ابن قانة عارض هذه الخطة بشدة و دفع بابن أخته الحـاج أحمد إلى محاربة فرحات بن سعيد أولا قبل التفكير في قطع الطريق على الفرنسيين[183].

واستمرهذا الشيخ العاشق للسلطة والتسلط يتعاون مع الغزاة حتى أنه في 1849/10/07 كلفته السلطات العسكرية الفرنسية بجمع شيوخه وقواده(جمع قايد)بمحاصرة واحة الزعاطشة وزاوية الشيخ بوزيان مـن الناحيـة الجنوبية في انتظار التحاق بقية الفصائل العسكرية الأخرى وهذا عندما كـان الجـيش الفرنسـي بقيـادة الجنـرال هيربيون Herbillon يحكم الحصارعلى واحة الزعاطشة بهدف القضاء علىثورة الشيخ بوزيان وأتباعه[184]، وبذلك وجد شيخ العرب ابن قانة المتعاون مع الفرنسيين نفسه مرة أخرى يشارك في تحطيم رجـال ثـورة علـق عليهـا الجزائريون الآمال بعد أفول نجم المقاومين العنيدين : الأمير عبد القادر ، وأحمد باي.

ب-القياد و الباشاغوات:

إذا كانت القائمة طويلة حسب المصادر الفرنسية التي ما انفكت تتحدث عن المجندين فـي صـفوف جيشـها لاعتبارات عدة كالفقر و انعدام فرص العيش، و الإغراء و الظلم و الإهانات التي كثيرا ما كان يتعرض لها الفقراء من أبناء المداشر و القرى الذين كانوا يعاملون معاملة سيئة من طرف القياد و الباشاغوات و شـيوخ القبائـل[185]. فالحقيقة أن أغلب القياد و الباشاغوات و رؤساء القبائل لم يساهموا في التعاون مع الفرنسيين إلا خوفا أو مدفوعين إلى ذلك دفعا لأسباب كثيرة قد لا نجد لها تفسيرا واضحا بعد أن مضى عليها الدهر و طال عليها الزمن بالمتغيرات و الأسباب و المسببات، لكنه يكفي الاستشهاد على كل ذلك بما ورد على لسان أحد الجنـرالات المتعسـفين الـذين اشتهروا بما سفكوا من دماء الجزائريين لمجرد الشبهة، و هو الجنرال سـانت آرنـو « Saint-Arnaud » الـذي يعترف في مذكراته بعد فشل ثورة بومعزة بما يلي:" كل رؤساء القبائل الموالين لنا و المتعاونين معنا، و من دون

---

[181]- انتهت مقاومة الأمير عبد القادر عندما سلم نفسه و سيفه للفرنسيين في جامع الغزوات يوم 1847/12/27، أما الحاج أحمد باي فقد استسلم لحاكم باتنة في 1848/06/05.

[182]- **مذكرات أحمد باي، و حمدان خوجة و بوضربة**: مرجع سابق، ص ص 85-86.

[183] - **نفسه**: ص ص 76-77.

[184]- د/ يحي بوعزيز: ثورات الجزائر ...ص64

[185] - **Julien**: op. cit, pp 273-279

استثناء و على رأسهم "سيدي العريبي" قدّموا للثائر بومعزة وحركته المال و الرجـال و البـارود، و إنـه لمـن المحزن حقا، لو أن مجلس الحرب كشف عن ما هو مستور.... و جعل جروح تاريخنـا الإفريقـي مكشـوفة.... فحلفاؤنا من الأهالي الجزائريين دفعوا دائما حياتهم ثمنا لتعاونهم معنا نحن الفرنسيين[186].....

فالوطنيون الرافضون للاحتلال اغتالوا بالتقريب كل الرؤساء و القياد الذين نصبهم الفرنسيون، رغم تعسـف الفرنسيين في معاقبة كل من يشتم فيه رائحة العداء و المشاركة من بعيد أو من قريب في اغتيال هذا القايـد أو ذاك الباشا، فهذا الجنرال سانت آرنو يعترف: "لا أستطيع أن أحصي عدد القياد و الشيوخ الذين لقوا حتفهم لتعـاونهم مع الفرنسيين... فلقد كانوا مرفوضين و الجميع كان يتبرأ منهم، حتى أفراد عائلاتهم"[187].

ولما كان الفرنسيون متأكدين من رفض الجزائريين لهم، فقد كان كل تقارب بين الطرفين مستحيلا، ولذلك لم يكن فرض الاحتلال و السيطرة على البلاد ممكنا إلا بالقوة، مما جعل الضباط الفرنسيين يعيشون تحت هاجس خيانة الموالين لهم و المتحالفين معهم من الجزائريين كالقياد والباشاغوات... و لذلك أضحت أقل شبهة تبدو مـن هـذا أو ذاك تؤدي بالضرورة إلى قطع عنقه" من ذلك أن مشية أحد أولئك القياد أو الباشاغاوات يمكن أن تظهـر للجنـرال سانت أرنو على أن في الأمر شبهة و أن المشتبه فيه بصدد تحضير خيانة ما أو تحول في الموقـف، و مـن دون معلومات إضافية فإن الجنرال "يقتله كما يقتل الكلب" و لذلك غدا المتحالفون والمتعاونون مع الغزاة يطبقون أوامـر الجنرال سانت آرنو تطبقيقا حرفيا ومن دون مماطلة"[188].

ومن ذلك أن صبايحية وهران عندما كانوا يسيرون لمهاجمة مستغانم في ديسمبر 1839، قالت أم أحد القياد لابنها القايد: حان الوقت يا ولدي كي تتخلى عن الانتماء إلى حزب النصارى ، فأجابها القايد بكل أسى:" ولكنني إذا عدت إلى الأمير يا أماه فإن أيامي ستصبح معدودة..." فردت عليه الأم بقولها: "و لكنك يا ولدي ستموت مسلما"[189].

وعلى كل حال فقد كان الغزاة منذ استيلائهم على مدينة الجزائر يتعاملون مع الأهالي الجزائريين بشكل مريب و غير واضح، و يستوى في ذلك القادة العسكريون و السياسيون، بحيث أن الحكومة الفرنسية قد تقرر أمرا و قد تصل إلى اتفاق ما مع أي طرف، ثم عندما ترى أن ذلك الاتفاق لا يخدم أهدافها الاستعمارية فإنها سرعان ما تتخلص منه و من تبعاته بحجة أن ذلك الاتفاق كان انفراديا لقائد أو حاكم، لا يلزم تصرفه الدولة الفرنسية في شيء، ثم تسارع إلى عزله، مثل ما حدث مع الجنرال كلوزيل الذي تفاوض مع باي تونس بشأن تولي شقيقيه حكم قسنطينة و وهران، و لقد عزلت الحكومة الفرنسية الجنرال دي ميشال لأنه عقد هدنة مع الأمير عبد القادر الذي توسع نشاطه بعد ذلك في الوسط و شرق البلاد[190].

والفرنسيون في كل هذه التصرفات إنما يقصدون هدفا واحدا و هو: "إخضاع الجزائريين و إذلالهم". للسيطرة على البلاد و العباد و نهب الخيرات مهما كلفهم الأمر من استعمال لشتى الطرق و الأساليب من الغدر و الخيانة و الإخلال بالمواثيق و العهود، ثم بعد ذلك يرمون الجزائريين بالغدر و القساوة و الخيانة، و مما يوضح رؤيتهم هذه و سلوكهم هذا تجاه الجزائريين هو ما جاء في رسالة الجنرال فوارول إلى وزير الحرب الفرنسي "يخطره فيها بأن الجزائريين لا يؤتمن جانبهم، لأنهم من أكثر الناس خبثا و غدرا و قساوة... و مكرا"[191]، و كأني به يهيب بمن أخذت أرضه وهتك عرضه أن يكون بالغزاة مرحبا و بالمعتدين مهللا، إنه حقا منطق كل معتد غاشم !...

فالجزائريون لم يكونوا يوما مناوئين أو معادين و غير مرحبين بضيوفهم متى حضروا إليهم مسالمين غيـر معتدين، فلقد جاء النقيب لاموريسيير في شهر جويلية 1833 مصحوبا بفرقة عسكرية مـن الصـبايحية، و كـان

186 - Saint-Arnaud: **Lettres du Maréchal 1832-1854**, T2, 3e éd,
Eds: Michel Levy frères, Paris 1864, pp. 99-100

187 - **Julien**: op. cit, p.279

188 - **Julien**: op. cit, p.279

189 - Du Barail (Général): **Mes souvenirs, T.1**, op. cit, p.98. Voir aussi **Julien**: p.278

190 - Paul Azan: **Conquête et pacification de l'Algérie**, op. cit, p.108

191 - **Voirol**: op. cit, p.238

الفرنسي الوحيد بينهم، يريد التعرف على البلاد بين القليعة و البليدة، لغرض في نفس يعقوب طبعا، فلم يتعرض لـه أحد بسوء ما دام غرضه ظاهريا لا يضير أحدا. ثم إنه في شهر أوت من نفس العام يعني شهرا واحدا بعـد جولـة لاموريسيير، تنقل النقيب غيـار « Gaillard » إلى الحجوط حيث أقام عندهم مدة طويلة قابلوه خلالهـا بالرعايـة والإكرام[192].

مع العلم أن أهل الحجوط كانوا من أكثر القبائل المناوئة و المحاربة للوجود الفرنسي منذ غزو مدينة الجزائر عـام 1830 و استمروا في مجابهتهم للمستعمرين إلى ما بعد 1834 رغم ما لحقهم من أضرار وخسـائر فادحـة فـي الأرواح والأرزاق[193].

وقد أشاد الدوق دورليان الذي عرف بالنزاهة في الحكم بوطنية أولئك المناضلين فقال: "إن هؤلاء المناضلين الشجعان، ألحقوا بالفرنسيين من الأضرار ما لم تستطع قوات العدو الأخرى أن تلحقه بنا، و هم بـذلك يشـبهون الكزاك (الجيش الروسي الغير النظامي) فقد كان نصيبهم في تحطيم الجيش الإمبراطوري الفرنسي أكثر من نصيب كل الجيوش النظامية الأخرى... وعلى سبيل المثال فإن الفلاحين في ناحية حجوط حرمونا مـن النـوم، لأنهـم أجبرونا على أن نظل دائما في حالة استنفار... و لكن وفاة فارس واحد من بني حجوط، و هو الشـاعر *بوثلجـة* الذي لقي مصرعه في إحدى المعارك، كان موته خسارة كبرى بالنسبة إليهم، فقد كان *بوثلجة* بتجاوبه مـع ذلـك الشعب الثائر الذي يستمد عزيمته من تضحيات أبنائه، أصدق تعبيرا من جميع الشعراء، لأنه كـان أكثـر مـنهم إيمانا. و قد عبّر في قصائده الرائعة عن الألم الذي يحز في نفسه، و عن الوطنية التي آمن بها إيمانا صـادقا، و لذلك فإن الشبيبة العربية صارت تتناقل أشعاره. و قد كان هذا الشاعر في الرعيل الأول من المتطوعين من بنـي حجوط، إلى أن لقي مصرعه جنديا بسيطا على يد أحد الفرنسيين مثل "كورنير" ،و هكذا مات كـل منهمـا وهـو يحارب من أجل وطن كان يتمنى أن يراه عزيزا منيعا. و مات الشاعر *بوثلجة* و الوطن كان ما يزال على حاله من البؤس و الشقاء"[194].

وعلى كل فإن المصالح الاقتصادية عادة هي التي تسير الناس و توجه سلوكهم، ذلك أنـه عنـدما انـدلعت انتفاضة 1871 التي عبر من خلالها الجزائريون عن امتعاضهم مما نالهم من الظلم و الاضطهاد على يد القيـاد، و صاروا يتخوفون على حياتهم و أمنهم الغذائي من مزيد النهب و الحيف الذي كانوا عرضة له، سارع القياد أمثـال: محند السعيد بن علي الشريف أمزيان و محمد الصغير ابن قانة و ميهوب بن شنوف إلـى السـلطات الفرنسـية وعرضوا خدماتهم لمساعدة المستعمرين في سحق الثورة ليبقى الحال على حاله، و مما يدل على هذا أن ابن قانة ومن كان على شاكلته قالوا في الخطاب الذي وجهوه إلى الوالي العام بتاريخ 18 مارس 1871 ما يلي: "لقد بـدأنا نخدم الحكومة الفرنسية منذ عهد بعيد و سنظل نواصل القيام بواجبنا بإخلاص تام و نية صادقة كمـا كنـا فـي السابق، ما بقيت الحكومة الفرنسية في الجزائر و حتى و لو لم يبق من يمثلها في الجزائر إلا شخص واحد مـن رعاياها، فسوف نظل له خاضعين خضوعا تاما. و قد علمنا أن محمد بن أحمد المقراني تمـرّد علـى الحكومـة الفرنسية، فمهما يكن من أمره فإننا سننفصل عنه منذ هذا اليوم، و سنحاربه كما لو كنا فرنسيين"[195].

[192] - **Voirol**: op. cit, p.09

[193] - **Idem**: pp. 614-616.

[194]- **مصطفى الأشرف**: مرجع سابق، ص ص 88-89.

[195] - Louis Rinn: **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie,**
Ed: Adolphe Jourdan, Alger 1891, p.184

ملاحظة: أول شيخ للعرب كان في خدمة فرنسا بالقطاع القسنطيني هو فرحات بن السعيد الذي تعاون مع الماريشال فالي بعد ايام قليلة من دخول الفرنسيين مدينة قسنطينة في 1937/10/13 يليه شيخ العرب بوعزيز بن قانة الذي جاء إلى قسنطينة في منتصف ديسمبر 1838 و لم يبدا عمله مع الفرنسيين حتى 1839/01/18.

ج- شهادات و آراء الضباط العسكريين

عن المجندين الجزائريين:

عندما نستعرض ما قيل عن المجندين خاصة و الجزائريين عامة إبان الحقبة الاستعمارية الفرنسية و خاصة المرحلة الأولى للاحتلال، نجد أنفسنا وجها لوجه أمام تحرش استعماري خطير، لأن كل الوثائق المعتمدة في كتابة تاريخ هذه المرحلة يعتمد فيه على ما ترك من كتابات فرنسية متحيزة في أغلب الأحيان و هذا ما ينجر عنه بالضرورة تغليط أي باحث... فحتى المتمرسين من المؤرخين الذين بإمكانهم أن يخدموا الحقيقة قد يجدون أنفسهم ضحية هذا الزيف و التضليل الاستعماري المقصود.

ولذلك نؤكد على أن كل ما سنورده من شهادات الضباط العسكريين و آرائهم حول المجندين الجزائريين و كذا المتعاونين مع الغزاة من الأهالي إنما نسوقه بكل تحفظ ، و ذلك بدافع الاطلاع على هذه الأراء في المجندين المغرر بهم في الكثير من الأحيان، دون مشاطرة أولئك العسكريين الفرنسيين آراءهم.

لأن هدف الضباط العسكريين واضح جدا فنظرتهم إلى المجندين الجزائريين و كذا إلى المتعاونين معهم لا تختلف كثيرا عن نظرة الجزار إلى كبشه السمين. فعندما يمدحه فإنما ذلك بقصد الفخر و الثناء على نفسه و على إنجازه العظيم... ثم إن هذه الآراء تكرس في أغلب الأحيان النظرة الاستعمارية إلى كل ما هو على هذه الأرض، و الهدف طبعا هو خدمة الوجود الفرنسي في هذه البلاد لا غير... و ما الولاء و الإخلاص و التفاني في خدمة الأمة الفرنسية من طرف أولئك المجندين الذين زج بهم في معارك و حروب طاحنة لم تخدمهم وأهاليهم في يوم من الأيام. و ما الولاء و الإخلاص في الخدمة من طرف المجندين و المتعاونين إنما يدخل في إطار خدمة العبيد لأسيادهم. و ما الاستعمار الفرنسي في الجزائر إلا من أجل الاستغلال الفاحش لكل الطاقات البشرية و الاقتصادية للبلاد خدمة للتوجه الاستعماري الاستيطاني البحت. فهل بقي للفرنسيين بعد هذا مجال للتشدق و التبجح......................؟

وعلى هذا الأساس أقول بأن كل مقدم على كتابة تاريخ هذه الحقبة أو غيرها من الحقب التي عاشها الجزائريون تحت الهيمنة الاستعمارية الفرنسية خاصة، عليه أن يتحرى الحقيقة بقدر المستطاع من خلال ما يمكن أن يستشفه من زلات وقع فيها المؤرخون الفرنسيون أنفسهم سواء عن قصد أو عن غير قصد، من خلال شهاداتهم و آرائهم حول أي وضع من الأوضاع التي عاشها الجزائريون آنذاك.

كما يمكن كذلك أن نستخلص بعض الحقائق من خلال مذكرات و رسائل غير رسمية كتبها الضباط لذويهم، و لم يروا حرجا في ذكر الحقيقة بعيدا عن الرسميين مثل ما ذكر الماريشال سانت آرنو في رسائله لذويه حيث وصف لهم أبشع المواقف التي عاشها و أفظع المجازر التي ارتكبها في حق هذا الشعب الذي وجد نفسه تحت مقصلة الجلادين و القتلة الذين ارتدوا سرابيل العسكريين و علقوا على صدورهم أوسمة الدفاع عن شرف فرنسا و خدمة إمبراطوريتهم...

ولعل أحسن مثال عن هذه الحقيقة التي نبحث عنها بخصوص المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي هو ما ذكره المؤرخ الفرنسي جوليان حين قال: " إن الشباب الجزائري الذي سعى إلى التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، كان عبارة عن شتات و حثالة من المغامرين و المضطهدين"

إن الفيالق العسكرية بالجيش الإفريقي كانت ابتداء من عام 1831 لا تضم في صفوفها سوى العناصر الأوروبية من المجرمين و القتلة الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية بالسجن مع الأشغال الشاقة و لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات، و في العام الموالي كانت الفيالق الخفيفة للمشاة من الجيش الإفريقي تتكون كلها من هذا الصنف[196].

فماذا يمكن أن ينتظر المرء من جيش عناصره مريضة سادية جعلت من القتل هواية لا وسيلة للدفاع عن الشرف.؟

أما المتعاونون مع الفرنسيين من الجزائريين و كذا المتحالفون فقد كانوا عادة من القياد و الباشاغوات المجبرين على هذا السلوك أو ذاك لسبب أو لآخر، و هذا ما عبر عنه الجنرال سانت آرنو حين صرح قائلا:" إن

---

[196] - **Julien**: op. cit, p.273

الأهالي الجزائريين الذين تعاونوا معنا كانوا مضطرين إلى ذلك، لأن قلوبهم في الحقيقة كانت مع الوطنيين الثائرين من بني جلدتهم. بدليل أنهم كانوا يزودون أولئك المقاومين بالرجال و المال و البارود"[197].

وعندما نتحدث عن المجندين الجزائريين الأوائل في صفوف الجيش الفرنسي يتبادر إلى الأذهان، الفرسان الزواويون الذين مثلوا النواة الأولى لأولئك المجندين، ثم يأتي بعدهم فرسان قبائل الدوير و السميلة بقيادة زعيمهم الآغا مصطفى بن اسماعيل.

وهذا الصنف من المجندين الأوائل استغله العسكريون أولا ثم المؤرخون ثانيا للدلالة على أن للفرنسيين منذ بداية الغزو متعاونون معهم و متحالفون ضد مواطنيهم لأنهم في حقيقة الأمر كانوا مقتنعين مسبقا من أن الفرنسيين إنما جاؤوا لهذه البلاد من أجل تمدينها و ترقيتها إلى مصاف الأمم المتحضرة على شاكلة الشعوب الأوروبية. في حين أن مصطفى الأشرف يورد شهادة عقيد فرنسي يدعى فوري الذي أوضح من خلال مقولته عكس ما كان يدعيه المستعمرون الفرنسيون، و خاصة المتعصبون منهم... و مما جاء في شهادة الكولونيل فوري ما يلي: " لم يخطر ببالي أن أرى ما رأيته من تجمعات سكانية في جبال بني بوعيش و بني بومالك، إن بيوت السكان هناك ليست أكواخا متناثرة و متباعدة عن بعضها بل هي عبارة عن قرى أشبه ما تكون بقرانا في فرنسا، فهي مرتبة أحسن ترتيب و كلها محاطة بحدائق و حقول مترامية الأطراف من أشجار الزيتون... و قد اندهشنا كلنا أمام تلك المناظر الطبيعية الخلابة. إلا أن الأوامر كانت صارمة. و أحسبني أديت مهمتي على أكمل وجه فقد دمرنا جميع القرى و الأشجار و الحقول تدميرا كاملا... والخسائر التي ألحقها طابورنا بأولئك السكان لا تقدر... و إذا تساءل البعض: هل كان عملنا خيرا أم شرا؟ فإني أجيبه بأن هذه هي الطريقة الوحيدة لإخضاع هؤلاء السكان و إجبارهم على الرحيل..."[198].

و كثيرا ما كانت عمليات تجويع السكان من طرف بعض الضباط توصف بأنها بطولات عسكرية رائعة من ذلك ما قاله نفس الضابط يعني فوري حين ذكر أيضا:" إن محاصرة ذروة الجبل الذي أهلكنا فيه عددا كبيرا من السكان بالجوع و العطش لتعد من البطولات العسكرية الرائعة"[199].

وبإمعان النظر في المجندين الجزائريين المتعاونين و المتحالفين مع الفرنسيين الذين مثلوا بحق النواة الأولى للمجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، نجد بأن جلهم كان على شاكلة الزواويين الذين كانوا يعملون و لمدة عشرات السنين في السلك الإضافي للجيش الإنكشاري قبل الغزو، و فرسان قبائل الدوير و السميلة كانوا بدورهم يعملون في إطار رجال المخزن التابعين لباي وهران، أما زعيمهم مصطفى بن اسماعيل فقد كان آغا في عهد الأتراك و منذ زمن بعيد...

و بعد الغزو الفرنسي الذي أدى إلى سقوط حكومة الداي وجد اؤلئك المحاربون أنفسهم في مواجهة ظروف لم يكونوا مستعدين لها على الإطلاق... فزعيم الزواويين مثلا اتفق مع الفرنسيين على تجنيد فرسانه في صفوف الجيش الفرنسي، مع أنه كان بإمكانه أن يجد صرفة أخرى لفرسانه الألفين غير تجنيدهم في صفوف الجيش الفرنسي؟!... مع العلم أن هذه الفصائل الزواوية كانت ستجد نفسها وجها لوجه أمام القبائل التي كانت تفرض عليها جباية الضرائب و تجبرها على دفعها أيام حكم الداي. و الناس عادة ما يخافون و يأتمرون بأمر الحاكم ما دام في موقف قوة، بغض النظر عن عدله أو تسلطه، أما إذا تغير الحال و أصيب الحاكم بالوهن و الضعف، انقلبت عليه العامة و سعت إلى تدميره.

وقبائل الدوير و السميلة الذين كانوا متعودين على ضمان مهام رجال المخزن، و بواسطة عملهم هذا كانوا يضمنون لأنفسهم و لأهاليهم مصدرا للرزق، و سيادة قبائلهم على المنطقة. في حين أن زعيمهم مصطفى بن اسماعيل الآغا في عهد الأتراك وجد نفسه بين عشية و ضحاها رجلا عاديا عليه واجب الخضوع و الإنقياد لشاب

---

[197] - **Saint Arnaud**: op. cit, p.101

[198]- **مصطفى الأشرف**: مرجع سابق، ص 85.

[199]- **مصطفى الأشرف**: مرجع سابق، ص 85.

في مثل عمر أبنائه، و هو عبد القادر بن محي الدين المنتمي إلى أسرة من مرابطي الزوايا. و في نظر الآغا فإن أهل الزوايا طلبة علم، و ليس لهم في الحكم و السياسة أي نصيب.

و يتضح مفهومه هذا من خلال حملته العسكرية مع الفرنسيين على مدينة كوجيلات أو عش النسر، إذ بعد الاستيلاء على هذه المدينة و ما فيها من ذخائر، صعد مصطفى بن اسماعيل إلى أعلى التل و صاح بأعلى صوته: "يـا ابـن محي الدين يا عبد القادر... هذه البلاد لن تكون لك، فأنت مرابط زاوية، و أنا الجندي لا أطيـع و لا أخضـع إلا للجنود من أمثالي"

وعلى كل فإن بدايات تجنيد الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي كانت منذ التحـاق الفصـائل الزواويـة بالجيش الفرنسي مباشرة بعد سقوط حكومة الداي، و بالذات بعد الحملة العسكرية للكونت دي بورمون على البليـدة في 25 جويلية 1830 حين تكبد الجيش الفرنسي خلالها هزيمة نكراء هزت صفوفه معنويا و عسكريا[200].

و حينها سعى الفرنسيون إلى تجنيد فرسان الزواوة في صفوفهم، و كانت البداية صعبة لكلا الطـرفين: المجنـدين الجزائريين، و القادة العسكريين الفرنسيين، خاصة بعد انضمام المتطوعين الباريسيين إلى صفوفهم و الذين أضافوا إلى هذا الوضع الصعب تعقيدات شتى لأنهم كانوا عبارة عن خليط من الثوار الفرنسيين فـي ثـورة 1830/07/14 التي أطاحت بعرش الملك شارل العاشر. غير أن هذه التجربة أظهرت فشلها بعد أشهر قليلة، مما جعـل الجنـرال بيرتيزن الذي خلف كلوزيل على رأس الحكومة في الجزائر يسارع إلى إنشاء وحدات الزواويين من الأهالي فقـط، في حين أعيد إدماج هؤلاء الباريسيين ضمن فيالق إضافية للجيش الإفريقي و الذين شكلوا مـا عـرف بـالخط 67 الخاص بلواء المشاة[201].

وإذا كان الزواويون قد تم الاعتراف بسلكهم العسكري بصفة رسمية بقرار 21 مارس 1831، فإن الأمر لـم يكن اعتباطيا لأنهم سرعان ما برهنوا عن براعة عسكرية فائقة شهد لهم بها كل قادتهم العسكريين في معركة فـج الثنية بين البليدة و المدية حيث كاد الوضع أن ينقلب على الجيش الفرنسي إلى كارثة حقيقية[202].

فهؤلاء المجندون الزواويون تمكنوا من ضبط أنفسهم و ثبتوا في وقت أصيبت فيه عناصر بقية الفصائل العسـكرية الأخرى بالاضطراب العام، و كاد الوضع فعلا أن ينقلب إلى كارثة حقيقية لولا أن الزواويين تحـت قيـادة الرائـد دوفيفيي تمكنوا من حماية مؤخرة الجيش. و كان إلى جانب هؤلاء الزواويين سريتان للقناصة الجزائريين في السلك الزواوي حيث قاوموا و جابهوا مواطنيهم المقاومين بكل شجاعة و صبر، و بذلك حموا الطابور العسكري كله مـن كارثة حقيقية كانت ستؤدي حتما إلى هلاك الجيش كله "[203].

وعندما وصل الجنرال دي روفيغو إلى الجزائر في ديسمبر 1831 بصفته القائد الأعلـى لجـيش الاحـتلال الإفريقي الذي لم يكن يتعدى تعداده آنذاك 11 ألف جندي و 400 ضابط والوضـعية العامـة للجـيش كانـت دون المتوسط من حيث الجوانب المادية و النفسية . عمد الجنرال روفيغو عند ذاك إلى سياسة المهادنـة مـع الأهـالي الجزائريين، و الظهور أمامهم بمظهر المتحضر الذي يسعى إلى الرفع من مستواهم الحضاري و الثقافي، و لـذلك اقترح على الحكومة في باريس أن تزود هذه المستعمرة –الجزائر– بالمطبعة العربية التي جيئ بها من مصر، فهي من دون شك ستقدم الكثير للجزائريين الذين سيستعملونها في طبع الصحف العربية، و ستقرب الأهالي الجزائـريين من الحضارة الأوروبية[204].

وفي نفس الوقت لم ينس هذا الجنرال من أن يقترح على السلطات الفرنسـية أن ترسـل 7 آلاف أو 8 آلاف جندي إضافي إلى الجزائر، حتى يرعب وجودهم الأهالي الجزائريين فيتقربون أكثر من الفرنسـيين، ثـم يضـيف

---

200 - **Rovigo**: op. cit, pp.4-5
201 - **Huré R. (Général):** op. cit, p.19
202 - **Rovigo**: op. cit, p.11
203 - **Huré R. (Général):** op. cit, p.19
204 - **Rovigo**: op. cit, p.13

ملاحظة: ذكر **جوليان** أن الجيش الفرنسي عام 1831 قد توسع حتى و صل إلى تعداد 18000 جندي، و استمر في الازدياد حتى بلغ تعداده 108000 جندي سنة 1846 و هذا يعني أن السلطات في باريس عملت باقتراحات روفيغو إذ ارسلت في البداية 7000 أو 8000 جندي التي طلبها هذا الجنرال ثم واصلت على نفس النهج... أنظر جوليان ص 270.

روفيغو قائلا و هو الذي ما انفك يستعمل سياسة الجزرة و العصا في محاولة منه لفرض هيمنة فرنسا على الجزائريين بأي شكل من الأشكال:" إذا كانت فرنسا لا تستطيع الاستغناء عن هذا العدد المطلوب فإنه من اللائق بها الاعتراف بأننا غير قادرين على الاحتفاظ بالجزائر"[205].

وبسبب المرض اضطر روفيغو إلى مغادرة الجزائر وحل مكانه الجنرال فوارول الذي ضمن بوجوده مهام القائد الأعلى بالنيابة لجيش الاحتلال الإفريقي، حيث واصل عمله على نفس النهج و المنوال خاصة و أن تعليمات حكومة باريس كانت تشدد على ضرورة الاحتفاظ بالمواقع دون محاولة للتوسع في مناطق أخرى من البلاد نظرا لنقص الإمكانيات المادية والبشرية، حيث كانت الحاميات العسكرية في الجزائر العاصمة و ضواحيها، و كذا حاميات عنابة و وهران، تكلف حسب رأيهم الدولة الفرنسية أموالا باهضة.

وبما أن الجنرال فوارول كان أيضا من أنصار الاحتلال الشامل للقطر الجزائري، فإنه أصدر تعليماته إلى النقيب لاموريسيير بصفته رئيس أول مكتب عربي، و حثه على أن يكون مع الأهالي لينا و متعاونا[206]. كي يتمكن من التغلغل في أوساط الجزائريين من دون تكاليف؟...

وأثناء تطبيق هذه السياسة الرامية إلى جلب الأهالي بالحيل و المكر وقع اختياره على الرائد دوفيفيي ليكون قائدا على منطقة بجاية بعد أن كان هذا العسكري قد أسس فرقة من الزواويين في بجاية قبل مارس 1831...؟ و طلب من الحكومة الفرنسية بعد ذلك أن تزوده بجنود إضافيين حتى يتمكن من السيطرة على المنطقة.

وهذا ما دعا الحاكم العام بيرتيزن إلى طلب العناصر الأوروبية لتجنيدها في صفوف فرقة الزواوة التي أسسها دوفيفيي، لكن الذي حدث نستشفه من خلال ما ذكره هذا الضابط في تقريره بتاريخ 1832/02/06 حيث قال: "عوض أن يبعثوا إلينا شبابا أقوياء و عناصر طيبة من الفرنسيين يمكنها أن تعطي المثل الأعلى للأهالي الجزائريين أرسلت إلينا هذه الحكومة جنودا سكارى و بلهاء، و عسكريين قدامى في الخدمة العسكرية يتسمون بعيوب كثيرة من فساد أخلاقي... إلى رذائل كثيرة لا تذكر... و أكثر هؤلاء الجنود كانوا ذوي عاهات جسدية... فأعطوا للجزائريين نظرة سيئة عن أمتنا، و ستسري العدوى في صفوف هؤلاء الزواويين الذين اخترناهم بكل عناية، و هذا بالطبع سيعطل التقدم الحضاري الذي نسعى إلى تحقيقه في أوساط الأهالي، و لحسن الحظ فإن هذه الحثالة من الجنود تمثل نسبة قليلة وسط الزواويين[207]".

أما رأي دوفيفيي في المجندين الزواويين الجزائريين فيتضح في قوله: "لا أتحدث عن الزواويين بصفتهم جنودا، و لكنني أتحدث عنهم بصفتهم و سائل معنوية للقضية الفرنسية في الجزائر، فهؤلاء المجندون المتعلقون بشخصي عاطفيا، و محاربتهم إلى جانبي – مواطنيهم- المسلمين الذين يحاربونني باسم الجهاد المقدس، لدلائل قوية على أن الإقلاع الذي نسعى إليه من خلال استمالة العديد من الجزائريين إلى صفوفنا قد تحقق فعلا...
إننا نستطيع الحصول على نتائج جيدة بالاستعانة بهؤلاء المجندين الجزائريين الذين يعرفون بلادهم جيدا و كذلك بفضل اعتدالهم في سلوكهم الرصين، إلى جانب قدرتهم على تحمل الإجهاد، إذا ما توفر لهم القائد المتفهم الذي لا ينتظر منهم فقط الطاعة الخرساء التي لا جدال فيها... و لكن ليلعب معهم دور الحكم في كل ما يعرض عليهم... [208]"

يبدو من خلال هذا التصريح أن الرجل قد فهم بشكل جيد أولئك المجندين الذين يمتازون بخاصيات قلما توجد عند غيرهم من الجنود، و لم يكتف بهذا فقط بل راح يشرح لمن يأتي بعده كيفية التعامل مع هذا النوع من المجتدين الجزائريين إن كان فعلا يرغب في الحصول على نتائج مرضية.

[205] - **Rovigo**: op. cit, p.12
[206] - **Huré. R**: op. cit, p.24
[207] - **Julien**: op. cit, p.276
[208] - **Julien**: op. cit, p.276

وكنتيجة عملية لإعجاب الفرنسيين بقدرات أولئك المجندين الجزائريين: "عمد الجنرال فوارول إلى تأسيس فرق صبايحية الفحص في ضواحي الجزائر العاصمة، بهدف مراقبة تحركات الثوار و المناوئين للوجود الفرنسي في البلاد.

ونفس الشيء سعى إليه الجنرال مانك دوزير "**Monk D'uzer**" حين أسس هو الآخر فرق الصبابحية غير النظامية في ساحة عنابة. و كلتا المجموعتين قدمت خدمات معتبرة في ميدان النظام العام، و كانت خدمات هذه الوحدات العسكرية حاسمة و ناجعة". [209]

أما عن قدرات المجندين الجزائريين فيما يخص النجاعة في القتال، و استغلال المواقع و المحافظة على الذخيرة الحربية، و التحكم في الأعصاب، و القدرة على الاستفادة من تضاريس الأرض خلال المعارك، فيلخصها الدوق دورليان الذي كان حاضرا إلى جانب أولئك المجندين في حملة كلوزيل العسكرية على مدينة معسكر عام 1835 حيث قال: "شخصيا أعتبر الزواويين من أحسن الفصائل العسكرية على الإطلاق... لقد ألحقوا أضرار جسيمة بالخصوم أكثر من كل عناصر الجيش مجتمعين... و مع ذلك لم يخسر الزواويون من الذخيرة الحربية (الرصاص – البارود) نصف ما كان بحوزتهم، لأنهم كانوا يعرفون كيف ينظمون أنفسهم في ساحة المعركة بشكل جيد، و هم لا يتسرعون في إطلاق الرصاص إلا عند الضرورة... فهؤلاء المجندون لهم ذكاء خارق و حاد في مثل هذه الحروب التي يخوضونها معنا منذ خمس سنوات"[210]

وما إن تمكنت فرنسا عام 1837 من عقد معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر حتى سارعت بحملة عسكرية على قسنطينة للمرة الثانية بغرض محو هزيمتها تحت أسوار المدينة العتيدة عام 1836، و دفعت القيادة العسكرية هذه المرة بفيالق الزواويين في الصفوف الأمامية تحت قيادة الدوق دي نمور ، حيث أبدوا مقدرة فائقة في خوض المعارك و أعطوا بذلك البرهان على قدراتهم العسكرية بشكل جعل كل الفصائل العسكرية المشاركة في هذه الحملة تنظر إليهم بإعجاب بسبب انضباطهم و نجاعتهم، مما زرع الثقة في صفوف الجنود الآخرين، وصلت حسب تعبير شارل جوليان : إلى حد الاحترام و التقدير لأولئك المجندين، و صارت المهمات الصعبة و المعقدة تترك للمجندين الزواويين الذين أشاد بخصالهم الجنرال سانت آرنو عندما كان قائدا للجيش الغازي آنذاك حيث قال: "هؤلاء الزواويون يمثلون بحق الحرس الإمبراطوري في إفريقيا- إنهم الحرس القديم"[211].

إن مثل هذه الشهادات التي قيلت عن المجندين الجزائريين لم تطلق جزافا أو مجاملة و لكنها كانت تعبيرا عن صفات ميزت أولئك المجندين عن غيرهم من الجنود الفرنسيين حيث وجد المجندون الجزائريون أنفسهم مضطرين إلى القيام بهذا السلوك القوي العنيد لأن القضية بالنسبة لهم: قضية حياة أو موت. و الشباب الجزائري في مختلف المحطات عبر عن قدرات فائقة، و حتى العناصر التي كانت تشتغل في إطار الخدمة العسكرية في عهد الأتراك كانت لها سمعة معترف بها من طرف الآخرين من ذلك شهادة قائد الحملة العسكرية على الجزائر في 1830 الكونت دي بورمون حين عبر عن هذا المعنى من خلال أمنيته في أن تقدم هذه العناصر خدماتها للفرنسيين فقال: "إن قبائل الزواوة التي قدمت للأتراك أفواجا من المحاربين، لقادرة على أن تقدم اليوم نفس الخدمات لفرنسا "[212].

وما يمكن فهمه من خلال هذه الشهادة هو أن الفرنسيين كانوا يتتبعون أخبار هذه الفصائل المحاربة التي كانت تتمتع بمواهب لم تكن موجودة في غيرها، و لذلك كان دي بورمون يتمنى أن تقدم هذه الفصائل خدماتها للفرنسيين.

فالجزائريون بصورة عامة كانت لهم مواهب عسكرية و قدرات فائقة في مختلف المجالات الحربية وهو ما عبر عنه الجنرال بيجو الذي تعرف عن كثب على زعيم الدوير و السميلة الآغا مصطفى بن اسماعيل الذي أهدى للفرنسيين عدة انتصارات بفضل مساهمته الفعالة في كل التدخلات، ضد أبناء جلدته من أتباع الأمير عبد القادر، و

---

[209] - **Huré. R:** op. cit, p. 24

[210] - **Julien**: op. cit, p. 277

[211] - **Julien**: op. cit, p.278

[212] - **Duruy. V:** op. cit, p.03

كذلك توجيهاته للقادة العسكريين الفرنسيين في تنظيم الفيالق و وضع استراتيجية محكمة لإدارة معركة الزقـاق... و كذلك قيادته للحملة العسكرية على كوجيلات مدينة الأمير عبد القادر. التي لو لم يكن هذا الرجل هو الدليل و الموجه لجحافل الغزاة، ما كانوا ليصلوا إليها أبدا، على الأقل في تلك الفترة.

و نظرا لمواهبه و قدراته العسكرية مدحه بيجو بقوله: "إن الآغا مصطفى بن اسماعيل رجل محترم و صاحب رأي جيد. و ليس مجرد رجل شجاع فقط"[213]

و في ختام هذه الشهادات نذكر بعض ما جاء في التقرير الذي وجهه الدوق دالماسي[214] إلى الإمبراطور: " إن التنظيم الجيد للمجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي أضحى أكثر من ضـرورة ملحـة و أساسـية للجزائر، فمنذ الأيام الأولى للغزو الفرنسي لهذه البلاد تأكدنا من فائدة ضم الجزائريين سـكان هـذا القطـر إلـى صفوفنا، ممن أظهروا استعدادا للدفاع عن القضية الفرنسية... لقد قدم أولئك المجندون الجزائريون خدمات جليلة للجيش الفرنسي في مختلف الأوقات و الظروف و تحت أسماء كثيرة و تشكيلات عسكرية مختلفة خاصة (المشاة و الخيالة) فأينما كانوا:" مختلطين مع الفرنسيين، و في كثير من الأحيان كانوا وحدهم و تحت أسـماء و أسـلاك مختلفة، و في جميع الظروف و الحالات، كان لهم في كل معركة حضور و شأن عظيم و نصيب كبير في تحقيـق الانتصار والنجاح... إنها حقيقة اعترف بها كل الضباط و القادة العسكريون... و كلهم يؤكدون على أن المجندين الجزائريين يقاومون أحسن من الجنود الأوروبيين في المناطق غير الصحية فهم يتحملون الحرمان، و الإجهاد، و السير الطويل لمسافات طويلة، كما أن لهم القدرة الفائقة على مراوغة الخصوم للتخلص منهم بفضل ما لديهم من استعدادات بدنية... و لمعرفتهم للبلاد و شعابها... و في كثير من الأحيان تصاب عناصـر الفصـائل الفرنسـية بالضعف و الإجهاد و الوهن... بينما يبقى المجندون الجزائريون محافظين على لياقتهم. و التجربة أوضحت بـأن معاملة الجزائريين باللطف و العطف و العدالة تجعل منهم الأوفياء المخلصـين لرؤسـائهم و ضـباطهم... أمـا التشكيلات المطلوبة... فهي تأسيس لواء من المجندين الجزائريين لكل مقاطعة لكي نضمن أكثر فـأكثر، عمليـة السيطرة على هذه المستعمرة و بأقل التكاليف، و نعطي بذلك الفرصة لأنفسنا لكي نقلـل مـن تعـداد العناصـر الفرنسية في الجيش الإفريقي، دونما تخوف.. و نحن بذلك نحفظ أبناءنا من الآلام و الأتعاب التـي مـا انفكـوا يتكبدونها بكل شجاعة و صبر..."[215].

و الحقيقة أن الإمبراطور لم يكن بحاجة إلى من يذكره بميزة أولئك المجندين الجزائريين أو الفائدة المرجوة من وراء تنظيمهم في سلك عسكري خاص بهم، لأن السياق العام للفرنسيين قادة عسكريين و سياسيين كـان منـذ 1830 يسير في الاتجاه الإيجابي نحو التنظيم الكلي للفصائل و الفرق المحاربة من الجزائريين بما يخـدم مصـلحة فرنسا من حيث الجانب العسكري و السياسي أو ما يخدم الشـعب الفرنسـي مـن حيـث الجانـب الإجتمـاعي و الاقتصادي.

والفرنسيون عامة مهما اختلفت مشاربهم و آراؤهم إلا أنهم كانوا في كل مرة يلتقون في نقطة يتفـق عليهـا الجميع و هي المصلحة العليا لبلادهم و لخير أمتهم. فيا حبذا لو أخذ كل المسؤولين السياسـيين والإداريـين فـي بلادنا من أولئك "الذين استعمروا أراضينا و استنزفوا خيراتنا و استغلوا الطاقات البشرية الشابة في بلادنـا" هـذه الميزة الصحية و هي أن الكل يعمل من منطلق موقعه على ما فيه خير البلاد و العباد في الجزائر.

وعندما نلاحظ ما جاء في آخر تقرير الدوق دالماسي من مطالبته بتأسيس فيلق للرماة الجزائريين فـي كـل مقاطعة من المقاطعات الثلاث للوطن الجزائري، ندرك أنه يسعى بطبيعة الحال إلى تأمين مصلحة بلاده فرنسا بأقل التكاليف حتى يخفف الأعباء عن كاهل وزارة المالية.

---

[213] - **Lespes. R:** op. cit, p.11

[214]- **الدوق دالماسي** تحصل على رتبة ماريشال عام 1847 . عمل وزيرا للحرب و الخارجية خلال السنوات 1830-1832 و تقلد منصب رئيس مجلس الدولة خلال السنوات 1832-1839/1840-1847.
أما اسمه الكامل فهو Jean de Dieu Nicolas Duc de Dalmatie Soult (1769-1851)

[215] - **Duruy. V:** op. cit, p.07

أما من حيث الجانب الاجتماعي فيهدف هذا التقرير إلى التخفيف من عناء أبناء الشعب الفرنسي في الجيش الإفريقي حفظا لأجسادهم من التعب و الإجهاد و لحياتهم من أن تصاب بسوء، و طبعا دون أن يؤثر ذلك على أمن الوجـود الفرنسي في البلاد الجزائرية ما دامت القلة القليلة منهم هي التي تشرف على التنظيم و التوجيه و المراقبة، حتـى لا تتسرب إلى المجندين الجزائريين أفكار "وطنية" قد لا تتفق مع التوجه العام لسياسة فرنسا في الجزائر.

وبذلك واصل الفرنسيون سيطرتهم على البلاد و العباد قائمة مع إخضاع ما تبقى من الأقاليم الخارجـة عـن سلطانهم، و لهم في ذلك كمساعد متين، القوة التقنية (سلاح ، وجيوش) و العقل المدبر(حيل وخداع ومراوغة)....

فهـ - - - - - - - -ل مـ - - - - - - - - - -ن واع و مـ - - - - - - - -تعظ!؟.................................

د-خلاصة الفصل الأول:

لقد كانت الحاجة دائما هي أم الاختراع أو لنقل هي الدافع الأساس لكل عمل يقوم به الانسان فردا كان أو جماعة، من ذلك فكرة تجنيد الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي الذي وجد نفسه في أمس الحاجة لأن يستعين بالعناصر المحلية، و كذلك كان الحال بالنسبة لفرسان قبائل الزواوة الذين وجدوا أنفسهم بحاجة إلى الخدمة في الجيش، لأنهم كانوا منذ عشرات السنين يضمنون بعملهم في صفوف الجيش الانكشاري في عهد الأتراك موردا للرزق لأنفسهم و لأهاليهم، خاصة و أن القبائل الزواوية البربرية كانت تقطن سفوح جبال الظهرة بالأطلس التلي حيث المسالك الوعرة و التي لا توفر لساكنيها سوى القليل من زيت الزيتون التي كانوا يقايضون بها ما يحتاجون إليه من سلع في مدينة الجزائر.

و كان الغزو الفرنسي لمدينة الجزائر و انسحاب الفرق الزواوية من ساحة المعركة بعد استسلام الداي، ألم يبق أمام أولئك الزواويين، أي عمل أخر يسندون به ظهورهم غير العمل في إطار الخدمة العسكرية تحت لواء الغزاة...؟

أما بالنسبة للفرنسيين فلم يبق لهم من مفر يلتجئون إليه غير الاستعانة بأية جهة كانت للخروج من الوحل الذي هم فيه بعد أن تعرضوا لهزيمة نكراء على يد زعيم قبائل الفليسة الذي كان قد اشترط على الفرنسيين عدم التدخل في حياة السكان أو محاولة احتلال بلادهم، و لكنه عندما لا حظ على الفرنسيين عدم احترامهم للعهود، انقض على جيش دي بورمون العائد من حملته العسكرية على البليدة.

و كان التوافق بين القادة الفرنسيين و الزعماء الزواويين في المصالح هو الذي ساعد على إبرام الاتفاق الخاص بتجنيد الفرسان الزواويين في صفوف الجيش الفرنسي و بذلك تحصل كل طرف على مبتغاه... و صادف أن الوطن الجزائري صار يعيش في فوضى سياسية عامة بعد سقوط حكومة الداي، و لم يوجد في البلاد من يجمع شمل المقاومين في جبهة واحدة، و كان الفراغ السياسي الذي تركه رحيل الأتراك السريع من البلاد قد فتح المجال واسعا كي يسعى كل شيخ قبيلة أو حاكم منطقة ما... لأن يطلب الزعامة لنفسه، فما كان من القادة العسكريين الفرنسيين آنذاك إلا أن استغلوا هذه الأوضاع لترتيب أمورهم في الجزائر الجريحة.

وبالإضافة إلى قبائل الزواوة نجد بعض القبائل الأخرى التي كانت تشتغل في عهد الأتراك بفرسانها في جيش المخزن الذي كان مكلفا بحماية الأمن في المناطق البعيدة عن مراكز البايات، و كذلك لجمع الضرائب من القبائل التي كانت تؤدي ما عليها من أتاوات و ضرائب و هي راضية أو مجبرة كما هو حال شيخ توقرت الذي رفض دفع الضرائب لأحمد باي بمجرد أن أحس بضعف الحاكم بعد سقوط العاصمة في أيدي الفرنسيين، بل سعى إلى التحالف مع الغزاة للإطاحة بالحاج أحمد باي قسنطينية.

بالطبع فإنه لم يكن من الفرنسيين إلا أن ساعدوا هذه القبائل على مواصلة عملها تحت حكمهم كما كان الحال عليه في العهد التركي مثل قبائل الدوير و السميلة الذين بمقتضى اتفاقية 1835 مع الفرنسيين ضمنوا بفرسانهم ما عرف بشرطة الأقاليم الواقعة تحت سيطرة الفرنسيين، و مراقبة القبائل الأخرى و تحركاتها و كانوا بذلك قد أسسوا ما عرف فيما بعد بفرق القومية التي كانت تقف إلى جانب الفرنسيين في حملاتهم العسكرية على مواقع الأمير عبد القادر، و كذلك مجموعة يوسف المملوك التونسي الذي أسس هو الآخر فرقة من المحاربين الذين شاركوا في الغارات على المواطنين الرافضين للاحتلال الفرنسي للجزائر. كل هذه المشاركة الفعالة، و الخزينة المالية الفرنسية لم تخسر فلسا واحدا، ما دامت هذه الفصائل من المحاربين تمول نفسها بنفسها كما كانت عليه في العهد التركي.

و هناك صنف آخر يضاف إلى ما ذكرناه سابقا و هو تعاون بعض القياد و الباشاغوات مع الفرنسيين سواء عن قصد أو عن غير قصد، فكل واحد منهم كان يعتقد أنه بتحالفه مع الفرنسيين يكون هو الرابح في النهاية ما داموا يساعدونه على فرض سلطانه على المنطقة أو الإقليم الذي يرغب في الاستحواذ عليه، و يضمن له حلفاؤه الفرنسيون المحافظة على السلطان و على المصالح..................................!

وفي نهاية المطاف يجد هؤلاء أنفسهم عملاء للفرنسين من حيث لا يشعرون، و عندما يدرك أحدهم جسامة الموقف يكون الوقت قد فات، و بالتالي يصبح من العسير عليه تغيير الموقف أو المعسكر مثلما أكد ذلك أحد القياد ،

لأمه التي طلبت منه التخلي عن مساندة الكفار... فرد عليها بحسرة و ألم: إذا عدت إلى الأمير يا أماه... فإن أيامي ستصبح معدودة.

وبالرغم من كل ما ذكر فإن بعض القياد والآغاوات الذين انقادوا للمستعمرين لسبب أو لآخر، و كـانوا مـع الفرنسيين متعاونين أو متحالفين فإنهم في حقيقة الأمر كانوا يضمرون في نفوسهم عكس ما كانوا يعملون. ذلـك أن الوطنية و حبهم لدينهم و أمتهم لم ينقطع أبدا إذ بقي في قلوبهم متغلغلا و في دمائهم ساريا، و هذا ما عبر عنه أحد الجنرالات المعروفين بسفكهم لدماء الجزائريين بشكل فظيع استنكره حتى المؤرخ الفرنسي جوليان الذي يقول عنـه أنه كان يقتل لمجرد الشبهة، ذاك هو الجنرال سانت أرنو الذي قال عن المتعاونين و المتحالفين مع الفرنسـيين مـا يلي: "كل رؤساء القبائل الموالين لنا و المتعاونين معنا و من دون استثناء كانوا يقدمون لثورة بومعزة و حركتـه المال و الرجال و البارود.

فالاسلام الذي كان يملأ قلوب بعض أولئك المتعاونين رغم فترات الضعف لم يسمح لهم بنسيان : أن المنكـر يجب أن يغيره المؤمن بيده أو بلسانه فإن لم يستطع فبقلبه... فعملوا على تغيير المنكر و نصرة إخوانهم بما تـأتى لهم، و ظهر لهم ذلك ممكنا في تلك الظروف.

ويواصل الفرنسيون تجنيد كل من أمكن تجنيده من الجزائريين، مستغلين ظروفهم الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية. و أسس الفرنسيون من أولئك، النواة الأولى للفرق العسكرية المشكلة من الجزائريين تحت مظلة الجـيش الفرنسي، و هم بذلك يضربون عصفورين بحجر واحد. فمن جهة يجمعون ما أمكن جمعه من الشباب تحت مظلتهم عوض تركهم في الفضاء الواسع حتى لا يسعى أولئك الشباب الثورة على الأوضاع المتردية ، و من جهة أخـرى يجعلون منهم دروعا بشرية لحفظ أبنائهم من هجمات المقاومين أو ضربات الأعداء والخصوم عنـد قيـام الجـيش الفرنسي بحملات عسكرية ضد القبائل المناوئة للاحتلال.

وبذلك كان المجند الجزائري هو الذي يدفع الثمن غاليا لأنه هو الذي يواجه إخوانه المقاومين للغـزاة، فـإن تقاعس عن الدفاع عن نفسه و عن المجندين من أمثاله قتله أبناء وطنه المقاومون و هم في ذلك محقون، و إن عزم هذا المجند في صفوف الفرنسيين على التراجع إلى الخلف أو الهروب من ساحات المعارك كـان الفرنسـيون مـن ورائه بالمرصاد لكل تحرك مشبوه وبذلك يقتلونه كما يقتل الكلب المسعور، و هكذا وجد أولئك المجندون أنفسهم في وضع حرج بعد أن خسروا أهاليهم وأنفسهم ، وذلك مصير كل خائن لأمته ووطنه والعياذ بالله من شر الخاتمه.

و يستمر الفرنسيون في اصطياد الشباب الجزائري لتجنيده في صفوف جيش الاحتلال سواء عن طريق الإغراء أو الترهيب... و لهم في سبيل تحقيق ذلك: حلفاء متعاونون معهم وموالون لهم من الجزائـريين و موظفـو المكاتـب العربية التي أنشؤوها خصيصا لهذا الغرض.

وبازديـاد أعـداد المجنديـن في صفـوف الجيـش عمـد العسكريـون الفرنسيـون إلى إنشـاء أسـلاك و فـرق عسكريـة خاصـة بالجزائريـن يدعمـون بهـا أكثر فصائلهم العسكرية في مختلف الأسلاك. و بـذلك يخففون أعباء الإجهاد والموت عن أبناء جلدتهم. و ذلك ما سنراه لاحقا من خلال ما يتناوله الفصـل الثانـي.

الفصل الثاني:

الفرق العسكرية المشكلة من الجزائريين

والقوانين التنظيمية من 1830- 1900

أولا:

إنشاء الفرق العسكرية:

النظامية.الملحقة 1830-1841

1-الفرق الزواوية

2-فرق القومية

3-القناصة الجزائريون

4-الفرق الصبايحية

5-سلك الرماة الجزائريين

ثانيا:

أ- القوانين المنظمة لفرق المجندين الأهالي: 1830-1841

ب- التعديلات التنظيمية لسلك المجندين الجزائريين: 1841- 1900

ثالثا:

أ- توافد المجندين الجزائريين على الجيش الفرنسي: 1830- 1900

المرحلة الأولى: 1830-1841

المرحلة الثانية: 1841-1855

المرحلة الثالثة: 1855- 1900

ب- شهادات وآرء الضباط العسكريين الفرنسيين عن المجندين الجزائريين:

ج- خلاصة الفصل الثاني

الفرق العسكرية المشكلة من الجزائريين

و القوانين التنظيمية 1830 -- 1900.

لعلني لا آتي بشيء جديد إذا قلت بأن الضبـاط الفرنسيـن بفضل ما أوتوا من ذكاء وخداع وحيل وقدرة فائقة على المراوغة تمكنوا من قيادة وضبط المجندين الجزائريين في صفوفهم رغم أنهم كانوا غربـاء ويختلفـون عنهم دينا و لغة ، وقد كنت في غير ما موضع من هذا البحث أجد القادة العسكريين يعترفون و يقرون بفضل أولئك المجندين الجزائريين و دعمهم للجيوش الفرنسية منذ بداية تجنيدهم. لأنهم كانوا يمتازون بالشـجاعة و الإقـدام و الصبر على المكاره..

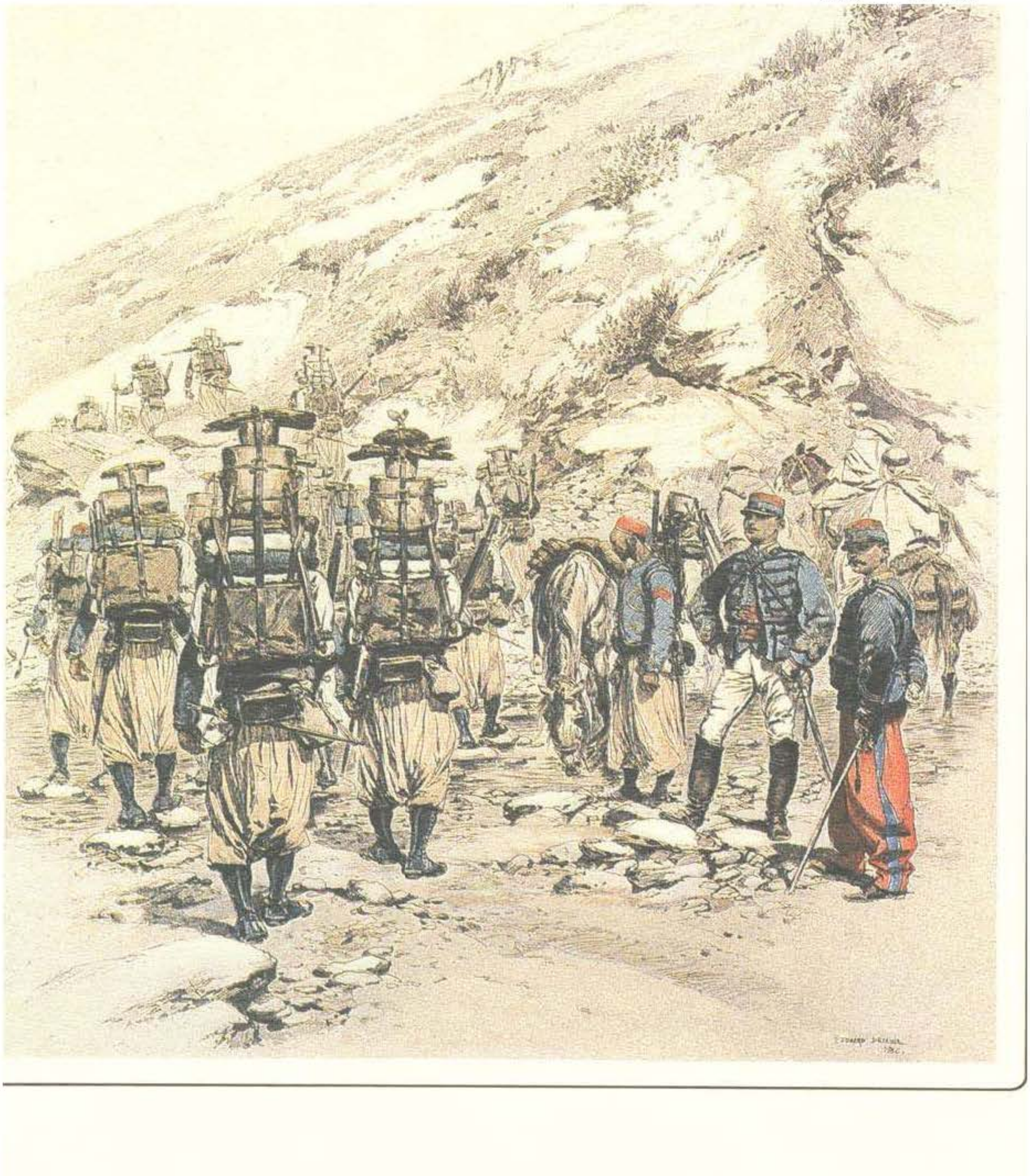

Tirailleurs algériens en colonne en 1886 (Edouard Detaille).

و قد أشاد الفرنسيون بأولئك المجندين في مختلف الحملات العسكرية سواء منها التي حققوا فيها انتصارات حاسـمة مثل انتصار بيجو بجيوشه المدعمة بالقومية من فرسان الدوير و السميلة في معركة الزقاق فـي جويليـة 1836 و

التي كانت بمثابة ضربة قاسية لقوات الأمير عبد القادر، أو خلال الحملة العسكرية الثانية على المدية في 03 جويلية 1831 و التي كادت أن تتحول إلى كارثة حقيقية للجيش الفرنسي لولا صبر و ثبات المجندين الزواويين و وقـوفهم بقوة في وجه المقاومين الجزائريين الذين كادوا يفتكون بهذا الجيش، خاصة بمؤخرة طوابيره[216] و هذا مـا جعـل القادة العسكريين الفرنسيين يهتمون أكثر بهذا النوع من المجندين الجزائريين.

و دعم المجندين الجزائريين للجيش الفرنسي في كل الحملات العسكرية التي تلت الغزو الفرنسي لبلادنـا عام 1830 و حتى نهاية القرن التاسع عشر التي شهدت السيطرة الفرنسية التامة علـى جزيـرة مدغشـقر، هـذا الحضور القوي للمجندين لا يمكن أن ينكر أو يطمس، و هذا باعتراف القادة العسكريين و الضباط الفرنسيين الـذين لم يكونوا يتحرجون من التنويه بأولئك المجندين الأشداء إلا أنهم بالمقابل أي الفرنسيين يشعرونك من دون تصريح بالقول: *"أنهم هم القادرون على خلق الروح القتالية في نفوس المجندين لأنهـم أي الفرنسـيين يعرفـون كيـف يوجهون الولاء و الطاعة لصالح الدولة و الوطن الأم (فرنسا)* ".

فرجل السياسة الفرنسي و رجل الميدان العسكري كلاهما يتقن فن المعاملة و يعرف كيف يتعامل مع هـذا المجند أو ذاك الجندي في إطار الخدمة الوطنية ، و بذلك يتمكنان من الدفع به إلى أتون المعركة ليضـحي بدمـه وحياته في سبيل المصلحة العليا لفرنسا بعد أن يكون الجندي قد درب على الانضباط و الطاعة لرؤسـائه...فهـذا الإمبراطور نابليون الثالث خرج لتوديع الحرس الإمبراطوري حينما كانت عناصره متوجهة إلى الحرب فـي شـبه جزيرة القرم بتركيا ، فخاطبهم بقوله: *الجيش هو النبل الحقيقي للبلاد*"[217].

و مما يلفت الانتباه في هذه الحالة هو أن الفرنسيين الذين غـزوا الـبلاد منـذ 1830 عـرف ضـباطهم العسكريون كيف يتعاملون مع أوضاع المجندين الجزائريين المنضوين تحت لوائهم. وعرفوا كيف يوجهونهم نحو ما يخدم المصلحة العليا لفرنسا، و عرفوا كيف يفتحون بهم العديد من الأقاليم في مختلف القارات في العالم ، بـالرغم من أن صاحب الكتيب "الإسلام في الجيش الفرنسي" الملازم الأول الحـاج عبـد الله أشـار: "إلـى أن المجنـدين الجزائريين كانوا يتعرضون للإهانة و الحقرة في الترقية و المعاملة، ومع ذلك كان الضباط الفرنسيون يتمكنون من الزج بهم خلال المعارك ووضعهم في الصفوف الأمامية"[218].

إلا أن ذلك كله لم يكن يثير أولئك المجندين في صفوف الجيش الفرنسي بشكل يبعث علـى الاهتمـام أو يعصـف بمقومات العلاقة التي كانت تجمع بين المجندين من جهة و المستخدمين لهم من جهة أخرى، لأن الضباط الفرنسيين يعرفون كيف يضغطون و يرهبون صف الضباط من الجزائريين بشكل يجعلهم كالدمى في أيديهم، و عندما يكـون هناك خلاف بين صف الضباط الجزائريين و المجندين العاديين يتدخل الضباط الفرنسيون طبعـا، و يكونـون فـي منتهى اللطف و اللياقة مع الجنود البسطـاء، لتعم النقمـة و يسود الحقد و الاستكنار و الكراهيـة بـين المجنـدين الجزائريين و صف الضباط من بني جلدتهم، و بهذا يضرب القادة الفرنسيون عصفورين بحجر واحد...

و على كل فإن المجندين في صفوف الجيش خدموا تحت سلطة الفرنسيين بشكل عادي لـم يعـرف معـه الضباط العسكريون أية مشاكل تذكر أو نقائص ذات بال، إلا في حالات نادرة سرعان ما تعود بعدها الميـاه إلـى مجاريها. و ما كان هذا الأمر ليتم بسهولة لولا أن القادة العسكريين الفرنسيين عرفوا المجندين حق المعرفـة ؟...، فعاملوهم بلطف و رقة[219] ، و استطاع أولئك العسكريون أن ينفذوا إلى أعماق نفـوس المجنـدين فـي صـفوفهم فسخروهم لأغراضهم و أهدافهم الاستعمارية فصار أولئك المجندون متفانين في خدمة فرنسـا بـإخلاص و كـانوا أوفياء لضباطهم و قادتهم العسكريين[220].

---

[216] - **Rovigo:** op. cit, pp.11-12.
[217] - Juin oclan: **Livre d'or des tirailleurs indigènes Algériens de la Provence d'Alger**, T.1, Ed: Bastide, Alger 1866, p.5.
[218] - Hadj Abdellah (Lieutenant): **L'Islam dans l'armée Française.** S.L.1915, pp.3-4. (B.N. d'Alger N°59642)
[219] - **Duruy. V:** op. cit, p.7.
[220] - **Lespes. R:** op. cit, p.9.

و عزاؤنا الوحيد في هذه الحالة، أن الأرض التي أنجبت طارق بن زياد و الأمير عبد القادر و ابن باديس وأبطال ثورة نوفمبر العظيم ، لقادرة على أن تنجب رجالا أقوياء غيورين على الوطن قادرين على قيادة الأمة بكل فئاتها، و استنفار مواطن القوة فيها، لابتعاث كوامن الحياة و دوافع العمل في الشعب الجزائري برمته و على الخصوص في رجاله الصالحين لخدمته حتى تعيش الأجيال القادمة في رخاء و افتخار. إن شاء الله رب العالمين.

ثم إن فكرة استخدام بعض الجزائريين مجندين في صفوف الجيش الفرنسي بدأت بشكل عملي و فعال مع مقدم الجنرال كلوزيل في سبتمبر 1830 الذي سار على نفس النهج الذي بدأه دي بورمون من حيث استقطاب الفرسان الجزائريين الذين صار الكثير منهم يسعى إلى الخدمة العسكرية من أجل الاسترزاق أو الهروب من اضطهاد القياد و الباشاغوات[221].

وقد كان الإتلاف العمدي لأشجار الزيتون و التين و تدمير المحاصيل الزراعية عن آخرها من مهمات، الجيش الفرنسي الغازي الذي لم يكن يغادر منطقة ما حتى يخربها و يدمرها عن آخرها، مثل ما ذكر العقيد ويستي سنة 1841 حين قال: *"إن عدد الدواوير التي* أحرقت والمحاصيل الزراعية التي أتلفت لا يكاد يصدق *فلم يكن أحدنا يرى على الجانبين من الطابور العسكري سوى النيران"* [222] و كل ذلك من أجل إعطاء السكان الذين كانوا مناهضين للاحتلال الفرنسي درسا قاسيا. و من هنا تحتم على بعض الناس الإقبال على الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي لضمان لقمة العيش لهم و لعائلاتهم. و بذلك وجد كل طرف ضالته في الطرف الآخر، فالمجندون من الأهالي يبحثون عن لقمة العيش، والفرنسيون من جانبهم كانوا يسعون إلى تجنيد الشباب في صفوف جيوشهم التي كانت تشكو النقصان في التعداد. و شجع ذلك التوافد على الجيش تأسيس عدة أسلاك عسكرية من الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي نستهلها بالحديث عن بدايات إنشاء هذه الفرق العسكرية.

[221] - **Julien :** op. cit, p.279.

[222]- **مصطفى الأشرف:** مرجع سابق، ص. 108.

أولا : إنشاء الفرق العسكرية

"النظامية-الملحقة" **1830-1841**

لقد عرفنا من خلال ما سبق أن المجندين الجزائريين الأوائل في صفوف الجيش الفرنسي قد تم استقطابهم من القبائل الزواوية منذ الأسابيع الأولى للغزو الفرنسي لمدينة الجزائر و ذلك بغرض تدعيم قوات الاحـتلال التـي كانت بحاجة إلى هذه العناصر المحلية.

و قد جاء هذا بعد الاتفاق الذي حصل بين القادة المحتلين و بعض الزعماء من القبائل الزواويـة و هـي أطـراف متناقضة، لكن المصالح هي التي جمعت بينهم على أساس أن الزواويين كانوا بحاجة إلى من يضمن لهم و لعائلاتهم مصدرا للرزق وهم المعتادون على التعاقد مع الجيش الإنكشاري منذ أمد بعيد قبل الغزو الفرنسي الأخيـر، ثـم إن رؤساء هذه القبائل كانوا بحاجة إلى من يضمن لهم السيادة على بقية القبائل الأخرى، في حين أن الفرنسيين كـانوا هم أيضا بحاجة إلى فرسان محاربين لبسط نفوذهم و الإسراع في الاستيلاء على بقيـة الأقـاليم الخارجـة عـن سلطتهم[223].

و قد أطلق الفرنسيون على أولئك المجندين في صفوفهم و الذين أبدوا استعدادات بدنية و قدرات عسـكرية ملفتة للانتباه اسم: "القناصة الجزائريون". و لقد عرف الفرنسيون كيف يستغلون هذه الطاقات البشرية فـي حـربهم الدامية في الجزائر حيث كانوا يبعثون بهم كسرايا استكشاف على أساس أنهم أهل البلاد وهم الأقدر على التعـرف على خفاياها و شعابها، و في نفس الوقت كان أولئك المجندون يمثلون الدروع البشـرية للفرنسـيين الـذين كـانوا يضعون المجندين في مقدمة الطوابير لتقلي الصدمات الأولى من المقاومين الذين كانوا ضد الوجود الفرنسـي فـي البلاد، و بذلك وفر الفرنسيون دماء أبنائهم، و تمكنوا في النهاية من الإجهاز على خصومهم بأقل الخسائر.

لأجل هذه المكاسب التي تحصل عليها الفرنسيون من تجنيد أولئك الجزائريين في صفوفهم راحوا يلحـون على حكومتهم في باريس أن تعمل على استصدار مراسيم لتنظيم هذا السلك العسكري نظرا للعجـز الـذي كـانوا يعانون منه في تعداد الجيش الغازي الذي لا يكفي للسيطرة على بلاد شاسعة مثل الجزائر و بهـا مـن الـوطنيين المقاومين ما يجعل كل القوى تتحطم أمامها. خاصة بعد أن تقلص تعداد جيش الاحتلال من حوالي أربعـين ألـف جندي عشية غزو مدينة الجزائر، إلى تعداد عشرة آلاف جندي، بعد أن تقدم كلوزيـل بتاريخ 06 سبتمبر 1830 إلى وزير الحرب الفرنسي يطلب منه تخفيض عدد الجيش الفرنسي في الجزائر، و تعويض النقص بسلك إضـافي مـن الأهالي الجزائريين.[224]

و لكي يتمكن الجنرال كلوزيل من تحقيق هذه الغاية عمد إلى تنظيم السلك الزواوي، و أمر أيضا بإنشـاء الحـرس الوطني المكون من الجزائريين و الأوروبيين، لكن الفكرة لم تتحقق لأن وزير الحرب لم يوافـق علـى المشـروع لاعتبارات خاصة بشؤون بلجيكا و إمكانية قيام حرب أوروبية.[225]

و لم يطل المقام بالجنرال كلوزيل في منصبه حتى يتم ما بدأه، إذ سرعان ما اغتنمت حكومة لويس فيليب فرصـة إبرام كلوزيل لاتفاقيته مع باي تونس دون الرجوع إليها، لتعزله وتسحب بعض قواتها من الجزائر مخافة أن يتورط القادة العسكريون في عمليات عسكرية توسعية لا قبل لحكومة باريس على مواجهتها.[226]

لكن القيادة العسكرية في الجزائر واصلت العمل من أجل إنشاء و تأسيس الفرق و الأسلاك العسكرية مـن المجندين، و كثفت نشاطاتها في هذا الميدان حتى تمكنت خلال عشرية من السنين من إنشاء خمسة أسلاك عسكرية، كان لها في العمليات الحربية للجيش الفرنسي شأن.... و أي شأن؟!.

[223] - Deladrière. P: **Coup d'œil sur l'armée d'Afrique,**
Ed: l'imprimerie militaire, plaine st pièrre, Paris:S.D., p.8.

[224] - **Idem:** p.9.

[225] - **Rovigo:** op. cit, p.6.

[226] - **Rovigo:** op. cit, p.7.

ذلك أن القيادة العسكرية الفرنسية في الجزائر بعد عشر سنوات من الغزو تمكنت من تأسيس سلك الرماة الجزائريين الذي صارت له مكانة معتبرة ضمن فصائل الجيش الفرنسي، هذه المكانة لا تقل أهمية عن السلك الزواوي الذي تم إنشاؤه مباشرة بعد الغزو، و به نستهل استعراض هذه الأسلاك العسكرية المشكلة من الجزائريين.

1-الفرق الزواوية

Les Zouaves :

لقد سعى الفرنسيون منذ بداية الغزو لمدينة الجزائر إلى تجنيد الفرسان الزواويين في صفوف جيوشهم، بهدف إعطاء نفس احتياطي ضروري للفرق العسكرية الفرنسية التي كانت بحاجة إلى تدعيم تعدادها لتكتسب بذلك القدرة على إخضاع المناطق التي بقيت رافضة للوجود الاستعماري في القطر الجزائري بعد سقوط حكومة الداي، "و في نفس الوقت كان القادة العسكريون يهدفون إلى خلق نوع من التقارب بين الجيش الفرنسي و المتعاونين معه، و هو هدف سياسي مهذب.[227]

و طلب القادة الفرنسيون من كل وجيه زواوي أن يقوم بالدعوة في قريته إلى انضمام شبابها لصفوف الجيش المحتل، و بدأت المساعي حثيثة نحو استقطاب العديد من الفرسان الزواويين، و كانت النتائج مشجعة إلى درجة أنه لم يكد الكونت دي بورمون يغادر الجزائر في نهاية شهر أوت 1830 حتى كان قد استمال العديد من الفرسان الزواويين إلى صفوف الجيش، ذلك أنه عند وصول الجنرال كلوزيل في سبتمبر 1830 كان عدد المجندين الحاضرين في الجزائر العاصمة قد بلغ خمسمائة جندي زواوي، الأمر الذي سمح للحاكم الجديد بعد ذلك بتأسيس فيلقين اثنين للمشاة، و كانا منفصلين عن بعضهما بحيث كان كل فيلق منهما يضم 06 كتائب تضم في مجموعها 397 مجندا بين ضباط و جنود و قد تم هذا التأسيس الأول من نوعه في تاريخ سلك المجندين الجزائريين بقرار مؤرخ في 1830/10/01، و أسندت قيادة الفيلقين لكل من النقيب موميل Maumel و دوفيفيي Duvivier.[228] و بقي الفيلقان يعملان بشكل مؤقت إلى حين صدور الأمرية الملكية المؤرخة في 21مارس 1831 التي تقرر بموجبها تأسيس هذين الفيلقين بصفة رسمية أطلق عليهما تسمية الجيش الزواوي **L'Armée des Zouaves**.[229]

و حددت هذه الأمرية الملكية تعداد عناصر كل فيلق من الفيلقين المذكورين بـ 29 ضابطا و 871 رجلا بين ضابط صف و مجند عادي...

Campement de Zouaves en 1886 (Edouard Detaille).

غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن هذه الأمرية قد منعت الضباط و صف الضباط الجزائريين من العمل ضمن صفوف الكتائب و الفصائل العسكرية الفرنسية الأخرى، و ذلك حتى لا يكون هؤلاء الضباط من الأهالي قادة أو رؤساء على الجنود الفرنسيين و الأوروبيين.[230]

و جاء مرسوم 07 مارس 1833 الذي أحدث تغييرا

[227] - **Deladrière. P:** op. cit, p.16.
[228] - **Huré. R**: op. cit, pp. 20-21.
[229] - Commissariat Générale du Centenaire de l'Algérie: **L'Armée d'Afrique 1830-1930**, Ed: Librairie de l'armée, Alger 1930, p.4.
[230] - **Duc d'Aumale**: op. cit, pp.21-23.

في تنظيم السلك الزواوي بحيث أن الفيلقين الذين كانا بالأمس منفصلين عن بعضهما، تم إدماجهما هذه المـرة فـي فيلق واحد بسبب الصعوبات التي كانت تعترض القيادة العسكرية في تجنيد الأعداد الكافية من الجزائـريين. "ربمـا يعود هذا النقص إلى ما حدث في الحملة العسكرية الثانية على المدية بتاريخ 03 جويلية 1831 و إحجـام الأهـالي بعدها عن التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي".

و أسندت قيادة الفيلق للضابط لاموريسيير Lamoricière ، و صار بذلك هذا الفيلق يضم 10 كتائب منها كتيبتـان فرنسيتان، و مدة عقد التجنيد بها كانت بالنسبة للأهالي الجزائريين قد حددت بثلاث سنوات قابلة للتجديد.[231]

و مما يلاحظ عن هذا الفيلق أنه صار يضم 38 ضابطا و 1245 جنديا، و كل كتيبة جزائرية من الكتائـب الثمانية يجب أن تستقبل في صفوفها 12 جنديا فرنسيا، كما أن الانتساب إلى كتائب الزواويين يكون عـن طريـق التطوع في صفوفهم لمدة ثلاث سنوات يمكن أن يضاف لها عام واحد بعـد موافقـة الجنـرال و نائـب المقتصـد العسكري، و لكي يكون هؤلاء المجندون تحت المراقبة الدائمة يمكن أن يدمج في كتائب الزواويين بعض الجنود من الكتائب الأخرى إذا اقتضت الضرورة ذلك.[232]

و بعد مرور عامين عن هذه الإجراءات التي مست سلك الزواويين و توفر عدد الراغبين في التجنيد صدر المرسوم المؤرخ في 1835/12/25 الذي حدد الميكانيزمات المؤسسة لفيلق ثان للزواويين تحت قيادة عميد، و صار كل فيلق يضم في صفوفه ست كتائب منها اثنتان فرنسيتان. غير أنه يمكن أن يصل عدد الكتائب في كل فيلق إلـى عشرة كتائب عندما تتوفر الإمدادات من المجندين الجزائريين. أما الفيلق الثالث من الزواويين فقد تم تأسيسه في 20 مارس 1837 و كانت النواة الاولى لهذا الفيلق جزءا من الحامية التركية في مشوار تلمسان هذه الحامية التي كانت " قد أظهرت صلابة في مقاومة هجمات الأمير عبد القادر و أتباعه، كما أظهرت قدرات عسكرية جيدة تحت قيـادة كافينياك **Cavignac** من خلال استماتة عناصرها في الدفاع عن تلمسان".[233]

و بهذه الإضافة الجديدة أصبح السلك الزواوي يتكون من ثلاثة فيالق و صار التعداد الحقيقـي لجنـود و إطارات الزواويين مفصلا كالآتي:

الفيلقان الأول و الثاني التابعان لمقاطعة الجزائر كانا يضمان 38 ضابطا و 1024 جندي منهم 758 جنديا فرنسـيا. أما الفيلق الثالث و هو الخاص بالقطاع الوهراني فقد كان يضـم 20 ضـابطا و 263 جنـديا مـنهم 193 جنـديا فرنسيا.[234]

و تم جمع تلك الفيالق ضمن لواء واحد مكون من ثلاثة فيالق لكل منها ست كتائب...وبهذا أنشـئ السـلك العسكري الخاص بالزواويين حسب المرسوم الملكي المؤرخ في 1837/11/11 حيث أعطيت قيادته لأحد الضـباط الفرنسيين برتبة عقيد.

و تواصل التحاق المتطوعين بالسلك الزواوي خاصة من فيالق الميثاق(La charte). و كان هذا الإثـراء المتواصل للسلك الزواوي نتيجة طبيعية للسمعة التي صار يكتسبها الزواويون منذ بدء عملياتهم العسكرية، إذ احتلوا مكانة مرموقة في الجيش الفرنسي بفضل الشجاعة و القوة و الخبرة التي كانت تتمتع بها جميع عناصـرهم، ممـا أهلهم بحق لأن يكونوا على رأس الجيش الإفريقي.[235]

و لم يكن بطبيعة الحال جميع القادة العسكريين الفرنسيين ينظرون إلى هذا السلك بعين الرضا، ربما يكون ذلك خوفا على مستقبل الجيش الفرنسي في خضم تنامي هذه القوة العسكرية في صفوفه .أولئك الزواويـون الـذين ربما كانوا سيحنون إلى استرجاع حرية بلادهم ؟. و قد يكون الأمر مجرد تحيز عنصري ، و من الذين كانوا غيـر

[231] - **Juin Oclan:** op. cit, pp. 5-6.
[232] - **Deladrière. P:** op. cit, p.18.
[233] - **Duruy. V:** op. cit, p.4.
[234] - **Deladrière. P:** op. cit, p.18.
[235] - **Idem:** p.19.

مرتاحين للسلك الزواوي نجد الماريشال فالي Valée الذي كان يدعو إلى إلغاء السلك الزواوي خاصة كتائب المجندين الجزائريين، لأنه حسب اعتقاده: " فإن عناصر الجيش الفرنسي كانت تتابع بحسرة و ألم مدى الإيثار الذي كانت توليه الحكومة لهذه الكتائب و الألوية الأجنبية، بسبب أو من دون سبب!.."

و لذا كان هذا الماريشال يسعى إلى ضم المجندين الجزائريين في فيلق خاص بـاللفيف الأجنبي، أما العناصر الفرنسية التي كانت تنتمي إلى السلك الزواوي فقد كان يهدف إلى أن يجعل منها لواء خفيفا.[236]

غير أن هذا الحل أو الإلغاء الذي كان يسعى إليه الماريشال فالي تحطم أمام السمعة الكبيرة و الطيبة التي كان يتمتع بها هذا السلك الذي كانت شعبيته قد أبهرت الجميع، مما جعله كالطفل المدلل وسط أسرته، و استمر هذا السلك العسكري في التطور المضطرد.[237]

و تقرر إنشاء لواء للزواويين في كل عمالة من العمالات الثلاث و هي: الجزائر، وهران، قسنطينة و ذلك بتاريخ 1841/12/07. و قد شاركت هذه الألوية العسكرية للزواويين في مختلف الحملات العسكرية داخل الوطن الجزائري و خارجه. و خاصة في حرب القرم 1854-1856 حيث تم إرسال فرقة عسكرية مؤلفة من 2000 جندي، و قد عرف الفرنسيون يومها كيف يوظفون الإسلام لإثارة الحمية و النخوة في نفوس أولئك المجندين الجزائريين الذين هبوا لنصرة الإسلام و المسلمين في تركيا، كما شاركت فرقة أخرى من الزواويين في حملة إيطاليا عام 1859...

و بعد الانتصارات الباهرة التي حققها الزواويون في مختلف المعارك و الحروب التي خاضوها في صفوف الجيوش الفرنسية، تم تعيين مجموعة من جنود الكتائب الزواوية في الحرس الإمبراطوري سنة 1863.[238]

أما و قد اكتمل تنظيم هذه الفرق في السلك الزواوي، و صار المقر الأساسي لهذا السلك في مدينة الجزائر، و كل فيلق من فيالقه صار يضم 9 كتائب منها كتيبة واحدة تتميز عن غيرها من حيث العدد و العدة أسندت قيادتها لنقيب و ملازم أول و ملازم.

و على كل فإن الفيالق الثلاثة نادرا ما كانت تلتقي لأن كل واحد منها صار ينتمي إلى قسم معين (Division) و يخضع لترتيباته الخاصة.

و السلك الزواوي بالرغم من كل التغييرات العديدة و التنظيمات المتتالية عليه إلا أنه بقي محتفظا بسمعته الرائدة في المعارك التي خاضتها عناصره الصلبة الذين قال عنهم الجنرال منتدون Montaudon هذا الرجل الذي قاد الزواويين في حرب القرم: " الزواويون سيقانهم فولاذية و هم بشوشون و دائما مطيعون، حيويون و نشيطون... نعم، يبدو أن للزواويين شيئا داخليا مثل القوة الذاتية التي تمنحهم الأمان و الثقة بالنفس، فلا شيء إذن يوقف سرعة سيرهم و تقدمهم نحو الهدف بحيث تراهم دائما يحثون السير وراء الفرسان الخيالة ".[239]

2- فرق القومية

:Les Goumiers

لم يكتف الفرنسيون باستغلال المجندين الزواويين في معاركهم الطاحنة التي كانوا يخوضونها ضد المقاومين الجزائريين بل عمدوا إلى إنشاء أسلاك أخرى فرضتها ظروف الحرب و مقاومة الجزائريين العنيفة للغزاة. و كانت من بين الفرق التي تعاونت مع الفرنسيين فرق القومية التي ساهمت بشكل كبير بزعامة الأغا

---

236 - **Duruy. V**: op. cit, p.4.

237 - Paul Azan: **L'Armée Indigène Nord-Africaine,** Ed : Charles Lavauzelle et Cie, Paris 1925, p.35. voir aussi **Duruy. V:** op. cit, p.6

238- **المبشر:** عدد 1865/4/22.

239 - **Gautherot Gustave**: op. cit, p.89.

مصطفى بن اسماعيل في تحطيم مقاومة الأمير عبد القادر بالقطاع الوهراني. حيث وجد الفرنسيون في القومية فصائل ملحقة بالجيش لا تكلف الخزينة الفرنسية أية مصاريف إضافية.

فلقد كان استغلال المجندين الأهالي في صفوف الجيش الفرنسي علامة مميزة للإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية في مختلف مناطق العالم التي احتلتها سواء أكان ذلك في المكسيك أو السنيغال أو جزيرة مدغشقر حيث كان للفرنسيين القدرة على تجنيد العناصر المحلية في صفوف جيشها بشكل يتضح عندما نستعرض تلكم الحروب الفرنسية التي أقحم فيها المجندون الجزائريون.

ففي بلادنا بعد سقوط حكومة الداي وجدت البلاد في حالة فوضى عارمة حيث لم يبق هناك من يستطيع الأخذ بأيدي المقاومين الذين لم يجدوا من يقودهم بشكل جماعي لإيقاف زحف الغزاة. فاجتهد كل واحد من الزعماء بطريقته الخاصة و راح ينظم مقاومة منفردة للحد من توغل الفرنسيين الذين كانوا يتفوقون على الجزائريين عددا و عدة، و تنظيما عسكريا حديثا.

و هناك من رؤساء القبائل من رأى أنه مسؤول عن أمن و سلامة عشيرته، و لن يتأتى له ذلك إلا في ظل من يراه قويا يستفيد من حمايته ماديا و معنويا. خاصة عندما يوفر له هذا الحاكم الجديد الحماية و يضمن له السيادة و البقاء على عرش القبائل. و فهم الفرنسيون ذلك بسرعة فاستغلوا الوضع المضطرب للجزائريين و دشنوا منذ البداية نظام الأهالي المؤيدين للحكم الفرنسي على حساب الأتراك الذين غادروا البلاد مضطرين تاركين الجزائريين مشتتين وراءهم يجابهون الغزاة.................

و بما أن هذه الفرق العسكرية من الأهالي المتعاونين مع الفرنسيين ليست نظامية و لا تمت بصلة إدارية أو تنظيمية إلى الجيش فقد كان و جودها يدعم العمليات الحربية للجيش الفرنسي دون أن تتحصل على أية حقوق مادية.

و كانت الفرقة التي كونها المملوك التونسي يوسف بماله الخاص تعتبر أولى الفصائل القومية التي عملت على تكريس الاحتلال الفرنسي للجزائر.وكان يوسف هذا دنيئا لا أخلاق له حسب المؤرخين الفرنسيين أنفسهم فقد عجبوا من أمر هذا الدنيء في سلوكه اللاأخلاقي الذي لا يمت بصلة إلى جرأة و أخلاق الجندي الأوروبي، و كان بأتباعه الكراغلة ممن ساروا في ركابه يشننون الغارات على الأهالي، و جعلوا من الإغارة على الناس هدفا و مكسبا، فهم إذن أقرب بأعمالهم تلك إلى اللصوصية منهم إلى العمل العسكري.[240]

و من بين القبائل التي انضمت إلى الفرنسيين و تعاونت معهم مقدمة خدماتها و ولاءها لجيش الاحتلال نجد قبائل الدوير و السميلة التي كانت تقع دواويرها في سهول مليطة بالجنوب الشرقي لمدينة وهران حيث كانت متحالفة مع الفرنسيين و ضمنت لهم بفرسانها ما عرف بالشرطة المسلحة للأقاليم المعترفة بسلطة الفرنسيين عليها و المرتبطة معهم باتفاقية 1835.[241]

و في معركة الزقاق خاض مصطفى بن اسماعيل المعركة إلى جانب الفرنسيين رفقة أكثر من 400 فارس قومي من أتباعه، الذين كانت لهم اليد الطولى في هزيمة جيش الأمير عبد القادر.[242]

و في الشرق الجزائري كان القومية من أتباع ابن قانة شيخ العرب البسكري على اتفاق مع الجنرال غالبوا الذي قدم الهدايا و الأموال لزعيمهم مكافأة له على "عمله الجبار" في محاربة أتباع الأمير عبد القادر... و باختصار نقول بأن القومية نوعان: فرق المشاة التي كانت تتقدم كتائب جنود الغزاة لإخضاع المناطق و الأقاليم التي استعصى على الفرنسيين إخضاعها. و فرق أخرى من القومية كانت تعمل كشرطة أقاليم تابعة للسلطة الفرنسية بغرض ضمان الحراسة و المراقبة لما يجري في تلك القبائل.[243]

و استمر هذا الصنف من القومية المتعاونين و المتحالفين مع الفرنسيين يساندون و يدعمون الوجود الاستعماري في مختلف مناطق القطر الجزائري حتى نهاية حرب التحرير 1954-1962، من ذلك أن العديد من

---

[240] - **Huré. R**: op. cit, p.26
[241] - **Julien**: op. cit, p.279.
[242] - Paul Azan: **Conquête et pacification,** op. cit, p.107.
[243] - **Julien**: op. cit, p.279.

أولئك القومية المجندين في صفوف الجيش الفرنسي يتصدى لأبناء وطنه خدمة للاستعمار و مصالحه الذاتية، مـن ذلك ما ذكره الباشاغا بوعلام في كتابه عن الحركى الذين كونت منهم فرنسا مجموعـة قـوات الشـرطة الثانويـة (F.P.A) بباريس وذلك بتاريخ 01 /1959/12. وقد كان ذلك باقتراح من السيد موريس بابون Papon، الحـاكم الأعلى للشرطة، وكانت هذه المجموعة من الحركى يؤطرها ضباط فرنسيون.

وخلال عامين فقط من مباشرة الحركى القومية عملهم ألحقوا خسائر فادحة في صفوف مجاهـدي جبهـة التحريـر الوطني بالعاصمة الفرنسية وضواحيها حيث تمكنوا من التغلغل في الأوساط الشعبية الجزائرية(العائلات، ورشـات العمل، مراكز الإيواء). ففي خلال مدة قصيرة تمكنوا من قتل 30 فدائيا تابعا لجبهة التحرير الوطني، و ألقوا القبض على 1189 مجاهدا آخر من بينهم 4 مسؤولين فيدراليين و2 من رؤساء الولايات، كما استرجعوا 380 قطعة سلاح منها 80 قطعة آلية و194 قذيفة متفجرة و40 قنبلة.

أما الحركى القومية فقد خسروا من جانبهم 24 قتيلا و76 جريحا خلال مواجهتهم ومعاركهم التي كانت تـتم فـي الشوارع بينهم وبين مجاهدي جبهة التحرير الوطني، كما كانت مراكز الحراسة الخاصة بهؤلاء القومية تتعـرض باستمرار لهجمات المجاهدين المتكررة.

ولكن بعد اتفاق توقيف القتال الذي تم بين الحكومة الفرنسية والحكومة الجزائرية المؤقتة فـي 1962/03/19. تـم إلغاء وحل هذا السلك الخاص بالحركى القومية. ولكن الحاكم العام للشرطة السيد موريس بابون رفض التخلي عـن هذه العناصر وجعل منهم حرسا للأمن الحضري ابتداء من 01 جويلية 1962.[244]

و في ذلك يقول *الباشاغا بوعلام* في كتابه الحركى في خدمة فرنسا: " لقد قدم الحركى أرواحهم في سـبيل نصـرة فرنسا منذ دخول الفرنسيين أرض الجزائر، و عليه فإنها مطالبة برد الجميل لهؤلاء على ما قدموه لها من خدمات و تضحيات جسام لا يقدرها إلا من عاش معاناتهم أثناء الصراع مع الثوار وحتى بعد استقلال الجزائر.[245]

ومع كل هذه المطالب وهذا التبجح بما قدمه الحركى والقومية لفرنسا منذ أن وطئت أقدام الغزاة هذا الـوطن الأبي إلا أنهم لم ولن يتخلصوا من وصمة العار وعقدة الذنب التي ستلازمهم إلى آخرحياتهم علـى وجـه الأرض بسبب خيانتهم لوطنهم ولأمتهم ففقدوا بسبب ذلك احترام الجميع وحتى احترامهم لأنفسهم ، وكمثال على ذلك نـذكر: بأن أحد أعضاء الحزب الإشتراكي الفرنسي وهو السيد جورج فريش قال في حقهم غير منـافق وهـو رأي كـل الفرنسيين على ما يبدو: إنكم بشر من الدرجة الثانية[246] . إنها حقيقة يواجهون بها في كل حـين رغـم أنهـم لا يرتاحون لسماعها وهي :لقد ارتكبتم مجازر في حق إخوانكم في الجزائر،ولحستم أحذية أسيادكم، ولكنكم لم تجنوا شيئا.فأنتم أشباه رجال ليس لكم أي شرف[247].

والحقيقة التي لا مراء فيها هي أن الحركى والقومية كانوا منذ بداية الغزو الفرنسي للجزائرمحتقرين مهانين أذلاء لايذكرون إلا عند الزج بهم في مقدمة الصفوف لتلقي نيران الخصوم، وقد وصفهم العقيد مان في معرض حديثه عن المتعاونين مع الفرنسيين بقوله: حلفاؤنا الحقيرون[248] .

وقد تناول الأستاذ الفاضل محمد الهادي الحسني موضوع الحلفاء الحقيرين فقال:إنني أقسم بأغلظ الأيمان وأؤكدها أن الأغلبية الساحقة من الفرنسيين تؤمن بما يؤمن به جورج فريش ، وتنظر باحتقار إلى الحركى. فمن خان دينه وقومه ووطنه لايمكن أن يكون له مثقال ذرة من شرف ومروءة، ورجولة .ومن خان دينه وقومه ووطنه فهو لغير ذلك أخون. وقد صدق المرتد جان عمروش عندما سمى من بدل دينه وقومه (مزدوجي الخيانة) وينطبق هذا القول على مزدوجي الجنسية أيضا، الذين انتفخت بطونهم من خيرات الجزائر ، ولكنهم لحسوا أحذية هناك في الضفة الشمالية من البحر الأبيض المتوسط .

---

[244] - Bachagha Boualem: **Les Harkis au service de la France,**
Ed: France Empire, Copyright 1963. pp. 220 – 221.
[245] - **Idem:** pp. 15 et les suivantes.

[246]- جريدة الخبر ليوم 14 -02-2006. ص07
[247]- جريدة الشروق اليومي في**02 -03- 2006 . ص02**
[248]- مصطفى الأشرف: مرجع سابق . ص92

وأما ما يقوله بعض الفرنسيين من إعجاب بالحركى وإشادة بهم مثل دومينيك دوفيلبان، رئيس الحكومة الفرنسية :" إن فرنسا تعرب عن اعتراف الأمة تجاه الحركى ، وإننا لن ننسى تضحيات الحركى، وشجاعتهم وشرفهم". فما هو إلا كذب ،دفعه إليه طمعه في أصوات أولئك الحركى في الانتخابات.

إنني على أتم الاستعداد لسحب وصفي لدومينيك دوفيلبان بالكذب،والاعتذار إليه، إن اعترف للفرنسيين الذين تعاونوا مع الألمان بالتضحيات، والشجاعة، والشرف. وأتحداه أن يفعل ذلك.

إن ديننا الحنيف يعتبر الفرار من مواجهة العدو كبيرة من الكبائر يساق مرتكبوها إلى جهنم زمرا، وذلك بنص القرآن الكريم القائل: " يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يوليهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواهم جهنم."فما بالك بمن لايكتفي بالفرار، بل يتحيز إلى الأعداء. لاشك في أن من يفعل ذلك ينطبق عليه قول الشاعر:

ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم

إلا وفي يده من نتنها عود

إنني أجزم أن هؤلاء الحركى لايملكون عقولا سليمة ولا نفوسا سوية ، ولا قلوبا حية، ولو كانوا يملكون ولو شيئا قليلا من ذلك لتواروا من سوء ما عملوا، ولقضوا بقية أيامهم يبكون حتى تبيض أعينهم على ما فرطوا في جنب دينهم ، وقومهم ،ووطنهم . وبما أنهم لايملكون شيئا من ذلك فما زالوا يصرون على الحنث العظيم، ويزدادون خسة وسفالة، وحقارة ونذالة، فيشتكون الجزائر ويطالبونها بتعويضات رغم ما فعلوا فيها من: قتل ، وأسر ، وتحريق ، ومنهبة .

لو أن عند هؤلاء الحركى بقية من كرامة بشرية لصبوا جام غضبهم على فرنسا التي وعدتهم ومنتهم كالشيطان ،وما وعدتهم إلا غرورا، ثم رمتهم كالكلاب في تجمعات سكانية على هوامش مدنها ، حتى لايزكموا أنوف أبناء الشعب الفرنسي برائحة الخيانة، ولا تتذكرهم إلا في المواعيد الانتخابية.فتتنافس الأحزاب الفرنسية عند ذاك في التملق إليهم، لأنهم صاروا وأبناءهم"ورقة " انتخابية .

قد يكون أولئك الحركى مستريحين ماديا، وقد يكون أقلهم مالا يعيش معيشة أفضل من بعض المجاهدين الحقيقيين في الجزائر ، ولكن الذي أستيقنه هو أنهم يذوقون ضعف الحياة وضعف الممات. فقد كان أحد الحركى يزور الشيخ العباس في مسجد باريس ، وكان كاتب الدولة في عهد ديغول، وله أملاك كثيرة ، وأموال وفيرة ، فإذا دخل مكتب الشيخ أغلق الباب، وأجهش بالبكاء،وهو يقول: " لاينقصني شيئ من متاع الدنيا، ولكنني لا أحس لذة، ولا أشعر بسعادة، لأنني أرى في أعين الفرنسيين احتقارا لي ، وأسمع منهم ما لا أرضى من القول. وإن جلسة كريمة تحت شجرة الدردار في قريتي بالجزائر مع كسرة من الشعير ، وقليل من اللبن أحب الي مما أملك هنا، مع ما أحس به من ذلة واحتقار[249].

ومع كل ما سبق من هؤلاء وأولئك الحركى والقومية الذين سقطوا في مستنقع الخيانة للوطن والدين نقول :بأن قطار الحياة النظيف يمكن أن يستقلوه إذا ما أرادوا ذلك فعلا،غير أن هذا يفترض الندامة عن كل ما بدر منهم ، فالتاريخ لاينسى ما سببوه من مآسي وآلام لبني جلدتهم. ومع كل ذاك يمكن للأحياء منهم أن يكفروا عن أخطائهم ويغسلوا بماء التسامح والمصالحة الآثام التي ارتكبتها أيديهم الحمراء، وذلك ب:

1- العودة الصادقة إلى وطنهم وقومهم : بحيث يعبرون عن ندمهم الشديد علانية بالاعتذار لشعبهم عن كل ما اقترفوه في حقه: من قتل وتعذيب، واغتصاب للأموال والأعراض.

2- تكوين جبهة يسمونها على سبيل المثال : جبهة التائبين تعمل هذه الجبهة على الدفاع عن المصالح الجزائرية بصدق في فرنسا، كما يتعين عليهم إنشاء مؤسسة اقتصادية تنشط في الجزائر وتعود الفوائد المستخلصة منها إلى الفقراء والمحتاجين وذوي الحاجة من المعوقين والمسعفين اجتماعيا... لعل الله بعد ذلك يمحو سيئاتهم ويبدلها بالحسنات ، إن شاء الله ....

---

[249] - جريدة الشروق اليومي: الحلفاء الحقيرون ، في 16مارس 2006 ص10

3- توعية أبنائهم من أن خيانة الوطن والدين والأمة لا يجني منها مرتكبوها سوى الألم النفسي ، والذل والمهانة ، والاحتقار من قبل الإخوان والخصوم . وخاصة إن طال عمر الخائن وهزل عوده أو فارقته الصحة،أو رد إلى أرذل العمر ; وعند ذاك حدث عن البحر ولاحرج... فعلى أبنائهم إذن أن يتعظوا بقول الشاعر :

يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة ولا تذكرت أن الخصم خداع

لقد باع الحركى والقومية عبر مختلف المراحل التاريخية من 1830-1962 الأرض والعرض بثمن بخس فكانوا من الأخسرين أعمالا دنيا وآخرة، فليحذر أبناؤهم من الوقوع في مطبات الغدر والخيانة . ومع علمنا بأن كل نفس بما كسبت رهينة إلا أننا لاننسى أيضا بأن العرق دساس ، فليكونوا نعم المواطنين الصالحين والأبناء الأوابين لربهم ووطنهم من آباء خانوا وطنهم فكانوا من الأخسرين........................ والله في خلقه شؤون.

1- القناصة الجزائريون

:Les chasseurs Algériens

لقد سبق و ذكرنا أن قانون 9 مارس 1831 المدعم بالأمرية الملكية في 1831/03/21 نص على تأسيس السلك العسكري الزواوي بصفة رسمية و قضى إلى جانب ذلك التأسيس الرسمي بإنشاء سريتين من فرسان الفرق الزواوية أطلق عليهما تسمية: القناصة الجزائريون الذين أدرجوا ضمن السلك العسكري الفرنسي: قناصة إفريقيا .

و قد كان الفرسان الزواويون يمثلون الأغلبية الساحقة لهذه الكتائب، و بجهود مؤطريهم و قادتهم أمثال العقيد دوفيفيي و النقيب لاموريسيير برهن أولئك المجندون عن قدرات و إمكانات عظيمة لم تكن واضحة من قبل، و استحقوا بكل جدارة صفة و تسمية أبطال الجيش الإفريقي.[250]

و قد تم للفرنسيين تأسيس لواءين جديدين للجيش الإفريقي أحدهما في مدينة الجزائر و الثاني في وهران بتاريخ 1831/11/16، و كان المنتسبون لهذين اللواءين جنودا فرنسيين جلبوا من مختلف الألوية الفرنسية و مجندون من الجزائريين و المعمرين. حيث كان في كل سرية 40 مجندا جزائريا. و كان الجنود التابعون لهذين اللواءين يتكفلون بحاجيات أنفسهم من مرتباتهم الخاصة من توفير للسلاح و حاجيات ضرورية أخرى.

و فيما بعد صار الالتحاق بهذا السلك غير محدود العدد بالنسبة للجزائريين كما كان عليه الأمر في البداية.ليصبح هذا النوع من المجندين بعد ذلك معروفين باسم القناصة الجزائريين التابعين لسلك قناصة إفريقيا .

و بالعودة إلى اللواء الأول الذي تأسس في مدينة الجزائر نذكر أنه استقبل في بداية الأمر السريتين اللتين أطلق عليهما اسم: القناصة الجزائريون، و السريتان كانتا تابعتين في بداية التأسيس إلى السلك الزواوي بموجب الأمرية الملكية السابقة و المؤرخة في 1831/03/21.

و بتاريخ 1833/01/06، أسست السلطات العسكرية اللواء الثالث للقناصة في عنابة، هذا اللواء الذي استمد عناصره من السريتين السابعة و الثامنة من اللواء التابع لمقاطعة الجزائر، بالإضافة إلى بعض التعيينات التي دعمته من العناصر الفرنسية التي كانت تابعة لمختلف الألوية الأخرى.

و هكذا ففي 1835/07/27، صار كل لواء من الألوية الثلاثة لقناصة إفريقيا يضم 6 سرايا في كل منها 130 جنديا خيالا بكامل عدته:الحصان و السلاح، وقد أضيف إلى فرسان كل سرية من سرايا هذا السلك 59 جنديا من المشاة[251].

وهكذا فبعملية حسابية بسيطة نجد أن هذه الألوية مجتمعة تضم في صفوفها بين الخيالة و الجنود المشاة ما تعداده:

(130فارسا +59 جنديا من المشاة) × 6 = 1134 جنديا في كل لواء

و هذا يعني أن المجموع هو: 1134× 3 = 3402 جندي في كامل سلك قناصة إفريقيا.

---

[250] - Louis de Bouricour: **Histoire de la colonisation de l'Algérie,** Ed: Challamel Ainé, Paris 1860. pp. 188-190.

[251] - C.G.C: **Les chasseurs d'Afrique**: op. cit, p p.4

و في 8 فيفري من عام 1838 عمدت السلطات الفرنسية إلى إلغاء فرقة القناصة الجزائريين من سلك قناصة إفريقيا، رغم ما قدمته هذه الفرقة الجزائرية من خدمات مهمة، لكن جريدة المبشر التي أوردت النبأ لم تذكر الأسباب و الدوافع التي أدت إلى هذا الإلغاء الذي لم يدم طويلا حتى سارعت السلطات العسكرية إلى إعادة هذه الفرقة إلى الوجود في نفس العام بتاريخ 1838/11/24[252]. مما يعني أن الإلغاء و الاستغناء عن هذه الفرقة لم يدم سوى تسعة أشهر و ستة عشرة يوما فقط... لماذا؟.

و كما هي عادة القادة العسكريين الفرنسيين الذين كانوا في كل مرة يعيدون تنظيم الفرق العسكرية المشكلة من الجزائريين بحيث كانوا يصبون العناصرالمحلية في هذا السلك ثم يفرغونه ويعودون مرة أخرى لصب هذه العناصر المحلية في سلك آخر. ذلك أنه بعد أقل من عام يعني بتاريخ 1839/08/31 أعيد تنظيم الكتائب الجزائرية و الفرنسية في هذا السلك، بحيث أعيد تشكيل سلك قناصة إفريقيا بأربعة ألوية و ذلك بتأسيس اللواء الرابع في عنابة. بحيث كان اللواء الأول و الثاني يضم كل منهما 6 سرايا و سريتين اثنتين للصبايحية. و أما اللواءين الثالث و الرابع فكان كل منهما يتكون من 5 سرايا فرنسية و سرية واحدة للصبايحية.

وعمد اللواء الأول إلى تحويل السريتين للصبايحية اللتين كانتا تابعتين له إلى سلك خاص هو سلك الصبايحية النظامي بمقاطعة الجزائر. و في 1841/12/07 حول سلك قناصة إفريقيا كل سراياه من المجندين الجزائريين إلى سلك الخيالة الجزائريين الذي أعطي في النهاية تسمية: سلك الصبايحية[253].

و على كل فإن سلك قناصة إفريقيا ما فتئ يتعرض إلى العديد من التعديلات و التصفية و الإلغاء لبعض فيالقه و تحويلها إلى مختلف الأسلاك العسكرية الأخرى، من ذلك أنه بتاريخ 1856/04/05 تم حل و إلغاء اللواء الرابع الذي كان ينشط في عنابة. ثم أعيد بناؤه من جديد بتاريخ 1867/02/06 ليعود إلى نشاطه المعتاد[254].

و لقد كان الإمبراطور نابوليون الثالث يتابع باهتمام كل ما كان يجري في القطر الجزائري تبعا لسياسته الرامية إلى إدماج الجزائر في فرنسا. و نظرا لإعجابه بقوة و صلابة المجندين الجزائريين صرح بما يلي: "إن أهم ما يمكن للجزائر أن تقدمه لفرنسا هو الجنود"[255].

و لأن الإمبراطور نابوليون الثالث كان يسعى إلى خلق مملكة عربية في الجزائر مدمجة مع فرنسا ، فإنه كان يولي اهتماما كبيرا بالأهالي الجزائريين لذلك طلب من وزيره للشؤون الحربية بتاريخ 1866/07/25 دراسة إمكانية تشكيل كتيبة عسكرية من المجندين الجزائريين فقط في كل لواء من الألوية الثلاثة شريطة أن تكون عناصر هذه الكتائب من غير المتزوجين[256].

و فعلا فقد تمت الدراسة من طرف الوزير الذي أصدر طبقا لتعليمات الإمبراطور قرارا يقضي بإنشاء كتيبة عسكرية من المجندين الجزائريين في كل لواء من الألوية الثلاثة. و كان الهدف من تأسيس هذه الكتائب هو الاستفادة من خدماتها في كل مكان و في كل زمان[257].

كما نص هذا القرار أيضا على وجوب أن تضم كل كتيبة من هذه الكتائب الثلاث ما لا يقل عن 160 جنديا جزائريا و 15 جنديا فرنسيا. كما اشترط هذا القرار على كل مجند جزائري يرغب في الانضمام إلى هذه الكتائب أن يمضي بها عقدا لمدة 4 سنوات، و أن يقبل الذهاب إلى أي مكان يوجه إليه خلال مدة العقد [258].

و لأن القيادة العسكرية كانت تدرك مدى أهمية التعليم بالنسبة للمجندين، فإنها سعت لدى وزير الحرب تطلب منه استصدار أمر يقضي بضرورة الاهتمام بتعليم المجندين و رؤسائهم في سلك قناصة إفريقيا حتى يتمكنوا

---

[252]- المبشر: عدد 1865/03/22 (إن من أهم الأعمال التي قامت بها هذه الفرقة من القناصة الجزائريين: مشاركتها العملية و الفعالة في الحملة العسكرية الثانية على مدينة قسنطينة سنة 1837)

[253] - C.G.C: **Les chasseurs d'Afrique**: op. cit, p.6

[254] - **Id.**

[255] - Lunnel Eugène: **La question Algerienne. Les Arabes. Les Colons,** Ed: Chalamel Ainé, Paris 1869, pp.95-96.

[256] - المبشر: عدد 1866/12/27.

[257] - المبشر: عدد 1867/02/14.

[258]- نفسه: عدد 1867/02/14.

من أداء مهامهم على الوجه الأكمل. كما يمكنهم هذا التعليم من حل المشاكل التي قد تعترضهم أثناء قيامهم بمهامهم العسكرية.

و لتحقيق هذا الهدف المنشود أصدر الوزير المكلف بالشؤون الحربية قرارا يقضي باستحداث مدارس خاصة لتعليم رؤساء كتائب القناصة و الجنود، و مدارس لتعليم أبنائهم و كذلك تعليم الأيتام الذين لهم صلة قرابة مع أولئك المجندين. و كان ذلك بتاريخ 1866/01/27. أما المواد التي كانوا يدرسونها فهي: اللغة الفرنسية، الحساب، الجغرافيا، التاريخ. و هنا يجب أن نشير إلى أن كل المجندين كانوا ملزمين بالحضور إلى هذه المدارس لمدة سنتين[259].

و معظم المجندين الجزائريين في سلك قناصة إفريقيا من سكان منطقة القبائل الذين تم جمعهم من الجبال، و هم عادة رجال يمتازون ببرودة الدم و سهولة التدريب و الانصياع لرؤسائهم، و هم بطبيعة الحال من العزاب، كما أنهم لا يترددون على المساجد و لا يحفظون من القرآن الكريم سوى بعض الآيات الصغيرة. غير أن كتائب هؤلاء المجندين عرف عنها إخلاصها للسلطات الفرنسية، إذ قدمت الكثير من الخدمات العسكرية الهامة[260].

و في الأخير لا بد من التذكير بأن الكفاءة العسكرية و البراعة في تسيير المعارك الحربية التي اتسم بها أولئك المجندون ، و النجاح الكبير الذي حققوه في التوسع عبر مختلف الأقاليم في الجزائر، كانت هي المعيار الحقيقي الذي تم بموجبه إدماج القناصة الجزائريين في السلك العسكري المسمى قناصة إفريقيا.

إذ بعد الاختبارات القاسية و العنيفة التي اجتازها هؤلاء المجندون بنجاح و امتياز في مختلف الحملات العسكرية و المعارك الحربية التي خاضوها، استحقوا بعد ذلك بحق أن يكونوا فعلا أبطالا للجيش الإفريقي[261].

و في الختام نذكر أيضا بأن سلك قناصة إفريقيا استفاد بمرسوم مؤرخ في 1887/08/06 ينص على تأسيس اللواءين الخامس و السادس بقصد تدعيم الألوية الأربعة الأخرى، و استمر العمل بهذا التنظيم الجديد حتى نهاية الحرب العالمية الأولى[262].

4 - الفرق الصبايحية

: **les spahis**

لقد تمكن الفرنسيون منذ الأسابيع الأولى لغزو مدينة الجزائر من استحداث فرق عسكرية مشكلة من المجندين الجزائريين، و بطبيعة الحال فقد وجهوا هذه الفرق المحاربة نحو الوجهات و الاختصاصات التي تلائم ميول و كفاءات عناصرها .

و لكنهم في النهاية عمدوا إلى إدراج هذه الفرق العسكرية في السلك المناسب لخدماتها ضمن الجيش الإفريقي، بعد أن لقنوهم التدريبات العسكرية الحديثة التي تتلاءم و ظروف الخدمة النظامية من ولاء و انضباط و طاعة للقادة و الضباط.

و فرق الصباحية كانت من ضمن فرق المجندين في صفوف الجيش الإفريقي ، و هي فرق عسكرية كانت معروفة و موجودة في الساحة الوطنية منذ العهد التركي، و تعني باللغة التركية الخيالة، أما عامة الشعب الجزائري فيسميها السبايس.

و قد التحقت فرق الصبايحية بخدمة فرنسا منذ الأشهر الأولى لتأسيس الفرق الزواوية و هي فرق عسكرية كما يقول عنها المؤرخ الفرنسي ليونال أوجين "Lunnel Eugène " الذي تتبع الشأن الجزائري منذ بداية الغزو: " أغلب عناصر الفرق الصبايحية من الأهالي البدو الرحل الذين من صفاتهم الاستقلالية و الكسل و الاتكال، و الامتعاض

[259] ـ نفسه : عدد 1866/12/27.

[260] - **Lunnel Eugène:** op. cit, p.96.

[261] - **Lespes. R**: op. cit, pp. 19-20.

[262] - C.G.C: **Les chasseurs d'Afrique**: op. cit, p.4

من كل عمل يدوي، فهم أناس يرون أنفسهم خلقوا لامتطاء الجياد و حمل السلاح. و الصبايحية أثناء أدائهم العمـل العسكري يعيشون بصفة عادية فهم يملكون الأراضي، و المواشي و الأثاث على عكس المجندين في قناصة إفريقيا الذين كانوا أكثر شجاعة و نشاطا من الصبايحية".[263]

تتكون الفرق الصبايحية من الفرسان الجزائريين "عرب و أتراك" و قد التحقوا بالخدمة العسـكرية تحـت تسمية "القناصة الجزائريون" منذ تكوين الفرق الزواوية الأولى، غير أن هذه الفرق الصبايحية لم تلبث علـى هـذا الوضع طويلا بحيث أنه بتاريخ 1831/11/16 صدر الأمر بضمهم إلى سلك قناصة إفريقيا[264].

ثم عمدت السلطات العسكرية إلى تأسيس فرق الصبايحية الدائمين و كونوا بهم ما عرف بالسلك الخـاص بالفصائل الصبايحية التي كانت على النحو التالي:

1. تأسيس كتيبة الصبايحية النظامية الأولى في مدينة الجزائر بتاريخ 1834/09/10 و كانت تضم فـي صفوفها 4 سرايا أسسها الجنرال فوارول و وضعت هذه السرايا تحـت قيـادة المملـوك التونسـي يوسف[265].
2. كتيبة الصبايحية النظامية الثانية تأسست في عنابة بتاريخ 1835/06/10 و كانت مؤلفة من سـريتين اثنتين.
3. أما الكتيبة الثالثة للصبايحية النظاميين فقد كانت في مدينة وهران وتأسسـت بتـاريخ 12 أوت عـام 1836 و تضم 4 سرايا.

مع الإشارة إلى أنه في نفس هذا التاريخ تم رفع عدد السرايا بالجزائر العاصمة إلى 6 سرايا، و رفع العدد كذلك في عنابة إلى 4 سرايا[266].

غير أن هذا التنظيم لم يدم العمل به طويلا، إذ سرعان ما عجل القـادة العسـكريون إلـى إلغـاء كتيبـة الصبايحية في مقاطعة الجزائر، و ضم عناصرها إلى سلك قناصة إفريقيا و ذلك استجابة للأمريـة المؤرخـة فـي 1839/08/31، في حين بقيت السرايا الصبايحية على حالها في كل من مدينة عنابة و وهران[267].

و إلى غاية سنة 1841 تاريخ إعادة تنظيم المجندين الجزائريين في الجيش الإفريقي احتفظت ألوية قناصة إفريقيا بسراياها من الصبايحية التي كانت تعمل ضمن هذا السلك، و موازاة مع هذا النظام فقد عمد الفرنسيون إلـى تأسيس سرايا أخرى غير دائمة من الصبايحية كانت لهم صفات و مهام عساكر جيش المخزن و القومية[268].

و كان التوجه الجديد في استغلال و استخدام هذا النوع من المجندين الجزائريين قـد فرضتـه عليهـم الشهرة التي اكتسبتها السرايا الخفيفة، التي كانت تنشط ضمن جيش الأمير عبد القادر. "و قد ذكرنا سابقا أن بيجـو عندما قدم للقطاع الوهراني عـزم على ملاحقة الأمير عبد القادر و تتبـع حركاته السـريعة، و ذلـك بتأسيـس طوابيـر خفيفة مهمتها ملاحقة الأمير عبد القادر و جيشه، و فعلا فقد نجحت إلى حد ما. و كانت معركـة الزقـاق تتويجا ناجحا لخطة بيجو..." و تمت التجربة الأولى بإنشاء فرق صغيرة من الصبايحية في مدينة عنابـة مهمتهـا الاستكشاف و حفظ الأمن و ملاحقة المناوئين للوجود الفرنسي طبعا... و كان ذلك في ديسمبر 1842 و بعد خمسة أشهر من تجربة عنابة أسس الجنرال فوارول مرة أخرى صبايحية الفحص في الجزائر العاصمة و كانـت مهمتهـا حفظ الأمن و مراقبة الطرق خاصة منها تلكم المؤدية إلى الثكنات العسكرية الفرنسية في المدينة...[269]

وبعد هذه التجربة الموفقة للفرق الصبايحية غير الدائمة، تلقى أولئك المجندون الجزائريون بموجـب الأمريـة المؤرخة في 1841/12/07 الميثاق النهائي الخاص بتأسيس و تنظيم السرايا الصبايحية النظاميـة، و كـذا تنظـيم

[263] - **Lunnel Eugène**: op. cit, p.95.
[264] - Paul Azan: **l'Armée d'Afrique,** op. cit, p.13.
[265] - André Figuéras: **Gloire à l'Armée d'Afrique**, Ed: (France ets, Ginou Monrouge) 1987, p84.
[266] - **Julien:** op. cit, p.274
[267] - C.G.C.: **Les Spahis**, op. cit, p.6.
[268]- **Lunnel Eugène**: op. cit, p.97.
[269] - **Julien:** op. cit, p.274.

السرايا الصبايحية التي كانت تابعة لألوية قناصة إفريقيا، و بذلك تم تجميع كل السرايا الصبايحية في سلك عسكري موحد أطلق عليه اسم: سلك الصبايحية.

و قد ضم هذا السلك الصبايحي 20 سرية قسمت على العمالات الثلاث و هي : الجزائر، وهران، قسنطينة .

و في 21 جويلية 1845 جمعت هذه السرايا الصبايحية في إطار ألوية ثلاثة. بحيث صار في كل لواء. 06 سرايا أطلق عليها التسميات التالية:

1- لواء صبايحية عمالة الجزائر و سمي فيما بعد اللواء الأول للصبايحية.

2- لواء صبايحية عمالة وهران و سمي فيما بعد اللواء الثاني للصبايحية.

3- لواء صبايحية عمالة قسنطينة و سمي فيما بعد اللواء الثالث للصبايحية.

كما أن القادة العسكريين الذين تعرفوا على مزايا المجندين الصبايحية في صفوف الجيش لم يغفلوا عن اختيار سرية من اللواء الأول للصبايحية لتكون تحت تصرف القيادة البحرية عندما فكروا في حملتهم العسكرية على السنيغال[270].

و تابع القادة العسكريون الفرنسيون تعديل و تنظيم هذا النوع من المجندين الصبايحية عندما تبين لهم في الميدان ما يمكن أن يجنوه من وراء هذه العناصر الصلبة القوية في ميدان المعارك الحربية خاصة ما تعلق بالغارات المفاجئة على الخصوم نظرا لسرعتهم و تحكمهم في الحصان الذي لا يبغون عنه بديلا و قد ذكر طوكفيل مؤكدا: " *على أن العرب كان لهم نفور من التجنيد في صفوف المشاة، و نفورهم هذا لا يمكن بأي حال من الأحوال: التغلب عليه* "[271]

والفرنسيون قادة أو ساسة يبدو لنا انهم يعرفون لأي المواقف يصلح هذا أو ذاك، و بأي الأعمال يمكنه أن يضطلع، و متى يجب عليهم التريث في الأمر إلى حين.

ولذلك فإدراكا منهم لقيمة أولئك المجندين في صفوف جيوشهم راحوا يبتدعون في كل مرة إنشاءات إضافية لأغراض معينة و أهداف محددة، كعملهم على إنشاء سلك مؤقت للخيالة الجزائريين أطلقوا عليه تسمية: سلك الصبايحية المشرقي Corps des Spahis d'orient و هذا بتاريخ 25 ماي 1853[272]. و هذا التأسيس المؤقت جاء من دون شك عندما لاحت لهم في الأفق القريب حرب القرم التي شارك فيها الجزائريون بمختلف فصائلهم مشاركة عملية تحدث عنها القاصي و الداني و التي سيأتي ذكرها لاحقا.

وبالرغم من كل هذه التنظيمات و هذه السرايا المنشأة و الألوية الخاصة بفئة الصبايحية المجندين، فقد كان الفرنسيون يدركون من أن الوفاء و الإخلاص من طرف هؤلاء المجندين غير مضمون دائما خلال حملاتهم العسكرية. فسرية الصبايحية في عنابة فرت من صفوف الجيش الفرنسي بكل ما كان معها من متاع و خيل و ماشية و أسلحة، و كان ذلك في شهر ماي1837.

كما أنه كان من الصعب على القادة العسكريين خلال أية حملة عسكرية أن يجمعوا تحت أيديهم 50 فارسا من سرية تضم 140 فارسا صبايحيا. و لذلك كان الصبايحية في نظر الفرنسيين فرق مراقبة و حراسة و نقل للرسائل و رسل اتصال أكثر من كونهم محاربين. فهم دائما يثورون على رؤسائهم و ضباطهم الفرنسيين إذا طلبوا منهم القيام بحملة عسكرية طويلة المدى أو صعبة[273].

ومع كل ما سبق ذكره فإن الفرنسيين كانوا يقولون عن أولئك الفرسان بأنهم كانوا بارعين في السيطرة على الخيل و مهرة متفوقين في الغارات المفاجئة على الخصوم، و يوسف - ملك الجيش الأفريقي- تمكن من قيادتهم لأنه ببساطة كان يقودهم للقيام بالغارات فقط ثم في النهاية كان يترك لهم نصف الغنائم[274].

---

270 - C.G.C.: **Les Spahis**, op. cit, p.5.
271 - **Julien:** op. cit, p.276.
272 - C.G.C.: **Les Spahis**, op. cit, p.6.
273 - **Julien**: op. cit, p.274.
274 - **Endré Figuéras**: op. cit, p.84.
– voir aussi **Julien**: op. cit, p.274

والحقيقة أن الصبايحية كانوا من الأعوان الذين عملت فرنسا على تجنيدهم منذ بدايات الغزو و مع ذلك فقد كانوا يتصرفون في المعارك تصرفا لم يكن يرضي الضباط الفرنسيين، من ذلك أن النقيب) دوكرو لاحظ سنة 1846 بأن: "*وجود الأمير عبد القادر في المعركة كان دائما يؤثر على الخيالة من الأهالي تأثيرا لم يكن من السهل أن يتخلصوا منه، و مهما بذلنا من جهود فقد كان ذلك التأثير يحط من معنوياتهم و شجاعتهم*"[275].

إن هذا الاشمئزاز الذي لم يكن يخلو من تأنيب الضمير عندما يتعلق الأمر بتعسف الفرنسيين في حق مواطنيهم نجده كذلك واضحا فيما ذكره الضابط مونتانياك عندما أمر المجندين الصبايحية بإعدام أحد زعماء النضال و هو سي زردود و كان رجلا عظيم الشأن: "لقد رفضوا جميعهم قتل هذا الرجل، فلما قتل أمامهم أصيب جميع الصبايحية الحاضرين بالوجوم و الذهول إلى درجة أنني لم أجد واحدا من بينهم من رضي أن يتنازل لي عن حصانه لكي نحمل عليه جثة القتيل عندما عزمنا على نقلها من أسفل الوادي إلى أعلى سفح الجبل، حيث كنت أنوي أن أصدر الأمر بقطع الرأس عن الجسد، و بمحضر جميع أفراد الكتيبة و أمام الصبايحية كلهم وجدت نفسي مضطرا إلى أن أطيح بأحدهم أرضا و أن آخذ منه حصانه عنوة، و كان غارقا في البكاء بكل بلادة و سخف.
و أما بالنسبة لقطع رأس القتيل فقد كان الأمر أصعب لأنني كنت أرغب في أن ينفذ الصبايحية أنفسهم هذه العملية، لكي تفسد العلاقة بينهم و بين بقية السكان العرب، و لكن جميع الصبايحية العرب رفضوا أن يمتثلوا للأمر. أما الصبايحي التركي الذي قطع رأس جثة سي زردود فقد هدده رفقاؤه العرب بالقتل".[276]

وهكذا نلاحظ بأن بعض هؤلاء المجندين الذين يتصرفون كالمرتزقة و يستبسلون في المعارك، و يظهرون أحيانا الكثير من الإخلاص و الولاء لفرنسا، لم يكونوا في حقيقة الأمر يقبلون عن طيبة خاطر أمرا تستنكره الأغلبية العظمى من الشعب من ذلك أيضا ما ذكره جوليان عن هزيمة فرنسا في حربها ضد ألمانيا سنة 1870 إذ ثار المجندون الصبايحية في جانفي 1871 مشاركين الشعب في ثورته حيث اغتالوا ضباطهم الفرنسيين، و نادوا بالاستقلال مرددين: "*إن باريس قد سقطت في يد البروسيين، و أن ابن محي الدين الأمير عبد القادر سيعود إلى الجزائر التي ستثور كلها... و أن هذه فرصة فذة للجزائريين كي يطردوا الفرنسيين من بلادهم*".[277]

ومع كل ما عرف عن الصبايحية إلا أن الفرنسيين تمكنوا في النهاية من ترويضهم و الاستفادة من مزاياهم، فقد استخدموهم في توسيع رقعة الأقاليم التابعة لسلطتهم ليصلوا في نهاية المطاف إلى الاحتلال الشامل الذي كانوا يحلمون به منذ عهد دي بورمون... و لذلك لم يتوقفوا عن إثراء هذا السلك من المجندين الصبايحية، إذ أنهم عجلوا بتأسيس اللواء الخامس قبيل الحرب العالمية الأولى طبقا للمرسوم المؤرخ في 1914/05/15.

5- سلك الرماة الجزائريين:

Tirailleurs Algeriens

لقد عمد القادة العسكريون إلى جعل هذه الفرق المشكلة من المجندين الجزائريين خالية من العنصر الفرنسي بقدر الإمكان ما عدا الضباط و عدد قليل من الرماة الفرنسيين وهم عادة عمال متخصصون، و أما نصف عدد الضباط و مجموع صف الضباط فهم من الإطارات الجزائرية.[278]

وبموجب ما سبق ذكره أصدر الفرنسيون الأمرية المؤرخة في 1841/12/07 التي نصت بصفة رسمية على تأسيس فيلق للرماة الجزائريين في كل مقاطعة من المقاطعات الجزائرية الثلاث، و صار كل فيلق منها يحمل اسم المقاطعة التي ينتمي إليها، بالإضافة إلى أن التكوين و التنظيم و القيادة في هذه الفيالق كانت ذاتية دونما حاجة إلى الاستعانة بما هو خارج عن تنظيمهم .

---

[275]- **مصطفى الأشرف**: مرجع سابق، ص.93.

[276] - **Camille Rousset**: op. cit, p.256.
[277] - **Julien**: op. cit, p.475.
[278] - C.G.C: **L'Armée d'Afrique**, op. cit, p.3.

وبدأ التأسيس الأول بنصف فيلق من الأتراك كان بالجزائر العاصمة، و فيلق من العنصر التركي كذلك في عنابة و فيلق آخر من الأتراك كان في قسنطينة، و مجموعات تركية في مستغانم و وهران.[279]

ومنذ الإدماج الفعلي للرماة في سلك الجيش الإفريقي يعني منذ بداية سنة 1841 و إلى غاية عام 1852 كانت الطوابير الخاصة بالرماة الجزائريين تعبر الجهات الأربع للقطر الجزائري. و كان لزاما علـى أولئـك المجنـدين الجزائريين التكيف مع الحياة العسكرية الفرنسية المليئة بالمفاجآت و المشاكل المميتة التي تتطلب مـن الجنـدي أن يكون حاضر البديهة يتفاعل بسرعة و نباهة مع الأحداث لإيجاد مخرج مناسب لكل مأزق يقـع فيـه، و إلا فـإن مصيره المحتوم هو الموت لا محالة.[280]

وتكونت الفيالق الثلاثة بتاريخ 13 فيفري 1852،و في كل فيلق منها 8 كتائب و الإطارات المنضوية ضـمن هذه الفيالق حددت كالآتي بحيث جعلوا في كل فيلق رقيبين اثنين و عريفين اثنين أما عدد الجنود الفرنسيين فهـم لا يتجاوزون 30 جنديا في كل فيلق.[281]

ولا شك أن المشاكل و المفاجآت التي كانت تنتظر أولئك المجندين لم تكن لتخطر على بال أي منهم، خاصـة إذا علمنا أن فرنسا كانت تخطط للدخول في حملات حربية و بعثات عسكرية لا يدرك مداها إلا مـن عاينهـا... و شيئا فشيئا تعود الرماة الجزائريون على الانضباط و الانقياد لقادتهم و ضباطهم كما هو متعارف عليه عند الجنـود الفرنسيين و كان حمل الحقيبة على الظهر بدل المزود الذي كان يعلقه المحارب الجزائري في خاصرته أو في رقبته كان من أهم الأشياء التي تغيرت في سلوك هذا المحارب الذي كان يأنف من وضع الحقيبة على ظهره لأنها تـذكره بالحمار أو البغل الذي توضع البردعة على ظهره.[282]

أما العمل اليدوي بالمجرفة و المسحاة فقد كان أيضا من الأمور التي تضايق هذا المجند الجزائري و تشـعره بالضعف و تبعث في نفسه التقزز و الإحساس بالمهانة و الضعة، " لكن القادة و الضباط الذين كانوا يشرفون على تدريب هؤلاء المجندين الجزائريين من أمثال دوفيفيي- لاموريسيير و بورباكي، و غيرهم عرفوا كيف يعودونهـم على العمـل اليدوي، و يغرسون فيهم روح التعاون الجماعي، فأصبح الرماة الجزائريون بعد ذلك يقومـون بكـل الأعمال اليدوية و كلهم نشاط و حيوية و خفة، فشقوا الطرقات و بنوا الجسور، و غدوا في وقت قصير من أحسن و أنشط الجنود في الجيش الإفريقي.[283]

وانطلاقا من سنة 1850 صارأولئك الرماة الجزائريون من أكثر الجنود حيوية و اندفاعا بحيث أنهـم خـلال هذه الفترة تمكنوا من شق طريق دلس و مليانة، و بنوا عدة حصون على النقاط الإستراتيجية، كما أنهم استصـلحوا الكثير من الهكتارات... مما شجع السلطات العسكرية الفرنسية على مكافأتهم بأن منحتهم نفس السلاح و التجهيزات التي كانت تحصل عليها فرق المشاة الأخرى للفرنسيين "و كان ذلك بقرار وزاري مؤرخ في فيفري 1853 نظيـر إنجازاتهم و خدماتهم العسكرية التي لا تنكر فكانت هذه المنة و هذه المساواة"[284]. ......

وكان اللباس الأزرق الذي يميزهم عن غيرهم من الفصائل العسكرية الأخرى مبعث ابتهاج و سرور لهؤلاء الرماة الجزائريين الذين صاروا يتفاخرون به في الأماكن العامة، و هذا ما دفع بالشباب الجزائري إلـى الالتحـاق بصفوف الجيش علهم يحظون بما توفر لهؤلاء المجندين المفتخرين ببذلاتهم الزرقاء.[285]

والحقيقة أنه ما كان لأولئك المجندين الجزائريين أن يفاخروا ببذلاتهم العسكرية الزرقاء لو كانت البلاد تعيش في وضع طبيعي، و لكن الفقر كان هو السائد بحيث لم يكن يجد الشباب و الناس عامة ما يلبسون بسـبب ظـروف الحرب القاسية التي عاشتها البلاد، و الأرض المحروقة التي دمرت بها كل المحاصيل و تعطلت بها كل النشـاطات

---

[279] - **Lespes. R**: op. cit, pp.19-20.
[280] - C.G.C: **L'Armée d'Afrique**, op. cit, p.3.
[281] - **Id.**
[282] - **Julien**: op. cit, p.276.: يقول بيجو عن المجندين الجزائريين (كان للعرب إحساس بالتقزز و النفور من حمل الحقيبة على الظهر لأنها كانت تعيقهم، و ثانيا لأنها كانت تحمل نفس الكلمة بالحربية التي تعني البردعة)
[283] - **Lespes. R:** op. cit, p.24.
[284] - Paul Azan: **L'Armée Indigène**, op. cit, pp.88-93.
[285] - المبشر: أعداد مختلفة لعام 1854.

الفلاحية و غيرها بعد أن كانت مختلف مناطق البلاد الجزائرية لا ترى فيها سوى حقول مزروعة. و هذا ما ذكـر الرائد (الكومندان ليو) متحدثا عن الحملة العسكرية التي شارك فيها في سهل الشلف والتي قال عنها: "منذ انطـلاق الحملة إلى يومنا هذا، أي من **4** ماي إلى **20** منه عام **1842**، خربت كثير من القرى الآمنة و كميات هائلة مـن المحاصيل الزراعية. و إنني متأسف لهذا العمل العسكري المحتم، و هذه الوسيلة القاسية التـي كرهتهـا كرهـا شديدا. و حيثما مررت لم أر في تلك المنطقة الرائعة سوى حقول زرعها العرب بمنتهى العناية."[286]

وفي السنة الموالية عاد الضابط ليو إلى الاحتجاج مرة أخرى إذ كتب في سنة 1843 عندما كان في ناحية شرشال: *"لقد هدمت كثير من الدواوير و أزيلت من الوجود قرى بكاملها بعد إشعال النيران فيها، و قطعت عدة آلاف مـن أشجار التين و الزيتون و غيرها. و أنا لا أرى من مبرر لهذا النوع الأخير من التخريب، خاصة إذا كنا نريد حقـا أن نحتل الـبلاد أو علـى الأقـل أن نفرض على أهلهـا الضرائب".*[287]

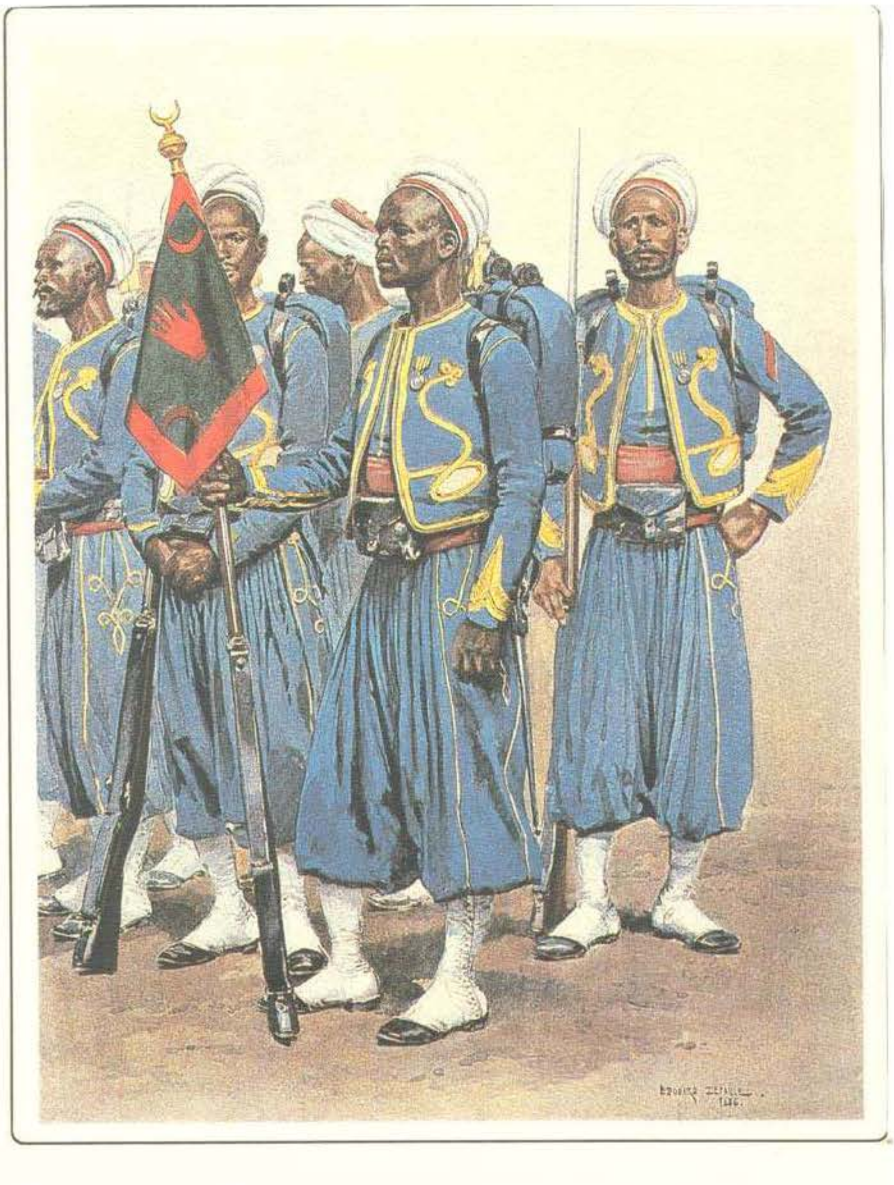

Tirailleurs algériens en grande tenue (Edouard Detaille).

65

ومع ذلك فقد واصل الفرنسـيون تحطيم و تدمير كل شيء يخص الأهالي الجزائـــــريين المناهضين للغـزاة حتى يجعلوهم أكثر فقـرا و عـوزا. و بذلك لم يبـق أمـام الشباب من مخـرج يقـيهم المجاعـة و الاحتيـاج سـوى الانخـراط فـي صفوف الجيش.

وبالرغم من كل ما أبـــداه أولئـــك المجندون من قـوة شكيمة و صـبر و جلد فـي خـوض المعـارك الحربيـة التـي كـانوا فيهـا يدافعون عن حياتهم و وجودهم أكثر من أي شيء آخر، لأنهم

---

286 - مصطفى الأشرف: مرجع سابق، ص. 109.

287 - نفسه: ص.10.

كانوا دائما يوضعون في الصفوف الأمامية لقوات الجيش الغازي عند الهجوم ليكونوا رأس حربة قاتلة أو مهيئـين للقتل ، و عند الانسحاب يكونون كالدروع التي تحمي الجنود الفرنسيين. و مع ذلك فإن الرأي السـائد عنـد عامـة العسكريين و السياسيين يتلخص في كون هؤلاء المجندين لا يصلحون للقيام بالأعمـال الحربيـة خـارج التـراب الجزائري إذ ليس بإمكانهم مجابهة الجيوش الأوروبية في حالة قيام حرب، لأن قدرات هؤلاء المجندين من الأهالي و التي كانوا يبدونها في المعارك إنما هي متأتية من كونهم أبناء البلاد المتأقلمين مع الطبيعة و الأجواء. و بالتـالي فهم إنما يستطيعون مجابهة المقاومين من أبناء جلدتهم فقط.[288]

قد يعود هذا الاعتقاد و هذا الاستخفاف بقدرات المجندين الجزائريين نتيجة نظرتهم للجيش الجزائري الذي لم يتمكن من الصمود أمام القوات الغازية عام 1830 سوى أيام قلائل. و قد يكون مرد هذا الاستخفاف لعقدة التعـالي عند الفرنسيين الذين لا يريدون الاعتراف بكفاءة أولئك المجندين في الميدان العسكري، ليبقى التفـوق حكـرا لهـم وحدهم. (و حجتهم في كل هذا إن الفصائل العسكرية الجزائرية ينقصها الاحتكاك بالجيوش الأوروبية رغم اعترافهم الصريح و الدائم بأن المجند الجزائري أكثر صلابة من الجندي الفرنسي و الأوروبي و أكثر مقاومـة للإجهـاد و الوهن. و المجندون الجزائريون بصورة عامة يحافظون على لياقتهم البدنية في كل الظروف الصعبة. و حيـويتهم تبقى محل اندهاش غيرهم).[289]

لقد عاينهم الماريشال سانت آرنو عن كثب ، و كذلك العقيد دي وامبفن وكلاهما يعتبر مـن أقـدم القـادة و الضباط العسكريين الذين عملوا طويلا مسيرين و قادة لأولئك المجندين الجزائريين، وقد كانا يدركان بعين بصيرة و حكمة الرجل العسكري المحنك في الميدان، " من أن أولئك المجندين يمكنهم أن يقدموا الكثيـر لفرنسـا إذا عـرف قادتهم كيف يسيرونهم و يكسبون ثقتهم "[290] و لذلك فبمجرد أن لاحت في الأفق حرب القرم التي كانت فرنسا طرفا فيها حتى سارع العقيـد دي وامبفن إلى الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث، يطلب منـه الموافقـة علـى إدراج المجندين الجزائريين ضمن الفصائل العسكرية المشاركة في حرب القرم.

وعندما وقف بين يدي الإمبراطور قال:" مولاي... لقد كنت قائدا لهؤلاء المجندين الجزائريين في صـفوف الجيش الفرنسي لمدة سنوات عديدة... و أني أعرف إمكاناتهم الجسدية و النفسية... و أعرف كذلك مـا يمكـن لفرنسا أن تجنيه من انتصارات باهرة، إذا ما استخدمت هؤلاء المجندين "الأبطال" في حروبها. بشرط أن يعـرف قادتهم كيف يسيرونهم، و يكسبون ثقتهم...

و إني سيدي الإمبراطور أضمن لكم بأننا نستطيع استخلاص نخبة ممتازة من هؤلاء المجندين الجزائريين، يمكنها أن تقودنا إلى النصر..." فرد عليه الإمبراطور: " أوافق على تكوين هذه النخبة الممتازة من الرماة الجزائريين... و ستكون أنت قائدهم هناك".[291]

وخرج العقيد دي وامبفن من عند الإمبراطور و في ذهنه فكرة واحدة تتمثل في ضرورة تحقيق ما كان قـد وعد به. و التحق الرجل العسكري بالجزائر العاصمة و منها إلى البليدة حيث كان يعسكر الفيلق القديم للرماة الـذي كان من قبل تحت قيادته.

واصطف الجنود لاستقبال هذا الضابط السامي الذي يعرفونه حق المعرفة كما يعرفهم... و خاطبهم بصـوت قوي مرتفع...: " يا شباب... هل عرفتموني؟... لقد جئت لآخذكم... فهل تريدون المجيء معي للدفاع عن رايـة محمد". و يعني بذلك، الدفاع عن تركيا المسلمة التي يسعى الروس إلى تحطيمها؟...

وطبعا لم يبق أمام أولئك البسطاء الذين بالرغم من كل محنهم و آلامهم، إلا أن يجيبوا دعوة الـداعي إلـى حمايـة المسلمين. وأن لا يقفوا مكتوفي الأيدي أمام تحرشات ومحاولات من يهاجم الإسلام و المسلمين و في عروقهم قطرة دم ما زالت تقول: لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله. و بفضل هذا العامل السحري في نفوس أولئك المجندين

[288] - **Lespes. R:** op. cit, pp.20-21.
[289] - **Duruy. V:** op. cit, p.7.
[290] - **Julien:** op. cit, p.276.
[291] - **Lespes. R:** op. cit, p.23.

الجزائريين، ردد الجميع بصوت واحد: "نعم – نعم... كلنا نأتي معك... " فرد عليهم العقيد بعـد أن تأكـد مـن أن مفعول كلمة محمد صلى الله عليه وسلم في نفوس أولئك الجزائريين يجعلهم يجابهون كل المخـاطر و لا يـأبهون، كيف لا ؟ و هو الخبير بهم و بما يدور في نفوسهم...

قال العقيد: " أحذركم... فسوف تلاقون العذاب و المشاق لمدة طويلة... و سوف تجابهون الجـوع و الإجهـاد و التعب... و قنابل المدافع ستتساقط فوق رؤوسكم..." فقالوا و كلهم إيمان من أن الدفاع عن الإسلام و المسلمين من أوجب واجبات المسلم: " قبلنا الذهاب معك... رغم كل شيء ".

وبسرعة تم تشكيل فيلقين من جنود و ضباط الفيالق التابعة للمقاطعات الثلاث: الجزائر، وهران، قسـنطينة و كان أن جمعوا هـذه الفرقة الممتازة مـن الرماة الجزائـريين كما وعد بذلك العقيد دي وامبفن سـيده و مولاه الإمبراطور... و كان التعداد الـذي تم جمعه يتجاوز ألفي جنـدي وضـعوا مباشرة تحت قيـادة هذا العقيد.[292]

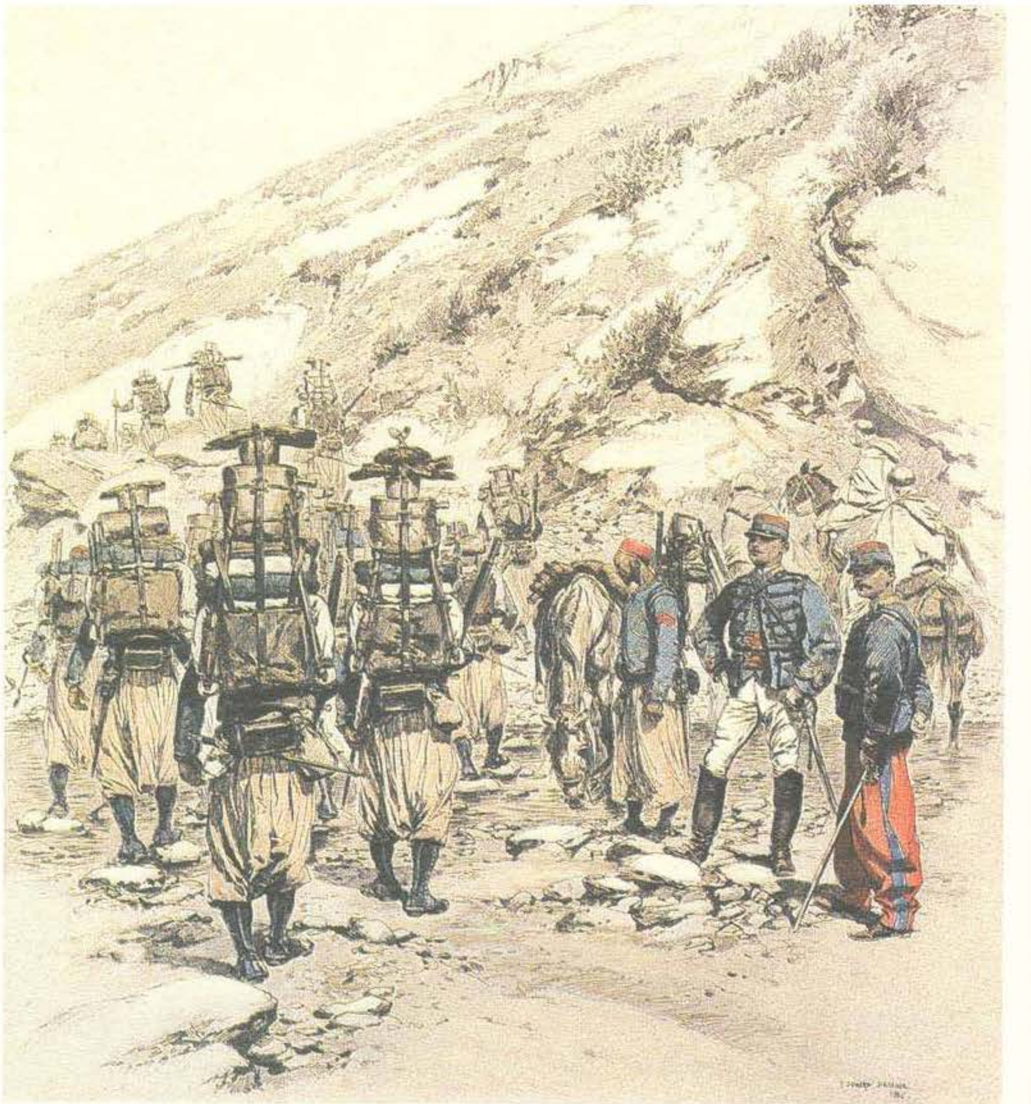

Tirailleurs algériens en colonne en 1886 (Edouard Detaille).

وحلت سـنة 1854 التي عرفت مشاركة فعالة مـن طـرف المجندين الجزائريين ليثبتـوا بطـلان الاعتقاد السائد فـي الأوسـاط الفرنسـية التي لا تقبـل بـأي شكل مـن الأشـكال تفـوق الجنـدي الجزائري و لا تريد أن تعترف بقدراتـه الحربية فقد كان هذا التاريخ بداية لتدشين أولى مراحل بطولات المجندين الجزائريين في حروبهم خارج القطر الجزائري. وصارت قدراتهم العسكرية و كفاءاتهم الحربيـة محـل إعجاب القريب و البعيد على السواء.[293]

[292] - **Lespes. R:** op. cit, p.24.
[293] - C.G.C: **Tirailleurs Algériens**, op. cit, pp.3-4.

ثانيا :

أ- القوانين المنظمة لفرق المجندين

الجزائريين من **1830-1841.**

عندما وصل الجنرال كلوزيل في بداية شهر سبتمبر 1830 إلى الجزائر، عمد مباشرة إلـى إنشـاء فيلقـين عسكريين من المجندين الزواويين في صفوف الجيش الفرنسي و ذلك بتاريخ 1830/10/01، و كان الهدف بطبيعة الحال هو محاولة إشراك عناصر محلية في التوغل إلى أعماق البلاد من جهة و لتغطية النقص الواضح في تعـداد الجيش الأفريقي في الجزائر...

و فعلا فإن الأمرية الملكية المؤرخة في 21 مارس 1831 أقرت إنشاء الفيلقين من الجيش الزواوي، و في كل فيلق منهما 8 كتائب.

لكن القيادة العسكرية الفرنسية بعد ذلك وجدت نفسها مضطرة إلى جمع عناصر هذين الفيلقين في فيلق واحد يتكون من 10 كتائب، منها كتيبتان من العنصر الفرنسي، أما الكتائب الثماني الباقية فهي تتشـكل مـن المجنـدين الجزائريين المدعمين بـ- 12 عنصرا من الفرنسيين في كل كتيبة، بغرض التسيير و التنظيم و التوجيه[294] و بالطبع فإن سبب جمع الفيلقين معا كان نتيجة حتمية لصعوبة تجنيد الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي بعد الصدامات التي حدثت بين الغزاة الفرنسيين و المقاومين الجزائريين خاصة عند عودة الكونت دي بورمون من حملته العسكرية على البليدة التي عاد منها في 1830/07/25 مهزوما مدحورا بعد أن فقد العديد من رجاله. بالإضافة إلى ذلك حملة الجنرال كلوزيل الأولى على المدية في 17 نوفمبر 1830 حيث ضيع الفرنسيون فيها ما لا يقل عن 220 قتيلا فـي مواجهات عنيفة بفج الثنية. ثم ما تلا ذلك من مواجهات عنيفة أيضا بين المقاومين و الجيش الفرنسي فـي الحملـة العسكرية الثانية على المدية بتاريخ 03 جويلية 1831 و التي فقد فيها الفرنسيون ما لا يقل عـن 250 قتـيلا فـي صفوفهم، و هذا ما شجع الجزائريين بعد ذلك على مهاجمة الفرنسيين في معاقلهم المتقدمـة فـي مدينـة الجزائـر نفسها.[295]

وتغير الأمر بعد ذلك، و صدرت الأمرية المؤرخة في 25 ديسمبر 1835 التي أعادت الفيلقين الزواويين إلى الوجود من جديد، و كان في كل فيلق منهما 6 كتائب منها 4 كتائب للمجندين الجزائريين، و كتيبتـان اثنتـان مـن الجنود الفرنسيين...

و بتاريخ 20 مارس 1837 عمدت السلطات العسكرية إلى إنشاء الفيلق الثالث ليضاف إلى الفيلقين الأولين و يعلـن بصفة رسمية عن تأسيس السلك الزواوي.[296]

وبالرغم من أن الماريشال فالي Valée كان يسعى إلى إلغاء السلك الزواوي الذي كـان يضـم المجنـدين الزواويين و بعض الكتائب فيه كانت تضم العناصر الفرنسية و الأوروبية، ليجعل من الجزائـريين مجنـدين فـي صفوف اللفيف الأجنبي، و العناصر الفرنسية يجعل منها لواء خفيفا. لكن شهرة و قوة الزواويين جعلـت مسـاعيه مجرد اقتراحات لم تتحقق، خاصة إذا علمنا أن هناك من كان يسعى إلى دعم هذا السلك، و منهم الماريشال سـولت Soult الذي كان وقتها يشغل منصب رئيس مجلس الدولة و كان يرى أنه من فائدة فرنسا أن تعمل على تشجيع هذا السلك سواء أكان نظاميا أو ملحقا لأن الزواويين و الصبايحية و بقايا الجنود الأتراك و الكراغلة، و حتى العناصـر المشاغبة من الفرنسيين و المجندين الأوروبيين يمكنها أن تدعم أكثر فصائل الجيش الإفريقي...

ونظرا لرغبته الجامحة في توفير المجندين للجيش الأفريقي بأي شكل من الأشكال حتى يضمن الوجود الفعلي للفرنسيين في هذه البلاد فإنه أي الماريشال سولت كتب إلى القنصل الفرنسي العام بتونس في شهر جـانفي 1840 يدعوه في مراسلته تلك إلى البحث عن 600 رجل تركي يرغب في التجنيد للعمـل فـي الجزائـر مقابـل أجـرة

---

294 - **Duruy. V:** op. cit, p.3.
295 - **Rovigo:** op. cit, pp.4-5,11.
296 - **André Figuéras:** op. cit, p.92.

مغربية[297]. و الظاهر أن طلبه هذا لم يلق القبول عند الشباب التركي في تونس نظرا لكون المعارك الطاحنة التي كانت تجري في الشرق و الغرب من القطر الجزائري ، كان صداها يصل إلى أسماعهم هناك.

غير أن الفرنسيين لم يتوقفوا عند هذا الحد، إذ عمدت السلطات العسكرية إلى تجنيد كراغلة وادي الزيتون* (منطقة بين بودواو و البليدة) و الذين التجؤوا إلى مدينة الجزائر عام 1837 بعد أن هاجمتهم قوات الأمير عبد القادر لمعاقبتهم على عدم اعترافهم بسلطته في العام الماضي. و كونت السلطات العسكرية الفرنسية من هذه العناصر كتيبتين استخدمتا في حراسة المراكز المتقدمة و المواقع الأمامية التي يشكون في ولائها. و لكي تسهل السلطات العسكرية على الكراغلة انضمامهم الى صفوفها سمحت لهم باصطحاب نسائهم و أطفالهم و عائلاتهم إلى المراكز التي كانوا يحرسونها، و هكذا صار بعضهم يزرع الأرض القريبة من مراكز الحراسة و بعضهم الآخر اشتغل بتربية الماشية.

وتمكن في الأخير الماريشال سولت من الانتصار على تردد الحاكم العام في 1840/02/10 حين تم له تأسيس سلك مختلط من المجندين الجزائريين في مقاطعة الجزائر حيث كان هذا السلك يضم سرية من الصبايحية غير الدائمين و 4 كتائب من الرماة الجزائريين المجندين من سكان مدينتي البليدة و القليعة[298]. و أما في مدينة قسنطينة و عنابة فالسلك العسكري المشكل من الجزائريين كان يضم في صفوفه الأتراك المجندين للخدمة العسكرية، وهكذا تمكنت السلطات العسكرية من تكوين فصائل قوية من الأتراك صارت تضاهي الفيالق الجزائرية الأخرى وأطلق على الجميع تسمية التركوس Turcos. ودائما في شهر فيفري عام 1840 تم تأسيس نصف فيلق من الرماة الجزائريين من قبائل الدوير و السميلة في مقاطعة وهران.[299]

لكن الكتائب العسكرية التي تأسست في مقاطعة الجزائر عرفت عدة مشاكل، لأن سكان القليعة عرف عنهم عدم رضاهم عن العمل العسكري في صفوف الفرنسيين و لذلك سعوا إلى خلق المشاكل: منها مطالبتهم برفع أجورهم مقابل الخدمات العسكرية التي كانوا يؤدونها... و مما زاد الأوضاع سوءا هو أن وزارة الحرب الفرنسية بعثت إلى القادة العسكريين بالجزائر برقية بتاريخ 1840/02/10 تؤكد فيها بإلحاح على ضرورة التقيد بالميزانية المخصصة لسنة 1840 و عدم تجاوزها.

ويقترح الحاكم العام على وزارة الحرب إنشاء نصف فيلق من العناصر الكروغلية بتعداد أربعمائة مجند في مقاطعة التيتري، لكن ميزانية 1840 حالت دون تحقيق هذا المشروع الذي طالب به الحاكم العام في1840/04/20. غير أن القيادة العسكرية تمكنت من تجنيد الكراغلة في العام الموالي بتعداد يفوق بكثير التعداد المقترح من قبل...
و بتاريخ 05 جويلية عام 1840 تمكن الماريشال فالي من تأسيس فرقة المشاة الجزائريين في مقاطعة الجزائر تحت تسمية نصف فيلق الرماة بمدينة الجزائر، و ذلك بتعاقد هذه العناصر مع الجيش لمدة ثلاث سنوات، فالإدارة كانت خاضعة لقوانين ثابتة، لكن القوانين التنظيمية للفصائل العسكرية النظامية لم تكن مطبقة بصفة كاملة في الجزائر.لكن مرتبات الجنود ارتفعت بشكل ملحوظ بسبب ارتفاع أسعار المواد الغذائية بشكل معتبر منذ بداية الحرب في الجزائر.[300]

---

[297] - Paul Azan: **L'Armée Indigène...**, op. cit, pp.17-20.

* **مصطفى الأشرف**: مرجع سابق، ص 135 :"هؤلاء الزواتنة جالية من العساكر يتعاطون الزراعة و قد استقروا في البلاد منذ عهد بعيد. و رغم كونهم مسلمين فقد ظلوا يعتبرون جالية أجنبية ضررها أكثر من نفعها في حضيرة الأمة الجزائرية خاصة و أنهم أقبلوا بعد 1830 على خدمة ركاب الأمبريالية الفرنسية مما حمل الأمير عبد القادر على أن يتصدى لمعاقبتهم".

[298] - **Duruy. V:** op. cit, p.4. ذكر المؤلف على هامش هذه الصفحة :إن الكتائب العسكرية كانت تتشكل من 115 رجلا، أما الأجرة الممنوحة لهم فكانت كالآتي: الملازم الجزائري يتقاضى 108 فرنكات شهريا. أما صف الضباط فيتقاضى كل واحد منهم 1.35 فرنك يوميا في حين أن العريف يتقاضى 1.10 فرنك يوميا و الجندي العادي يتقاضى 1 فرنك يوميا.
أما الغذاء اليومي فإنه لم يكن مضمونا بالنسبة للصبايحية و الرماة إلاّ إذا كانت خدماتهم العسكرية تتطلب الابتعاد عن مقر الإقامة بمسافة تتجاوز 3 أيام مشيا على الأقدام.

[299] - Paul Azan: **Les grands soldats...**, op. cit, pp. 39-40.

[300] - Dr F. Quesnay: **L'Armée d'Afrique depuis la conquête d'Algérie,** Ed: Furne, Paris: S.D., pp.65-68,70.

إن عدد المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي كان يمكن أن يصل خلال الأيام الأولى من شهر جانفي 1840 إلى 5000 مجند و 2500 حصان لو تم الأمر بالشكل الذي كان يراه الماريشال فالي الذي اتهم وزير الحرب الفرنسي بكونه تأخر في تنظيم هذا السلك النظامي من المجندين الجزائريين[301]، و الوزير من جانبـه اتهـم الماريشال بتجاوز سلطاته في تعيين الضباط الذين يتطلب تعيينهم مصاريف إضافية لا تستطيع الميزانية المخصصة لذلك تحملها.[302]

وفي خضم هذا التزايد العددي الكبير للمجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي قرر الحـاكم العـام إعطاء هذا التنظيم إدارة قارة و ثابتة و تأسيسا متينا، لحاجة السلطات العسكرية لهؤلاء المجندين، مـن ذلـك مـا أوضحه الماريشال الدوق دالماسي في تقريره إلى الإمبراطور حيث قال: "إن التنظـيم الجيـد للقـوات العسـكرية للمجندين الجزائريين أضحى من الاحتياجات المبدئية للجزائر".[303]

وتحول السلك الزواوي الذي كان يضم حتى هذه الساعة ثلاثة فيالق إلى لواء يضم ثلاثة فيالق في كل منها 9 كتائب بتاريخ 1841/09/08 و لكن لا يمكن للجزائريين إلا أن يكونوا ضمن كتيبة واحدة في كل فيلق لأن التجربة حسب رأي بعض القادة الفرنسيين "*بينت بأنه من الأجدى و الأنفع للجيش الفرنسي عدم دمج المجندين الجزائريين مع الجنود الفرنسيين ذلك أن كل فريق سيأخذ سلبيات الفريق الآخر دون إيجابياته، فالجندي في إفريقيـا عليـه واجبان: القتال و العمل اليدوي و كان من الصعب و الحال على هذا الوضع أن يطلب من المجنـد الجزائـري أي عمل يدوي...*

ومن جانب آخر فمن الصعب أيضا أن يجبر المسيحي على العمل بالمسحاة و المجرفة و المعول بحضـور المسلم الجزائري الذي يتقزز من العمل اليدوي" و لذلك قررت الإدارة العسكرية تكوين سلك خـاص بـالجزائريين تحت تسمية: "الرماة الجزائريون" و هم فيالق خاصة بالمشاة الجزائريين، أما الفرنسيون فلا يكونون في هذا السـلك إلا ضباطا أو صف ضباط.[304]

ب- التعديلات التنظيمية لسلك

المجندين الجزائريـن **1841-1872**

وتأسست فيالق الرماة الجزائريين طبقا للأمرية الملكية المؤرخة في 1841/12/07، غير أنه يبقى فقـط أن نشير أن فيلق مقاطعة الجزائر، استغرق إنشاؤه ثمانية أشهر. ذلك أنه في 1842/08/01 تمكن أخيرا الجنرال دوبار Debar من تكوين الفيلق بصفة نهائية تحت تسمية: " فيلق الرماة الجزائريين لمقاطعتي الجزائر و التيتري ".

و لم يكن الفرنسيون ليقتنعوا بما تحت أيديهم لأنهم لا يرون في هؤلاء المجندين إلا وسائل دعم لجيوشهم، و مهمـا كانت قوة المجند فهي تبقى دائما ناقصة لا ترقى إلى المستوى الذي يرغبون في الحصول عليه من ذلك قولهم: "*من بين **700** رجل مجند يتقاضى مرتبا شهريا لا يوجد هناك من يمكن الاعتماد عليه من بينهم سوى **200** مجند فقط، في حين أن الباقي كان يضم الضعاف غير القادرين على تحمل أعبـاء و مشـاق المعـارك. و حتـى الإطـارات الفرنسية جلهم كان من صف الضباط المسرحين من الخدمة العسكرية*".[305]

لم تكن الظروف المادية ملائمة لتنظيم سلك الرماة الجزائريين بالشكل الذي كان يرجوه القادة العسكريون، و مع ذلك فقد بدأ التأسيس بخمس كتائب فقط و بتعداد 22 ضابطا و 769 مجندا تم حشدهم في البداية في الحـراش ، وفي 16 أوت من عام 1842 نقل هؤلاء المجندون إلى بير خادم و تيقصراين تحت قيادة رئـيس الفيلـق فيرجـي

---

301 - **Duruy. V:** op. cit, pp.5-7.
302 - **Idem:** p.6.
303 - **Camille Rousset**: op. cit, pp.95-98.
304 - **Duc d'Aumale**: op. cit, p.52.
305 - **Juin oclan**: op. cit, p.18.

Vergé.كل المجندين الجزائريين و الإطارات تم ضمهم إلى هذا السلك، ما عدا الميلشيات من المجندين الجزائريين الذين كانوا يقومون بالحراسة الحضرية و حفظ الأمن في الساحات...

ولإثراء هذا السلك عمدت السلطات العسكرية إلى قبول انضمام الضباط من الأسلاك الأخرى، و بذلك تـم تأسـيس الكتيبة السادسة في 1843/01/20، أما الكتيبتين السابعة و الثامنة فقد تأخرتأسيسهما إلى غاية 13 فيفري 1852.

ومع ذلك يمكن القول بأن تحضير هذه الكتائب كان يجرى بسرعة كبيرة نظرا للحرب المرتقبـة فـي شـبه جزيرة القرم و التي كان الفرنسيون يستعدون لها في الخفاء، فرغم النقص في التجهيزات و الألبسة، لأن المخـازن بصورة عامة كانت فارغة، كما أن الرماة الجزائريين لم يكن لديهم من الوقت ما يكفي للتدريب و الحصـول علـى الألبسة الضرورية، و مع ذلك فمشاركتهم في الحرب إلى جانب الفصائل العسكرية القديمة في الجـيش الإفريقـي كانت مؤكدة، رغم أن مشاكلهم تكاد تكون من المستحيل تجاوزها في مثل هذه الظروف[306].

لكن بالرغم من كل هذا فالحكومة العامة لم تبق مكتوفة الأيدي بل سعت إلى تحضير أكثر من 500 بذلـة مؤقتـة، عمل على توفيرها الموردون المدنيون، أما بقية المشاكل و الحواجز الأخرى فقد تمكن القادة و الضباط العسكريون من تجاوزها.[307]

وخلاصة القول هو أن تأسيس سلك الرماة الجزائريين بدأ منذ سنة 1841 طبقا للأمرية الملكية المؤرخة فـي 1841/12/07، و منذ ذلك الحين و سلك الرماة يعدل باستمرار و ينظم طبقا للحاجيات التي تفرض نفسها. في حين تبقى الأمرية المشار إليها سابقا هي المرجع الأساس لتنظيم هذا السلك فيما بعد.[308]

و من هنا يمكن اعتبار هذا السلك هو الوعاء الذي ضم كل المجندين الجزائريين من مختلف الفصائل في حـين أن بقية الأسلاك الأخرى فقد كانت مشتركة مع الفرنسيين أو كانت فيالقها تابعة للأسلاك الأخرى في الجيش الأفريقي.

بالرغم من أن هذا السلك يعتبر جزائريا إلى حد ما، على خلاف بقية الفصائل و الفيالق الأخرى التي كانـت تحمل أسماء مختلفة مثل: الزواويون و القناصة الجزائريون و الصبايحية، فإنهم كانوا تابعين للأسلاك التـي يغلـب عليها العنصر الفرنسي مثل قناصة إفريقيا...

ومع ذلك فإن معظم الوظائف الخاصة وكذا الرتب العسكرية خاصة منها رتـب الضـباط كانـت كلهـا محفوظـة للفرنسيين في سلك الرماة الجزائريين و الرتب من الدرجة الثانية يعني صف الضباط كان نصيب الجزائريين منهـا النصف.[309]

ومنها رتب صف الضباط الخاصة بالمجندين الجزائريين كانت تتم عن طريق التعيين من طرف الرائد قائد الفيلـق. و للتعيين في ذلك مذاهب و آراء؟...

و في حالة تساوي الرتب بين الفرنسيين و الجزائريين في الكتيبة الواحدة فإن القيادة تكـون دائمـا مـن نصـيب الفرنسي، فهل هذا نتيجة لعدم الثقة في المجند الجزائري؟.....

أم أنه عقدة العنصرية و التعالي التي لا تسمح للمجند الجزائري أن يكون قائدا على أمثاله من الفرنسيين؟..... أم أن الأمر لا يعدو كونه إذلالا و امتهانا للجزائريين حتى في الصفوف العسكرية، حيث لا يختار الموت زبائنه.؟...

أما فيما يخص انتماء الجزائريين إلى كتائب الرماة من الفيالق و الفصائل الأخرى أو المجندين الجدد فإن ذلك كان يتم عن طريق اقتراح من رئيس السلك أو موافقة القائد العسكري الأعلى، و يتم الانتماء طبعا من دون تعاقـد كي تتمكن الإدارة العسكرية من الاستغناء عن خدمات المجند بطلب منه أو يسرح بسبب انعدام الكفاءة العسكرية أو لسوء الأخلاق.

لكن الفرنسيين يمكنهم التعاقد مع سلك الرماة الجزائريين بصفتهم عمالا متخصصين: مروضين للبغال أو ممرضين لمعالجة المرضى و الجرحى، أو تقنيين في إصلاح الأسلحة.[310]

---

306 - **Duruy. V:** op. cit, p.10.

307 - **Id.**

308 - المبشر: عدد 1856/04/22.

309 - **Duruy. V:** op. cit, p.11.

وبعد مضي عشر سنوات على تأسيس سلك الرماة الجزائريين و ابتداء من 1852/02/13 أعطـي لفيـالق الرماة الجزائريين تنظيم نهائي، بحيث تصبح هذه الفيالق مشكلة من 8 كتائب و في كل كتيبة منها 166 مجنـدا، و بذلك يصبح تعداد الفيلق الواحد هو: 1368 مجندا. و لكي يضمنوا خدمات إضافية لهذه الفيالق فقد ضم لكل منها 30 جنديا فرنسيا، اعتبروا في هذه الفيالق بمثابة جنود الصف الأولى، في حين أن المجندين الجزائريين في هذه الفيـالق كانوا معتبرين في الصف الثاني، و للفرنسيين في ذلك هدف التمييز من دون شك، و إلا كيف نفسر هذا التصـنيف الذي يتجاوز الاعتبار النفسي إلى المادي بحيث أن المصنفين في الصف الأول من الفرنسيين يتقاضون مرتب فرنك واحد عن كل يوم، أما المصنفون في الصف الثاني فأجرتهم اليومية 0,95 فرنكا يوميا.

و الأجرة المخصصة للمجندين الجزائريين بصورة عامة كانت كالآتي:

- أجرة رقيب 1,5 فرنك يوميا
- أجرة عريف : 1,15 فرنكا يوميا
- أجرة المجند من الصف الأول: 1 فرنكا يوميا
- أجرة المجند من الصف الثاني: هي 0,95 فرنكا يوميا

وبهذه الأجرة يتكفل جميع المجندين بغذائهم اليومي، أما عندما تكون هناك حملات عسكرية فإن الغذاء اليومي تقدمه لهم إدارتهم الوصية مجانا.[311]

أما البذلة العسكرية التي حددها القرار الوزاري في 1853/02/14 فقد بقيت هي نفسها: الأزرق السماوي و هو اللون الذي يميز الرماة عن غيرهم و يتساوى في ذلك الضباط و الجنود، فبالنسبة للجنود عامة فقد كـان جنـود مقاطعة الجزائر يتميزون بقطعة قماش حمراء متدلية على جانبي السترة، أما جنود القطاع الوهراني فقطعة القماش عندهم يميزها اللون الأبيض، و أما بالنسبة للمجندين في القطاع القسنطيني فيتميـزون بقطعـة قمـاش بنفسـجية اللون.[312]

ومنذ سنة 1850 ظهرت في المجال العملي فكرة عادية جدا و لكنها لم تكن معروفـة و لا مستسـاغة مـن طرف المجندين الجزائريين و تتمثل في خصم 30 سنتيما من الأجرة اليومية يدفعها المجندون مقابل حصولهم على الغذاء اليومي من طرف السلطات الوصية، و نجحت التجربة أخيرا، و رضي بها الجميع و استسـاغها المجنـدون الجزائريون، و لذلك ابتداء من الفاتح فيفري 1851 تم إقرار وضع الفيلق التابع للقطاع الأوسط الجزائـري تحـت نظام التغذية الخاصة بالأسلاك العسكرية الفرنسية الأخرى...

وسلك الرماة الجزائريين أعطيت له نفس الأسلحة و التجهيزات المتاحة لبقية فصائل المشـاة فـي الأسـلاك الفرنسية الأخرى، و قد بدأ الرماة يستعملون حقيبة الظهر منذ 1848 بعد أن كانوا يرفضون استعمالها فـي البدايـة لأنها تذكرهم ببردعة الحمار.[313]

وفي إطار التنظيم و التسيير و التوجيه لفيالق الرماة الجزائريين فإن الفرنسيين حسب ما يبدو، فـإنهم ربمـا نظرا لشكوكهم و عدم تأكدهم من ولاء و إخلاص أولئك المجندين الذين قد يستيقظ ضميرهم يوما تجاه ما يجـري من أحداث في وطنهم فقد جعلوا على رأس القيادة في كل وحدة عسكرية فرنسيين منهم و تركوا لهـم مهمـة مـن يختارونه من المجندين الجزائريين لتولي وظيفة المسؤولية للمراقبة و المتابعة من الجزائريين، و بطبيعة الحال فإن الذين كانوا يفوزون عادة بالرتب و الترقيات من الجزائريين هم الذين كانوا أكثر استماتة في خدمة الفرنسيين، بل و أكثر شراسة من الفرنسيين تجاه أبناء هذا الوطن من المجندين البسطاء و لذلك فبالرغم من التفرقة العنصـرية فـي الرتب و الوظائف و الأجرة إلا أننا لم نقرأ أو نسمع عن ثورات و احتجاجات المجندين، ما دام أولئـك المجنـدون الجزائريون هم الذين يقمعون أنفسهم بأنفسهم؟...

---

[310] - **Lespes. R:** op. cit, p.22. voir aussi **Duruy. V**: p.12.
[311] - **Duruy. V**:op. cit, p.11.
[312] - **Idem**: p.12.
[313] - C.G.C: **Les Tirailleurs Algériens,** op. cit, p.8.

ولذلك كان القانون يقضي بتوزيع رتب صف الضباط على المجندين الأهالي عن طريق التعيين من طرف الرائـد قائد الفيلق حتى يعرف من المجندين الجزائريين الذين يعملون تحت إمرته من يصلح أحسن من غيره للمهمة التـي يراد له القيام بها[314] .

ولقد عمد القادة العسكريون الفرنسيون إلى تنظيم فصائل المجندين الجزائريين على مراحل بحجة عدم تعـود الجزائريين على النظام العسكري من جهة، و من جهة أخرى، العمل على امتصاص هؤلاء المجندين إلى آخر قطرة من دمائهم و بأقل التكاليف، و قد رأينا كيف أن تجنيد الجزائريين كان يتم من دون تعاقد حتى يتمكنوا من الاستغناء عن العناصر التي يرون فيها انعدام الكفاءة العسكرية أو التخاذل في إحراق و تدمير إخوانهم و بنـي جلـدتهم، ثـم يعزون ذلك إلى انعدام القدرة الحربية عند هذا العسكري أو ذاك، أو لسوء الأخلاق و المعاشرة...

وعلى كل، فإنه بعد التنظيمات و التعديلات التي رأيناها تدرج في صـفوف المجنـدين الجزائـريين خـلال المرحلة الأولى، ها هي المرحلة الثانية تنطلق بإصدار مرسوم ملكي بتاريخ 1855/01/09 يقضي بإنشاء فيلق ثان للرماة الجزائريين في كل مقاطعة من المقاطعات الثلاث للوطن الجزائري، و تم اختيار الرائد وولف Wolff ليكون قائدا و رئيسا للفيلق الثاني لمقاطعة الجزائر، و كان مقر القيادة العامة و المستودع يقعان في مدينة دلس.
و تخلى الفيلق القديم عن تسميته " فيلق الرماة الجزائريين لمقاطعة الجزائر و التيتري "، ليسمى بعد ذلك: " الفيلـق الأول للرماة الجزائريين لمقاطعة الجزائر".[315]

وبعد قرار إعادة اللواء الجزائري للرماة من الجيش المشرقي بعد نهاية حرب القرم صدر مرسوم ملكي جديد في 10 أكتوبر 1855، يتضمن إنشاء ثلاثة ألوية للرماة الجزائريين بتعداد ثلاثة فيالق لكل لواء ، وهذا بالمقاطعـات الثلاث: الجزائر، وهران، قسنطينة.مما يعني تسعة فيالق في المجموع بالنسبة لهذا السلك.
و صار اللواء الأول للرماة الجزائريين الخاص بمقاطعة الجزائر يضم عناصر الفيلقـين الأول و الثـاني و كـذلك المجموعة العائدة من حرب القرم و هم أصلا من مقاطعة الجزائر، و بذلك صار عدد عناصرهذه الفيـالق بصـفة إجمالية 6 كتائب في كل فيلق.
مما يعني أيضا أن : 6 كتائب x 3 فيالق = 18 كتيبة ومن ذلك فإن عدد الجنود في هذا اللواء يكون كالآتي : 18 كتيبة x 166 جنديا = 2988 جنديا وهو عدد عناصر هذا اللواء.
وابتداء من 01 اكتوبر 1856 كان اللواء الأول للرماة الجزائريين في البليدة قائما.[316]

غير أن السلبيات كانت تتفاقم عاما بعد عام و صارت واضحة في وضعية المجندين الجزائريين الذين لم يكن يربطهم بالجيش و الخدمة العسكرية أي عقد واضح... مما أدى إلى تناقص أعداد المجندين الجزائريين فكان ذلـك مصدر قلق لدى القادة العسكريين الذين سعوا إلى استصدار قرار ملكي في 8 جوان 1861 ينظم تعاقـد المجنـدين الجزائريين و إعادة تعاقدهم مع الجيش و لمدة أربع سنوات، و هذا ما ضمن للمجندين حقوقا جديدة لم تكن لهم مـن قبل، و لكن حتى هذا القانون فرض على المجندين الذين يرغبون في إعادة التعاقد، الاستظهار بشهادة "حسن السيرة" و شهادة "الكفاءة البدنية". كما أن هذا القرار حدد التعداد الأقصى لفيالق الرماة بحيث لا يتجاوز الفيلق الواحد منهـا 2000 جندي، و حدد كذلك أجرة المجندين الجزائريين الذين كان عليهم أن يدفعوا أجرة الإطعام من جيوبهم.
و بذلك صار الجنود الرماة من الصف الأول يتقاضون 0,60 فرنكا يوميا في حين يتقاضى الرماة من الصف الثاني 0,50 فرنكا يوميا، و بهذه الأجرة يدفعون قيمة الأسلحة و اللباس و الغذاء الذي يحصلون عليه، و أما نصيبهم مـن أدوات التسخين في كل الظروف، فكانوا يحصلون عليها مجانا من طرف الإدارة الوصية.[317]

ومما جاء في القرار الملكي الذي ضمن للمجندين الحق في التعاقد و إعادة التعاقد شيء من الإغراء للعناصر التي هم في حاجة إليها بعد الاستظهار بشهادة حسن السيرة و شهادة الكفاءة البدنية و ذلك بمنحهم 50 فرنكا كمنحـة

314- **Duruy. V:** op. cit, p.11
315 - **Juin Oclan:** op. cit, pp.10,11,12.
316 - **Duruy. V**: op. cit, p.74.
317 - **Idem:** p.76.

تشجيعية و زيادة في الأجرة تصل إلى حدود نصف فرنك يوميا، و عند إعادة التعاقد للمرة الثانية يصبح من حق المجند بالإضافة إلى المنحة التشجيعية 50 فرنكا وزيادة إضافية في الأجر قد تصل إلى 10 سنتيمات يوميا بعد إعادة كل تعاقد... على أن لا تتجاوز إعادة التعاقد، للمرة الثالثة.[318]

وبالنسبة لصف الضباط فقد كانت الأجرة اليومية بعد إعادة التعاقد في المرة الأولى بزيادة 0,05 فرنكا يوميا، أما بعد التعاقد في المرة الثانية فالزيادة هي 0,15 فرنكا، و أما إعادة التعاقد في المرة الثالثة فالزيادة هي 0,20 فرنكا يوميا، غير أن السلطات العسكرية سرعان ما اشترطت للحصول على هذه الزيادة في الأجرة اليومية أن تبدأ إعادة التعاقد قبل أن تنتهي مدة التعاقد الأولى بحيث يستمر المجند في الخدمة العسكرية من دون انقطاع.[319]

ولعل هذا الشرط وضع خصيصا للتحايل على المجندين الجزائريين الذين كانوا في أغلب الأحيان يجهلون القوانين التنظيمية، و لأنهم كانوا تحت رحمة الضباط و القادة العسكريين الفرنسيين الذين يعملون في كثير من الأحيان على تسويفهم حتى تنتهي مدة الخدمة الحالية للعقد بقصد حرمانهم من هذه الحقوق الإضافية التي تعطى للمجندين الراغبين في إعادة التعاقد مع الجيش.

ج- التشجيع على
إعادة التعاقد:

لقد انتبه القادة العسكريون إلى أن تعداد ألفي جندي المحدد لكل فيلق يعتبر ضعيفا و هزيلا مقارنة مع ما يتطلبه الفيلق من مصاريف و لذلك عمدوا إلى المطالبة بإلغاء البند الذي حدد عدد عناصر الفيلق في القرار الملكي المؤرخ في 8 جوان 1861، و بذلك استصدروا مرسوما يقضي بإلغاء هذا البند و تعويضه بالمرسوم الوزاري المؤرخ في 9 جوان 1866 الذي يفسح المجال لإعادة التعاقد لمدة 7 سنوات مقابل منحة تشجيعية بقيمة 700 فرنك يقبض منها المعني بالأمر 50% عند إمضاء العقد، و 50% الباقية تدفع له بعد الانتهاء من أداء الخدمة العسكرية، و لكنه في حالة التعاقد مع الجيش لمدة تقل أو تزيد عن سبع سنوات فإن المنحة التشجيعية تكون 100 فرنكا عن كل سنة في خدمة الجيش شريطة أن لا تتجاوز مدة التعاقد في الخدمة العسكرية أربع عشرة سنة.[320]

أما ليونال فيذكر بهذا الصدد: "إن عدد الشباب الذي يمكن للجزائر أن تقدمه للجيش الفرنسي بغرض تجنيده يمكن أن يصل إلى 35 ألف جندي". و من أجل أن يتحقق مثل هذا التصور فقد اقترح على الإمبراطور الفرنسي جملة من الشروط العملية التي لا بد من توفرها كي تتمكن فرنسا من إشراك الجزائريين في الجيش الفرنسي بشكل جدي و فعال. و من بين أهم هذه الشروط ما يلي:

1. قبول المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي لمدة 5 سنوات على أن يستفيد كل منخرط أو كل من تم تجديد عقده من منحة تتراوح ما بين 200 و 300 فرنك عند إمضاء العقد.
2. كل مجند جزائري عندما ينهي مدة الخدمة العسكرية المتفق عليها يتحصل بموجب ذلك على قطعة أرض مساحتها هكتارين أو ثلاث هكتارات مقابل كل خمس سنوات قضاها في الخدمة العسكرية.

فعن طريق هذه الإجراءات الجادة في التعامل مع المجندين الجزائريين يمكن لفرنسا أن تضم إلى صفوفها أكبر عدد ممكن من الأهالي المجندين في صفوف الجيش الفرنسي.[321]

أما علاقة سلك الرماة بالجيوش الفرنسية فتتلخص في كون هذا السلك كان منذ سنة 1860 يرسل بفيلق من الرماة الجزائريين إلى باريس كل عام بعد أن تشترك الألوية الثلاثة في تكوينه. غير أن السلطات العسكرية أقرت في سنة 1863 إرسال الفيلق الثالث من اللواء الأول إلى باريس التي وصلها في 16 ماي ليكون بذلك تحت قيادة الجنرال دوز التابع للقسم الثاني المنتمي للحرس الوطني، و تكون الفرق الأخرى و الأسلاك العسكرية المشكلة من

[318] - **Duruy. V**: op. cit, p.74.
[319] - **Duruy. V**: op. cit, p.76.
[320] - **Deladrière**: op. cit, p.47.
[321] - **Lunnel Eugène:** op. cit, pp.95-96.

الجزائريين كالرماة الجزائريين، و الزواويين و الصبايحية هي الأخرى ممثلة في الحرس الإمبراطوري ابتداء مـن سنة 1863.[322]

ودائما في نفس هذه السنة 1863 فإن اللواء الأول للرماة الجزائريين تم تمثيله في أوروبا بفيلقه الباريسـي و في آسيا تم تمثيله بواسطة الكتيبتين اللتين كانتا تحاربان في حملة كوشين شان ، في حين أن اللواء الأول كان هـو الممثل لهذا السلك في إفريقيا أما في القارة الأمريكية فكانت الكتيبتان اللتان تشاركان في حرب المكسيك منـذ سـنة 1862 هي ممثلة سلك الرماةالجزائريين.

وقبل بدء العمليات الحربية بين الألمان و الفرنسيين عام 1870 عمد المسؤولون العسكريون إلى تجهيز فيلق باريس بقيادة العقيد سيرمانسان **Sermensan** الذي تحرك بسرعة نحو المنطقة الساخنة في الشمال الشرقي لفرنسا و هي منطقة الألزاس المستهدفة من طرف القوات الألمانية، غير أنه مباشرة بعد نهاية الحرب الأليمة التي فتكـت بالعديد من المجندين الجزائريين و عودة الباقي منهم إلى العاصمة باريس، سارعت السلطات العسكرية إلى ترحيـل أولئك المجندين الجزائريين من العاصمة الفرنسية، خشية أن يعمد أولئك الجزائريون إلى الفتك بالجماهير الباريسـية "على الطريقة العربية"، مما سيؤدي إلى تطايرروؤس الثائرين في الشوارع عند قيام فوضى أو شغب.[323]

وفي النهاية نشير إلى أن التنظيم الداخلي الذي مس هذا السلك العسكري للمجندين الجزائريين مر بمراحـل ثـلاث يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- المرحلة الأولى: و تبدأ من سنة 1841 إلى 1861 حيث لم يكن المجندون الجزائريون خلالها مـرتبطين بـأي عقد مع الجيش. و كانت السلطات العسكرية خلالها تمدهم بالسلاح و الملابس و التجهيزات الضرورية.

2- المرحلة الثانية: من 1861- 1866، صار خلالها المجندون الجزائريون مرتبطين مع الجيش بواسـطة عقـد التجنيد و إعادة عقد التجنيد مع الجيش، و السلطات كانت تمدهم بالملابس و السلاح و الغذاء و كـل الاحتياجـات الضرورية للحياة اليومية.

3- المرحلة الثالثة: و تبدأ من 1866-1900، إذ صار للمجند حينها الحق في منحة التقاعد حسب مـدة الخدمـة العسكرية، إذ أنه بعد سنة 1872 أدرجت لصالح المجندين عدة تعديلات أخرى تخص وضعهم المـادي أثنـاء أداء الخدمة العسكرية[324].

و في نهاية القرن التاسع عشر صار للمجندين الرماة وضعية مالية محددة بقانون 29 ماي 1890 تتعلق بالأجرة، و تتلخص في الحقوق التالية:

أ- إمكانية مواصلة الخدمة العسكرية لمدة 25 سنة عن طريق التعاقد و إعادة التعاقد مع الجيش و في كل مرة يعـاد فيها التعاقد مع الجيش تعطى للمجند علاوة تطوع تقدر بـ 400 فرنك، و بعد ثلاث مراة من إعادة التعاقد يصير ما تقاضاه المجند من علاوات مالية هو 1600 فرنك بالإضافة إلى المرتب المضمون شهريا.

---

322 - Du Barail (Général): **Mes souvenirs, T.1**, op. cit, p.74.
323 - Du Barail (Général): **Mes souvenirs, T.1**, op. cit, p.75.
324 - Mercier Ernest: **L'Algérie en 1880**, Ed: Librairie Algérienne et coloniale, paris 1880, pp.230 et les suivantes.

ب- مجموع فترات التعاقد وإعادة التعاقد مع الجيش يضمن للمجند تقاعدا ثابتا حسب التنظيم التالي:

الرتبة	خدمة فعلية 15 سنة	خدمة من 15 الى 25 سنة زائد الحملات العسكرية	أدنى من 25 سنة خدمة زائد الحملات العسكرية.	خدمة من 25 إلى 45 سنة.	أقصى خدمة هي45 سنة.
صد- - --ف الضباط	480 فرنكا	32 فرنكا	800 فرنك	15 فرنك	1100 فرنك
عريف	420 فرنك	28 فرنك	700 فرنك	10 فرنكات	900 فرنك
جندي	360 فرنك	24 فرنك	600 فرنك	7,5 فرنك	750 فرنك

ج- و نتيجة لهذا التنظيم الجديد فإن المجند في سلك الرماة الجزائريين المحال على التقاعد يتحصل بموجـب ذلـك على منحة دائمة قدرها 750 فرنكا شهريا عند مغادرته للجيش بعد خدمة 25 سنة و هذا منـذ صـدور المرسـوم المؤرخ في أوت 1883[325]. و على كل فقد اتضح هذا التحسن النسبي أكثر في وضعية المجندين سواء أثناء أو بعد الخدمة العسكرية منذ صدور القانون الإجباري للجزائريين على التجنيد في 03 فيفري 1912.

[325] - **Capitaine le Français:** op. cit, p.14

ثالثـا :

أ- توافـد المجنديـ ـن الجزائريـن

على الجيش الفرنسي **1830- 1900**

ليس من السهل علينا ونحن في هذا الوضع من الإمكانيات المحدودة أن نتوصل إلى إحصاء حقيقـي ودقيـق لعدد الوافدين من المجندين الجزائريين إلى صفوف الجيش الفرنسي منذ عام 1830 والـى غايـة 1900، بسـبب افتقارنا إلى المعطيات الصحيحة و الدقيقة لمثل هذا الإحصاء، وذلك لعدة أسباب أهمها؛

1. افتقارنا إلى الوثائق و السجلات الخاصة بأولئك المجندين، وهو ما لم يسمح لنا بإنجاز هذه العمليـة بالشـكل المرغوب رغم بساطتها، إذ أن كل المعلومات المتوفرة لدينا لا تتعدى ما تم جمعه و استخلاصه من المصادر التي تحدثت عن المجندين في صفوف الجيش الفرنسي، و التي ركزت في مجملها على ما قـام بـه أولئـك المجندون من حملات عسكرية داخل التراب الوطني أو تلكم الحروب التي خاضوها خارج القطر الجزائري.
2. كثيرون هم أولئك المجندون الذين كانوا ضمن الفصائل العسكرية الملحقة أو الفرق العسكرية غير النظاميـة كالقومية مثلا، و أتباع الحلفاء والمتعاونين مع الغزاة من القياد و الباشاغوات، و رؤساء المكاتـب العربيـة، والمجندون كان تجنيدهم يتم عادة من طرف شخصيات معينة كان الفرنسيون يسـتغلونهم لخدمـة الأهـداف الاستعمارية المسطرة .
3. كل المصادر و المراجع المعتمدة في هذا البحث و هي كثيرة كانت مـن تـأليف الضـباط و الجـرالات و المؤرخين الفرنسيين و كلهم أجمعون ركزوا على ما قام به أولئك المجندون فـي صـفوف الغـزاة خـلال حملاتهم العسكرية و حروبهم الطاحنة، و ما بدر منهم من اندفاع جسدي مما ينبئ عن صلابتهم و شجاعتهم و ولائهم لقادتهم العسكريين.[326]دون أن تتعرض لأعداد المجندين وتوافدهم على الجيش الفرنسـي بشـكل واضح ومباشر لأن المهم بالنسبة إليهم هو الإخلاص والتفاني في الدفاع عن العلم الفرنسي..

و لعل المصدر الوحيد الذي كتبه جزائري عن المجندين هو: (الإسلام في الجـيش الفرنسـي) لصـاحبه الملازم الأول الحاج عبد الله، و مع ذلك فإن هذا المصدر لم يتطرق البتة لعدد المجندين الجزائريين في أي مرحلـة من مراحل هذه الفترة الممتدة من1830إلى1900.

و من دون مبالغة أقول: بأن هذا الكتيب هو عبارة عن صرخة و حسرة انبعثت من روح و أعماق هذا المجند فـي صفوف الجيش الفرنسي، شأنه في ذلك شأن الآلاف من الذين سبقوه. فالصـرخة عبـارة عـن تنبيـه للمسـؤولين الفرنسيين آنذاك إلى كل ما كان يلقاه أولئك المجندون من معاناة و آلام رغم أنهم كانوا ويكونون دائما في الصـفوف الأمامية عند بدء المعارك القاسية، ثم سرعان ما يتناسى الجميع أفضالهم بعد ذلك، بالرغم من تشدق الفرنسيين دائما عن: الأخوة ، المساواة ، والحرية ، و أما الحسرة فمردها النحيب و البكاء و الألم النفسي على ما هم فيه من حقـرة و تهميش، أكثر مما هو تأريخ لمرحلة من مراحل حياة المجندين السائرين في ركاب المحتلين، أولئـك المتعـاونون الذين كثيرا ما كان يصفهم الكولونيل مان في معرض حديثه عـن المتعـاونين مـع الفرنسـيين بقولـه: حلفائنـا الحقيرين.[327]

وأمام وضع كهذا وجدتني مضطرا إلى تتبع مسار أولئك المجندين الذين كان القادة العسكريون الفرنسيون في كل مناسبة لا يتأخرون عن التنويه بشجاعتهم و ولائهم لقادتهم أكثر من الحديث عن عددهم و عن ظروف تجنيدهم، و لا حتى عن الأسباب الحقيقية التي دفعتهم إلى الإقبال على التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، رغم كون هـؤلاء المجندين كانوا يعلمون أن أهاليهم و كذا المجتمع الجزائري برمته سيهمشهم و يحتقرهم ، و لن يفلتوا من عقابه متى حانت الفرصة المواتية لذلك.

---

[326]- سبق و أن أوضحنا مفهوم الولاء و أسباب الاندفاع إلى الأمام كما هي، و ليس كما يراها القادة و الضباط العسكريون و المؤرخون الفرنسيون.

[327]- **مصطفى الأشرف** : مرجع سابق، ص.92

ولهذه الأسباب مجتمعة قلت في البداية بأنه لا يمكننا الوصول إلى إحصاء حقيقي و دقيق إلا بالعودة إلى السجلات الأولى الخاصة بالفرق العسكرية و الأسلاك التي تضم أولئك المجندين الجزائريين الذين كثيرا ما كانوا يفرون من صفوف الجيش الفرنسي للالتحاق بالمقاومين تحت راية الأمير عبد القادر.[328]

ورغم صعوبة تحقيق هذا الإحصاء في ظل الأسباب الموضوعية المذكورة سلفا، فإنني حاولت استقراء ما توفر لدي من إشارات و تلميحات واردة في المصادر الفرنسية المعتمدة في هذا البحث. ومن هنا فقد عمدت إلى تقسيم هذه الفترة الموضوعة تحت البحث و الدراسة وهي التي كان فيها الانتساب إلى الجيش الفرنسي من طرف المجندين الجزائريين يتم عن طريق التجنيد الإرادي من **1830-1900** . فنتج عن هذا التقسيم ثلاث مراحل بقصد التدرج في عملية إحصاء المجندين و توافدهم على الجيش بحسب الظروف و المراحل التاريخية، فكانت كالآتي:

1- المرحلة الأولى:

وتعني إحصاء المجندين الجزائريين في الجيش خلال السنوات الأولى

للغزو الفرنسي للجزائر،و تمتد من **1830** إلى غاية **1841**.

لعله من باب التذكير فقط الإشارة إلى أن عدد المجندين الذين كانوا في صفوف الجيش الفرنسي منذ أول سبتمبر **1830** عندما وصل الجنرال كلوزيل إلى الجزائر حاكما عاما للقوات العسكرية الغازية، كان ألفي مجند زواوي، أولئك الزواويون الذين كان سلفه الكونت دي بورمون قد جندهم في صفوف الجيش بعد الاتفاق مع زعيمهم عاجي أبراشمان كيني في نهاية النصف الثاني من شهر أوت المنصرم. و إلى جانب هؤلاء كان هناك يوسف المملوك التونسي الذي استطاع بفضل مهارته العسكرية و حيله إلى جانب إتقانه للعربية، أن يستميل إليه عددا من الشباب الكراغلة و بعض أبناء الأهالي المغامرين من العاصمة، الذين شكل منهم فرقا خاصة تأتمر بأمره، و تقوم بالإغارة على السكان، و تنفذ تعليماته طبقا لِما يخدم الأهداف العسكرية الفرنسية المسطرة[329]. وأولئك المجندون يبقى عددهم مجهولا على الدوام، لأنهم فرق إضافية ملحقة بالجيش الفرنسي.

وبعد الحملة العسكرية التي قادها الجنرال بيرتيزن على المدية عاصمة بايلك التيتري في الثالث من شهر جويلية عام **1831**، و نتيجة لما حصل وقتها من مواجهة عنيفة بين الجيش الفرنسي المدعم بالمجندين الزواويين من جهة و الجزائريين المقاومين للاحتلال من الجهة الأخرى. و ما ترتب عن ذلك من مقتل ما لا يقل عن 250 جنديا في صفوف الغزاة. فكانت هذه المواجهة بداية لصحوة الضمير عند الشباب الجزائري فتوقف بذلك الإقبال على التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، و نضب المعين الذي كان يعول عليه القادة العسكريون الفرنسيون[330].

ودون أن ننسى كذلك تأثير مبايعة عبد القادر بن محي الدين من طرف الجزائريين أميرا عليهم بغرب البلاد في 1832/11/27، و إدراك الناس ساعتها للوضع الخطير الذي آل إليه وطنهم في ظل تكالب الغزاة على البلاد و سعيهم الحثيث بكل الوسائل إلى فرض سيطرتهم عليها. و نتيجة لذلك برزت الروح الوطنية الجزائرية في مختلف المناسبات و في كل المناطق التي داهمها الغزاة، و أثرت حتى على عقلية أعوان الاستعمار من المجندين تأثيرا كبيرا، مما جعل سلوكهم متقلبا مما يدل على أنهم كانوا يشعرون بتأنيب الضمير و بمركب النقص تجاه مواطنيهم الأباة . ويبدو ذلك واضحا من خلال الفرار من الوحدات العسكرية المشكلة من الجزائريين، و الذي بلغ درجة قصوى من الخطورة بالنسبة للفرنسيين مما جعل الماريشال فالي سنة 1838 يطلب من وزير الحرب تسريح المجندين الجزائريين من الجندية حتى لا يدعموا صفوف الأمير عبد القادر بعد فرارهم بأسلحتهم.[331]

وبسبب إحجام الشباب الجزائري عن التجنيد في صفوف الغزاة، لم يبق من العناصر المجندة ما يكفي للمحافظة على تشكيلة الفيلقين الزواويين المؤسسين منذ عام 1831، و لذلك أصدرت السلطات الفرنسية المرسوم

---

[328] - **مصطفى الأشرف** : مرجع سابق ص.93

[329] - Paul Azan: **conquête et Pacification**…, op. cit, p.58.

[330] - **Rovigo :** op. cit, p.11.

[331] - **Juin Oclan**: op. cit, pp.5-6.

المؤرخ في 7 مارس 1833 الذي قضى بإدماج عناصر الفيلقين ضمن فيلق عسكري واحد يتكون من عشرة كتائب، منها كتيبتان اثنتان مشكلتان من العناصر الفرنسية، و صار هذا الفيلق بعد ذلك يضم 38 ضابطا و 1245 جنديا.[332]

غير أن عدد المجندين الجزائريين سرعان ما تضاعف في صفوف الجيش الفرنسي عندما عزم الجنرال كلوزيل على مداهمة معسكر سنة 1835 بغرض القضاء النهائي على الأمير عبد القادر ومقاومته ، بعد أن دفع كلوزيل العناصر المحاربة من فرسان الدوير و السميلة للانضمام إلى صفوف جيشه بناء على اتفاقيتهم المبرمة مع الفرنسيين في 1835/06/16، و كان عدد المنضمين إلى صفوفه هو:5500 مجند دعموا الجيش الجرار الذي بلغ تعداده يومها 11 ألف جندي زحف بهم على معسكر التي غادرها الأمير قبل وصول جنود جيش الغزاة الذين خربوا المدينة [333] و أكثروا فيها الفساد.

أما القناصة الجزائريون الذين كانوا مدمجين في سلك قناصة إفريقيا فإن عددهم لم يكن معروفا رغم كونهم قدموا خدمات معتبرة للجيش الفرنسي و كان لهم دور ريادي في الحملة العسكرية على قسنطينة سنة 1837، و قد عمدت السلطات الفرنسية إلى حل و إلغاء هذه الفرقة من سلك قناصة إفريقيا في 1838/2/8، و لكنها تراجعت عن هذا القرار و أعادت الفرقة إلى الوجود ضمن سلك قناصة إفريقيا دائما و ذلك في 1838/11/24 و إلى غاية هذه الفترة يبقى عدد عناصر هذه الفرقة من المجندين الجزائريين مجهولا، فحتى الجريدة التي أوردت الخبر لم تشر إلى تعدادهم.[334]

وننتقل إلى نوع آخر من المجندين الجزائريين و هم فرق الصبايحية الذين كانوا حاضرين ضمن مختلف الأسلاك العسكرية بالجيش الإفريقي، فتشكيلتهم عرفت التأسيس الرسمي في 1834/09/10 و كانت البداية بأربع سرايا تحت قيادة يوسف المملوك التونسي الذي نجده ماثلا أمامنا في مختلف محطات الغزو الفرنسي في الجزائر.[335]

وفي سنة 1836 كان عدد سرايا السلك الصبايحي قد صار 4 سرايا في كل من عنابة و وهران أما في الجزائر العاصمة فإن عددها كان 6 سرايا. مما يعني أن عدد المجندين من الصبايحية حتى سنة 1836 هو كالآتي: 14 سرية × 140 فارسا = 1960 مجندا صبايحيا.[336]

وبالرجوع قليلا إلى الوراء نجد أن عودة الجنرال كلوزيل على رأس جيش الاحتلال أعطت الفرصة إلى المملوك التونسي يوسف لكي يسطع نجمه من جديد بعد أن عينه كلوزيل بايا على القطاع القسنطيني و أمره بتأسيس سلك إضافي من المجندين الأتراك و شباب القبائل الموالية للفرنسيين بعنابة بتعداد 1000 فارس، لكن يبدو أن الظروف لم تكن مواتية للحصول على هذا العدد، بحيث لم يتمكن يوسف من تجنيد سوى 500 فارس و هذا سنة 1836 لكي يشاركوا في الحملة العسكرية الأولى على قسنطينة. و فعلا فقد تناقص عددهم بعد هذه الحملة و صاروا 300 فارس فقط.[337]

وبعد احتلال الفرنسيين لمدينة قسنطينة في 13 أكتوبر 1837 تأسس فيلق آخر للرماة الجزائريين، إذ عمد الجنرال فالي إلى تجنيد الجزائريين من الكراغلة و الأتراك و من القبائل المجاورة لمدينة قسنطينة، وفي خلال الفترة الممتدة من 17 نوفمبر إلى 9 ديسمبر 1837 بلغ عدد المجندين 650 عنصرا من المشاة و 40 فارسا من الصبايحية و سمي أولئك المجندون يومها: فيلق الأتراك القسنطيني.[338]

---

[332] - **Deladrière. P:** op. cit, p.18.
[333] - **Duruy. V:** op. cit, p.29.
[334]- المبشر: عدد 1854/3/22.
[335] - **André Figuéras:** op. cit, p.84.
[336] - **Julien:** op. cit, p.274.
[337] - Péllissier de Reynaud: **Annales Algériennes. T.3**, Ed: Librairie Militaire, Paris 1854, p.94.
[338] - L. Darier Chatelan: **Historique du 3e Régiment de Tirailleurs Algériens,**
Ed: Georges Hein, Constantine 1888, p.10.

واقترح الحاكم العام على وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 1840/04/20 الموافقة على تأسيس نصف فيلق من المجندين الكراغلة بتعداد 440 مجندا في مقاطعة التيتري، لكن الميزانية يومها لم تكن كافية لتغطية هذا العبء الجديد، و تأجل المشروع إلى السنة الموالية حيث تمكنت السلطات العسكرية الفرنسية من تحقيق هذا المشروع بفضل ما توفر لديها من أرصدة مالية، فكان العدد المجند سنة 1841 يزيد عن 440 جنديا.

أما في مقاطعة الجزائر فإن القيادة العسكرية و بقرار من الماريشال فالي بتاريخ 1840/7/5 تمكنت من تنظيم المشاة من المجندين الجزائريين تحت تسمية نصف فيلق من رماة مدينة الجزائر و كان عدد عناصر هذه الفرقة 440 جنديا.[339]

أما وقد وصلنا إلى نهاية هذه الفترة فإنه يبقى لزاما علينا التذكير بما جاء على لسان الضابط الفرنسي دوروي مؤلف كتاب اللواء الأول للرماة الجزائريين الذي يلخص تعداد المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي في نهاية هذه المرحلة بقوله: " إذا اكتمل تأسيس كل الأسلاك العسكرية للمجندين الجزائريين فإنه خلال الأيام الأولى من شهر جانفي **1841** سيصل العدد الإجمالي للجزائريين المجندين في صفوف الجيش الفرنسي إلى **5600** مجند و **2500** حصان ".[340]

وتجدر الإشارة إلى أن هذا العدد الذي ذكره الضابط الذي يعتقد بأنه من الممكن تحقيقه في بداية شهر جانفي يعتبر رقما غير دقيق بالنظر إلى الوضعية التي كان عليها الصراع محتدما بين قادة الجيش الفرنسي المصرين على التوغل في أعماق البلاد مهما كلفهم الأمر و الجزائريين المقاومين الرافضين لتوغل الفرنسيين في المناطق الداخلية للبلاد.

ثم إن العدد المشار إليه قد يكون هو العدد المتبقي من المجندين بعد حذف أعداد القتلى الذين سقطوا في ميادين المعارك عند المواجهة مع المقاومين. و كذلك ربما بعد طرح الأعداد الهاربة من صفوف الجيش الفرنسي و التحاقها بسرايا الأمير عبد القادر أو تلكم التشكيلات المكونة من كراغلة وادي الزيتون الذين التحقوا بالجبال ليحتموا بها فرارا من الجيش الفرنسي.[341]

أما النقيب لوفرنسي فيقول في هذا الصدد: " بعد عشرة سنوات منذ غزو مدينة الجزائر، و رغم أهمية الفرق العسكرية المشكلة من الجزائريين فإن الفرنسيين لم يتمكنوا من تجنيد سوى **6500** جندي من بينهم **4000** فارس (خيال) ".[342]

بعد أن استعرضنا ما سبق من أرقام و تصريحات الضباط العسكريين يمكننا أن نقول بأن العدد الذي يمكن أن يكون أقرب إلى الحقيقة هو التعداد الذي سنتوصل إليه بعد متابعة أعداد المجندين خلال مسارهم في هذه المرحلة و عبر مختلف المحطات شرق ، وسط ، غرب الوطن الجزائري ، و بجمع الأعداد المتوفرة لدينا من 1830 إلى غاية 1841 نحصل على ما يلي[343]:[2000+5500+(600+400)[344]+1328+394+166+1960+500+650+40+880] و بهذا يكون العدد المجند في صفوف الجيش الفرنسي خلال هذه المرحلة حوالي **14418** مجندا.

إن هذا العدد الذي تحصلنا عليه لم ندخل في حسابه عدد المجندين في صفوف سلك الرماة، لأن المرسوم التنفيذي لتأسيس هذا السلك العسكري المشكل من الجزائريين جاء في نهاية سنة 1841. كما أننا لم نحذف منه عدد القتلى أثناء المواجهات الدامية بين المقاومين الجزائريين و الجيش الفرنسي سواء خلال الحملة العسكرية الأولى أو

---

[339] - **Duruy. V:** op. cit, p.5.

[340] - **Idem**

[341] - **مصطفى الأشرف:** مرجع سابق، ص.93.

[342] - Le Français. (Capitaine): **Une erreur militaire, une faute politique, le service obligatoire pour les musulmans d'Algérie,** Ed: Berger Levrault, Paris 1913, p.8.

[343]- هذه الأرقام مذكورة في مختلف المصادر المعتمدة و المذكورة في هذا البحث.

[344]- هذه الأرقام خاصة بأعداد القومية الذين ساروا في ركاب الآغا مصطفى بن اسماعيل في معركة الزقاق، و الحملة العسكرية على كوجيلات.

الثانية على قسنطينة أو في صراع الفرنسيين مع جيش الأمير عبد القادر الذي كثيرا ما أقر له الضباط الفرنسيون بالتفوق و الحنكة الحربية.

كما أننا نحذف كذلك من هذا العدد أولئك الذين كانوا يفرون زرافات و وحدانا من صفوف الجيش الفرنسي، لأن المصادر الفرنسية و هي الوحيدة في هذا المجال كانت تتحاشى ذكر أعدادهم أو الإشارة إليهم.

و قد يكون الفرق بين ما ذكره الضابطان الفرنسيان و العدد الذي تحصلنا عليه نتيجة توجه هذين الضابطين إلى التقليل من أهمية عدد المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي خلال العمليات الحربية!...

أولئك المجندون الذين رغم كل ما يدعي الفرنسيون فقد كانوا بحق يمثلون الدروع البشرية لجنود الغزاة في كل معاركهم.وكانوا شوكة حادة في حلق المقاومين الأحرار .

وتنتهي هذه المرحلة التي عرفت المد و الجزر في عدد المجندين الجزائريين الذين وصل تعدادهم كما ذكرنا سابقا **14418** مجندا، ليعرفوا بعد ذلك مرحلة أخرى في مسار حياتهم العسكرية عندما أصبحوا منتظمين في سلك خاص بهم ، ألا وهو سلك الرماة الجزائريين.

2-المرحلة الثانية:

و تمتد من **1841** إلى غاية **1855**.

وتبدأ هذه المرحلة منذ الانطلاقة الأولى في عملية التأسيس للفرق العسكرية المشكلة من الجزائريين بتاريخ 1841/12/07 أين تقرر تأسيس السلك العسكري المتكامل من المجندين الجزائريين هذا السلك الذي يعتبر بحق سلكا خاصا بالمجندين الجزائريين، لأن كتائبه كانت لا تضم من العناصر الفرنسية سوى 12 جنديا فرنسيا وضعوا هناك للتنظيم والمراقبة والتوجيه.

وتستمر هذه المرحلة إلى حين الإعداد النهائي للفصائل العسكرية الممتازة والمختارة من المجندين الجزائريين وإرسالهم إلى ساحات المعارك في حرب القرم.[345]

وهذه المرحلة تعتبر حاسمة في علاقة الفرنسيين بالمجندين، لأنها كانت بداية لتنظيم وتأسيس الفصائل العسكرية المشكلة من الجزائريين سواء المختلطة بالعنصر الفرنسي والأوروبي كالسلك الزواوي أو القناصة الجزائريين الذين كانوا يشكلون فرقا خاصة في سلك قناصة إفريقيا، أو الصبايحية الذين كان لهم في كل الأسلاك وجود وحضور على خلاف سلك الرماة الجزائريين الذي صار يمثل بحق سلك الفرق العسكرية المشكلة من الجزائريين فقط.

ومن جانب آخر فقد كانت نهاية هذه المرحلة بداية لمشاركة المجندين الجزائريين في حروب فرنسا خارج التراب الوطني في مختلف القارات بعد أن صار حضورهم في الجيش الفرنسي أكثر من ضروري ما دام القادة العسكريون يضعونهم في الصفوف الأمامية ويزجون بهم في المهمات الصعبة والخطيرة.

إنها مرحلة عرفت نقلة نوعية وعلاقة متميزة بين المجندين الجزائريين والقيادة العسكرية الفرنسية خاصة بعد أفول كل من مقاومة الأمير عبد القادر بغرب البلاد ووسطها، و مقاومة الحاج أحمد باي قسنطينة بشرق البلاد. ثم إن المقاومين الذين بقوا بعد هذين البطلين العنيدين أمثال: بو بغلة و بو معزة وغيريهما لم يكن بإمكانهم استقطاب تعاطف كل الجزائريين معهم كما كان عليه الحال من قبل. بالإضافة إلى كل هذا فإن الجزائريين قاطبة ملوا وسئموا من أهوال الحرب ومشاكلها مع الفرنسيين الذين اتبعوا سياسة الأرض المحروقة خلال هذه الفترة من الاحتلال.

إن الأمرية الملكية المؤرخة في 1841/12/07 التي أقرت إنشاء وتأسيس فرق من الفرسان والمشاة من المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي بصفة رسمية ونهائية، سمحت هذه الأمرية لفرق الصبايحية والرماة الجزائريين بأن يذكروا بصفة واضحة ولأول مرة في حوليات الجيش الفرنسي سنة 1843.[346]

---

[345] - **Lespes. R:** op .cit, p.23.

[346] - **L. Darier Chatelan:** op. cit, p.8.

وعندما تم تأسيس فيلق للرماة الجزائريين الخاص بمقاطعة الجزائر والتيتري في 08/01/ 1848، كان عـدد المجندين الرماة يومها 769 جنديا و22 ضابطا فرنسيا و6 ضباط جزائريين ، و هذا الفيلق الأول للرماة الجزائريين يسيره كل من:

السيد فيرجي: رئيسا للفيلق.

النقيب بيلي: مساعدا لرئيس الفيلق.

الملازم تيراد: أمينا للخزينة.

أما بالنسبة للكتائب الست فيؤطرها ثلاثة ضباط فرنسيين وضابط واحد جزائري برتبة ملازم وهم كالآتي: [347]

1- الكتيبة الأولى:

النقيب ديزون: رئيسا للكتيبة.

الملازم الأول دقوغ: مساعدا لرئيس الكتيبة.

الملازم هوغس: مساعد.

الملازم أحمد الصغير: مساعد، وهو الجزائري الوحيد.

2- الكتيبة الثانية: ويؤطرها ثلاثة فرنسيين بالإضافة إلى جزائري واحد مثل الأولى وهو.

الملازم : رايس بن محمد .

3- الكتيبة الثالثة: ويؤطرها كذلك ثلاثة فرنسيين بالإضافة إلى جزائري واحد وهو.

الملازم: جلول بن زبره.

4- الكتيبة الرابعة: ويؤطرها كذلك ثلاثة فرنسيين بالإضافة إلى ملازم فرنسي آخر إنه

الملازم: جياكوبي وهو فرنسي كما ذكرنا سابقا، مما يعني أن هذه الكتيبة

هي الوحيدة التي يؤطرها أربعة ضباط فرنسيين.

5- الكتيبة الخامسة: ويؤطرها كذلك ثلاثة فرنسيين بالإضافة إلى جزائري واحد وهو

الملازم:علي بن محمد.

6- الكتيبة السادسة: و يؤطرها كذلك ثلاثة فرنسيين بالإضافة إلى جزائري واحد وهو

الملازم:بن دريس.

ولقد تمت معسكرة هذا الفيلق في الحراش عند تأسيسه، ثـم نقـل فـي 16أوت 1842 إلـى بيرخـادم و تيقصراين، و يقول الضابط المؤرخ دوروي عن الجنرال بيجو الذي استعان بهذا الفيلق في عملياته الحربيـة: "إذ ـه عندما عزم على تحطيم المقاومين في جبال الونشريس دعا هذا الفيلق للمشاركة في العمليات الحربيـة بتـاريخ 20 أكتوبر 1842 . وفعلا فقد تحرك هذا الفيلق من قواعده بتعداد 413 جنديا توجهوا نحـو مليانـة للقيـام بعمليـاتهم العسكرية. عادوا بعدها إلى قواعدهم من أجل استراحة مؤقتة وكان ذلك بتاريخ 28 ديسمبر 1842، وخـلال هـذه الاستراحة تمكن القادة العسكريون من تدعيم هذا الفيلق بمجموعة من الجزائريين الراغبين فـي التجنيـد. وعنـدما انطلق هذا الفيلق من جديد بقيادة الدوق دومال في 21 فيفري 1843 كان عدد عناصر هذا الفيلق قد وصـل إلـى 700 رجل مجند[348]

وهكذا يتضح لنا مما سبق ذكره بأن الفرنسيين تمكنوا من تدعيم أعداد مجندي هذا الفيلق بما لا يقل عن 287 مجندا في مدة لم تتجاوز شهرا و نصف شهر. و تمكنت السلطات العسكرية أخيرا في 13 فيفري 1852 من تأسيس الفيالق الثلاثة للرماة الجزائريين بالمقاطعات الثلاث بحيث صار كل فيلق منها ينتمي إلى مقاطعة معينـة ويسـمى

[347] - **Duruy. V:** op. cit, p.8.
[348] - **Duruy. V**: op. cit, p.14.

باسمها، وصار كل فيلق يضم 8 كتائب وفي كل كتيبة 166 جنديا، مما يعني أن عدد المجندين الجزائريين في سلك الرماة هو: 8 × 3 =24 كتيبة × 166 جنديا = **3984** جنديا.

أما بالنسبة للفرق الصبايحية فقد أصبحت بعد أمرية 1841/12/7 تتشكل من 20 سرية مقسمة على المقاطعات الثلاث: قسنطينة، الجزائر، وهران.

و على أساس أن سرايا الصبايحية كانت تتكون من 140 فارسا[349] فإن هذا السلك في مجموعه صار يضم من الجنود ما يلي: 140 فارسا × 20 سرية= **2800** فارسا.

أما الفرق الزواوية التي شاركت من جهتها في حرب القرم فقد ذكر بول آزان بأن العدد الذي خاض المعارك في حرب القرم كان 2000 جندي. لكننا بالضبط لا ندري ما هو عدد المجندين الجزائريين، لأن السلك الزواوي كان يضم عناصر من الجزائريين و الأوروبيين. ومع ذلك فإننا نرجح بأن عدد المجندين الزواويين في هذا السلك كان لا يقل عن 2000 مجند، ما بين الذين شاركوا في الحرب وأولئك الذين بقوا في الجزائر .

و نعرج بعد هذا إلى فرقة القناصة الجزائريين الذين ذكرتهم جريدة المبشر في مقال لها: " و قد اشتهر ذكرهم و أعلن خبرهم و حمدت سيرتهم بكتايب كذا جنرالات الفرنسيس و جنرالات الإنجليز في حرب القرم".[350]

كما أوردت هذه الجريدة في إطار حديثها عن انجازاتهم الحربية الكبيرة التي أداها عناصر الفرقة الجزائرية من القناصة الذين منحت لبعضهم أوسمة تشريفية منهم: الملازم محمد بن عيسى الذي قضى **12** سنة خدمة في الجيش الفرنسي، و كذلك محمد بن شريف العيد الذي تحصل إلى جانب الوسام على رتبة سارجان، وكذلك المجند سعد ولد يوسف بن دحمان[351].

ولم تحدد هذه الجريدة هنا أيضا عدد أولئك الذين راحت تكيل لهم المديح على شجاعتهم و تضحياتهم و إنجازاتهم في ساحات الوغى بشبه جزيرة القرم، غير أننا نرجح بأن عددهم كان لا يقل عن **166** جنديا شأنهم في ذلك شأن كتائب الرماة الجزائريين.

وختاما لهذه المرحلة يجدر بنا التذكير بما جاء على لسان الجنرال أوري الذي أرخ للجيش الإفريقي من 1830 إلى 1862 حيث ذكر بأن عدد الجنود القادمين من الجزائر في العام الثاني من حرب القرم كان يمثل سدس تعداد الجيش الفرنسي المحارب بمجموع يصل إلى 18000 جندي.[352]

وهذا يعني أن أغلب المشاركين في الحرب والقادمين من إفريقيا هم جزائريون، إذ لا يعقل أن يبعث الفرنسيون بجنودهم من العنصر الفرنسي ويترك البلاد تحت رحمة الوطنيين والمجندين الجزائريين الذين رغم ولائهم فإن الفرنسيين لا يأمنون جانبهم وهم الذين كانت لهم تجارب مع أسلافهم الذين كانوا يفرون زرافات ووحدانا من صفوف الجيش الفرنسي كي يلتحقوا بأبناء جلدتهم في عهد الأمير عبد القادر.

وبالعودة إلى الأرقام الخاصة بالمجندين الجزائريين والتي ذكرتها صراحة مختلف المصادر المعتمدة في هذا البحث والتي أشارت بوضوح إلى عدد المجندين الجزائريين في كل من السلك الصبايحي وسلك الرماة الجزائريين فإن العدد يكون كالآتي: 769 +700 +3984+2800+2000=**10253** مجندا.

وبما أننا نفتقر إلى عدد المجندين في كل من السلك الزواوي، وسلك القناصة الجزائريين، فإنه حري بنا والحالة هذه الاعتماد على ما ورد على لسان الجنرال أوري الذي ذكر رقم 18000 جندي قادم من إفريقيا (الجزائر). كما نرجح أيضا أن يكون عدد المجندين الجزائريين الذين لم يشاركوا في هذه الحرب وأبقاهم الفرنسيون في الوطن الجزائري يفوق بكثير عدد الجنود الفرنسيين المرافقين للمجندين الجزائريين في حرب القرم.

وانطلاقا من هنا يمكننا القول بأن عدد الجزائريين المجندين في صفوف الجيش الفرنسي خلال هذه الفترة الممتدة من 1841- 1855 يكون قد تجاوز عدد 18000 مجند بكثير دون حساب القومية الذين كانوا يشكلون رافدا

---

[349] - **Julien:** op. cit, p.274.

[350]- **المبشر:** عدد 30 مارس 1854.

[351]- **نفسه:** عدد 15 ماي 1854.

[352] - **Huré. R:** op. cit, pp.82-83.

إضافيا للجيش الفرنسي وهم الذين كانوا يعملون كشرطة أقاليم أو كحراس للقياد والباشاغوات المـوالين للفرنسـيين خاصة وأن البلاد عرفت بعد أفول مقاومتي الأمير عبد القادر والحاج أحمد بـاي قسـنطينة نوعـا مـن الهـدوء والاستقرار النسبي بعد سنة 1850 نتيجة لما أصاب الجزائريين من إرهاق وملل وتحطيم لكل مقومات الحياة بسبب الحرب الطويلة النفس مع الفرنسيين منذ 1830 إلى غاية 1848.

3- المرحلة الثالثة:

و تبدأ من 1855 إلى 1900.

وهي المرحلة التي صار فيها الاحتلال الفرنسي للجزائر واقعا أكيدا بعد أفول نجم المقاوم المغوار في الغرب الجزائري الأمير عبد القادر، والمقاوم البطل أحمد باي قسنطينة في الشرق، وبذلك أصبح الاحتلال مكرسا في كثير من مناطق هذا الوطن الجريح. و مع بداية هذه المرحلة أيضا عمد القادة العسكريون و كذا الساسة الفرنسيون إلـى إدخال تعديلات تنظيمية لتجنيد الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي بغرض استقطاب أكبر عـدد ممكـن مـن الشباب لتدعيم الجيوش الفرنسية بالمجندين استعدادا لخوض العديد من الحروب و الحملات العسكرية فـي مختلـف بقاع العالم، بدءا بحملة إيطاليا عام 1859 إلى نهاية الحملة العسكرية على جزيرة مدغشقر خلال السنوات 1895-1898، هذه الحملة التي شهدت تجنيد سبعة آلاف رجل من منطقة بلاد القبايل لوحدها و ذلك بغرض استخدامهم في نقل المعدات العسكرية و الحربية على ظهور البغال و الدواب في جبال و شعاب و مسالك مدغشـقر الوعرة التـي تشبه تضاريسها هناك إلى حد كبير التضاريس الجبلية في منطقة القبايل الجزائريـة، هـذا بالإضـافة إلـى آلاف المجندين الجزائريين الذين سيقوا إلى هذه الحرب كمحاربين.[353]

وعلى كل فإنه بانتهاء حرب القرم التي كان المجندون الجزائريون فيهـا مشـاركين بمختلـف الأسـلاك و الفصائل، سارع قادة الجيش الفرنسي الى استصدار أوامر ومراسيم ملكية تقضي بإدخال تعديلات على تنظيم تعاقـد وإعادة التعاقد مع الجيش بعد أن اكتسب أولئك المجندون الجزائريون شهرة أطبقت الآفـاق وأعطـتهم نوعـا مـن الاهتمام الذي كانوا يستحقونه ضمن فصائل الجيش الفرنسي.

ولم يمض على حرب القرم سوى 3 سنوات حتى لاحت في الأفق حرب أوروبية أخرى بين فرنسا و النمسا التي كانت تحتل الأراضي الإيطالية. و استغلت فرنسا وجود المجندين الجزائريين في الجيش المشـرقي و الجـيش الإفريقي لتدخل بهم هذه الحرب و هي مطمئنة إلى نتائجها مسبقا بعد النتائج الإيجابية التي حققها أولئك المجنـدون في حرب القرم.[354]

ومن أجل ذلك تم استصدار المرسوم الملكي المؤرخ في 1855/10/10 الذي قضى بإنشاء ثلاثة ألوية للرماة الجزائريين بتعداد ثلاثة فيالق لكل لواء، مما يعني أن الألوية الثلاثة بالمقاطعات الثلاث كانت تضم فـي مجموعهـا تسعة فيالق. و كل فيلق منها صار يتشكل من ست كتائب.[355]

وجاء القرار الملكي المؤرخ في 8 جوان 1861 الذي أقر نظام تعاقد المجندين الجزائـريين مـع المؤسسـة العسكرية للجيش الفرنسي. و رخص كذلك لمن يرغب في مواصلة الخدمة العسكرية بإعادة التجنيد للمرة الثانيـة و حتى الثالثة. غير أنه ركز على ضرورة التقيد بتحديد عدد عناصر كل فيلق، بما لا يتعدى 2000 جندي.[356]
و معنى هذا أن سلك الرماة الجزائريين بألويته الثلاثة كان يضم:

9 فيالق × 2000 مجند = 18000 مجند جزائري.

و ابتداء من سنة 1866 صار كل لواء من الألوية الثلاثة يتشكل كل منها من أربعة فيالق و بذلك أصبح عدد الفيالق المكونة لسلك الرماة الجزائريين هو 12 فيلقا، مما يعني كذلك أنه ابتداء من هذه السنة صار عدد المجندين هو:

---

[353] - أنظر حملة مدغشقر في الفصل الثالث.
[354]- أنظر حملة إيطاليا و كذلك حرب القرم في الفصل الثالث.

[355] - **Duruy. V:** op. cit, p.74.
[356] - **Le Français. (Capitaine):** op. cit, p.11.

12 فيلقا × 2000 مجند= ***24000*** *مجند جزائري*.[357]

وانتبه القادة العسكريون إلى أن تحديد عدد عناصر كل فيلق بـ 2000 جندي يعتبر غير منهجي و غير اقتصادي من الناحية العملية لأن المصاريف المرصدة لكل فيلق يمكنها أن تستوعب أكثر من هذا العدد و لذلك سعوا إلى إلغاء هذا البند و استصدروا من أجل ذلك ، المرسوم الوزاري المؤرخ في 1866/06/9، الذي بموجبه تم إلغاء البند المحدد لعدد عناصر كل فيلق. ليفسحوا المجال لأنفسهم في النهاية إلى جلب أكبر عدد ممكن من الشباب لتجنيده في صفوف الجيوش الفرنسية. وما كان لهم أن يفعلوا ذلك لو لا أنهم كانوا متأكدين من إمكانية تجنيد الشباب بأعداد أوفر، و ذلك لسد حاجياتهم من المجندين في كل فيلق.[358]

أما بالنسبة لسلك قناصة إفريقيا فإنه ابتداء من سنة 1866 كذلك عمدت السلطات العسكرية إلى إنشاء فرقة عسكرية من المجندين الجزائريين في كل لواء من الألوية الثلاثة، و كل فرقة من هذه الفرق الثلاث الخاصة بالقناصة الجزائريين كان عدد عناصرها لا يقل عن 160 مجندا جزائريا بالإضافة إلى 15 جندي فرنسي.[359]

و هذا يعني أن عدد المجندين الجزائريين في هذا السلك كان لا يقل عن: 160 مجندا × 3 كتائب = ***480*** *مجندا*.

في حين أن سلك الصبايحية الذي كان منذ 1845/07/21 يضم 18 سرية في كل منها 140 فارسا، فهذا يعني كذلك أن عدد عناصر هذا السلك من الخيالة الجزائريين كان لا يقل عن:

140 فارسا × 18 سرية = ***2520*** *خيالا مجندا*.[360]

في حين أن عدد مجندي الفرق الزواوية من الجزائريين كان غير واضح بسبب أن هذا السلك الزواوي كان يضم عناصر جزائرية و فرنسية وأوروبية. لكن كل ما نعرفه عنهم أن فرقة عسكرية من الزواويين مؤلفة من 2000 جندي شاركوا في حملة إيطاليا عام 1859، وفي سنة 1863 تم تعيين فرقة من هذا السلك الزواوي لكي تنظم إلى الحرس الإمبراطوري في باريس.[361]

ومن هنا يمكننا القول بأن عدد الجزائريين في السلك الزواوي كان لا يقل عن 2000 مجند على اعتبار أن هذا السلك لم يرسل كل عناصره الجزائرية في حملة إيطالية وأن الباقي منهم في أرض الوطن كان عددهم يفوق عدد الأوروبيين الذين شاركوا إلى جانب الجزائريين في هذه الحرب. وعليه يمكن اعتبار عدد المجندين الجزائريين في السلك الزواوي بمالا يقل عن **2000** مجند كما كانوا دائما منذ 1830.

أما القومية الذين كانوا تابعين لمختلف الجهات كرؤساء المكاتب العربية والقياد والباشاغاوات فإن عددهم كما أشرنا من قبل يبقى غير معروف. و لذلك فإننا نختم هذا العرض بالقول: " للوصول إلى العدد التقريبي لعدد المجندين خلال هذه الفترة علينا أن نعتمد على الأرقام المصرح بها و التي ورد ذكرها في مختلف المصادر التي اعتمدناها و التي ذكرت عدد المجندين في مختلف الأسلاك بصورة صريحة واضحة ".

وعليه فإن عدد المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي كان حتى سنة 1871 كالآتي:

24000 + 480 + 2520 + 2000 = ***29000*** *مجند جزائري*.

ومهما كان العدد المحصل عليه قريبا من الواقع فإنه يجدر بنا استعراض ما قاله المؤرخ الفرنسي ليونال الذي كان معروفا باهتمامه بالشأن الجزائري في عهد نابليون الثالث إذ قال بشأن عدد الجزائريين الذين يمكن لفرنسا أن تجندهم في صفوف جيوشها، بأنه لا يقل عن 35000 جندي إذا ما توفرت بعض الشروط التشجيعية.[362]

فمن خلال ما تم استعراضه إذن يمكننا أن نقول: بأن العناصر المجندة من الجزائريين يمكن أن تكون قد فاقت هذا الرقم بكثير و ذلك لأن فرنسا خاضت منذ حملة إيطاليا عدة حروب بدءا من حملة السنيغال في إفريقيا

---

[357] - - **Le Français. (Capitaine):** op. cit, p.13.

[358] - **Deladrière. P:** op. cit, p.47.

[359] - **المبشر:** عدد 1867/02/4.

[360] - **Julien:** op. cit, p.274.

[361] -**المبشر:** عدد 1865/4/22.

[362] - **Lunnel Eugène:** op. cit, p.96.

والتونكان في آسيا و حرب الميكسيك بقارة أمريكا إلى جانب الحرب الفرنسية الألمانية 1870-1871 و التي منيت فيها القوات الفرنسية بهزيمة نكراء. ويكفي للدلالة على أن فرنسا لم تكن تدخر وسعا من أجل تجنيد أكبر عدد ممكن من الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، هو أن عناصر اللواء الأول للرماة الجزائريين الذين دفعوا بهم إلى ساحة المعارك ضد الألمان كان عددهم لا يقل عن 3597 جنديا أصيب منهم أكثر من 50% بين قتيل و مفقود.[363]

وخلاصة القول فإن قوافل المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي ما انفكت تتوسع سنة بعد سنة خاصة منذ فشل ثورة المقراني عام 1871، حيث عرفت الساحة الوطنية نوعا من الهدوء و الاستقرار النسبي، و تأكد الجزائريون يومها من ضرورة مجابهة الاستدمار الفرنسي، و حتمية المقاومة بوسائل و أساليب مغايرة لما سبق العمل به في انتظار استعادة الشعب الجزائري لأنفاسه. غير أن توافد الجزائريين على التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي لم يتوقف لأن الظروف الاقتصادية والاجتماعية كانت متردية وصعبة للغاية، بسبب مصادرة أراضي الفلاحين والحجز الذي أصاب المجموعات الثائرة بوسط و شرق البلاد، و كذا الاقتطاعات التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ.[364]

واستغلت السلطات العسكرية هذه الأوضاع السيئة للمواطنين الجزائريين وعمدت إلى استقطاب الراغبين في التجنيد بسبب ضيق العيش وصعوبة الحياة فطلبت من وزير الحرب أن يسعى إلى استصدار تصريح من البرلمان الفرنسي يسمح بإنشاء فيالق الرماة الجزائريين بواسطة مرسوم يحترم أعداد الألوية المؤسسة حاليا، وقد ترجم هذا المشروع إلى قانون في 1899/02/09. الذي نص البند الأول منه على ما يلي:

(تحديد عدد الفيالق في إطار الألوية الأربعة للرماة الجزائريين

تبعا للميزانية المرصدة لاستقبال المجندين المتطوعين من الجزائريين).

ولذلك صدرفي 1899/02/11 المرسوم القاضي بانشاء الفيلق الخامس والفيلق السادس في كل لواء من الألوية الثلاثة الأولى.[365] بينما بقي اللواء الرابع والمؤسس منذ 1884/12/14 مشكلا من الفيالق الأربعة كما كان عليه الحال قبل صدور المرسوم المذكور أعلاه[366].

وهذا يعني أن عدد الجزائريين المجندين في سلك الرماة صار كالآتي:03 ألوية × 06 فيالق = 18 فيلقا، بالاضافة الى اللواء الرابع الذي بقي تعداد فيالقه أربعة فقط، وبذلك صار عدد فيالق الرماة 22 فيلقا وبما أن عدد الجنود المشكلين لكل فيلق لايقل عن 2000 جندي، يكون عدد المجندين الرماة هو 2000جندي× 22فيلقا=44000 جندي.

وبالعودة إلى التعداد المذكور لكل فرقة من المجندين الجزائريين في كل سلك من أسلاك الجيش الفرنسي نجد أن:

القناصة الجزائريين الذين كان تعدادهم منذ سنة 1866 لا يقل عن 480 جنديا.

السلك الصبايحي الذي كان تعداد عناصره منذ سنة 1845 لايقل عن 2520 مجندا.

أما السلك الزواوي فان عدد عناصره من الجزائريين كان لايقل كذلك عن 2000 مجند منذ عودتهم من حرب القرم، وبهذا يكون المجموع المصرح به عن عدد المجندين الجزائريين حتى سنة 1900 هو**44000 + 480 + 2520 +2000 = 49000** مجند، هذا دون حساب أعداد المجندين من القومية وحرس القياد والباشاغاوات وكذا الحرس العاملين تحت إمرة وقيادة رؤساء المكاتب العربية المنتشرة عبر مختلف المناطق بالقطر الجزائري.

وفي نهاية هذا العرض لا يسعنا إلا أن نشير إلى أن عدد الجزائريين المجندين في صفوف الجيش الفرنسي حتى سنة 1900 يمكن أن يكون قد تجاوز العدد المتوصل إليه سابقا وهو 49000 مجند. وذلك لأن المعمرين الفرنسيين أثناء مناقشات مشروع التجنيد الإجباري للجزائريين التي انطلقت منذ 1905 عارضوا بشدة خلالها تطبيق نظام التجنيد الإجباري على الجزائريين بحجة أن الجنود الجزائريين القدامى هم عبارة عن عمال و فلاحين

---

[363] - **Duruy. V:** op. cit, p.198.

[364]- الجيلالي صاري و د. محفوظ قداش: الجزائر في التاريخ – المقاومة السياسية **1900 - 1954**، الطريق الاصلاحي والطريق الثوري ، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987 ،ص ص 133/132.

[365] - **Le Français. (Capitaine):** op. cit, p.16

[366] - C.G.C: **Tirailleurs Algérins:** op. cit, p. 4.

سيئين... و الذين لم يكن لديهم من أمل أو أمنية سوى الحصول على الاستقلال الذي يطمحون إلى اسـتعادته بكـل شوق وتلهف.[367]

وبناء على هذا فإن أعداد الجنود من الأهالي سيتضاعف وكانوا سيشكلون خطرا على وجود المعمـرين فـي هذه البلاد خاصة وأن التجنيد الإجباري سيضم في صفوف الجيش الفرنسي عناصر كثيرة من أولئك الذين يتلهفـون إلى استعادة حريتهم واستقلالهم. كيف .لا .؟.وانتفاضات الجزائريين لم تكد تخبو واحدة حتى تنطلق أخرى..

ويبدو أن التشكيلات العسكرية المشكلة من الجزائريين حتى سنة 1900 بأعدادها المائة ألف جندي هي التـي جعلت المعمرين يوجسون خيفة من تطبيق التجنيد الإجباري على الجزائريين [368]

مماقد يسمح بمضاعفة أعداد الجنود، بعد أن يفرض على جميع الشباب الجزائري الانضواء تحـت لـواء الجـيش الفرنسي وهذا ما قد يمكن أولئك الجزائريين مستقبلا من استعمال السلاح ضد المستعمرين، خاصـة اذا علمنـا أن التشكيلات العسكرية المشكلة من الجزائريين كانت حتى تلك السنة على النحو التالي:

1- السلك الزواوي وكان يضم ثلاثة ألويةهي:
اللواء الأول كان بمقاطعة الجزائر.
اللواء الثاني كان بمقاطعة وهران
أما اللواء الثالث فكان بمقاطعة قسنطينة.

2- سلك الرماة الجزائريين وكان يضم هو الآخرثلاثة ألويةهي:
اللواء الأول وكان بالبليدة وهو خاص بمقاطعة الجزائر.
اللواء الثاني وكان في مستغانم وهو خاص بمقاطعة وهران
اللواء الثالث وكان بمقاطعة قسنطينة.

3- سلك قناصة افريقيا وكان يضم الألوية التالية:
اللواء الأول كان بالبليدة وهو خاص بمقاطعة الجزائر.
اللواء الثاني وكان بتلمسان وهو خاص بمقاطعة وهران.
اللواء الثالث وكان بقسنطينة وهو خاص بهذه المقاطعة .
اللواء الخامس وكان بالجزائر العاصمة
اللواء السادس وكان يتمركز بمعسكر.

4- سلك الصبايحية وكان يضم ثلاثة ألوية:
اللواء الأول وكان يتمركز بمدينة المدية وهو خاص بمقاطعة الجزائر.
اللواء الثاني وكان يستقر بمدينة سيدي بلعباس وهو خاص بمقاطعة وهران.
اللواء الثالث وكان يستقر بمدينة باتنة وهو خاص بمقاطعة قسنطينة.
أما الصبايحية الصحراويون فقد كانت لهم سرية تضم صفوفهم في القليعة بالجنوب الجزائري.

وبناء على ما سبق نشير إلى أن مقرر اللجنة المالية ممثل المعمرين السيد: ليسبون **Lisbonne** قال بصريح العبارة سنة 1908: إننا لا نقبل بأية حال من الأحوال بتكوين جيش نظامي من الأهالي قوامه **100** ألـف جندي، يعرف سلاحنا وتقنياتنا.[369]

---

[367] - Ageron. ch. R : **Les Algériens Musulmans et la France, T.2.**
Ed : presse université de France.(P.U.F). Paris 1964, p.1063.

[368] - **Huré. R:** op.cit pp.259-260

[369]-- **Huré. R:** op.cit , pp 1063 -1064

ولعل تخوف المعمرين من تكوين جيش نظامي من الجزائريين قوامه مائة ألف جندي لم يأت من العدم لو لم تكن لديهم معلومات مؤكدة عن عدد المجندين الذين من دون شك كان لا يقل عن التعداد المذكور سلفا منـذ نهايـة القرن التاسع عشر، كما أن السلطات العسكرية ستعمل على استقطاب الشباب المؤهل للخدمة العسـكرية مـن دون مراعاة لرغبتهم أو عدم رضاهم عن العمل في صفوف الجيش الفرنسي وهذا بقوة القـانون، ولصـالح الميزانيـة الحربية. وعند ذاك يصبح هذا الجيش مشكلا من العناصر المجبرة على العمل في الجيش وهو ما قد يهدد المصـالح الحيوية للمعمرين المتخوفين من إعطاء السلاح إلى أبناء الأهالي الجزائريين، وفي هذا المعنـى كتبـت الصـحيفة الموالية للمعمرين La Dépêche Algérienne قائلة: إننا نحن المعمرين عددنا **700** ألف نسمة ضد أربعة ملايين شخص من الأهالي، فإذا أصبح أبناءالأهالي مسلحين، فذلك يعني أن حياتنا وأملاكنا ستكون في خطر.[370]

وخلاصة هذا المد والجزر في تتبع أعداد المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي من خـلال ما ورد في المصنفات والمصادر خلال الفترة الممتدة من **1900/1830** والتي أمكننا الحصـول عليهـا ، كانـت كالآتي.....

المرحلة الأولى 1830 - 1841 كان العدد بالتقريب ------ 14418 مجندا.....
المرحلة الثانية 1841 - 1855 كان العدد بالتقريب يتجاوز-- 18000 مجند .....
المرحلة الثالثة 1855 – 1900 العدد بالتقريب يتجاوز ---- 49000 مجند .....

[370]- **La Dépêche Algérienne** (Journal): du 05/ 11/ 1907.

- شهادات و آراء الضباط العسكريين عن المجندين و المتعاونين:

لقد عمل القادة العسكريون الفرنسيون منذ غزوهم للجزائر على استغلال العناصر المحلية من الشباب الجزائري بسبب حاجتهم الماسة إلى محاربين يدعمون بهم قواتهم الغازية. فقد كانت تجربتهم الأولى مع فرسان الزواوة مفيدة و ناجحة في مختلف المعارك التي عاشوها أو خاضوها ضد الوطنيين الرافضين لوجودهم في البلاد.
والفرنسيون أنفسهم يعترفون بالقيمة الحربية لأولئك المجندين خلال حملتهم العسكرية الثانية على المدية، وكذلك في منطقة فج الثنية بين البليدة و المدية حيث كاد المقاومون الجزائريون أن يقضوا نهائيا على هذا الجيش، لولا مقاومة المجندين الزواويين و صبرهم على مقارعة مواطنيهم المجاهدين الذين عزموا على الانتهاء من أمر هذا الجيش الذي اختلط فيه الحابل بالنابل.[371]

وإذا كان الفرنسيون قد اعترفوا بصفة رسمية بالسلك الزواوي في 21 مارس 1831 فلأن أولئك المجندين " في غير ما موقع سجلوا بأحرف من ذهب بداية انطلاق بطولاتهم و قدراتهم الحربية، في إطار التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي ".[372]

ومنذ ذلك الحين كان القادة العسكريون يستغلون المجندين الجزائريين خلال مختلف الوقائع و الحملات العسكرية بالوطن الجزائري بغرض إخضاع ما تبقى من الأقاليم و المناطق لسلطانهم، و كان لأولئك المجندين في كل المحطات شأن لا ينكره حتى الفرنسيون الأكثر تعصبا. من ذلك ما قام به أتباع مصطفى بن إسماعيل الذي كانت آراؤه و توجيهاته سندا قويا للضباط الفرنسيين الذين ألحقوا بالأمير عبد القادر في معركة الزقاق الشهيرة هزيمة كان لها الأثر البالغ على مستقبل المقاومة الجزائرية.
مما حدا بالجنرال بيجو لأن يكتب إلى وزير الحرب الفرنسي ملفتا انتباهه إلى أن: الآغا مصطفى بن اسماعيل ليس مجرد رجل شجاع فقط ، و لكنه أيضا رجل محترم و صاحب نصائح وجيهة[373]

ومن خلال الملاحظات و الشهادات التي سجلها الضباط الفرنسيون عن قدرات و كفاءة أولئك المقاتلين الجزائريين و صبرهم رغم المعاناة التي كثيرا ما تعرضوا لها دون شكوى، أدرك الفرنسيون بحق قيمة المجند الجزائري في الحروب، و هذا ما دفعهم إلى الاهتمام بالفصائل العسكرية المشكلة من المجندين الجزائريين، إذ سعوا في كل مرة إلى ابتكار تنظيم جديد.

ونحن إذ نسوق هذه الشهادات التي أدلى بها الضباط و القادة العسكريون الذين دفعوا بفيالق المجندين الجزائريين إلى ميادين المعارك و الحروب، فإنما نذكرها لأننا لا نملك سواها، و مع ذلك نؤكد على أننا نورد هذه الشهادات بكل تحفظ لأن ما جاء فيها يدخل حسب رأينا فيما يعرف بالتأثير النفسي و البسيكولوجي على المجندين أنفسهم و كذلك على عامة الجزائريين الذين قد يخدعون، فيعتقدون أن الفرنسيين متسامحون و لذلك فهم يعاملون المجندين الجزائريين كما يعاملون أبناء جلدتهم. و الحق أن ذلك غير وارد على الإطلاق لأن الإهانات التي كان المجندون الجزائريون يتعرضون لها باستمرار خلال مختلف المراحل التاريخية لهذه الفترة التي نحن بصدد استعراضها تبين بوضوح أن الفرق في المعاملة بين الأهالي الجزائريين والفرنسيين كبير ، و كذا الحقرة في الترقية و المعاملة مع الزج بهم في مقدمة الصفوف الأمامية أثناء المعارك و الحروب، و إرسالهم إلى المناطق الموبوءة، التي لا ينجو من الهلاك فيها سوى " طويل العمر " كما يقول المثل الشعبي.لهي خير دليل على مدى استغلال الفرنسيين لأولئك المجندين المغرر بهم.

ولأجل هذا نقول بأن كل ما ورد من هذه الشهادات يمكن أن يقرأ أكثر من قراءة واحدة بالإضافة إلى شيء مهم حقيقي ثابت لا جدال فيه و هو أن أولئك المجندين كانوا أكثر صبرا، و أكثر تحملا، و أكثر اندفاعا إلى الأمام

---

[371] - **Rovigo:** op. cit, p. 11.
[372] - **Huré. R:**op.cit, p. 19.
[373] - **Lespes. R:** op. cit, p.11.

من كل الجنود في الجيش الفرنسي، لأنهم في رأينا:" كانوا بين المطرقة و السندان "، كما يقول المثل الفرنسي. فالخصوم أمامهم، و جنود من الفرنسيين وراءهم بالمرصاد لكل محاولة تراجع أو تراخ منهم...

فهل يعقل بعد هذا أن نصدق الماريشال سانت آرنو أو شهادة الدوق دومال أو غيرهما و الذين يقولون في نهاية كل معركة أو حرب:" بأن المجندين الجزائريين كانوا يدافعون عن العلم الفرنسي بكل حماس و قوة، و انضباط، و ولاء، و إخلاص لقادتهم و لدولتهم فرنسا؟...

فالضباط العسكريون سواء منهم الذين كتبوا مذكراتهم عن الأحداث و الوقائع التي عاشوها أمثال الجنرال دوباريل أو الماريشال سانت آرنو أو الذين جاؤوا من بعدهم و أرخوا لهذه الفترة أمثال الجنرال بول آزان أو النقيب ليسبيس كلهم يذكرون على سبيل المثال صبر الحامية الفرنسية التي تركها الجنرال كلوزيل في حملته العسكرية الأولى على المدية بعد عودته منها، و كانت أغلب العناصر بها مجندون جزائريون، حيث تركوا في العراء يعانون لسعات البرد القارس و هجمات المقاومين الجزائريين ليلا و نهارا.[374] و مع ذلك فقد قاوموا بصبر و جلد لم يعرف مثله إلا عند أولئك المجندين الجزائريين " الذين كانوا يعرفون بأنهم إن وقعوا في أيدي المقاومين فسوف يكونون عبرة لمن يعتبر نتيجة تعاونهم مع الغزاة وخيانتهم لأمتهم ووطنهم ".

ونظرا للمواصفات العسكرية التي كان يمتاز بها المجندون فقد سعى الفرنسيون بكل ما أوتوا من ذكاء و حيل من أجل جلب أكبر عدد ممكن من الشباب الجزائري " الذي كان ضائعا في وحل الفقر و المشاكل الاجتماعية و النفسية بسبب ظروف الحرب. فاستغل الفرنسيون ذلك و افتعلوا الكثير من هذه الظروف القاسية التي لم يجد بعدها الشباب ما يضمن به لقمة العيش، فانخرط الكثيرون منهم في صفوف الجيش الفرنسي.[375] الذي استغل وجودهم في صفوفه من أجل المحافظة على كيانه في هذه البلاد.

وعندما قرر الحاكم العام مهاجمة قسنطينة العتيدة عام 1836 لم يسمح للقادة العسكريين باستخدام المجندين الجزائريين من الزواويين و غيرهم من الذين كانوا بمقاطعة الجزائر حتى يبقيهم للدفاع عن المناطق التي أخضعوها لسلطة فرنسا . و قد فشلت الحملة العسكرية الأولى على قسنطينة و ظهر بعدها الجيش الفرنسي مهزوما رغم محاولات التدليس و التضليل وإيجاد الأعذار الواهية، لأن قوات أحمد باي آنذاك كانت لمحاولتهم بالمرصاد، و أفشلت بعون الله و صمود المقاومين في قسنطينة مسعاهم، غير أن الفرنسيين لم يفشلوا "و لم يقبلوا الهزيمة فأعادوا الكرة على مدينة قسنطينة في العام الموالي و أشركوا الفرق الزواوية و كل الفصائل من المجندين الجزائريين الذين وضعوا في الصفوف الأمامية بقيادة الدوق "دمور" الذي بواسطة هذه العناصر المحلية تمكن من الاستيلاء على المدينة العتيدة، و محا بذلك عار هزيمة الجيش الفرنسي التي تلقاها في العام الماضي.[376]

ومنذ هذه الحملة العسكرية التي أسالت الكثير من الحبر على تقارير الضباط الفرنسيين الذين كانوا ينوهون بقدرات و كفاءة المجندين الأهالي و يطالبون بضرورة تنظيم هذه الفصائل العسكرية المشكلة من الجزائريين التي ما انفكت تقدم عبر مختلف المقاطعات الثلاث أكبر الخدمات للفرنسيين و للجيش. و أخيرا أثمرت هذه التقارير و المطالب " بتأسيس آخر لهذه الأسلاك العسكرية الجزائرية التي ضمت إليها مختلف الفصائل و الفيالق الجزائرية تحت تسمية " الرماة الجزائريون" في أواخر عام 1841 و لم يكن بطبيعة الحال في هذا السلك العسكري الجزائري من الفرنسيين سوى القلة القليلة من الضباط الفرنسيين بغرض التنظيم و التسيير و المراقبة. [377]

ولم يدرك القيمة العسكرية للمجندين الجزائريين سوى الضباط و القادة العسكريين الذين كانوا يؤطرونهم أو يشرفون على تدريبهم من الذين قادوا هذه الفصائل من الجزائريين في الحملات العسكرية المختلفة، و كيف كانت شجاعة و إقدام المجندين الجزائريين مضربا للأمثال و غدت هذه الفصائل العسكرية محل إعجاب و إكبار الفصائل

---

[374] - **Rovigo:** op.cit, p.05.
[375] - **Julien:** op. cit, p.278.
[376] - **Duc D'Aumale:** op. cit, p.33.
[377] - **C.G.C:** L'Armée D'Afrique. op.cit, p.03.

العسكرية الفرنسية الأخرى، من ذلك أن الجنود الفرنسيين كانوا عندما يريدون أن ينبهوا أحدهم إلـى أن صـولته و شجاعته لا ترقى إلى مستوى المجندين الزواويين يقولون له : " Arrête de faire le zouave ".[378]

و الحقيقة أن ذلك الإعجاب و الانبهار بأولئك الزواويين ما كان إلا نتيجة للمكانة المرموقة التي أصبحت تحتلها هذه الفصائل من المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الإفريقي.

وبعد وصول لواء الرماة الجزائريين تحت قيادة العقيد دي وامبفن إلى ساحة المعركة في شبه جزيرة القـرم خرج الماريشال سانت آرنو لاستقبالهم بصفته القائد الأعلى للجيش المشرقي l'armée d'orient و كان ذلك بتاريخ 1854/04/27 و خاطبهم قائلا:" أيها الرماة الجزائريون... إن الإمبراطور شرفني بأن أقدم لكم هـذه الرايـة... و بكل سرور ها أنا ذا أقوم بالمهمة... لأنني متأكد من أنكم جنود أبطال و شجعان... فلقد أثبتم ذلك في الجزائـر... عدة مرات... و لذلك اخترناكم للمجيء إلى الشرق لأننا نعلم أنكم أهل لهذا وجديرون بخوض الحرب في صـفوف الجيش الفرنسي... كونوا كما عرفتكم دائما... أبطالا، أقوياء، وشجعانا..." .[379]

وانطلق الرماة المجندون يخوضون معارك ضارية في أرض لم يكن لهم بها أيـة معرفـة سـابقة أودرايـة بشعابها وأدغالها... و بأساليب تختلف عما ألفوه في الجزائر من مقاومة الوطنيين...

و كان للمجندين المشاركين في حرب القرم بطولات بقيت خالدة في أذهان الفرنسيين الذين تأكدوا مرة أخرى من أن "لأولئك المجندين الجزائريين إمكانيات بدنية و حربية لا يرنو إليها الشك".[380]

وكان ذلك بطبيعة الحال مشجعا للفرنسيين ساسة و عسكريين على الزج بالمجندين في مختلـف حـروبهم و حملاتهم العسكرية، ليس في أوروبا فقط و لكن في مختلف بقاع العالم بإفريقيا و آسيا و أمريكا اللاتينية. و المجنـد الجزائري كما عرف عنه دائما صبور و شجاع و مقدام .

ويبقى الفرنسيون و بعد مرور مائة عام على تأسيس أولى الفصائل العسكرية الجزائريـة " يعبـرون عـن امتنانهم لقائد الحملة العسكرية الغازية للجزائر الكونت دي بورمون الذي كان له في استمالة هؤلاء الجزائريين إلى صفوف الجيش الفرنسي فضل كبير يشهد له بها كل من جاء بعده من السياسيين و القادة العسـكريين. لمـا قدمـه المجندون الجزائريون عبر مختلف العقود من خدمات جليلة معتبرة لفرنسا".[381]

" لقد كانت و ما تزال فرنسا تذكر هذه الفصائل للمشاة و الخيالة و الرماة و الصبايحية الذين ذاع صيتهم عاليا و رفعوا بفضل قدراتهم الحربية و شجاعتهم مجد الجيش الإفريقي الرائع الذي تشرف بإنجازاتهم البطولية، و سجل بأحرف من ذهب ما كان يمتاز به أولئك المجندون الأبطال الذين تفخر بهم فرنسا لشجاعتهم و صبرهم و طاعتهم لقادتهم و رؤسائهم... و لولائهم للوطن الأم – فرنسا ".[382]

ورغم هذه الادعاءات المتكررة في شتى الأوقات و المواقف التي تصور المجندين الجزائريين مخلصـين و متفانين في خدمة العلم الفرنسي ، يبقى كل هذا من قبيل ذر الرماد في العيون لأن الجزائريين عامة كانوا مذـاوئين للوجود الاستعماري الفرنسي في البلاد و لذلك جابهوا الغزاة بالثورة و العصيان، و إن غلبوا على أمرهم في وقـت ما فهذا لا يعني مطلقا أنهم كانوا مرحبين بالفرنسيين أو راضين بوجودهم في الجزائر... و هذا ما تؤكده شهادة أحد جنرالاتهم بقوله :" مع العرب – يقصد الجزائريين بمختلف أعراقهم – يجب أن تكون دائما حذرا... فهم يمتـازون بطبع الدهاء الذي يخفي الخيانة و النفاق... و لا يتعاملون معنا نحن الفرنسيين حتى يكونوا مجبرين على ذلـك... و مصالحهم هي التي تفرض عليهم هذا النوع من المعاملة ".[383]

والحقيقة أن هذه الإدعاءات الكاذبة و المزاعم الزائفة في حق الجزائريين عامة و المجندين خاصة، سـرعان ما ظهرت للعيان و فضحها حتى المؤرخون الفرنسيون أنفسهم من ذلك ما جاء على لسان جوليان الذي يقول: " لقد

---

[378] - **André Figuéras:** op. cit, p.84
[379] - **Lespes. R:** op. cit, p.25.
[380] - **Lespes. R:** op. cit, p.25..
[381] - **Lespes. R:** op. cit, p.9.
[382] -**Idem:** p.7.
[383] -**Voirol :** op. cit, p.8.

تأكد لدى المغرر بهم و الذين التحقوا بالجيش كي يتخلصوا من فكي المجاعة و الحرمان، أن التجنيد في صـفوف الجيش الفرنسي بغرض التمتع بحياة جميلة و سهلة طيبة ما هي إلا كذبة و مراوغة من الفرنسيين، فالحقيقة أن المجندين وجدوا العيش في الجيش عكس ما كانوا به يوعدون، من ذلك : المناداة على أسماء المجنـدين لـيلا و نهارا، و الحراسة الليلية .وكان الابتعاد عن العائلة و الأهل هي كل ما غنموه من هذا التجنيد... بالإضافة إلـى هذه المعاناة التي لم يتعودوا عليها، و ضروب أخرى زادت من شقائهم و آلامهم النفسية منها أنهم كانوا يقومون بالتدريبات العسكرية اليومية وهم يضعون على أجسادهم أسمالا بالية لا تقيهم البرد و تجعلهم يبـدون مضـحكين لكل من يراهم على تلك الصورة... ثم إن هذه الآلام النفسية كثيرا ما كانت تدفعهم إلى الهروب مـن الجـيش... رغم أن نظرة الأهالي الغاضبين على كل متعاون مع الفرنسيين ، تجعله يتحاشى الوقوع فـي أيـديهم خشـية أن يحرق أو يقتل جزاء له على خيانته و غدره لبني وطنه...

وحتى الجنرال بيرتيزين يقول في تقرير بعثه إلى وزير الحرب يشكو إليه الوضعية المأساوية التي يعيشـها المجندون الجزائريون إلى جانب آلامهم النفسية: (إن المجندين الأهالي يعيشون في الجيش الفرنسي حفاة عراة... و يتألمون من نظرة الازدراء و الاحتقار التي كانوا يعاملون بها من طرف الأوروبيين... و هي وضعية جعلـتهم يمقتون البقاء في صفوف الجيش... و كثيرا ما كانوا يهربون...)"[384]

أما بالنسبة لعامة المجتمع الجزائري و نظرته للفرنسيين فيصورها سانت آرنو في رسائله الحميمية إلى شقيقه حيث يصور له المواقف أصدق تعبير بعيدا عن كل إحراج أو تأثير مادي أو معنوي بسبب وظيفتـه فـي الجـيش الفرنسي، حيث يقول: " إن العرب – الجزائريين – يكرهوننا، و هم لا يتوقفون عن محاربتنـا... و كلمـا تغلبنـا عليهم في موقعة ما جمعوا صفوفهم و أعادوا الكرة. و نغلبهم. ثم يعودون لمحاربتنا من جديد. و هكذا... ".[385]

ولعل أهم ما يمكنه أن يصور المعاناة الحقيقية للمجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي منـذ بدايـة إلتحاقهم بالخدمة العسكرية هو أن القوانين و التنظيمات العسكرية المختلفة كلها كانت تنص على إعطاء الأولوية في قيادة فصائل و كتائب الجيش أو سراياه للضباط الفرنسيين، حتى و إن تساووا في الرتب مـع زملائهـم المجنـدين الجزائريين. مع العلم أن رتب الضباط كانت دائما محفوظة للعنصر الفرنسي و الأوروبي فقط. أضف إلى هذا أيضا فإن الجزائري لا يحق له قيادة الكتائب العسكرية أو السرايا المشكلة من العنصر الفرنسي و الأوروبي...[386]

وكان الحاج عبد الله الملازم الأول في الجيش الفرنسي قد عبر بمرارة عن هذه الوضـعية المخزيـة التـي يعيشها المجندون الجزائريون في صمت... فقال: " إن المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي كانوا يتعرضـون للاهانة و الحقرة في الترقية و المعاملة... و لكنهم أثناء الحروب يزج بهم في الصفوف الأمامية... "[387]

فهل بقي بعد هذا الذي قيل أن يصدق العاقل ادعاءات الفرنسيين من أن أولئك المجندين كانوا بمثابة الأبنـاء الأوفياء لفرنسا التي تحبهم كما تحب الأم أبناءها؟... ربما كانت فعلا تحبهم كما يحب الجزار الكبش السمين؟... لأن الحقيقة هي أن الجزائريين المجندين في صفوف الجيش الفرنسي، و عبر مختلف الحقب و أثنـاء كـل الحمـلات العسكرية أو الحروب التي خاضوها في صفوف الغزاة منذ البداية و حتى نهاية القرن التاسع عشر... كانوا خلالهـا بين المطرقة و السندان فإما أن يقتلوا خصومهم لينقذوا جلودهم من الهلاك، وإما أن يقتلوا فإن لم يكن مـن طـرف الخصوم فبسلاح الجنود الفرنسيين الذين كانوا يترصدونهم عندما يحاولون الفرار أو التراجع إلى الوراء، ذلك هـو حال المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي.

---

[384] - **Julien:** op. cit, p.275 et suivantes.
[385] - Saint Arnaud: **Lettres du Général**, op. cit, pp.19-20.
[386] - **Duruy. V:** op. cit, p.11
[387] - **Hadj Abdellah**: op. cit, pp.3-4.

ج- خلاصة الفصل الثاني:

لقد دأب الفرنسيون منذ البداية على تطوير و تنظيم الفصائل العسكرية المشكلة من الجزائريين بما يخدم مصلحة بلادهم، و في أي موقف يكونون فيه، خاصة عندما يجدون أنفسهم في الملعب منفردين و لا ينافسهم فيه أحد. بحيث أنهم بمجرد تمكنهم من استمالة بعض الجزائريين إلى صفوفهم حتى يغدوا معززين موقفهم هذا بكل الأساليب المتأتية لهم: قوة السلاح و الحيل و المكر.

وكان الفرنسيون بارعين في استغلال الفرص حيث اعتمدوا على الظروف الصعبة التي كان فيها الشباب الجزائري يتخبط في وحل الفقر. إلى جانب حبه لدينه و أهله الذين يسعى للتكفل بهم. فأسسوا من أولئك الوافدين على التجنيد فصائل عسكرية استغلوها في تدعيم قواتهم للسيطرة على العديد من المناطق في الجزائر كالاستيلاء على قسنطينة و القضاء على مختلف المقاومات في الغرب و الشرق الجزائري و منطقة بلاد القبايل و كذا المناطق الصحراوية التي انطلقوا منها إلى باقي الأوطان الأخرى كـ السنيغال و مالي...

وبالرغم من أن الساسة الفرنسيين في باريس لم يكونوا قد انتهوا إلى قرار ثابت بشأن الجزائر حتى سنة 1834 حين أقروا فيها ما عرف بسياسة الاحتلال المحدود الذي لا يتجاوز مدينة الجزائر و المناطق المحتلة منذ سنة 1830 بسبب العجز المالي و النقص في تعداد جيش الاحتلال.[388]

ومع ذلك فقد واصل القادة العسكريون تأسيس الفرق الخاصة بالمجندين الجزائريين الذين عرف الفرنسيون كيف يوجهونهم نحو ما يخدم الاستدمار الفرنسي في الجزائر بالأسلوب الذي يتفق و ميولات و إمكانيات أولئك المجندين، بحيث أنهم استخدموا فرسان الزواوة و القومية غرب البلاد و وسطها و شرقها حتى يضمنوا أمن و استقرار المناطق المعترفة بسلطتهم عليها... و في الغرب الجزائري مثلا تعاملوا مع مصطفى بن اسماعيل زعيم قومية الدوير و السميلة بما يتفق و رغبة الزعيم الملحة في المحافظة على السلطان بالمنطقة بسبب كراهيته الشديدة للأمير عبد القادر الذي يرى فيه العدو اللدود الذي سلبه ملكا كان من حقه هو دون سواه.[389]

و لذلك ففي أقل من عقد من الزمن على تعاونه و تحالفه مع الفرنسيين تمكن هذا الرجل من الحصول على الأوسمة الشرفية ورتبة جنرال فرنسي،كي يكسبوه إلى جانبهم و يحافظوا على الوفاء لهم، و فعلا فقد استمال الفرنسيون هذا الرجل إلى جانبهم و جعلوه يشارك في توجيه حملاتهم العسكرية ، ونفس الشيء فعلوه مع ابن قانة شيخ العرب البسكري بشرق البلاد. وغيرهما...

وفيما يتعلق بالأسلاك النظامية فقد كان القناصة الجزائريون ضمن سلك قناصة إفريقيا و قد جند أغلبية عناصر هذا السلك من منطقة القبائل الذين قال عنهم الفرنسيون أنهم يمتازون ببرودة الدم و سهولة التدريب و الانصياع لأوامر رؤسائهم، لذلك كونوا منهم سلكا للمشاة استخدموهم في شق الطرق و بناء الجسور إلى جانب إشراكهم في الحملات العسكرية.

في حين أن الصبايحية و هم في الغالب من فرسان البدو الرحل الذين يحبون ركوب الخيل و لم يكن الفرنسيون يطمئنون لهم لذلك جعلوهم يشاركون في الغارات المفاجئة على القبائل لأنهم كانوا معروفين بثورتهم على رؤسائهم و قادتهم العسكريين كلما حاولوا الزج بهم في حملات عسكرية طويلة المدى و مملة أو صعبة، و لهذا كانوا يكلفونهم بضمان الاتصال ونقل البريد و غزو المواطنين الرافضين لدفع الضرائب، و معاقبة المناوئين للوجود الاستعماري الفرنسي كما كانوا في عهد الأتراك.

وقد أصدر ليونال الذي تتبع الشأن الجزائري عن كثب دراسة عن المجندين، و كيف يمكن لفرنسا أن تستقطب أكبر عدد ممكن من الشباب الجزائري للانضمام إلى صفوف الجيش الفرنسي، و من هذه الاجراءات التي دعا إليها ما يلي:

---

388 - **Duruy. V:** op. cit, p.7.
389 - **Lespes. R:** op. cit, pp.12-13

1- تقديم منحة مالية للمجند عند كل تعاقد أو إعادة التعاقد مع الجيش، ما دام الأهـالي الجزائريـون فقـراء و انضمامهم إلى الجيش كان بدافع الحاجة و الفاقة حتى يتمكن المجندون من مساعدة أهاليهم على توفير لقمـة العيش.

2- بما أن أغلب الأراضي الفلاحية صادرها الفرنسيون، فقد رأى ضرورة تقديم وعد للمجنـدين يضـمن لهـم الحصول على هكتارين أو حتى ثلاثة هكتارات عند الإنتهاء من مدة الخدمة العسكرية في إطار مـا يقـره القانون و نظام التعديلات الذي جاء بعد 1855، و هو توجه لا بد أنه شجع الكثيرين على الانضـمام إلـى صفوف الجيش الفرنسي ما دام الجزائري يحب الأرض و يتشبث بها، و لكن الواقع هو أن هذا التوجـه لـم يستفد منه المجندون، و إلا لكانت أغلب الأراضي التي استحوذ عليهـا المعمـرون هـي ملـك للمجنـدين الجزائريين بعد انتهاء خدمتهم العسكرية ؟...نظرا للأعداد الكبيرة التي كانت مجندة فـي صـفوف الجـيش الفرنسي .

ولعل هذه الوعود هي التي ساعدت كثيرا على انضمام الجزائريين إلى صفوف الجيش خاصة بعد أن تمكـن الفرنسيون من القضاء على أهم مقاومتين عمرتا طويلا في البلاد و هما: مقاومة الأمير عبد القادر فـي الغـرب و مقاومة أحمد باي قسنطينة في الشرق، و ما بقي بعدها لم يلبث أن انتهى أمره بسرعة نظرا للمعاناة التـي لاقاهـا الجزائريون من غلاة الجيش الفرنسي الذين أحرقوا البلاد و ما فيها من معالم حية عقابا للمـواطنين العـزل علـى مساندتهم للثوار، و لكن الجزائريين كانوا في كل مرة سرعان ما يستعيدون أنفاسهم و يعاودون الكرة و الثورة على المستعمرين.

غير أن ما يلاحظ في تهافت الفرنسيين على هذه الإنشاءات العسكرية للفصائل المشكلة من الجزائـريين و تنظيمها و محاولة تحسين أوضاعها كان الهدف منه الاستغلال التام لهذه الطاقات البشرية بما يخدم مصالح فرنسا و الجيش الفرنسي حيث أن الدوق دالماسي دعا إلى تعويض الجنود الفرنسـيين فـي الجـيش الأفريقـي بالمجنـدين الجزائريين خدمة للجيش و تخفيفا للأعباء عن أبنائهم، و كذا تخفيف الأعباء على الخزينة الفرنسية.

وبالرغم إذن من هذا التهافت على تجنيد الجزائريين في الجيش إلا أن ذلك كله لم يسايره إصلاح لأوضـاع السكان الجزائريين في الميدان الاجتماعي و الاقتصادي على الأقل... لأن كل ما كان يهم الفرنسيين في هذه العملية هو الحصول على طاقات بشرية قوية يمكنهم الاعتماد عليها في حروبهم ضد المستضعفين في الأرض من البلـدان التي كانوا يسعون إلى وضعها تحت سيطرتهم. مثل حروبهم في إفريقيا و آسيا و أمريكا اللاتينية.

ويبقى بعد ذلك الشباب المجند في صفوف الجيش الفرنسي لعبة في أيدي الضباط و القادة العسكريين يفعلـون بهم ما يشاؤون بعد أن سلبوهم الإرادة والقوة، وبسبب ذلك الحيف لم يكن يتقدم للتجنيد في صفوف الجيش إلا أبنـاء الجزائريين الذين ضاقت بهم دروب الحياة وكانوا في وضع اجتماعي واقتصادي سيء لا يحتمل.[390]

[390] - **Julien**: op. cit, p.274.

الفصل الثالث

أ- حروب أقحم فيها المجندون الجزائريون **1854-1900.**

1- حرب القرم
2- حملة إيطاليا
3-حملة السينغال
4- حملة الكوشان-شين
5- حملة المكسيك
6- الحرب الفرنسية الألمانية
7- حملة مدغشقر

ب- شهادات وآراء الضباط العسكريين الفرنسيين عن المجندين الجزائريين.

ج- خلاصة الفصل الثالث.

حروب أقحم فيها المجندون

الجزائريون 1854 – 1900

بعد تصفح العديد من مؤلفات ومذكرات الضباط الفرنسيين: جنـرالات و ماريشـالات الحـروب، شـعرت بإحساس أليم ينتابني هو عبارة عن مرارة وغصة و ألم، بسبب ما لحق أبناء وطني الذين مع الأسف الشديد كـانوا يموتون من أجل شرف و سمعة عدو نكل بالأمس القريب بشعبهم وأبناء جلدتهم، بعد أن أحرق و خـرب الأرزاق و أزهق الأرواح[391] و بعدها صار يتحكم فيهم من جديد و يوجه شبابهم نحو ما يخدم مصالحه الاستعمارية و لـه في ذلك أساليب عدة، و إغراءات شتى...

لقد كانت مذكرات القادة العسكريين الفرنسيين تتحدث بإسهاب عن المحاربين الجزائريين الذين امتهنوا التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، فذكروا مناقبهم و بطولاتهم في سـاحات المعـارك، حتـى أن الجنـرال بومغـارتن **Boumgarten** " لخص هذه المناقب و المآثر العسكرية بقوله: " إنهم بالفعل الأوائل في العـالم[392]". فـي إطـار حديثه عن المجندين الزواويين، و الرماة الجزائريين.

فأولئك الجزائريون صاروا بعد أن تمكن الغزاة من استمالتهم إلى صفوف الجيش الفرنسي، من أحسن الجنود في الفيالق و الألوية العسكرية الفرنسية و حتى الأوروبية " بعد أن تلقوا التدريبات العسكرية المكثفـة علـى أيـدي الضباط الفرنسيين[393]".

وبعد تدريبهم، وأحيانا حتى قبل تدريبهم و خلال الحملات العسكرية كان الضباط الفرنسيون يرصون أولئـك المجندين الجزائريين في مقدمة الطوابير العسكرية لتلقي الصدمات الأولى عند بدء المعارك الحربية... و إذا ما فكر أولئك المجندون في الانسحاب أو الهروب تتلقفهم نيران الفرنسيين من ورائهم... فلم يبق أمـام أولئـك التعسـاء و الوضع ذاك سوى النصر أو الموت؟!.

ولو أن الدنيا لم تدر ظهرها للجزائريين منذ بداية القرن التاسع عشر، و لو أن الظـروف كانـت مواتيـة و قيضت لأسلافنا رجالا من العسكريين الذين يعرفون كيف يتعاملون مع تلكم الطاقات البشرية الشابة، وأعطوها من الإمكانيات ما يجعلها في مستوى الجيوش الأوروبية ، لكـان التـاريخ اليـوم قـد سطـر لشعبنـا و أمتنـا طريقـا آخـر غير هذا الذي كان من 1830 / 1962 يوم تمكن أبناء هذا الشعب الأبي من استرداد حريته و عزته بفضل تضحيات رجاله و نسائه... مع فارق بسيط هو أن بعضا من شباب الجيل الأول خدم الفرنسيين عن جهـل و فاقة، في حين أن شباب أبناء نوفمبر 1954 خدم بلاده و شعبه عن وعي و دراية.

المجندون الجزائريون صاروا من أحسن و أقدر المجندين في صفوف الألوية و الفيالق العسكرية الفرنسية و هم يدافعون عن علم و شرف فرنسا، بعضهم بغرض تأمين لقمة العيش لأهاليهم الذين لم يجدوا أمامهم مـا يضـمن لهم العيش كبقية العباد على وجه الأرض...

" لقد كان المجندون الجزائريون عبر مختلف الوقائع الحربية و الحملات العسكرية مثالا للطاعـة و الانضـباط و الوفاء لقائدهم الذي يعرف كيف يكسب ثقتهم و احترامهم، فالجزائري كان دائما مخلصا للراية التي كـان يـدافع عنها[394] ".

وكان ذلك دأبهم في كل الحملات العسكرية التي أقحموا فيها، في القرم و إيطاليا و المكسـيك و التونكـان و مدغشقر و غيرها، وكانت مقاومتهم للأمراض و صبرهم على الإجهاد و الجوع محل إعجاب و انـدهاش قـادتهم. الذين كثيرا ما عبروا: " على أنه لو لا وجود المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، ما كـان للقيـادة العسكرية أن تخوض مثل هذه الحروب[395]" و السؤال الذي ربما يطرح نفسه هو: هل كان المجندون الجزائريـون مخيرين في سلوكهم هذا ؟ أم أنهم كانوا مجبرين؟ الجواب هو أن أغلب أولئك المجندين التحقوا بصـفوف الجـيش

[391]- **مصطفى الأشرف**: مرجع سابق، ص. ص 83-85.

[392] - **André Figuéras** : op. cit, P. 79.

[393] - **Lespes. R.** : op. cit, P. P. 09-11.

[394] - **Lespes. R:** pp.8-11

[395] - **Idem.** p.38

بسبب دوافع الحاجة و الفاقة أو بسبب غفلة بعضهم نتيجة للدعاية الكاذبة التي كانت تصور لهم الحياة فـي الجـيش الفرنسي بالجنة، لكن آمالهم خابت عندما وجدوا أنفسهم في خضم هذا الجيش مجبرين على قبول الأمـر الواقـع، و كثيرا ما أدى بهم ذاك الوضع إلى محاولة الهروب من صفوف الجيش الفرنسي[396]. و حتى هذا لم يكن يتأتى لكـل راغب مقهور.

ولعل هذا الوضع المزري و خيبة الأمل و الإحساس بالألم هو الذي جعلهم يبدون في نظر الضبـاط و القادة العسكريين مجندين لا يهابون الموت، بل به مستخفون و إلى المغامرة و مجابهة الأخطار ساعون، أضف إلى كـل هذا ما تأقلم عليه الجزائريون من قدرة فائقة على مقاومة الإجهاد و الصبر على الجـوع و الحرمـان مـن أبسـط مقومات الحياة، زيادة عـلى مقاومتهـم للأوبئـة و الأمراض التـي كثيـرا ما كانت تفتك بغيـرهم من الجنـود الأوروبيين و الفرنسييـن[397]. ليبقى المجندون الجزائريون في كل المواقف و الحملات العسكرية أشـداء و أقويـاء يتمتعون بالصلابة التي لا تضاهيها إلا صلابة النخيل في صحراء بلادهم الشاسعة طبعا.

وبتوفرهذه الميزات في المجندين الجزائريين تمكنت فرنسا من خوض مختلف المعـارك و الحـروب فـي القارات الأربع: أوروبا، آسيا، أمريكا اللاتينية، إفريقيا. فكيف كان المجند الجزائري يعامـل و يتعامـل مـع هـذه الحروب و المعارك الطاحنة التي أقحم فيها؟...

ذلك ما سنعرفه بعد استعراض بعض الحروب التي كان فيها المجندون يمثلون الصفوة و النخبة في الجيش الفرنسي، حيث عبدوا الطريق لفصائله في مختلف بقاع العالم.

ولنا فيما سنعرضه من حروب وحملات عسكرية في كل من القرم و إيطاليا و فرنسا و المكسيك و مدغشقر خير شاهد على ما جاء في مؤلفات المؤرخين الفرنسيين و مذكرات أولئك الضباط و الجنرالات من قادة الجيـوش الفرنسية، حيث اتفق الجميع على أن أولئك المجندين الجزائريين كانوا ينـدفعون نحـو خصـومهم بكـل شـجاعة وضراوة." و يجدون في الفتك بهم في ساحات المعارك تسلية و متعة، حتى و لو كان خصومهم من بني جلدتهم، و لهم في حملة قسنطينة، و في معركة فورناسيونال "الأربعاء ناثي إيراثن" و في غيرهما أحداث، و أي أحداث؟ ! ...

وهنا لا بد من التذكير بما أورده الفرنسيون أنفسهم وقد تكون الحقيقة التي لا مراء فيها، و هي أن الخونة و الجبناء من الجزائريين هم الذين انضموا إلى صف الفرنسيين..." و قـد عرفـت الجزائـر بـاعتراف المـؤرخين الفرنسيين أنفسهم عهدا تعاونت فيه الحثالة من الشعب الجزائري مع الاستعمار الفرنسي... بينما كانت الأغلبيـة العظمى من الجزائريين معتصمة بالجبال أو منخرطة في جيش الأمير عبد القادر، و بالفعل فقـد تعاونـت هـذه الحثالة مع الفرنسيين إلى درجة أن بعض الضباط الفرنسيين كانوا يصفونهم أوصافا تدل على الاحتقار و الازدراء بهذا النوع من الحلفاء ، من ذلك وصف الكـولـونيـل مـان **MENNE** في معرض حديثه عـن المتعـاونين الجزائريين مع الفرنسيين بقوله: " حلفاؤنا الحقيرون[398]"

ومـع ذلـك كان بعـض أولئك المجنديـن الذين كانوا يتصرفون كالمرتزقة وهم فعلا كذلك ، و يستبسلون في المعارك و يظهرون في كثير من الأحيان، الكثير من آيات الإخلاص و الوفاء لفرنسا لم يكونوا مع ذلـك كلـه يقبلون عن طيبة خاطر ما تستنكره الأغلبية العظمى من الشعب الجزائري. و هذا ما جعل العقيد كانروبير يصـرح متذمرا:" ليس لنا بين الأهالي الجزائريين سوى أعداء... و ليس لنا بين العرب أصدقاء"[399].

---

396 - **Julien:** op.cit, p.276.

397 - أنظر مختلف الحملات العسكرية التي أقحم فيها المجندون الجزائريون و خاصة منها: حملة المكسيك / مدغشقر... حيث تفشت في صفوف الجيش الفرنسي مختلف الأمراض و الأوبئة الفتاكة التي قضت على الكثير منهم... في حين كانت مقاومة المجندين الجزائريين لهذه الأوبئة واضحة بينة.

398- **مصطفى الأشرف:** مرجع سابق، ص. 92

399- **نفسه** : ص. 94 ... (كان الفرنسيون يستعملون مفردات ثلاث هي: **عرب، قبايل، أهالي)** و يقصدون دائما الجزائريين. أما عندما يتعلق الأمر بالأتراك فيقولون: " تركي"

وبالرغم من استياء القادة الفرنسيين من المجندين في صفوف الجيش، إلا أنهم عرفوا كيف يسـتغلونهم فـي مختلف حملاتهم العسكرية سواء الحروب التي أقحموهم فيها بداخل التراب الوطني أو تلكم التي أقحموهم فيها خارج الجزائر؟...

وقد آثرنا أن نستعرض الحروب التي أقحم فيها أولئك المجندون التعساء خارج القطر الجزائري فكانت حرب القرم أولى تلكم الحروب ذات الأهمية الدينية بالنسبة لأولئك المجندين والقيمة الإستراتيجية بالنسبة للقيادة العسـكرية الفرنسية.... و ختام هذه الحملات العسكرية كانت في نهاية القرن التاسع عشر، وهي حملة مدغشقر التـي أظهـر فيها أولئك المجندون قدرات كبيرة وصلابة متينة في تحمل الأوبئة الفتاكة و الإجهاد المتواصل . وعلى كل فقد كان للمجندين الجزائريين في كل موقعة حضور لا يمكن نسيانه أو تجاهله... و تبدأ مغامراتهم خارج القطر الجزائـري في حرب القرم...

حرب القرم:

1856 –1854

تعد كل من حرب القرم[400] التي دارت رحاها بين روسيا القيصرية و الإمبراطورية العثمانية المدعمة من قبل الإنجليز و الفرنسيين مكانة خاصة في تاريخ الجزائريين الذين تفاعلوا معها بسبب تعلق الأهالي الجزائريين قاطبة بدينهم الإسلامي

خريطة شبه جزيرة القرم التي شهدت المعارك الأولى للمجندين الجزائريين خارج التراب الوطني دفاعا عن الدولة العثمانية ضد الروس المتحرشين بها

ومصدر هذه الخريطة هو: .....

Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation

---

الحليف، و كذا بسبب نظرتهم إلى تركيا التي كانت تمثل بالنسبة إليهم الأمل المتبقي للمسلمين في الخروج من دائرة الضعف و السيطرة الأجنبية.

ومن أجل هذه المساعيات استغلت فرنسا هذه الحرب إلى أبعد الحدود لمصالح الوجود الفرنسي و توطيد أركانه في الوطن الجزائري، و من هنا راح الجنرال راندون الحاكم العام يعمل على استقرار الوضع في الجزائر أثناء فترة الحرب، و منع تسرب الأخبار الخاطئة إلى الجزائريين، مغلقا الأبواب أمام تسرب المنشورات المعرضة و المضرة بالمصالح العليا لفرنسا.

---

[400] - القرم: شبه جزيرة في شمال البحر الأسود، تسمى باللغة الفرنسية Crimée و قديما كانت تسمى Chersonèse Taurique كانت تابعة لجمهورية أوكرانيا و لاحقا صارت تابعة للإتحاد السوفياتي بعد ثورة 1917. تمتد أراضي شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود و يحدها من الشمال الشرقي بحر آزوف. أما جنوبيا فيفصلها من هضاب سفلى التي يجتاز على خط الزوال (و هو من خطوط الطول للكرة الأرضية) و يبلغ ارتفاع هذه الجبال نحو 1545م.
تمتاز القرم بشاطئ جميل لمثل تتبع على أطرافه عدة مصطات سياحية هي عبارة عن مستعمات بحرية. أهم مدن القرم هي: سيمفيروبول Simferopol و سيباستبول Sebastopol. كيرتش Kertch. وأصبح لهذه الشبه الجزيرة شهرة عالمية بسبب الصراع الذي كان قائما بين الروس و الدولة العثمانية و الذي انتهى بحرب طاحنة بين روسيا من جهة و الدولة العثمانية و حلفائها إنجلترا و فرنسا و دولة بيمون من الجهة الأخرى خلال السنوات 1854-1856 و انتهت هذه الحرب كما هو معروف بهزيمة الجيوش القيصرية.

وسخر الحاكم العام لأجل ذلك كل الوسائل المتاحة لخدمة القضية الفرنسية بما في ذلـك ضـباط و موظفـو المكاتب العربية[401] و القياد و الباشاغوات، و توجيه الرأي العام الجزائري عن طريق جريدة[402] المبشر.

هذه الجريدة التي ذكرت في أعدادها الصادرة خلال سنوات الحرب، ما كانت تقدمـه السـلطات الفرنسـية للدولـة العثمانية من مساعدات مالية و عسكرية[403]. كما عمدت هذه السلطات الاستعمارية إلى إيهام الرأي العام الوطني في الجزائر، بأن الموقف الفرنسي نابع من إيمان فرنسا بضرورة الدفاع عن الحق في العالم.

ونظرا للاهتمام الكبير الذي أبداه الجزائريون تجاه هذه الحرب، ارتأت جريدة المبشـر أن تنشـر المحتـوى الكامل لنص الرسالة التي بعثها نابليون الثالـث إلى القيصر الروسي بشـأن التحرشـات الروسـية ضـد الدولـة العثمانية[404].

و لقد قدمت جريدة المبشر لهذه الرسالة بقولها:" إنه بسبب الاهتمام الكبير الذي أبداه الجزائريون لهذه الحرب ها هي المبشر تنشر المحتوى الكامل للرسالة التي بعثها إمبراطور الدولة الفرنساوية إلى القيصر الروسـي حتـى يعـرف الأهالي الجزائريون قصد الدولة الفرنسية في سلوك طريق الحق و العدل في مساعدة الدولة العثمانية".

و أهم ما جاء في هذه الرسالة هو تلكم الفقرة التي دافع فيها الإمبراطور الفرنسي عن موقف الدولة العثمانية وعـن حقها في الدفاع عن نفسها، و هذه الفقرة جاءت كالتالي:

أما دولة الترك أدركتها حرمة (كذا) في حماية نفسها، و إن بذلت الأموال العريضة فـي ترتيـب العسـاكر لتحمي بلادها، و حصل لها الإنذار بلزوم الحرب حتى تخرج من حالة التردد و الذل، و لمـا طلبـت منـا و مـن الإنجليز النصرة لها ظهر لنا و للدولة الثانية الحق معها، بعثنا رمادتين إلى بوغاز أسـلام بـول " ظنـا منـا أن حضورهما هناك يكفي لحفظ الترك، و كذا دايما نعتقد كف القتال و ننصح سلطان أسلام بول (كذا) بالصبر و ضبط النفس[405]"...

وعليه فقد يتساءل المرء لماذا اهتمت السلطات الاستعمارية بإخبار الجزائريين بكل التطـورات و التفاصـيل المتعلقة بهذه الحرب؟

و الجواب قد يكمن فيما نعتقد أن الدافع الحقيقي لكل هذه التدابير يتمثل فيما يلي:

1 - لقد كان الفرنسيون متأكدين من تعلق الجزائريين المسلمين بالدولة العثمانية لأنها رمز الإسلام و مركز الخلافة الإسلامية... و خاصة أنه لم يمض وقت طويل عن انقطاع العلاقة المباشرة بين الجزائر و الدولة العثمانية بسـبب الغزو الفرنسي عام 1830.

2 - كان الفرنسيون متخوفين من أن يستغل الأهالي الجزائريون ظروف هذه الحرب لإعلان ثورة شاملة في إنحاء القطر الوطني، خاصة و أن الظروف المحلية كانت مواتية لذلك بسبب الثورتين الملتهبتين في تلك الفترة و هما:

أ- ثورة الشريف بوبغلة في منطقة بلاد القبـايـل.[406]

ب- ثورة الشريف محمد بن عبد الله في منطقة الجنوب الشرقي للقطر الجزائري.[407]

3- قيام الإدارة العسكرية بإرسال جزء مهم من الجيش الإفريقي إلى ساحات المعارك في شبه جزيرة القرم وهذا

---

[401]- **المكاتب العربية:** هي مكاتب أنشئت لإدارة و مراقبة سكان الأرياف، استحدثها العسكريون الفرنسيون مباشرة بعد غزوهم للجزائر، في الأقاليم الخاضعة لسيطرتهم، و كان أول من أسندت إليه مهمة إنشاء أول مكتب عربي هو النقيب **لاموريسيير**. و كان يرأس كلا من هذه المكاتب العربية التي انتشرت في مختلف مناطق الجزائر التي استولى عليها الفرنسيون ضابط عسكري فرنسي.

وكان يساعد رؤساء المكاتب العربية في أداء مهامهم: قياد و مجندون مثل القومية، و عناصر من الصبايحية غير الدائمين الذين كانوا يقومون بمهام تشبه لإلى حد بعيد ما كان يقوم به عناصر جيش المخزن في العهد التركي.

[402]-**جريدة المبشر:** هي صحيفة أنشأتها وأسستها الإدارة الفرنسية سنة **1847**. وكانت تصدر بالعربية والفرنسية، وكان الهدف من تأسيس هذه الصحيفة الرسمية هو إطلاع الجزائريين على الأخبار الرسمية. و إعطائهم توجيها سياسيا واجتماعيا لصالح الوجود الفرنسي في الجزائر.

[403]- **Paul Azan** : Conquête et pacification de l'Algérie, op. cit, P. 448.

[404]- أنظر مختلف أعداد جريدة **المبشر** خلال سنوات حرب القرم: 1854، 1855، 1856.

[405]- **المبشر:** عدد 01 مارس 1854... أما رسالة **نابليون الثالث** فهي مؤرخة في 1854/01/29.

[406]- **د/ يحيى بوعزيز:** ثورات الجزائر في القرنين 20/19. ط1، نشر دار البعث. قسنطينة1980. ص ص 78/77.

[407]- **نفسه:** ص ص 128/126

بأمر من الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث[408]، و هذا بطبيعة الحال ما يجعل الموقف الفرنسي ضعيفا في حالة حدوث مواجهة بين الثوار و الجيش الفرنسي الذي صار يفتقر إلى جزء مهم من عناصره التي تقاتل في ساحات المعارك بشبه جزيرة القرم.

خريطة تركيا وبها تظهر عاصمة الدولة العثمانية مدينة إستانبول

ومصدر هذه الخريطةهو:

Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation

----

ومما يؤكد تخوف الفرنسيين من انتفاضة شعبية عامة هو ما جاء على لسان الحاكم العام راندون في الرسالة التي وجهها إلى الجزائريين بعد أن تلقى الأوامر من الإمبراطور نابليون الثالث يدعوه فيها إلى إرسال فرق عسكرية من الجزائر إلى حيث تجري وقائع الحرب في شبه جزيرة القرم... و قال الحاكم موجها خطابه للجزائريين: " و لما شاع خبر هذا الشأن و ذاع و تحدث به عقلان الرجال و جهلاؤهم... ربما خاض بعض أشرار الناس في الأقاويل الباطلة و التمويهات الكاذبة بقصد الفساد... فيلزم علينا أن نبين حقيقة هذا الأمر لجميع (الرعايا) بالتحريض الكامل لهم، لما وجب عليهم من السيرة المستقيمة ما دامت راية الدولة الفرنساوية في تلك الحروب حاضرة، و هي رايتهم.

فنقول إن سلطان فرنسا لما عزم على معونة سلطان إستانبول و تشمر لحفظـه مـن عـدوه سـلطان الموسكو... كان مراده القيام بالعدل و الإنصاف بوقاية الضعيف من القوي كما ينبغي لذوي الكرم[409]... "

أما أسباب التحرش الروسي فتعود إلىأن الإمبراطورية العثمانية كانت دائما ترفض أن تشاركها روسيا فـي السيادة على الأراضي المقدسة في فلسطين، وهو ما دفع بـالقيصر الروسي إلىخلق الفوضى و تشجيع البلبلة فـي

408- المبشر: عدد 30 مارس 1854... أنظر كذلك جريدة **Akhbar** عدد 07 مارس 1854 التي تحدثت عن مختلف الفصائل العسكرية التي تم إرسالها. و من بين هذه الفصائل العسكرية نجد الفيلق الأول للزواويين و كتيبتان للمشاة من الرماة الجزائريين.

409- المبشر: عدد 30 مارس 1854.

أرجاء الإمبراطورية العثمانية ليتسنى له الدخول في الوقت المناسب من أجل تقويض أركان "الرجل المـريض فـي أوروبا " بقصد السيطرة على المضائق و المنافذ ليكون لروسيا مدخل في البحر الأبيض المتوسط الذي كان حكـرا على فرنسا و إنجلترا.

و نتيجة لهذه المحاولات الساعية إلى تقويض أركان الدولة العثمانية وصل الأسطول الفرنسي و الإنجليزي إلى مياه المضائق التركية للحد من التحرشات الروسية لكن القيصر أمر جيوشـه باجتيـاح الـولايتين الـدانوبيتين "رومانيا الحالية" و كانتا تابعتين آنذاك للسلطان العثماني الذي احتج بشدة على اجتياح الجيوش الروسية لأراضيه، و طلب منهم الانسحاب فورا من هذه الأراضي، فرد عليه الروس بـإعلان الحـرب علـى الدولـة العثمانيـة فـي 1853/12/23.

وتقدم الأسطول الإنجليزي و نظيره الفرنسي نحو البحر الأسود لتهديد الروس و كبح جماحهم معلنين عزمهما على عدم الانسحاب من مواقعهما كما طلبت روسيا منهما ذلك. و في 27 فيفري 1854 بعثت كل مـن فرنسـا و إنجلترا تحذيرا للقيصر الروسي يطلبون منه سحب جيوشه من الإمارتين، فرد على تحذيرهما له بتدمير الأسـطول التركي في البحر الأسود، فاعتبرت الدولتان إنجلترا و فرنسا ذلك اعتداء صارخا عليهما و عدوانا لا يمكن السكوت عليه.[410]

وبذلك تحتم على الحلفاء التدخل عسكريا في هذه الحرب، و تدخلت فرنسا إذن بالجيش الإفريقي الذي كـان يضم المجندين الجزائريين الذين كانت القيادة العسكرية تعدهم لمثل هذه المهمات الصعبة، بـالرغم مـن أن الـرأي السائد آنذاك كان يؤكد على أن المجندين الجزائريين لايصلحون للخدمة العسكرية إلا في القطر الجزائـري نظـرا لكونهم كانوا يفتقرون إلى الاحتكاك بالجيوش الأوروبية ومواجهتها[411].

وبما أن فرنسا كانت بحاجة إلى رجال لتدعيم جيوشها حتى تدخل بهم الحرب،فإنها استغلت أولئك المجنـدين وزجت بهم في حرب القرم التي كانت بمثابة الفرصة المواتية لإثبات بطلان هذا الاعتقاد الذي كـان يسـود كـل الأوساط السياسية و العسكرية التي لم تتعامل مع أولئك المجندين الجزائريين عن كثب فكانت هذه الحرب إذن "بداية لتدشين تاريخ بطولات و أمجاد المجندين الجزائريين".[412]

وكان الجنرال سانت آرنو قد لاحظ أثناء تحركات الرماة الجزائريين و نشاطهم خلال الحملات العسكرية أنهم كانوا يمثلون المادة الخام التي يمكن للقائد العسكري المحنك ذي الخبرة و النظرة الثاقبة أن يجعـل مـنهم أفضـل المحاربين، و كان يشاطره الرأي نفسه، العقيد دي وامبفن **De wimpffen** الذي كان قـد عمـل مـع أولئـك المجندين الجزائريين قائدا و رئيسا حينما كان نقيبا و رائدا. و لذلك سارع هذا العسـكري إلـى اقتـراح الكتائـب الجزائرية للمشاركة بها في حرب القرم وانطلق إلى مقابلة الإمبراطور نابليون الثالث يطلب منه أن يأمر باسـتخدام الرماة الجزائريين في هذه الحرب، فهم الأصلح و الأقدر على المجابهة و تحقيق النصر لأنه يعرفهم عن كثب. فقـد قادهم لسنوات عديدة و تعرف على إمكانياتهم البدنية و النفسية، فقال دي وامبفن " مولاي الإمبراطور... لقد قـدت لسنوات طويلة هؤلاء المجندين الجزائريين و أعرف إمكانياتهم الجسدية و النفسية و أعرف ما يمكن لفرنسـا أن تحصل عليه من انتصارات باهرة إذا ما استخدمتهم في هذه الحرب، شريطة أن يعرف قادتهم كيف يـؤطرونهم و يستحوذون على ثقتهم.[413] "

وعاد العقيد بعد موافقة الإمبراطور على اقتراحه إلى مدينة الجزائر و منها إلى مدينة البليـدة حيـث التقـى بفصائل الرماة الجزائريين الذين كان قائدهم و رئيسهم طيلة سنوات عديدة...

[410]- **Huré. R:** Op. cit, P. 81.
[411]- **Lespes. R:** op. cit, p. 23.
[412]- **Lespes. R:** op. cit, p.23
[413]- **Idem.**

و لسذاجتهم تمكن من خداعهم على أساس أنه يريدهم لمساعدته في الدفاع عن الإسلام و المسلمين المهـددين مـن طرف الروس الذين يسعون إلى الفتك بـ الدولة العثمانية.[414]

وتم بالفعل تأسيس فيلقين من الرماة الجزائريين تحت إشراف العقيد دي وامبفن الذي كان نابليون الثالث قـد كلفه بإشراك أولئك الجزائريين في حرب القرم، و قد كان اختيار عناصر ذلك اللواء المعد لحرب القرم، من فيـالق المقاطعات الثلاث: الجزائر، وهران، قسنطينة. و كان تعداد هذا الجيش يفوق 2000 جندي تم وضعهم مباشرة بعد وصولهم إلى غاليبولي **Gallipoli** بتركيا تحت تصرف القسم العسكري **Division** للجنـرال بوسـكي **Bosquet**[415].

وبتاريخ 27 أفريل 1854 حضر الماريشال سانت آرنو القائد العام للجيش للمشرقي في شبه جزيرة القـرم، لاستعراض هذه القوات الفرنسية الوافدة من الجزائر، و بعد أن قدم إلى العقيد دي وامـبفن الرايـة التـي بعثهـا الإمبراطور نابليون الثالث إلى اللواء القادم من الجزائر، قال الماريشال سانت آرنو موجها كلامـه إلـى الرمـاة الجزائريين: " أيها الرماة... إن الإمبراطور شرفني حين أمرني أن أقدم لكم هذه الراية... و بكل سرور ها أنـا ذا أقوم بهذه المهمة لأنني أعرف أنكم جنود أبطال و شجعان... فلقد أثبتم ذلك من قبل في إفريقيا (الجزائـر) عـدة مرات... و لقد اخترناكم للمجيء إلى المشرق لأننا نعلم أنكم أهل لأن تحاربوا في صفوف الجـيش الفرنسـي... كونوا كما عرفتكم دائما... أطيعوا رؤساءكم و احترموا قادتكم ... فالطاعة و النظام هي القواعد الأساسية التـي يرتكز عليها النظام العسكري الفرنسي... أيها الرماة... لا تنسوا أبدا[416]... "

وفعلا فذاك ما حدث طوال فترة هذه الحرب التي تعرض فيها المقاتلون الجزائريون لنيـران المدفعيـة لأول مرة منذ انضمامهم إلى الخدمة العسكرية في صفوف الجيش الفرنسي، حيث خاض أولئـك المجنـدون حمـلات و معارك قاسية عرف فيها الرماة الجزائريون خاصة و كل المقاتلين الجزائريين عامة أبشع الاختبارات، و جابهوا كل الأخطار... كيف لا ؟ و هم دائما في الصفوف الأمامية حيث كانوا وقودا لعدة معارك ضارية أهمها معركـة آلمـا **Alma** في شهر سبتمبر 1854 حيث فتحت هذه المعركة الضارية الطريق أمام جيوش الحلفاء للاستيلاء على مرفأ سيباستبول **Sebastopol** أين خاضوا معاركهم الطاحنة خلال شهري أكتوبر و نوفمبر من نفس العام.

واستمرت المعارك تحصد أرواح المقاتلين الجزائريين بشكل فظيع لأنهم كانوا دائما في المقدمة، و في النهاية تمكنوا من السيطرة على ماملونير و حصن ملاكوف ليسقط بعدها مرفأ سيباستبول... و في كل مرة كان المجندون الجزائريون بمختلف فصائلهم يقفون في وجه المقاتلين الروس الذين حاولوا عدة مرات دفع المجندين الجزائريين إلى الانسحاب من أماكنهم، لكن الجزائريين كانوا في كل مرة في مستوى الحدث و تمكنوا من المحافظة على المواقـع التي استولوا عليها.

وهكذا بقي الرماة الجزائريون سادة للموقف بعد استيلائهم على قلعة ملاكوف في 08 سـبتمبر 1855 التـي مهدت لسقوط سيباستبول، و لكن الحرب كانت ما تزال مستمرة حتى شهر مارس 1856 بعد أن قضوا هناك شـتاء أكثر قساوة مما سبقه.[417]

وقبل أن يغادر الجنرال كامو **Camou** قائد القسـم، ميـدان المعركـة تاركـا القيـادة لبوسـكي بتـاريخ 1855/10/01 أبى إلا أن يخاطب الرماة بقوله:" أيها الرماة الجزائريون... لقد كنتم جنـودا يقظـين و سـيرتكم الحسنة أكسبتكم في الجيش الفرنسي - سمعة طيبة- اعترف بها حلفاؤنا و حتى أعداؤنا... و بينتم أنكـم بحـق أهل لأن تكونوا من أحسن الفرق العسكرية الفرنسية... لقد أحرزتم على العديد من الانتصارات و الأمجـاد التـي شرفت لواء الرماة الجزائريين.[418]"

---

[414]-- **Lespes. R:** op. cit p. 24.
[415]- **Julien:** op. Cit, P. 276.
[416] - **Lespes. R:** op. cit, p.24.
[417] - **Idem:** p 25.
[418] - **Id.**

ولإبراز الأهمية العسكرية للفصائل الجزائرية في هذه الحرب التي كانت بمثابة فرصة لإثبات الذات أمام كل الجاحدين لقدرات المجندين الجزائريين من جهة، و لإبراز هذه الأهمية التي كان فيها المجندون في مختلف الأقسـام العسكرية يمثلون الدروع الواقية لبقية الوحدات العسكرية، و لكونهم دائما كانوا في مقدمة الجيوش الفرنسية لتلقـي الضربات الأولى، تم إقامة استعراض هذه الوحدات في الجيش المشرقي L'armée d'orient الـذي كـان يضـم أربعة أقسام: منها ثلاثة أقسام Divisions وصلت مع بداية الحرب الى شبه جزيرة القرم، حيث كان في كل قسـم لواء من وحدات الجيش الزواوي Zouaves ينتمون إلى هذه الأقسام حسب الترتيب الأتي:

اللواء الأول من المجندين الزواويين كان في القسم الأول تحت قيادة ة الجنـرال كـانروبير **Canrobert** و اللواء الثاني كان تابعا إلى القسم الثالث تحت قيادة الأمير نابليون، أما اللواء الثالث للزواويين فقد كان ينتمـي إلـى القسم الثاني تحت قيادة الجنرال بوسكي، غير أن اللواء المكلف بالحراسة من الجنود الزواويين فإنه لم يصل إلى شبه جزيرة القرم إلا في حدود شهر ماي 1855 بعد تكوينه مباشرة.[419]

في حين أن لواء الرماة الجزائريين فقد كون مع اللواء الثالث للزواويين ما يعـرف بالمجموعـة.Brigade وأما اللواء الأول و الرابع لقناصة إفريقيا فقد تم ضمهم بالتدريج إلى اللواء الثاني و اللواء الثالث للرماة الجزائريين، حتى يكونوا منهم قسم الخيالة تحت قيادة الجنرال موريس.

وتبعا لتدعيم الجيش المشرقي فإن الفصائل الجزائرية كانت في البداية تمثل 1/3 ثلث الجيش الفرنسـي فـي حرب القرم بتعداد 10 آلاف جندي، و في العام الموالي ارتفع تعداد المجندين الجزائريين إلى 18 ألف جندي و لكن بنسبة أقل مما كانت عليه و هي 1/6 سدس الجيش المشرقي الذي يخوض المعارك في شبه جزيرة القرم. و رغـم أن تعداد الجيش الفرنسي من الأوروبيين كان مرتفعا مقارنة بالفصائل العسكرية الجزائرية إلا أن الحديث عن أولئك المجندين الجزائريين كان أكثر من الحديث عن باقي البعثة العسكرية الفرنسية مجتمعة.[420] و يعنـي هـذا أن 1/6 سدس الجيش وهم المجندون الجزائريون قد غطوا بإنجازاتهم العسكرية ما قامت به جميع الفصائل الأخرى و هـي تمثل 5/6 خمسة أسداس من مجموع الجيش المشرقي.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن جريدة المبشر قد نجحت إلى حد ما في خلق رأي عام جزائري مؤيد لفرنسـا لأنها و بكل بساطة صديقة للدولة العثمانية الإسلامية، و قد ركزت هذه الجريـدة بشكـل ملحـوظ علـى الـدور البـارز الذي قـام به المجنـدون الجزائريون الذين كانـوا ضمن الجيش الفرنسي المشارك في هذه الحرب، حيث نشرت هذه الجريدة في عددها ليوم 1854/12/15 خبرا مفاده: أن كل الذين لا حظوا الحرب من قادة و ضباط أثنوا كثيرا على فرقة القناصة للأهالي:" و قد اشتهر ذكرهم، و أعلن خبرهم و حمدت سيرتهم بكتايب (كـذا) جنـرال الفرنسيس و جنرال الإنجليز " و ذكرت أيضا أن الجنود الجزائريين لم يخيبوا آمال الدولة الفرنسية، و هذا بسـبب حزمهم، و عزمهم بل الأكثر من ذلك " حدوث التآلف و التآخي بين الجنود الأهالي و الجنود الفرنسيين مع بعضـهم البعض، و بسبب الدور البارز و الشهرة التي اكتسبها الجنود الجزائريون قرر الإمبراطور منح أوسمة لبعض هؤلاء الجنود بطلب من وزير الحربية.[421]

كمـا ذكرت جريدة المبشر أيضا أن وفدا من الأهالي الجزائريين وصل إلى فرنسا فـي 16 أفريـل 1854 يحمل راية و رسالة تحتوي على حسن نية المسلمين الجزائريين الذين يعترفون بحسن عمل الإمبراطور و يظهرون من خلال هذه الرسالة محبتهم للدولة الفرنسية، و قد توجه هذا الوفد الجزائري مع وزيـر الحـرب إلـى القصـر الإمبراطوري ليسلموا الراية لسلطان فرنسا معربين عن محبتهم و حسن نيتهم[422]، كما أن جريدة الأخبار[423] ذكرت

[419]- **Huré. R**: Op. Cit, P. 82.
[420]- **Idem**. P. 83.

[421]- **المبشر**: عدد 15 ديسمبر 1854... ذكرت هذه الجريدة أنه من بين الجنود الجزائريين الذين منحت لهم أوسمة: **محمد بن عيسى**، الذي كان برتبة ليوتنان و الذي قضى 12 سنة في الجيش الفرنسي. كما رقي **محمد بن شريف العيد** و كذا **سعده ولد يوسف بن دحمان** إلى رتبة سرجان.

[422]- **المبشر**: عدد 30 أفريل 1854

من جهتها بأن أعيان الجزائر قدموا رسالة إلى الحاكم العام و هي موقعة من طرف ثلاثمائة شخص من العلمـاء و المفتين و القضاة و الأئمة،[424] و هو بطبيعة الحال ما يؤكد على نجاح الإدارة الاستعمارية في توظيف هذه الحـرب لصالحها، و جعلها تظهر أمام الرأي العام في الجزائر بأنها دولة عادلة و مدافعة عن الإسـلام و المسـلمين أينمـا كانوا.

وكان من علامات نجاح الحكومة العامة في الجزائر أن عمد الأهالي الجزائريون إلى صـنع رايـة للفرقـة العسكرية الجزائرية التي شاركت في الحرب لمساعدة الجيش الفرنسي على أداء مهامه على الوجه الأكمـل، كمـا تبرع الأهالي للجيش المتوجه إلى المشرق بقيمة مالية معتبرة، كعرفان منهم بجميل صنيع الإمبراطور على نصـرة الدولة العثمانية في حرب القرم.[425]

كما أن تأثر غالبية أبناء هذا الوطن بما كان يدور في تلك الحرب يبدو واضحا من خلال القصيدة الشـعرية الشعبية التي نظمها الشاعر محمد بن اسماعيل الذي عبر عن سعادته مشيدا بالدولة الفرنسية التي سـاعدت الدولـة العثمانية في محنتها، مبرزا ما كان يتداوله الناس من أن قوة الدولة العثمانية هي التي دفعـت الكفـار مـن غيـر المسلمين للسعي إلى مساندتها و إعانتها ضد الروس. كما أشاد الشاعر من جهته بالسلطان العثماني.

وبالرغم من أن القصيدة كانت تضم ما يربو عن 100 بيت شعري، إلا أن الشاعر لم يتعرضْ بالحديث إلـى مشاركة الفصائل العسكرية المشكلة من الجزائريين و لا حتى إلى مظاهر الاستقبال من طرف الجزائـريين و كـذا السلطات الحاكمة، عند رجوع هذه الفصائل العسكرية من المجندين الجزائريين، مـن سـاحة المعـارك منتصـرة ظافرة.[426]

ونتيجة للهزائم التي لحقت بالجيوش الروسية، تدخلت النمسا و طلبت من القيصر سحب قواته من المقاطعتين الدانوبيتين. و بعد فترة و جيزة من سقوط مدينة سباستبول توفي القيصر نيكولا الأول و خلفه اسكندر الثاني الـذي كان مسالما و أكثر اهتماما بشؤون روسيا الداخلية من اهتمامه بالتوسع أو التدخل في الشؤون الأوروبيـة، و بهـذا انتهى الأمر بدخول روسيا في مفاوضات مؤتمر السلام الذي عقد في مدينة باريس و الذي تمخضت عنـه معاهـدة صلح بين الأطراف المتحاربة و كان ذلك في 30 مارس 1856.[427]

عودة المجندين الجزائريين

إلى أرض الوطن:

وبعد أن أدى المجندون الجزائريون ما كان مطلوبا منهم في هذه الحرب الطاحنة حيث الطبيعة القاسية الباردة و المدافع التي كانت تمطرهم بقذائفها، قررت السلطات العسكرية الفرنسية إعادة هذه الفرق الجزائريـة إلـى أرض الوطن في شهر أكتوبر 1855، و عندما كان هذا الجيش يستعد لمغادرة منطقة الشرق التي كانت مسرحا للعمليـات العسكرية خاطبهم الجنرال كان روبير[428] قائلا: "إن الإمبراطور فرح كثيرا بما صدر منكم من الشجاعة و الصفات الحميدة و ما فعلتموه في هذه الحرب التي كانت سببا لحفظ المملكة العثمانية و حماية سلطانها من مكائد العـدو، فلذلك أذن لكم بالرجوع إلى وطنكم، و حقيقة أن الشجاعة العظيمة التي بدت منكم في كل معركـة هنـاك تماثـل

[423]- **جريدة الأخبار:** صحيفة أسبوعية تصدر بالفرنسية أسستها الإدارة الفرنسية في الجزائر سنة 1839و استمرت كذلك حتى سنة 1909 حيث أصبحت تصدر باللسانين العربي و الفرنسي(6 **صفحات بالفرنسية و صفحتان اثنتان باللغة العربية**) واستمرت في الصدور حتى سنة 1934.

[424]- **Akhbar** : du 04 avril 1854.
[425]- **Idem.**
[426]- M. Ben Cheneb: **La guerre de Crimée et Les Algériens**. Par le Cheikh Sidi Mohamed Ben Smail d'Alger, in **(R.A.F)** Année 1907, pp. 171-186.
[427]- **Huré. R**: op. cit, P. 84.

[428] - كان روبير Canrobert ماريشال فرنسي ولد في سان سير، (1803- 1895) قاد الجيش المشرقي الفرنسي في حرب القرم عام 1855. و كانت لـه مواقف بـارزة فـي الحرب الفرنسية الألمانية 1870- 1871 و ذلك في معركة (1870) Moselle saint privé.

شجاعة العساكر الفرنساوية، كما شهد بها جميع جيوش الأجناس التي رافقتها، حتى العدو تـ يقن بـ ذلك و علـم ضرورة قتالكم و بأسكم ".[429]

وعادت الفرق العسكرية الجزائرية تحت قيادة روز Rose حيث وصلت إلى ميناء الجزائر ليلة 28 فيفـري 1855 و كان عدد الجنود العائدين هو 2200 جندي. و استقبلهم عامة الناس بفرح شديد، و عندما وصلوا إلى بـاب الدزيرة قام الأهالي برميهم بتاج من الزهور المختلفة. و أخذ قائدهم هذا التاج و وضعه في أعلى الراية التي كـان الجنود يحملونها و قد اسود لونها و تمزقت بالرصاص، و عندما وصلوا إلى ساحة الحكومة مروا أمام الحاكم العام راندون الذي كان بمعيته جملة من علماء المسلمين و أعيانهم، و في يوم 29 نوفمبر على الساعة التاسـعة صـباحا اجتمع هؤلاء الجنود في ساحة باب الوادي و مر الحاكم العام أمامهم، و في الساعة الثالثة مساء نظـم لهـم سـكان المدينة ضيفة كبيرة، و ذلك خارج باب عزون، كما أن الحاكم العام أقام بدوره مأدبة عشاء على شرف ضباطهم[430].

ويبدو أن أولئك المجندين الجزائريين تأثروا بمظاهر الود و الحنان التي بدت على وجوه مستقبليهم من عامة الناس الذين تعاطفوا معهم، و لذلك عمد هؤلاء الأبطال العائدون من ساحات المعارك إلى تقديم مبلـغ مـن المـال للفقراء و المساكين، إذ قاموا بتسليم هذا المبلغ المالي المقدر بنحو: 1450 فرنكا إلى السيدة زوجة الحاكم العام لتقوم هي نفسها بصرفه على الفقراء و المحتاجين[431].

ومن خلال الإطلاع على ما جاء في جريدتي المبشر و الأخبار حول هذه القضية يعني قضية حرب القـرم، نجد بأن الفرنسيين قد أعطوا للتعاطف الجزائري مع المجندين الجزائريين المحاربين في القرم، و قضـية مسـاندة فرنسا للدولة العثمانية تفسيرات كثيرة ربما تكون بعيدة عن الحقيقة و كذا عن العلاقات الجزائرية الفرنسية، و لكنهم مع ذلك فقد حاولوا استغلالها إلى أبعد الحدود، من ذلك ما جاء في مقالة مطولة نشرتها جريدة الأخبار حول قضـية صنع الراية و الرسالة الموجهة إلى الحاكم العام أو الإمبراطور الفرنسي ما فحواه: " هنا فـي إفريقيـا (يقصـدون الجزائر) يوجد عرب و فرنسيون، إلا أنه يمكن القول بأنهم يشكلون أمة واحدة و مصلحة واحـدة، و هـذا بفضـل تأثيرنا الأخلاقي عليهم، و بقوانيننا العادلة"... و ما حدث في هذه الحرب ما هو إلا دليل على فتح صفحة جديدة في العلاقات بين الأهالي و الفرنسيين[432].

وتحت ضغط الانتصارات الكبيرة التي حققها المجندون الجزائريون في ساحات المعارك، و الشهادات الحيـة للجنرالات و الضباط الذين كانوا يقودون و يؤطرون هذه الفصائل العسكرية المشكلة مـن الجزائـريين فـي هـذه الحرب، تقرر بمرسوم ملكي مؤرخ في 1855/10/11 تأسيس ثلاثة ألوية للرماة الجزائريين خلفا للفيـالق الثلاثـة بالمقاطعات الثلاث بالقطر الجزائري.

وبتلك الفرق للمشاة و بالتعاون مع فرق الخيالة الصبايحية تمكنت فرنسا من استغلالهم في إخمـاد الثـورات التي كانت تنطلق هنا و هناك في منطقة القبائل و الأوراس و الواحات الصحراوية تحت قيادة الماريشال رانـدون " وبفضل العمليات العسكرية التي كان أولئك الرماة الجزائريون والصبايحية يقومون بها فـي مختلـف المنـاطق و الأقاليم، اكتسبوا ثقة القبائل الموالية للفرنسيين وكذلك ثقة المعمرين".[433]

لنصل في نهاية المطاف من حرب القرم التي كان ظاهرها الدفاع عن الإسلام و المسلمين في تركيـا، كمـا كان المستعمرون الفرنسيون يروجون لذلك. إلا أن تضحيات المجندين في صفوف الجيش الفرنسي، و الذين كـانوا يظنون أن تضحياتهم تصب في خانة الدفاع عن المسلمين، وجدوا أنفسهم في النهاية يدافعون عن الوجود الفرنسـي في بلادهم، خاصة بعد أن تم استغلال العائدين منهم في إخماد ثورات الأهالي الجزائريين ، وخاصة ثورة المقراني.

---

[429] - المبشر عدد 1855/11/15.
[430] - نفسه: عدد 1855/11/30.
[431] - نفسه: عدد 1855/12/15.
[432] - **Akhbar**: du 04/04/1854.
[433] - **Lespes . R**: op. cit, p. 26.

2- حملة إيطاليا عام 1859 :

خريطة ايطاليا وعليها تظهر بعض المدن ومنها تورينو التي
تجمعت بها قوات التحالف ضد النمسا قبل بدء العمليات العسكرية

ومصـدر الخريطـة هـو: Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation

----

بعد مرور ثلاث سنوات عن انتهاء حرب القرم انفجر الخلاف بين فرنسا و النمسا و بدت العداوة و البغضاء بينهما واضحة، خاصة عندما قررت فرنسا تقديم العون إلى سردينيا، في الوقت الذي كان فيه نابليون الثالث يرغب في إيجاد تسوية ترضى أصدقاءه ولا تهمل المصالح الأساسية لبلاده. و لذلك راح يعمل على تهيئة جو تصبح فيـه النمسا معتدية و فرنسا دولة مدافعة عن حق الشعوب المستضعفة و لا تظهر بعدها بمظهر الدولـة المعتديـة أمـام الشعوب الأوروبية مخافة أن يعيد ذلك إلى الأذهان ذكرى فتوحات نابليون بونابرت، مما قد يؤدي إلى تحالف الدول الأوروبية ضد فرنسا[434].

واستمرت الاتصالات الدبلوماسية بين فرنسا و مملكة سردينيا لتنتهي بتوقيع معاهدة بين الدولتين هذه المعاهدة كانت موجهة بطبيعة الحال ضد النمسا، و كان ذلك في جانفي 1859.

و ما أن شاع خبر المعاهدة بين المملكتين فرنسا و سردينيا، رغم بقاء نصوصها سرية، حتى حدثت ضجة كبرى في أوروبا حيث أدرك الجميع أن فرنسا تريد محاربة النمسا التي كان عليها أن تستعد للحرب، و تدخلت انجلتـرا فـي

434 - **Duruy. V:** op. Cit, p. 125

الفصل الثالث ـــ
محاولة منها لتفادي حرب أوروبية، و تدخلت روسيا بعد ذلك و اقترحت عقد مؤتمر تحضره الدول الخمس الكبرى دون حضور سردينيا، و ذلك من أجل بحث الوضع الجديد المتأزم في أوروبا.

وقبل الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث المقترح الروسي لأنه كان يهمه إلى حد بعيد أن لا يخسر تأييد الدول الكبرى... أما النمساويون فقد أخطأوا في فهم حقيقة الموقف الفرنسي معتقدين أن فرنسا ما قبلت مبدأ المؤتمر المقترح من طرف الروس إلا لكونها غير راغبة في الحرب و غير مستعدة لها الاستعداد الكافي، و كانوا إلى جانب هذا الإحساس مستائين من الاستعدادات العسكرية لمملكة سردينيا، فوجهوا إليها إنذارا يقضي بنزع السلاح و تفريق الجيش، و رفض كافور الإنذار النمساوي، فكان إعلان الحرب في 26 أفريل 1859[435].

و هكذا نجح نابليون الثالث في خطته الرامية إلى كسب تأييد الدول الأوروبية وإظهار النمسا بمظهر الدولة المعتدية والرافضة لمحاولات السلام التي دعت إليها الدول الكبرى.

و لم يتردد الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث في تقديم العون لحلفائه حيث وجه جيشا قوامه 115 ألف جندي تولى هو نفسه مهمة قيادتهم، و أطلق شعارين شهيرين هما : إيطاليا للإيطاليين/ من الألب إلى الأدرياتيك، و هذين الشعارين معاديين بدرجة كبيرة لمصالح النمسا.

و قال نابليون الثالث لجنوده عندما وصل بهم إلى جنوة: " إننا سنعاضد كفاح شعب يطالب بحريته و استقلاله، وسنعمل على تخليصه من الاضطهاد الأجنبي، إنها قضية مقدسة يتفهمها المجتمع الدولي المتحضر"[436].

وعمدت فرنسا إلى استغلال المجندين الجزائريين في هذه الحرب الحاسمة، سيما و أن الجزائريين كانوا يمثلون جزءا معتبرا في جيشها سواء الجيش المشرقي أو الجيش الإفريقي. و بمرسوم ملكي في 26 مارس 1859 تم تشكيل لواء مؤقت من الرماة الجزائريين مشكل من 03 فيالق في كل واحد منها 06 كتائب، و قد تم تأسيس هذا

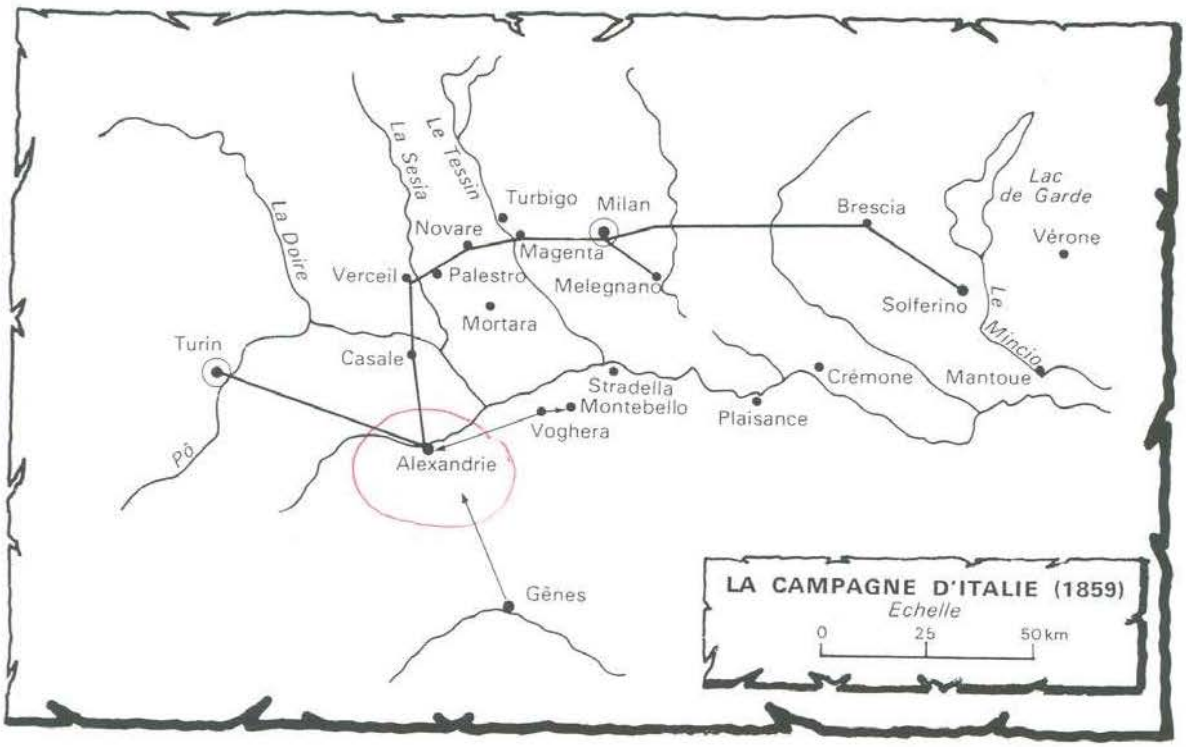

اللواء المؤقت من الألوية الثلاثة التابعة للمقاطعات الثلاث.

---

[435] - **Huré. R:** op. Cit, pp. 103-104. **L'armée d'Afrique (1830-1962),** أما مصدر هذه الخريطة فهو: الجنرال أوري

[436] - **Duruy. V:** op. Cit, p. 125

وأعطيت قيادة هذا اللواء إلى العقيد لور "Laure" من اللواء الثاني للرماة الجزائريين و قد كان هـذا اللـواء يتكون عند الانطلاق بتعداد 3013 جنديا منهم 1028 جنديا تابعين إلى اللواء الأول الخاص بمقاطعـة الجزائـر، و 946 جنديا كانوا تابعين إلى اللواء الثاني الخاص بمقاطعة وهران، في حين أن اللواء الثالـث الخـاص بمقاطعـة قسنطينة فقد ساهم بدوره بتعداد 1039 جنديا.

أما الإمدادات التي توالت فيما بعد على هذا اللواء المؤقت فقد كانت كالآتي وهي: إمدادات مشـكلة مـن 96 راميا من اللواء الأول، و 88 راميا من اللواء الثالث و تسعة من الرماة تابعين إلى اللواء الأول وصلوا جميعهم إلى إيطاليا في شهري جوان و جويلية 1859[437].

وعندما أعلنت النمسا الحرب في 26 أفريل 1859 كانت فرنسا قد أكملت استعداداتها للحرب وجندت ثلاثـة جيوش كاملة:

أ- الجيش الأول و كان يضم السلك الثالث و الرابع و سلك الحرس الإمبراطوري أرسلت جميعها إلى تورينو عـن طريق مودان.

ب-الجيش الثاني وكان يضم السلك الأول والثاني والخامس وجهت هي الأخرى نحو مدينة أليكسندري عن طريـق البحر من مرسيليا الى مدينة جنوة الإيطالية.

ج- الجيش القادم من الجزائر وكان يتألف من الألوية التي شكلت خصيصا للمشاركة في هذه الحرب.

و هناك في مدينة أليكسندري أعطيت لهذه الجيوش التعيينات الآتية:

1. اللواء الأول للجيش الإفريقي بقيادة براغي ديليي Baragauy d'Hilliers يلتحق بالقسـم الثالـث الـذي أسندت قيادته للجنرال بازين Bazaine وهو القسم الذي كان يضم اللواء الأول من الـزواويين، و يضـم كذلك الألوية الأول و الثاني و الثالث لقناصة إفريقيا.
2. اللواء الرابع لقناصة إفريقيا كان تحـت قيـادة ماكمـاهون و يلتحـق بالقسـم الأول بقيـادة مـوتروج Motterouge و هذا القسم بدوره كان يضم لواء الرماة الجزائريين و اللواء الثاني للزواويين و لـواءين من اللفيف الأجنبي.
3. اللواء الخامس لقناصة إفريقيا يلتحق بالقسم الأول الذي كان تحت قيادة دوتمار D'Autemarre و الـذي كان يضم بدوره اللواء الثالث للزواويين الذي يبقى بدوره مرتبطا بالحرس الإمبراطوري الذي كان تحـت قيادة الجنرال رونيو دي سان جون Regnault de Saint-Jean d'Engely.

غير أن ما يلاحظ على هذه الأسلاك و الألوية المتعددة أنها كانت متفرقة، و لو عـرف النمسـاويون كيـف يستغلون هذا الشتات لكانت موازين القوى قد تغيرت، لكنهم تجمعوا ببطء بين نهـري تيسـان Tessin و سـيزيا Sesia و لم يتحركوا نحو تورينو إلا في 02 ماي 1859 بعد أن التحمت الجيوش الفرنسية ببعضها و تعاضدت.[438]

لقد كان معظم الجيش الفرنسي متمركزا حول مدينة أليكسندري، و لم يتقدم إلى الأمام حيث تعسكر الجيـوش النمساوية بصفة كلية بسبب عدم وصول العتاد الحربي مما أدى بطبيعة الحال إلى تأخر بداية العمليات الحربية، في حين بقي اللواء المؤقت الذي كان يضم خيرة الرماة الجزائريين في معاقله المؤقتة في بولسيفرا Polcevera حتـى يوم 02 ماي 1859 لينطلق هذا اللواء في اليوم الموالي و يقطـع جبـال الألبينيـا فـي ممـر بوكشـيطو يـوم 1859/05/09 حيث عسكر على بعد 03 كلم من نوفي التي استقر بها حتى يوم 14 ماي.

و في هذا اليوم بالذات التقى نابليون الثالث مع حليفه إيمانويل فيكتور، و ضمن الإمبراطور الفرنسي بـذلك وحـدة القيادة لنفسه[439].

---

437 - **Duruy. V:** op. Cit, p. 126.
438 - **Huré. R:** op. Cit, p. 105.
439 - **Duruy. V:** op. Cit, p. 127.

وتحرك السلك الثاني يوم 15 ماي ليصل في اليوم العشرين منه إلى فوغيرا Voghera و منذ ذلك التاريخ واللواء المؤقت للرماة الجزائريين و حتى نهاية الحرب كان دائما في المقدمة لمواجهة الجيوش النمساوية .

أما في اليوم الثالث من شهر جوان تحركت فيالق السلك الثاني نحو مدينة توربيغو عبر جسـر علـى نهـر تيسان و الرماة الجزائريون كانوا دائما في المقدمة بفضل سرعة تحركاتهم و كانوا بذلك السباقين للوصـول إلـى الجسر المؤدي إلى مدينة بوكشيطو التي تقع على بعد 02 كلم شرقي مدينة توربيغو و هناك كان لا بد من دحرجـة و طرد الجيش النمساوي من الموقع الذي كان يسيطر على المدينتين. و وصل الجنرال موتروج بفيالق القسم الأول من دون الرماة الجزائريين إلى الضفة اليسرى لنهر تيسان، في الوقت الذي أعطيت فيه الأوامر إلى عناصر اللواء المؤقت للرماة الجزائريين بالتحرك و الذين تم تنظيمهم بشكل سريع بحيث حددت مواقع الفيـالق لمهاجمـة مدينـة توربيغو التي هاجمها الفيلق الأول من ناحية الجنوب و تكفل الفيلق الثالث بمهاجمة المدينة من الناحية الغربية أمـا الفيلق الثاني فقد صدرت إليه الأوامر بمهاجمة توربيغو من الجهة الوسطى مع تأخره قليلا عـن الفيلقـين الأول و الثاني ليكون احتياطيا لهما، يمد من يكون بحاجة إلى المساعدة بالمدد و العون[440].

وانتقل الجنرال موتروج القائد العام لقوات السلك الثاني إلى جبهة القتال، حيث خاطب الرمـاة الجزائـريين بفرنسية ترجمها مباشرة إلى الرماة أحد العارفين باللغة العربية، فقال: " أيها الجنود ... العدو أمامكم، وأنتم أوائـل عناصر السلك الثاني. وسيكون لكم شرف مواجهة هذا العدو، و إني أعتمد على قيمتكم و فعـاليتكم القتاليـة، و تفانيكم و طاقاتكم، و سوف تبرهنون في هذه المعركة على أنكم أهل للسمعة التي اكتسبتموها في حرب القـرم، و عليكم أن ترفعوا عاليا مجد و سمعة القسم الأول من السلك الثاني فعليكم بالاقتصاد في إطلاق النـار و الاعتمـاد أكثر على طعنات الحراب... [441] ".

وانطلقـت عنـاصر اللـواء المؤقـت للرمـاة الجزائريـين تحـت قيـادة الجنرال موتروج نحو معاقـل الأعداء النمساويين غير مبالين بالنيران العنيفة التي كانت تتساقط على رؤوسهم كالأمطار الغزيرة دون أن يطلقـوا الرصاص كما أوصاهم الجنرال بذلك قبل بدء الهجوم، و تمكنوا فعلا من دخول المدينة التي راحوا ينظفونهـا مـن الجنود النمساويين و يحكمون قبضتهم عليها، و في هذا الشأن قال مراسل صحفي كان حاضرا في تلـك المعركـة الطاحنة: " لقد كان الرماة الجزائريون يريدون أن يكون لهم دور فعال في هذه المعركة، مثل زملائهم في القسم الذي كان يشرف عليه الجنرال فوري Forey في موقعة مونتيشلو Montechello، و كذلك مثل ما فعله إخوانهم مـن اللواء الثالث للزواويين في موقعة باليسترو[442]، حيث كان الرصاص يتهاطل على رؤوسهم و هـم يندفعون إلـى الأمام و يصرخون: إلى الأمام... En Avant . تلبية لأوامر ضباطهم.[443]

و رغم القذائف النارية المتهاطلة على رؤوس الرماة الجزائريين إلا أنهم جميعهم اندفعوا كالنمور الهائجـة على صفوف الأعداء النمساويين و هم يشجعون بعضهم بعضا: النصر، النصر. وأخيرا سقطت مدينة توربيغو تحت ضربات الرماة الجزائريين الذين كانوا ينقضون على الأعداء المتعبين جسديا و نفسيا، و سرعان ما سمع مزيج من قعقعة المدافع و صرخات عنيفة للجنود الجزائريين الذين لا يرضون عـن النصـر بـديلا... و كـان المجنـدون الجزائريون يحفزون بعضهم بعضا بعربية مفرداتها تحمل كل المعاني التي تشجع علـى الاسـتماتة فـي مقاتلـة الخصوم... في هذه المجموعة التي كانت تتكون من 100 فرقة كان فيها المجند الجزائري يصارع و يقاتل وحـده

440 - - **Duruy. V:** op. Cit, p.128.

441 - Motterouge. (général) : **Souvenirs et campagnes,** T. 3,
Ed: librairie Algérienne et coloniale, Nantes 1889, pp. 78/80

442 - باليسترو **Palestro** : مدينة إيطالية تقع في سهول لومبارديا الواقعة في الشمال الغربي لشبه الجزيرة الإيطالية.
انتصر فيها الفرنسيون و حلفاؤهم السردينيون على الجيوش النمساوية في 30،31 ماي 1859.وبعدها سمى الفرنسيون باليسترو عام 1868 المدينة التي صارت تسمى حاليا **الأخضرية** بولاية البويرة

443 - Louis Rinn: **Histoire populaire contemporaine de la France,** T. 3.
Ed: Michel Levy Frères, Paris 1865. p.391.

ثلاثة أو أربعة جنود نمساويين... و من حين لأخر كان الجنود النمساويون يتخلـون عـن أسـلحتهم و أمتعـتهم و يتدحرجون نحو الخنادق و المنحدرات هروبا من ملاحقة المجندين الجزائريين لهم[444].

إن السمعة و الشهرة العسكرية التي اكتسبها الرماة الجزائريون في ميادين المعارك في حرب القرم كانـت قد سبقتهم إلى إيطاليا في معسكرات النمساويين الذين كانوا يرددون الإشاعة القائلة بأن الرماة الجزائـريين كـانوا يأكلون أسراهم. و هي إشاعة ساعدت كثيرا في هزيمة النمساويين الذين كانوا يهربون من وجه الرماة الذين دخلـوا المدينة فاتحين.

و عناصر الرماة الجزائريين كان عليهم مجابهة ثلاثة فيالق نمساوية و فرقة المدفعية بواسطة الحـراب و السـلاح الأبيض، و بفضل شجاعتهم التي لا يضاهيهم فيها أحد تمكنوا من التغلب على النمساويين، و كاد الرمـاة يقبضـون على سريتين كاملتين من الجيش النمساوي في مدينة توربيغو، لو لا أن الجنود النمساويين أطلقوا العنان لأحصـنتهم هروبا من وجه الجزائريين.

وبالرغم من أن الجيش النمساوي عبأ خمسة آلاف جندي إضافي لمواجهة الجزائريين الذين لم يكن تعـدادهم يتجاوز 2800 جندي عند الهجوم، ومع ذلك فقد تحطم الجيش النمساوي و قتل من عناصره عدد كبير و هرب مـن بقي منهم حيا ليشهد فيما بعد على عظمة و قوة أولئك الرماة الذين كان مجرد ذكرهم يرجف الأعداء في مـواقعهم الدفاعية[445].

و رغم هذه الانتصارات الكاسحة التي حققها المجندون الجزائريون إلا أن خسائرهم البشـرية لـم تكـن معتبرة، حيث أن الفيلق الأول خسر خمسة قتلى فقط و عشرين جريحا منهم الملازم الأول بن عودة قدور الذي فقد ذراعه الأيمن. ورغم القصف المكثف للمدفعية النمساوية بقصد حماية تراجع النمساويين إلا أن الملاحقة لم تتوقـف إلا على بعد 2 كلم عن توربيغو. و على الساعة السابعة مساء التحق الرماة الجزائريون بمعسكرهم بـين مـدينتي توربيغو و روبيكشيتو[446].

و قد عبر الإمبراطور نابليون الثالث عن إعجابه و تقديره لشجاعة الرماة الجزائريين الذين أنجـزوا هـذا العمل الجبار، إذ بفضل اللواء المؤقت للرماة و خاصة فيلق جيبون Gibon تم إنجاز هذه المهمة الكبيرة. و لـذلك كتب الإمبراطور نابوليون الثالث برقية أرسلها إلى زوجته الإمبراطورة قال فيها: " الرماة الجزائريون تحت قيـادة العقيد لور أنجزوا عملا رائعا و جبارا، كانوا قد برهنوا عن مثله في حرب القرم... و لهذا بات من الأكيد ضرورة استخدام الرماة الجزائريين إلى جانب جيوشنا الوطنية في أية حرب أوروبية... فلم يعد هناك إذن مجال للطعن أو التشكيك في قدراتهم الحربية... ففي هذا اليوم اتضح بشكل جيد ما للجزائريين من اندفاع و جرأة فائقة..."[447].

لا شك أن المكانة و القيمة الحربية للرماة الجزائريين قد تعززت أكثر في هذه الحـرب، و هـو مـا دفـع بالإمبراطور إلى اتخاذ موقف حازم بشأن قضية المشاركة الجزائرية في كل حروب فرنسا. و لعـل تأكيـده علـى قدرات أولئك الجزائريين هي التي ستعزز مستقبلا ضرورة تجنيد أكبر عدد ممكن من الجزائـريين فـي الجـيش الفرنسي، و هو ما حصل بالفعل من خلال التعديلات و التنظيمات القانونية التي عرفتها أسلاك الفـرق الجزائريـة التي اختيرت فرق منها لتشكيل مجموعة تابعة لسلك الحرس الإمبراطوري في باريس بدءا من سنة 1863.

وبالعودة إلى معارك الجزائريين في إيطاليا نتابع القول: بأنه في اليوم الرابع من شهر جوان 1859 تحركت فيالق القسم الأول الذي كان تحت قيادة الجنرال موتروج نحو مدينة ماغينتا Magenta و بطبيعة الحال فقـد كـان اللواء المؤقت للجزائريين في مقدمة هذا القسم، بحيث أن الفيلق الأول اتجه نحو الوسط و الفيلق الثاني زحف نحـو الجهة اليسرى في حين أن الفيلق الثالث هاجم ماغينتا من الجهة اليمنى، و خلال هذا الزحـف لـم يبـد أي أثـر

444 - **Duruy. V:** op. Cit, p. 130.
445 - Motterouge. (général): **Souvenirs et campagnes,** T. 3,op. cit, p. 80
446 - Motterouge. (général): **Souvenirs et campagne,** T. 3, op. cit, p.79.
447 - **Duruy . V**: op. Cit, P.130

للنمساويين غير أن كاسـاطا كانت محتلة من طرف لواءين للجيش النمساوي الذين سرعان ما تخلوا عنها رغـم أن عددهم كان يتجاوز 15.000 جندي... ليستقر هذا الجيش في بوفالورا Buffalora و في ضواحيها.
و قبل أن يتابع الرماة زحفهم نحو هذه المدينة تلقى الجنرال موتروج الأمر بالتخلي عـن مهاجمـة بوفـالورا... و التوجه مباشرة نحو ماغينتا و المزارع المجاورة مع التركيزعلى محطة القطار التي كانت محصنة بحواجز دفاعيـة هامة و التي كانت تمثل البوابة التي تصل منها الإمدادات النمساوية من مدينة ميلانو.و فعلا فقد تمكـن المجنـدون الجزائريون (اللواء المؤقت) من دخول المدينة و احتلال محطة القطار و حينها التجأ الباقي من الجـيش النمسـاوي إلى الكنيسة للاحتماء بها، غير أن باب الكنيسة فتح بالقوة وسقط جميع من كان في الكنيسـة أسـيرا... واسـتمرت المعارك في كل شارع من شوارع المدينة و في كل ركن منها بشكل عنيف و دموي، و ما هي إلا ساعات قلائـل حتى كانت المدينة محتلة من طرف الجيوش الفرنسية وفي مقدمتهم عناصر اللواء المؤقت للرماة الجزائريين الـذين ضيعوا 31 قتيلا و 144 جريحا، في حين أن الفيلق الأول للرماة الذي كان يقوده العقيد جيبون خسـر هو الآخر 17 قتيلا و 59 جريحا...[448].

وقد تمكن السلك الثاني الذي كان يقوده الجنرال ماكماهون من دخول مدينة ميلانو في 7 جوان 1859 على رأس الجيش الذي استقبله سكان ميلانو بحفاوة كبيرة أظهروا خلالها فرحتهم و غبطتهم بحسن جميل محرريهم من استعمار النمساويين لهم.

وتوالت الانتصارات العسكرية الفرنسية و اقتصر عمل ماكماهون على قنبلة أفواج الجيش النمساوي المنسحبة، بعد أن أصبحت في منأى عن رصاص و خناجر الرماة الجزائريين الذين خسروا 104 تلى و 483 جريحا خلال هذه المعارك التي كانت قاسية في كل من توربيغو، ماغينتا، سولفيرينو. و على كل فإنه لابد من القول بأن عدد المجندين الجزائريين الذين أصيبوا بنيران الأعداء خلال حملة إيطاليا 18.09% [449]. من اللواء المؤقت .

بعد الانهزام الساحق الذي لحق الجيوش النمساوية في ماغينتا بتاريخ 4 جوان 1859 و الانهزام الثاني في 24 جوان 1859 بمنطقة سولفيرينو، وبعد تمكن الفرنسيين و حلفائهم الإيطاليين من احتلال أراضي لومبارديا الشاسعة، أمر الإمبراطور نابوليون الثالث الجيوش الفرنسية بالتوقف عن مطاردة النمساويين الـذين انسـحبوا دون أن يـتم الإجهاز عليهم كلية. ربما يكون ذلك لأسباب إنسانية أو ربما يكون ذلك مجرد تكتيك حربي... المهم أن الإمبراطور النمساوي تمكن من عقد معاهدة صلح مع الفرنسيين بتاريخ 15 جويلية 1859 منهيا بذلك حالة الحرب التي دامـت أكثر من شهرين[450].

وبدأت جيوش الحلفاء في الانسحاب و منها اللواء المؤقت للرماة الجزائريين حيث تم تحويـل عناصـر ذاك اللواء إلى باريس حيث عسكروا في مركز سان مور Saint Maure في انتظار التحاق الفصائل العسكرية الأخرى العائدة من إيطاليا، و ذلك للمشاركة في احتفالات النصر بتاريخ 14 أوت 1859. و قد خرجت الجماهير الباريسـية بكثافة سعيا منها للتعرف على أولئك المجندين الجزائريين (المخيفين) الذين نسجت حولهم أساطير مرعبة صورتهم (على أساس أنهم آكلو لحوم الأعداء في ساحات المعارك).

لكن البارسيين وجدوا في المجندين الجزائريين شبابا أقوياء ذوي سمرة حادة، هادئين و ذوي إرادة قوية فكان الاحتفال بهم بهيجا و الإعجاب فاق كل التصور، حتى أنه بقي محفورا في ذاكرة أولئك المجندين من الرماة الـذين حضروا هذا الاحتفال الكبير. و تتويجا لاعتراف السلطات الفرنسية بفضل أولئك المحاربين أصـدرت سـنة 1863 قرارا يقضي بانتداب فيلق من كل لواء من الألوية الجزائرية الثلاثة للرماة كل عام كي يلتحق بباريس علـى شـكل مجموعة Brigade تكون تابعة للسلك الثاني من الحرس الإمبراطوري... و في نفس الفترة أيضا تم استدعاء سرية من فرق الصبايحية للمشاركة في مرافقة الموكب الإمبراطوري[451].

[448] - **Huré. R**: op. cit, P. 107
[449] - **Idem:** pp.106.107.108
[450] - **Louis Rinn**: op. cit, pp. 430-434
[451] - **Lespes. R**: op. cit, p.28

وحملة إيطاليا هذه تعتبر أصغر حملة عسكرية خاضها المجندون الجزائريون في صفوف الجـيش الفرنسـي لأنها لم تدم سوى شهرين، و كان أبطالها من المجندين الجزائريين، سواء أكانوا من سـلك الرمـاة الجزائـريين أو الزواويين أو القناصة الجزائريين بسلك قناصة إفريقيا، فقد كانت بالنسبة لأولئك المجندين فرصة ثانية مواتية لإبراز كفاءتهم الحربية و قدراتهم العسكرية، و قد كانوا دائما يمثلون النخبة المختارة لمجابهة الجيوش المعادية في ساحات المعارك حتى يكون المجندون الجزائريون بمثابة دروع واقية لفصائل الجيش الفرنسي...

لكن ما فائدة هذه المشاركة الفعالة من قبل المجندين الجزائريين في هذه الحملة أو في غيرها مـن الحمـلات العسكرية الأخرى بالنسبة للمجتمع الجزائري الذي كان يمد الجيش الفرنسي بتلك الطاقـات البشـرية ؟: الجـواب لاشيء... لأن الفرنسيين كانوا ينظرون إلى أولئك المجندين على أنهم محاربون مرتزقة لا أكثر بحيث أنهم كـانوا يقومون بعمل عسكري مقابل أجر معين. و الأهم من كل هذا أن العلاقة التي كانت تربط بين الفرنسيين والمجندين الجزائريين هي علاقة غالب بالمغلوب على أمره... لا أكثر، و لعل هذا ما جعل الإيطالي ميشال عماري الذي يبدو أنه فهم حق الفهم كيف ينظر الفرنسيون إلى الشعوب المستضعفة و خاصة تلكم التي كانت مغلوبة على أمرها، فعبر عن معنى علاقة الفرنسيين بالإيطاليين الذين تحرروا من الاستعمار النمساوي بفضل مساعدة و مساندة الفرنسـيين لهم بالمال و العساكر، فقال في رسالة نشرتها مجلة باريس عن الحرب الفرنسية الألمانية: "حرب **1870** أعادت إلينا نحن الإيطاليين روما و خلصتنا من صديق خطير (فرنسا) كان دائما على استعداد لينسينا جمائله بإهاناته لنا فـي كل مناسبة".[452]

فالتحالف بين الدول عامة و مختلف الأطراف، هل هو مجاملة أم قضية مصالح؟!... يبدو أن الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن صديق اليوم أو الحليف، قد يصبح عدوا إذا ما تغيرت المصالح غدا... و العكس صحيح طبعا.
فهل ستصبح فرنسا في يوم من الأيام صديقة للجزائر؟... نعم ، يمكن ذلك شريطة أن يتخلص الفرنسيون من عقـدة الاستعلاء و النظرة الدونية إلى مستعمراتهم القديمة.

[452] - **Revue de Paris**: du 1er mars 1897.

الفصل الثالث ـــ

Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation. Tous droits réservés.

مصدر الخريطة هو: Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation

---

ونظرا لصعوبة المواجهة العسكرية مع كايور والتي كانت من دون شك ستكون قاسية بفعل العوامل الطبيعية الصعبة وكذا وفرة الموالين للسلطان دامال، فقد تحتم الأمر على السلطات العسكرية أن تطلب المساعدة والعون من

---

[453] – **Duruy . V**: op. Cit, P 136

وزير الحرب الفرنسي الذي عين لهذه الحملة العسكرية فيلقا من سلك الرماة الجزائريين الذي كان عليه أن يقدم من كل لواء كتيبة تظم خمسة ضباط و105 جنود وهذه الكتائب الثلاث تجمعت كلها في وهران.
فكانت الكتيبة الأولى من الفيلق الأول تمثل اللواء الأول للرماة الجزائريين تحت قيادة النقيب بيشاد[454].

وأنطلق الرماة الجزائريون نحو بلاد السينغال في 1860/12/06 ليصلوا في حدود 1860/12/27 الى سان-لوي . وفي 1861/01/01 انضموا إلى مجموعة كايور التي كانت قد انتهت من تنظيم نفسـها فـي غانـديول Gandiolتحت قيادة حاكم المستعمرة السينغالية العقيد دوجيني فارديربي Dugenie Fardherbe .
وكانت الكتيبة الأولى من الفيلق الأول تمثل اللواء الأول للرماة الجزائريين تحت قيادة النقيب بيشاد والكتائب الثلاث للرماة الجزائريين شكلوا فيما بينهم فيلقا منفصلا عن المجموعة العسكرية الموجودة في السينغال بعـد أن أعطيـت قيادة فيلق الرماة الجزائريين للنقيب بيشاد لأنه كان أقدم ضابط بالنسبة لزملائه الفرنسيين من قادة كتائب الرماة.
ودخلت البعثة العسكرية منطقة كايور من جهة تياخمات وفي 1861/01/07 انضمت الى المجموعة القادمـة مـن ميناء غوري تحت قيادة قائد الفيلق دوجيني بيني لابراد **Dugenie Pinet Laprade** والحاكم العام للمستعمرة تولى عند ذاك قيادة هذه الفصائل العسكرية مجتمعة [455].

وتم تنصيب مركز في امبورو لمعالجة المرضى واستقبال الذخائر الحربية ، ودخل بعدها الجيش إلى ميخـي Mekhey في 1861/01/13 دون أية مقاومة تذكر، وكان ذلك المكان هو مقر إقامة السلطان دامال الـذي كتـب عهدا لقائد الحملة العسكرية يتعهد من خلاله بالوفاء والرضوخ لكل الشروط التي تملىعليه ، وبعدها عاد الجيش إلى مركز امبوروMboro في 1861/01/16 حيث كان العلم الفرنسي معلقا، وبعدها عمدت حامية غـوري والرمـاة الجزائريون إلى إقامة مركز لهم في امبيجن Mbidjen حيث تم بناء تحصيناته وتنظيمه خلال أربعة أيام[456] .

وفي 1861/02/01 تم إبرام معاهدة مع مشيخة كايور يتعهد فيها الطرفان الفرنسي وسلطان المشيخة بتأمين الطريق للمسافرين بين سان لوي و غوري مقابل هبة مالية تقدم للملك دامال قيمتها عشرة ألاف فرنك تقدم سلعا أو عملة نقدية .

وبهذا سويت الوضعية الأمنية في كايور بشكل يرضي كل الأطراف مما جعل الأمر سهلا علـى الفرنسـيين كي يلتفتوا الى الجانب الآخر حيث كان أتباع السنة في الديانة الاسلامية من العرق الأسود يقتلون الرعايا الفرنسيين ويغتصبون الأموال والسلع التي تكون بحوزتهم وذلك منذ أكثر من عشر سـنوات رغـم الاتفاقيـات والمعاهـدات المبرمة معهم، ولذلك استغل الفرنسيون وجود االرماة الجزائريين بعين المكان من أجل حمايـة الرعايـا والتجـار الفرنسيين، وفي نفس الوقت عمد الغزاة الفرنسيون إلى القضاء على هؤلاء المواطنين والمقاومين السينيغاليين بإبادة ما أمكن إبادته منهم وتصفيتهم بشكل عنيف حتى يكسروا شوكة أولئك الرافضين للوجود الفرنسي في السنيغال[457] ..

أما حامية غوري المدعمة بفيلق بيشاد فقد تحركت يوم 05 فيفري تحت قيادة الرائد بيني لابراد وبعد رحلـة دامت 03 أيام في البحر ويومين في مياه النهر حطت الرحال في سيديو لتنطلق مباشرة نحو قرية سـانديني حيـث استولت عليها في العاشر من نفس الشهر رغم أنها كانت محصنة بالأسوار والموانع المتينة.
وفي صباح اليوم الموالي يعني يوم 1861/02/11 وعلى الساعة السابعة صباحا تحركت كتائـب الرمـاة لتحطـيم المقاومة النشيطة التي نظمها الأهالي ضد الغزاة وفي نفس الوقت عمدت إلى دفع السكان إلى الفرار نحو الغابـات

---

[454]- تأطير الكتيبة كان على الشكل التالي:بيشادBéchade : نقيب / ليونـارد **Léonard** : مـلازم أول /عبـد القـادر:نقيـب /رويسان**Ruyssen** :ملازم/محمد بن صحافي:ملازم--- **Duruy . V**: op. Cit, P136

[455]- **Duruy . V**: op. Cit, P.137

[456]- الجيش الموجه إلىكايور كان يتشكل من التركيبة التالية : المشاة البحرية380 جنديا *الرماة الجزائريون 330 جنديا *الصبايحية السنيغاليون : سرية من 100 جندي * فرقة المدفعية 200جندي* المجندون المتطوعون من سان-لوي:**1190** رجلا *ليصل مجموع عناصر هذا الجيش : 2200 جندي.

[457] - **Duruy . V**: op. Cit, P.138 أنظر كذلك L. Darier : op.cit.: p.221

المجاورة ، وعلى الساعة الحادية عشرة صباحا أي بعد أربع ساعات من المقاومة واستماتة الأهالي في الدفاع عـن قريتهم كان كل شيئ قد انتهى بعد أن خسر الرماة الجزائريون أربعة جرحى أحيلـوا إلـى الاسـتراحة للمعالجـة والاستشفاء . وبسبب الحرارة الشديدة التجأ نحو 20 جنديا منهم ينتمون إلى كتيبة اللواء الثاني للاستحمام في النهـر والشرب فأحاط بهم المقاومون السينغاليون من كل جهة ليتمكنوا في النهاية من قتل 03 جنود منهم ويصـيبوا 02 آخرين بجروح خطيرة ، قبل أن يلوذ المقاومون بالفرار بعد وصول النجدات . وفي نفس اليوم أيضا خرج الرمـاة الجزائريون رفقة 100 رجل من المشاة البحرية تحت قيادة النقيب دوجيني فولرون لإحراق وللاستيلاء على قريـة أخرى تدعى ديودوبو.

وحاول الماندينغ المسلمون العودة بهجوم مضاد لكنهم تراجعوا بعد أن صدوا بنيران ملتهبة من قبل عسـاكر الرماة الجزائريين الذين فقدوا هذه المرة 03 جنود قتلوا أثناء تلك المناوشات وجرح منهم كذلك 04 آخـرون، 02 منهم من كتيبة بيشاد.

ولعجز أولئك الوطنيين المقاومين عن التصدي للغزاة اضطرالماندينغ المسلمون إلى القبول بكـل الشـروط التـي فرضها عليهم قائد الحملة العسكرية الذي عاد بجيشه إلى غوري يوم 1861/02/21 .

خمسة أيام بعد هذه العودة إلى غوري عاد القائد بفصائله العسكرية إلى العمل في سالوم وفي سين وهما مملكتـان للسود كانتا تحت الطلب منذ بداية الحملة العسكرية على السينيغال وهذا من أجل الحصول على أكبـر عـدد مـن الأسرى، ولذلك تمت هذه العملية بكل سرية وتحفظ[458] . ربما يكون الغرض هو بيع أولئك الأسـرى فـي سـوق النخاسة بأوروبا، وإلا فما الغاية من التستر على هذه العملية التي حصدت الأرواح وسلبت الأفراد من أعز مايملكون المال والعرض والنفس.

وبعد ثلاثة أيام من السير وصل الطابور العسكري إلى كاولاخ وهو مركز عسكري وضع للحراسة وتـأمين الطريق على ضفة وادي سالوم . وفي 01 مارس وعلى الساعة الواحدة صباحا نزل الطابور في مركـز غـاوون حيث انتقل قائد الطابور رفقة الرماة الجزائريين والمجندين السينيغاليين المتعاونين مع الغـزاة (وكـانوا يسـمونهم لابطوس **Laptos** وفي بلادنا يقابلهم: الحركى أو القومية) وذلك لمحاصرة قرية غاوون في حين انتقلت فرقـة المشاة البحرية لمحاصرة قرية كاولاخ. وبفضل الاحتياطات المتخذة أثناء تحرك الطابور العسكري تحت قيادة لابراد وصل جنود الغزاة إلى قرية غاوون على بعد 600 م دون أن ينتبه السكان لهجومهم لكن الحرائق التي نشبت فـي قرية كاولاخ نبهت السكان إلى ما كان ينتظرهم على أيدي أولئك الجنود فقاموا في جنح الظلام لمقاومة الغزاة ، لكن جنود الاحتلال لم يضيعوا الوقت بل عمدوا إلى إشعال النيران في القرية المحاصـرة وبـذلك سـقط المواطنـون المساكين أسرى في قبضة الجنود الفرنسيين الذين نقلوا الغنائم على متن السفن والقـوارب علـى السـاعة الثامنـة صباحا[459].

وفي اليوم الموالي وعلى الساعة الثانية ليلا نزلت هذه الفصائل العسكرية من جديد في ديوكـول بعـد أن تخطت عدة قرى مهجورة بسبب ما لحق أهلها من أضرار جسيمة وإبادة جسدية لرجالها ونسـائها. اضـطر ملـك مشيخة سين **Sin** لطلب السلم والأمان من الرائد الفرنسي قائد الطابور العسكري الغازي لهذه المشيخة مقدما ابنـه كرهينة يعبر بها عن حسن نيته .

ورغم أن الحملة العسكرية على مشيختي سالوم وسين كانت سهلة حيث لم يسقط خلالها ضحايا من الجانـب الفرنسي ، لكنها بالمقابل كانت صعبة وشاقة بالنسبة للضباط والجنود على السواء نتيجة للإرهاق والمجهود البـدني الكبير الذي بذل من طرف الجميع خلال هذه الحملة العسكرية ، بالإضافة الى انتشار الأوبئة والأمراض في أوساط أعداد كبيرة من الجنود مما اضطر قائد الطابور العسكري الى النزوح نحو ميناء غوري[460] في 1861/03/09 .

[458] - **Duruy . V**: op. Cit, P.138
[459] -**Idem**
[460]- **Duruy . V**: op. Cit, P.139

عودة الرماة الى الجزائر:

بعد أن عسكر الجيش في مدينة غوري حتى 1861/03/13 انتقل الرماة الجزائريون إلى مدينة سان لوي في 14 مارس حيث حول 43 جنديا من كتيبة بيشاد بطلب منهم إلى فيلق الرماة السينغاليين أو إلى سـرية الصـبايحية السينيغالية .

وفي اليوم 23 مارس 1861 أبحر نحو 200 جندي من الرماة الجزائريين ينتمون إلى الكتائب الثلاث علـى مـتن الباخرة ليطوال L'Etoile للقيام بجولة في أعالي السينغال لأن السلطات العسكرية الفرنسية كانـت تسـعى إلـى إظهار الرماة الجزائريين المجندين في صفوف جيشها إلى العرب والمسلمين القاطنين على الضفة اليمنى من النهـر بغرض تجنيد أكبر عدد ممكن من السنيغاليين في صفوف الجيش الفرنسي[461].

وقد زار الرماة الجزائريون بهذه المناسبة كلا من طول، ريشارد ، داغاما، بادور، ليعودوا بعدها إلى مدينـة سـان لوي في 1861/03/26 .

وعناصر الكتائب الثلاث للرماة الجزائريين بعد هذه الجولة دفعوا الذخائر الحربية اسـتعدادا لعـودتهم إلـى الجزائر، ولكن الأوامر وصلت في 1861/03/29 لتقول بضرورة احتفاظ كـل جنـدي مـنهم ب60 خرطوشـة (رصاصة) لأن السلطان ماكودو دامال ملك كايور حاول استغلال الوضع وهدد بمهاجمة مركز غانديول.

وهكذا فإن كل الفصائل العسكرية التي كانت حاضرة في سان لوي وصلت يـوم 04 أفريـل 1861 إلـى مركز موي مع 1000 متطوع من السود المتعاونين مع الغزاة ، وفي اليوم الموالي حدثت مواجهـة عنيفـة بـين المقاومين السنيغاليين وفرقة الصبايحية في كور ألمبنغ فقد خلالها المقاومون السينيغاليون 16 قتيلا، وبعدها وجـدت الفصائل العسكرية الفرنسية نفسها يوم 06 أفريل في منطقة غوول تتعذب وتشقى بشكل عنيف بسبب نقص المياه إن لم نقل انعدامها.

ورغم انسحاب المقاومين من ساحة المعركة فالطابور العسكري الفرنسي وجد نفسه في وضع سيئ لايحسـد عليـه بسبب الوضع الجوي والطبيعي القاسي، وانعدام كل معلومة عن البلاد السنيغالية ، فقرر القادة العسكريون التراجـع إلى الوراء والعودة من جديد إلى سان لوي، وكان ذلك في 11 أفريل 1861[462].

واختارت القيادة العسكرية الفرنسية 50 جنديا من الرماة الجزائريين لمرافقة الحاكم العام إلى بـودور حيـث يوجد السكان المسلمون هناك والذين استقبلوا الرماة الجزائريين بحفاوة كبيرة وكان ذلك في 14 أفريل 1861.

وحان أوان عودة الرماة إلى الجزائر بعد أن أتموا مهمتهم على الوجه الـذي يبتغيـه مـنهم قـادتهم العسـكريون الفرنسيون، ولذلك لم يكن العقيد فيداربي ليقبل بعودتهم دون أن يعبر لهم عن إعجابه ورضاه بمسيرتهم العسـكرية وعملهم في هذه المستعمرة منذ أن وطئت أقدامهم أرض السنيغال فقال لهم معبرا : " في الوقت الذي يغـادر فيـه عناصر الكتائب الثلاث التابعة للألوية الثلاثة للرماة الجزائريين الذين أدوا عملهم تحت قيادة السـادة : النقيبـين بيشاد وجيرار وكذلك بونتيكولون في السينغال فإن الحاكم العام يعبر لهم عن تمام رضاه وخالص تحياته للخـدمات الرائعة والجليلة التي قدموها للمستعمرة السينغالية لمدة **04** أشهر في حملة عسكرية متواصلة والآن ... وبعـد السمعة الطيبة والشجاعة النادرة التي اكتسبوها ليس في الجزائر فحسب ولكن فـي جميـع سـاحات المعـارك بأوروبا، برهنت هذه الفصائل الرائعة أمام الماندينغ الكازامانس عن أثر الشدة والبأس وقوة البـدن وكـذلك عـن التجربة والخبرة المكتسبة في المعارك التي خاضها هؤلاء الضباط والجنود.

إنه لمن الواجب حقا التنبيه الى أن الرماة الجزائريين خلال اقامتهم القصيرة في سان لوي وغوري كانـت لياقتهم البدنية وسلوكهم الحسن محل إعجاب وتقدير الجميع بحيث أن الفرق الشابة للرماة السينغاليين وجدوا في الرماة الجزائريين المثل الأعلى لكل الصفات التي يجب أن يتحلى بها العسكري . والحاكم العام ينتظر أيضا أحسن

[461] - **Lespes** :op.cit p.29
[462] - **Duruy . V**: op. Cit, P.141

النتائج وأطيبها بوجود المجندين الجزائريين في فيلق الرماة السينغالي. ويشكر كل رؤساء السلك الـذين عملـوا على نجاح هذه الحملة العسكرية بكل روح خفيفة نشيطة في كل الأوضاع ... شكرا "

والتحق الرماة الجزائريون بباخرة النقل ليون **L'YONNE** في 26 أفريل 1861 ليصـلوا إلـى المرسـى الكبير في 1861/05/27 وهي الدفعة الأولى التابعة للوائين الأول والثالث أما يوم 1961/05/29 فإن الذين تخلفوا من كتيبة بيشاد فقد وصلوا إلى مدينة البليدة في 1861/06/04 بعد غياب طويل عن الأهل والوطن دام ستة أشهر، قضى فيها الرماة على كل مقاومة كانت تسعى لدحرالفرنسيين، حيث ساهموا في بسط سلطة الاحتلال الفرنسي على الأراضي السنيغالية[463].

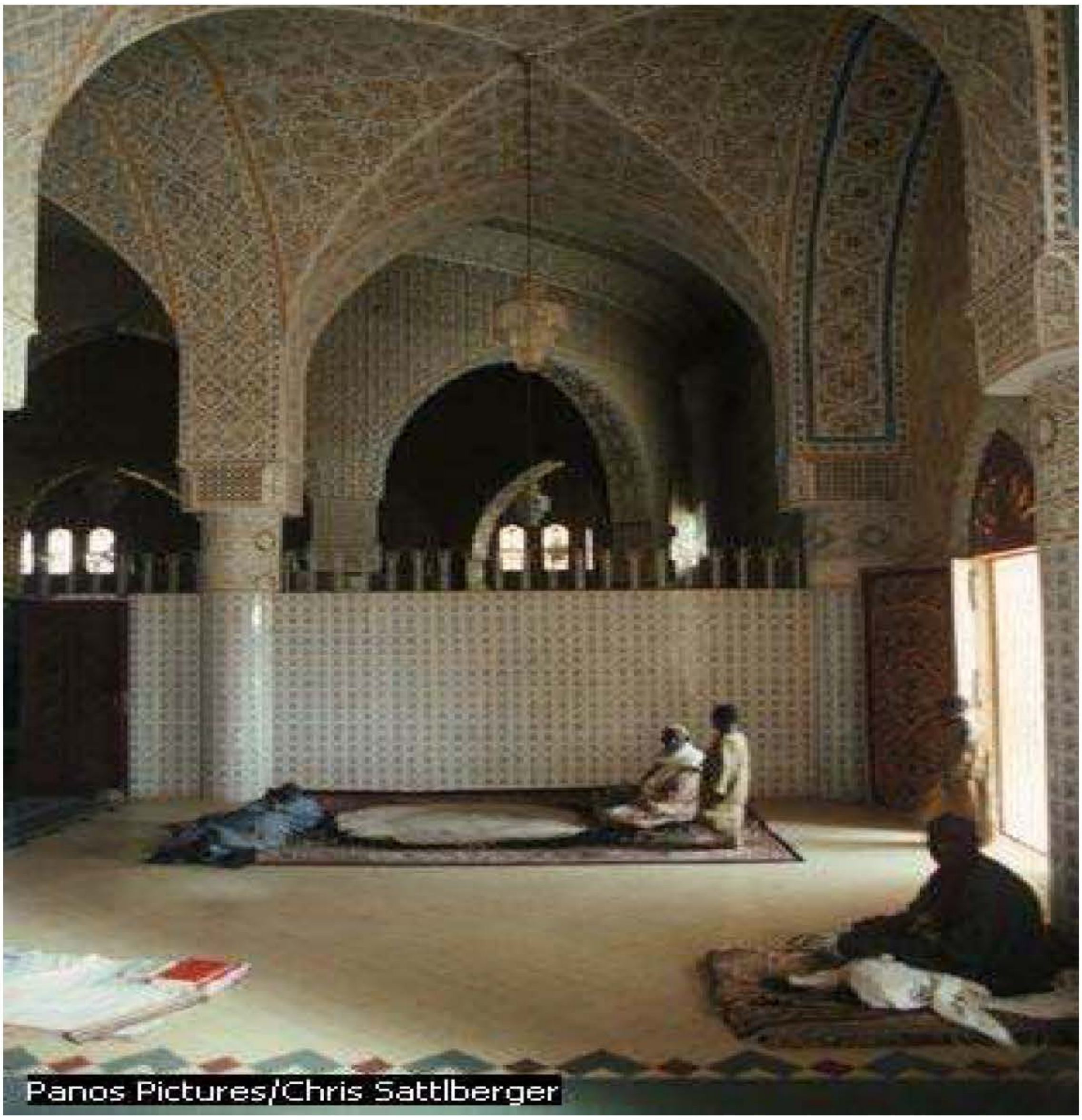

مسجد طوبا بالسنيغال : هذه المدينة تضم عددا معتبرا من المساجد المخصصة للصلاة .
السنيغال: دولة لائيكية معظم السكان بها مسلمون ، أما المسيحيون فهم يمثلون الأقلية.
دخل الإسلام البلاد السنيغالية منذ القرن الرابع عشرميلادي عند تأسيس أمبراطورية **جولوف** l'empire de Djolof.[464]

[463] - **Duruy . V**: op. Cit, P.141

[464] -Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation..

4- حملة كوشان- شين1861- 1864

لقد كان الهدف من تجنيد الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي منذ بداية غزو مدينة الجزائرعام 1830 هو العمل على استغلال الطاقات البشرية الشابة في هذا الوطن للاستفادة من قدراتها الحربية بغرض تدعيم الهيمنة الفرنسية في مختلف بقاع العالم التي كانوا يهدفون إلى الاستحواذ عليها خدمة لأغراضهم التوسعية والاقتصادية ، ولذلك فإنه ماكادت آخر فرقة من الرماة الجزائريين العائدة من السينغال تحط الرحال في ميناء الجزائر العاصمة يوم 1861/06/04 بعد غياب طويل عن الأهل والخلان ذاق خلاله أولئك المجندون أنواعا من الآلام والمشاق والحرمان بسبب نقص المياه ومجابهة المقاومين السينغاليين في تلك القفار الموحشة ، حتى صرح الجنرال دي لينيي DELINIER أثناء زيارته التفقدية لكتائب الروماة الجزائريين بالبليدة قائلا: كتيبة للرماة الجزائريين تعود منذ أمد قريب من السينغال ، وفوج أخر سيشكل من الرماة الجزائريين ليقوم بحملة عسكرية في أقصى شرق المعمورة[465].

وانطلقت الاستعددات لتحقيق ذلك الأمر وطلب من المشرفين العسكريين عن كل لواء من الألوية الثلاثة:(البليدة،وهران،قسنطينة) تشكيل كتيبتين في كل واحدة منهما من 130 إلى140 جنديا. وأسرع الضباط العسكريون في العمل على تكوين هذه الكتائب فكانت النتائج فوق كل التوقعات لأن عدد المتطوعين من ألوية الرماة تجاوز العدد المطلوب مما حدا بوزير الحرب الفرنسي إلى مكاتبة الحاكم العام بالجزائر يخطره بما يلي : (يمكنك بهذا العدد المتوفر لديك من المتطوعين أن تختار وبشكل جيد العناصر الملائمة لهذا السلك الخاص)

وكانت الكتيبتان التابعتان إلى اللواء الأول تضمان معا عدد 288 جنديا أضيف إلى هذا العدد فيما بعـد 30 جنـديا لتدعيم رفاقهم، في حين أن اللواءين الثاني والثالث اكتفيا بإرسال العدد المطلوب فقط من دون دعـم إضـافي بعـد انطلاق الحملة العسكرية [466].

وبعد أن تم تأسيس الفيلق الذي سيوجه الى أقصى الشرق بآسيا حسب المطلوب بتاريخ1861/09/21 عمـد المسؤولون العسكريون إلى تنظيم الرحلة نحو سـايغون فكـان أن غـادر الرمـاة الجزائريـون العاصـمة يـوم 1861/10/15 وبعد ثلاثة أشهر ونصف قضاها المجندون على متن السفينة في طريقهم نحو ميدان المعركة حطـوا الرحال أخيرا في مدينة سايغون يوم 1862/01/29 .

لكن أمبراطور الأنام تو- دوك المدعم بأربعين ألف مقاتل منذ شهر جويلية 1860 ما كان ليرضى بالوجود الأجنبي على أراضيه ، ولذلك بدأ يستعد لقتالهم وهو يشيع بين أبناء وطنه بأن انتصاره على أعداء الأمـة حتمـي وقريـب[467].و كان ذلك مصادفا لنهاية الحملة الإنجليزية الفرنسية ضد الصين، هذه الحملة التي ثبتت سلطة الفرنسيين علـى دلتا نهرالميكونغ.

أما الأميرال بونار الذي عوض الأميرال شارني فقد تمكن في ديسمبر1861 من إنزال قواته في بيان هو واستولى عليها بفضل ما كان متوفرا لديه من جند وعتاد حربي، وصادف أن وقف الحظ إلى جانب الأميرال بونار إذ أنه بعد احتلال المدينة مباشرة وصل فيلق الرماة الجزائريين إلى المنطقة حيث تكفلوا بدعم جيش الغزاة هناك .

وفي اليوم العاشر من شهر فيفري 1862 خرج فوجان من الكتيبة الرابعة التابعة لفيلق الرماة القادم من الجزائر وتوجه الفوج الأول نحو قرية دونغ- مون جنوبي شرق سايغون حيث استولوا عليها من دون أية مقاومة تذكر، في

---

[465]- Duruy.v :op.cit,p.141

[466]-Idem: p.144

[467]- إمبراطورالأنام تو دوك ركز حكمه في وسط بلاد الفيتنام وفي خلال حكمه 1848 -1883 افتك الفرنسيون منه كوشان شين عام 1859 ثم الأنام والتونكان عام 1864. وكان ذلك حسب زعم الفرنسيين بسبب اضطهاده للمسيحيين .

أنظر كذلك Dominique Vallaud : p.939

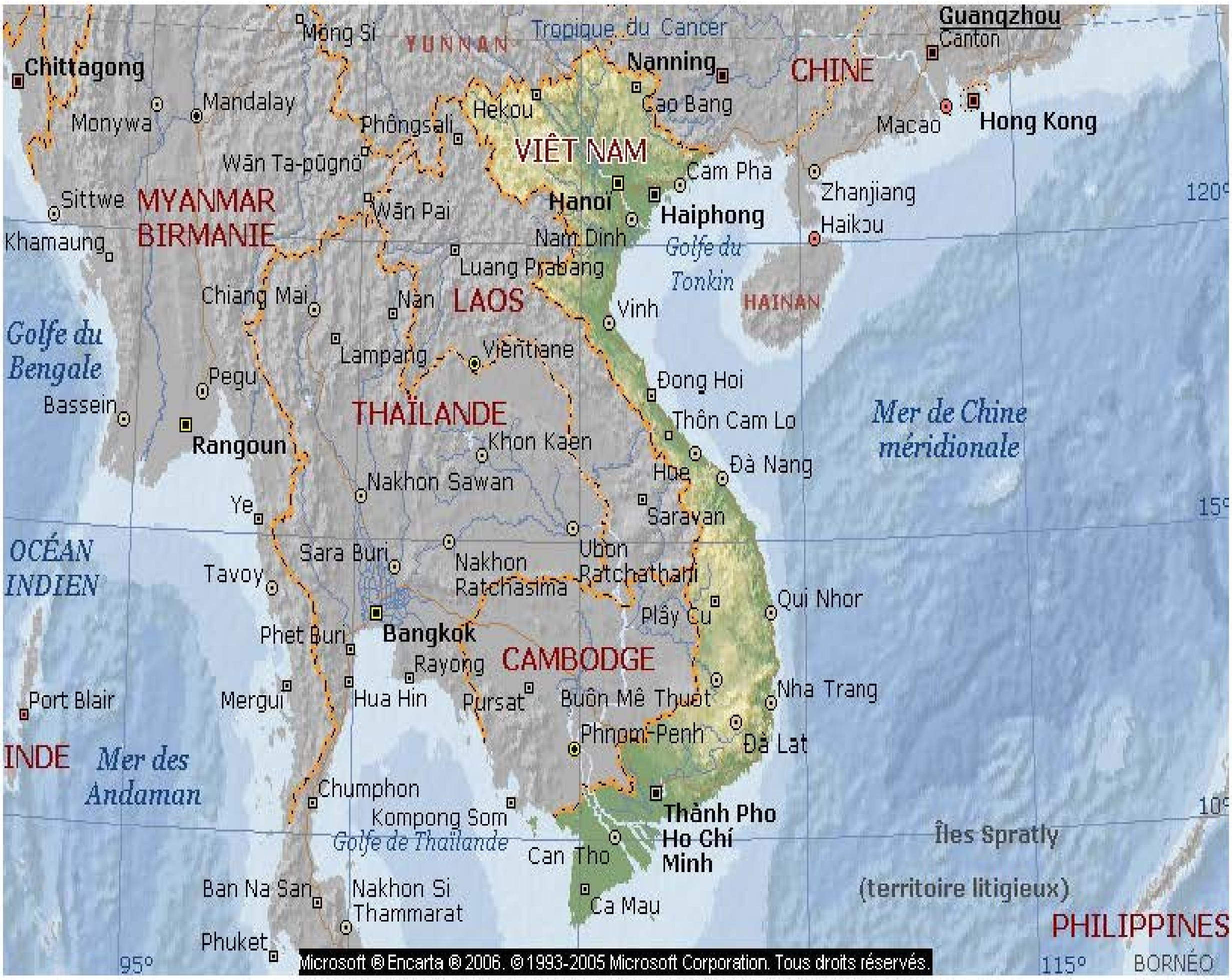

خريطة الفيتنام حاليا .وكانت تضم ما كان يعرف بالكوشان- شين ، الأنام ، التونكان

ومصدر هذه الخريطة هو:

Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft - Corporation.

حين أن الفوج الثاني الذي كان تحت قيادة الملازم الأول بولنجي توجه نحو قرية تاي ميتش واستولى عليها هي أيضا.

وبعد ثمانية أيام من تحقيق هذه العمليات العسكرية الناجحة فاجأ الملازم الأول بولنجي وجنوده بقروية تري كا مجموعة من جند الإمبراطور تو دوك وتمكنوا من القضاء على أكبر عدد منهم بعد اشتباك معهم بالسلاح الأبيض، لكن قائد الفوج أصيب بجروح بليغة إثر تلقيه طعنة حربة[468]..

وكان نائب الأمبراطور يقيم في مدينة فانه- لونغ بجنوب البلاد وقد لعب دورا مهما في عرقلة تحركات الجيوش الغازية على غرار ما كان يقوم به المقاومون الأنام في مدينة بيان هو شمال البلاد التي كانت بدورها معارضة للوجود الفرنسي على أراضيها.

ا هذه المدينة فقد كانت قاعدة لتموين المقاومين الأنام و بها قلعة تقع وراء ميناء عميق مفتوح على شرق وغرب نهر الميكونغ، وهو مغلق من الجهة الجنوبية بجزيرة هي عبارة عن مستنقع يمكنه أن يعيق أي هجوم عسكري على المدينة . وقد جهز المقاتلون الأنام هذا الموقع بالمدافع وأجهزة للحماية الطبيعية والاصطناعية منها : 07 حصون، وأما السدود فقد كانت محمية بأربعة حصون في الشرق و04 حصون أخرى في الجهة الغربية إلى

[468] - Duruy.v : op.cit, p.146

جانب 80 قطعة مدفع كانت موزعة على هذه الدروع ، وأما القلعة فقد كانت محمية بالخيول الجموحة ومغاورللذئاب الشرسة .

وقد تم اختيار الكتيبة الأولى من اللواء الأول للرماة لتحمل عبء الهجوم على هذه المدينة المجهزة بوسـائل الدفاع التي بمجرد ظهور المهاجمين في الأفق بدأت بقصفهم بالمدافع لكن عناصر هذه الكتيبة صـمدت بشـجاعة حتى التحقت بها بقية الفرق العسكرية الأخرى يوم 1862/02/21 ، وبذلك سقط جنديان من الكتيبة الأولى جريحين خلال هذا الهجوم الجماعي بعد محاصرة القلعة وتحطيم كلي لمراكز الدفاع المتقدمة.

وفي مساء اليوم الثاني كان جنود المقاومة الآنامية قد تراجعوا الى أسوار الساحة بالرغم من أن دلتا الميكونغ لم يتم بعد احتلالها كلية، وفي صباح اليوم الثالث يعني 1862/02/23 هرب نائب الملك بعد أن أضرم النار فـي القلعـة، لاعتقاده بأنه غير قادر على الصمود أكثر .

وبعد هذا الإنجاز الحربي الكبير لم يبق أمام القوات الفرنسية الغازية للاستيلاء الكلي على المقاطعة سـوى تحطـيم الحواجز والحصون وقلعة مي كين التي احتلها العقيد الإسباني والرماة الجزائريون يوم[469] 1862/03/28 ..

ولقد خسرت الكتيبة الأولى للرماة في هذا الهجوم الناجح 05 جنود جرحى منهم الملازم جوفي، وفي الوقـت الذي كانت فيه عناصر هذه الكتيبة تستعد للدخول الى مدينة ميتو كانت الكتيبة الرابعـة للرمـاة تقـوم بعملياتهـا العسكرية غرب مدينة سايغون التي استولوا عليها في 1862/04/08، وبعد ثلاثة أيام من المعارك الطاحنة تمكـن المجندون الرماة من الاستيلاء على قريتين هما : تو تراك وبيتش كيم حيث تعرضوا بعد احتلال هـاتين القـريتين لنيران فرقة من المقاومين الأنام يبلغ عددهم 15 رجلا كانوا قد أخفوا أسلحتهم في جذوع الأشـجار، لكـن الرمـاة الجزائريين تمكنوا في النهاية من السيطرة على الموقف . وعند عودتهم إلى سايغون كانوا قد غنمـوا 140 قطعـة مدفع وحطموا 40 حصنا للمقاومين[470] .

وحل موسم الأمطار فغدت البلاد كلها غارقة في الأوحال، وجل طرقاتها محطمة بفعل تدمير المقاومين الأنام لها حيث كانوا يسعون إلى عرقلة تحركات الجيش الفرنسي الغازي بكل الوسائل الممكنة ، ممـا اضـطر الكتائـب العسكرية الغازية إلى الالتحاق بمعسكراتها في انتظار الوقت المناسب لبدء العمليات الحربية . فالكتيبة الأولى للرماة التحقت بمعسكرها في ميتو والكتيبة الرابعة التحقت بمعسكرها في سايغون ، غير أن هذه الاستراحة لم تدم طـويلا إذ سرعان ما انتقلت الكتيبة الأولى إلى فو لونغ غرب مدينة ميتو يوم 25 أفريل لحماية هذه المنطقة من بقايا جيش فان لونغ المنهزم وسيطرة القراصنة والمقاومين.

وفي 1862/05/12 تحركت الكتيبة الأولى إلى كين آن فو لعرقلة تحركات ونشاطات المجموعات الثـائرة ، وفي نفس الوقت لحماية قرية بيان باب من تحطيم وتدمير محقق من طرف العناصر المقاومة، فـي حـين كانـت الكتيبة الرابعة قد غادرت مدينة سايغون يوم 1862/05/19 لتدعيم حامية تشو لونغ[471].

وأسندت قيادة الفصائل العسكرية بالمنطقة إلى النقيب ميلو الذي بادر إلى إنشاء مراكز للحراسة على طـول النهر، وإنشاء سرايا تقوم بعمليات استطلاعية تفرض الأمن والهدوء في البلاد، وتحفظ معسـكرات الجـيش مـن الضربات المفاجئة للمقاومين والقراصنة على السواء .

وتبعا للنجاح الذي حققه الجيش الفرنسي في عملياته الحربية من تحطيم للحصون واحتلال للمواقع بدأ اليـأس يدب في صفوف المقاومة الآنامية التي تقدمت إلى السلطات العسكرية الفرنسية بعدة اقتراحات قصد الهدنة والسـلم، من ذلك المعاهدة التي أبرمت في 1862/06/05 والتي بموجبها تحصلت فرنسا على مدن سايغون ، وميتو، وبيان هو مع كل المقاطعات التابعة لها[472].

ومن هنا بدات التنازلات التي تعني في قاموس الغزاة فشل المقاومة ونجاح الحملة العسكرية الغازية.

---

[469] - Duruy.v : op.cit, p.146
[470] - Idem
[471]- Idem : p.158
[472] - Id :p.146

لكن الأمراض كانت بالمرصاد لعناصر هذه الحملة العسكرية التي أودت بحياة العديد من الجنود الغزاة ، فمن جانب الرماة مثلا فقد قضت بموت أربعة ضباط ينتمون إلى اللواءين الثاني والثالث . ولحسن حظ قادة هذه الحملة العسكرية فإن الفصل المريح والمساعد على المسير والتنقل في أرجاء البلاد وتسهيل العمليات الحربية كان قد اقترب ، لأن أحد أعيان البلاد وهو المدعو كيان دينه عضو محكمة هوي جعل البلاد مغلقة في وجه الغزاة بفضل العصابات التي أسسها بغرض الاستيلاء على مقاطعة تشولونغ الغنية بثرواتها الطبيعية ، وهو ما أثار شهية القراصنة بهذه البلاد لنهبها واستغلال مافيها من ثروات وخيرات[473] .

وانطلقت كتيبة المشاة البحرية مع فوج من الرماة الجزائريين لتدعيم الحامية التي كانت تضم عناصر من الكتيبة الرابعة للرماة بعد الأنباء الواردة عن تحركات مشبوهة في المنطقة ولذلك نظم النقيب ميلو الذي كان مايزال محتفظا بالقيادة خطة للدفاع عن الحامية وأشرف هو نفسه على القيادة بها. ولم يطل الانتظار حتى نزل القراصنة (المقاومون) من أعالي النهر باتش كا مفاجئين الحامية العسكرية على الساعة الحادية عشرة ليلا يوم 1862/12/03 وتمكنوا من إحراق 50 منزلا لكن عناصر الجيش الفرنسي بالحامية تمكنوا في الأخير من إخماد النيران على الساعة الثالثة من صباح ذلك اليوم ، كما قضوا على القسم الأكبر من الرجال المقاومين ، أما الذي بقي منهم حيا فقد هرب بعيدا عن ساحة المعركة يطلب النجاة لنفسه من موت محقق[474]..

ورغم الانكسارات والهزائم التي لحقت بالمقاومين الآنام إلا أنهم سرعان ماجمعوا فلولهم وقاموا بأول هجوم على القوات الفرنسية في تشو لونغ حيث تعرضت كل الحاميات والمراكز العسكرية الفرنسية إلى المداهمات والهجمات العنيفة بقصد إعطاء الغزاة الضربة القاضية وبذلك صارت وضعية القوات الفرنسية في المنطقة مهددة يحيط بها الخطر من كل جانب ، فعمدت السلطات العسكرية الفرنسية آنذاك إلى تجميع قواتها للمجابهة التي بدت حاسمة ، ولهذا تم ربط الفيلق الثالث من المشاة للجيش الإفريقي بالقسم البحري الصيني وبفيلق الأهالي الفيليبينيين المجندين الذين كان تعدادهم 800 مقاتل. وتمركز الجميع معسكرين في مقاطعة غو كونغ وبتطرف وتعصب وربما حيلة من حيل الحرب حاول القائمون على هذا المعسكر الإشاعة بين المواطنين أن هذه القوات تعمل لصالح العائلة الملكية، مداعبين بذلك مشاعر الأهالي المتعاطفين مع الملك[475].

وبتاريخ 1863/02/09 أفصح الأميرال بونار القائد الأعلى للقواة الغازية عن ترتيبات جديدة وتنظيمات استراتجية دفعت به إلى تقسيم هذه القوات العسكرية إلى ثلاث مجموعات تحت قيادة الجنرال شومون على أن تتكفل البحرية بنقل القوات العسكرية مع غلق منافذ كل من فاي كو، وسوا راب وكذا نهر الميكونغ[476] .

وتحركت الكتائب العسكرية الفرنسية نحو دونغ- سونغ يوم 1863/02/13 على الساعة الثالثة بعد الزوال حيث كان المقاومون الآنام مستعدين للمجابهة محتمين بالحواجز والموانع من الخنادق والمستنقعات التي تعيق كل مهاجم ، لكن الذي حدث هو أن أولئك المقاومين كانوا يفرون من وجه الجنود الغزاة بمجرد أن تبدأ الطلقات النارية تصفر في الأجواء .

أما المدعو كيان دينه الذي كان يسعى إلى الاستيلاء على مقاطعة تشو لونغ الغنية بثرواتها الطبيعية فقد حاول من جهته أن يدخل في معركة مع فيلق من الجيش الأفريقي لكن قادة هذا الفيلق استطاعوا مراوغة جنود كيان دينه بالانسحاب إلى الوراء حتى أوقعوهم تحت قصف نيران الفرقة الاحتياطية التي كانت بالمرصاد لهذا التحرك ، مما دفع بـ7000 ألاف جندي من المقاومين إلى الفرار طلبا للنجاة [477].

[473] -- Duruy.v : op.cit, p.147

[474] -Idem :p.148

[475] - Lespes :op.citp.29

[476] - Idem.

[477] - Duruy.v : op.cit, p.148

ومن جانب آخر فإن الحظ لم يكن إلى جانب الأمبراطور تودوك الـذي كـان بجيشـه محتميـا بـالأحراش والأشجار الكثيفة بمقاطعة فانه تو حيث كانت هذه المنطقة تحظى بحواجز طبيعية بعرض 2كم . مما جعل جـيش الآنام وقادتهم يشعرون بالثقة والأمان داخل هذه الأحراش، لكن ذلك لم يحفظهم من الوقوع فـي مواجهـة نيـران الطوابير العسكرية التي كان يقودها الجنرال شومون والجنرال داريس حيث أسقطوا العديد من القتلى في صـفوف المقاومين الآنام. وأثناء عودة الكتيبة التي يقودها بييتري إلى دوغ سونغ حيث تم تحطيم وإحراق قلعة فانه توا التي كانت بأيدي المقاومين الوطنيين الآنام.

أما الأمر بمتابعة الزحف نحو غو كونغ فقد كان يوم 1863/02/25 حيث أمر الرائد بييتري بمهاجمة القلعة أما الجنرال شومون فقد انطلق بتوجيه من الأميرال كي يبدأ بتمشيط كل المناطق من الشمال عن طريق بانهـلونغ حيث المسالك هناك وعرة ولا يمكن قطعها إلا بالتحايل علىالمستنقعات، الأمر الذي دفع الجنود إلى تهديم المنـازل لاستخدام بقاياها الصلبة للعبور، فالمياه والأوحال كانت تغمر الجنود إلى البطن أو تزيد على ذلـك وهـم يـدفعون أمامهم العجلات وقطع المدافع والمعدات الحربية الأخرى... وكانت المدة التي اسغرقتها هذه الرحلة الصعبة الشـاقة في المستنقعات ما يقارب 15 ساعة متواصلة . وعندما وصلت جحافل العساكر الفرنسيةإلى القلعة غو كونـغ كـان المقاومون الآنام قد تخلوا عن المكان وغادروه هاربين[478].

عودة الرماة الجزائريين

إلى أرض الوطن:

منذ وصول الرماة الجزائريين إلى مدينة سايغون وإلى غاية تلقي الأمر بضرورة عودتهم إلى التمركز مـن جديد في سايغون بعد انتهاء العمليات الحربية والسيطرة على المنطقة كلها، فإن الكتيبتين التابعتين للواء الأول للرماة كان نشاطهما منحصرا بصفة دائمة في مجابهة ومتابعة عصابات المقاومين للغزو الفرنسي لأن تلكم السرايا كانـت خفيفة وسريعة في هجوماتها وفي طريقة قتالها وكذا في انسحابها من ساحة المعركة وقد كانت هاتان الكتيبتان تحت قيادة النقيب ميلو الذي وجد في أولئك المجندين أحسن المتصدين للمقاومين الشرسين.

ومن مدينة سايغون بعد انتهاء مهام المجندين الرماة امتطى أولئك الجزائريون الباخرة يوم 1864/04/30 متجهـين إلى وطنهم حيث وصلوا إلى الجزائر العاصمة بتاريخ[479] 1864/07/21)

وإذا كانت الحملة العسكرية إلى كوشان شـين صعبة جدا فليس مرد ذلك فقط : للظروف الجوية والحـواجز الطبيعية من طرقات مهدمة ومستنقعات موبوءة كانت كلها تقف حجرة عثرة في وجه تحركات الطوابير العسـكرية وتعيقهم في تتبع خصومهم ولكن كان هناك أيضا المقاومة الشرسة الشجاعة لأتباع الأمبراطور تو دوك مع قـدرتهم الفائقة على استغلال كل ماهو متوفرلديهم من جذوع الأشجار وأسلاك وصخور وبقايا العربات فقد كانوا يستخدمون كل ذلك ببراعة فائقة في تنظيم وبناء الحواجز والموانع التي تعيق تقدم الجيش الغازي بشكل يثير الانتباه والاهتمـام من طرف طلائع الجيش الفرنسي من الصبايحية والقناصة والرماة الجزائريين الذين كانوا بحق الضـحية الأولـى للضربات المميتة من طرف العصابات الثائرة والقراصنة الذين كانوا يجوبون البلاد طولا وعرضا بغرض السـرقة والنهب وقتل كل من يعترض طريقهم[480].

هذا ولقد دفعت الفصائل الجزائرية المشاركة في هذه الحملة العسكرية ضريبة باهضة الثمن بالرغم مـن أن المجندين الجزائريين لم يكونوا على دراية بما يجري في تلك البلاد البعيدة النائية عن مسقط رؤوسهم، ولم يكونـوا يعلمون أسباب أو دوافع هذه الحملةالعسكرية، ولكن كل مافي الأمر أنهم كانوا يمتثلون لأوامر ضـباطهم وقـادتهم العسكريين.

[478] - **Duruy.v** : op.cit, p.149
[479] - **Idem.**
[480] - **Idem.**

فكتيبة الصبايحية المشاركة في حملة كوشان شين انطلقت من الجزائر العاصمة بتعداد 288 جنديا وعند عودتها إلى المدية مقر فرق الصبايحية بعد انتهاء الحملة العسكرية كان عدد عناصر هذه الكتيبـة لايتعـدى 62 جنـديا مـنهم ضابطان و13 جنديا جريحا أصيبوا أثناء العمليات الحربية . أما بالنسبة لعناصر الرماة الجزائريين فإن المصـادر المتوفرة لدينا لم تتعرض إلا لذكر عدد الأموات بسبب الأمراض والأوبئة في تلك البلاد النائية المليئة بالمسـتنقعات بشكل يثير الانتباه ، حيث ذكرت المصادر وفاة 05 ضباط أحدهم تابع إلى اللواء الأول وضابطين تابعين إلى اللواء الثاني وضابطين آخرين تابعين إلى اللواء الثالث. أما الملازم أحمد بن علي وكذا الملازم عبد القادربن عـلال فقـد ماتا بعد وصولهما إلى أرض الوطن متأثرين بجروحهما. في حين أن فاتورة المجندين الذين ماتوا في كوشان شين بسبب الأمراض والأوبئة فقد كانت على النحو التالي[481].

51 ميتا تابعا إلى اللواء الأول و**52** ميتا تابعا إلى اللواء الثاني، و**78** ميتا من اللواء الثالث.

أما اذا أردنا أن نتعرف على مايمكن أن تجنيه هذه الفصائل العسكرية المشكلة من الجزائريين من وراء كـل هذه التضحيات الجسام التي لم يستفد منها أهاليهم الجزائريون قيد أنملة، لوجدنا أنها تتمثل بعد كل حملـة عسـكرية ضحى فيها الجزائريون بأنفسهم في عبارات الشكر والامتنان والعرفان بالجميل الذي قدمه أولئك المجندون لفرنسـا وهي تعزف على مسامع الباقين أحياء من أولئك الذين عصفت بهم نيران هذه الحملة العسكرية أو تلك . ولم يكـن جزاؤهم بعد حملة كوشان– شين هذه بأحسن أو أسوأ من حملتهم العسكرية فيما بعد بـالتونكـان خـلال الأعـوام 1883/ 1886 حين ردد جميع الجنرالات الذين قادوا المجنديين الجزائريين في تلك المعارك الضارية هناك قائلين :

" إن شجاعة المجندين الجزائريين تستحق كل احترام وتقدير من قبل قادتهم ورؤسائهم" .

أما الأميرال كوربي[482] فقد عبر عن إعجابه وتقديره لشجاعة واندفاع أولئك المجندين الجزائريين عندما كان يستعد لمغادرة فصائلهم العسكرية بعد أن تم لهم الاستيلاء على مدينة سان تاي[483]: حيث قال " أكبر شرف لي نلته في حياتي، كان عندما حظيت بقيادة جنود مثلكم".

أما الجنرال فقد صرح عندما خرج لتوديع الفيالق الجزائرية العائدة الى أرض الوطن بقوله " لقد شارك هؤلاء الأبطال في كل العمليات العسكرية المهمة بكل فعالية وشرف مجيد فكانوا متعاونين إلى أبعد الحدود بكل ما أوتوا من قوة وجلد في هذه الحملة العسكرية، وكذلك أثناء فرض النظام وتهدئة الأوضاع في البلاد" .يعني بقوله فرض النظام: يعني قمع وقتل المقاومين المناوئين للوجود الأجنبي في بلادهم !...

وتابع الجنرال قوله: " أنا الجنرال قائد القسم الأول أودع بكل حزن وألم عميق هؤلاء الرفاق الذين شرفوا دائما وسيشرفون العلم الفرنسي[484] " .

---

[481] - **Duruy.v** : op.cit, p150

[482]- الأميرال كوربي من مواليد (1827-1885) خلف الأميرال ريفيار في التونكان لبسط الحماية الفرنسية على الأنـام سـنة 1883 . حارب les pavillons-noirs وكذلك الصينين.

483- مدينة سان تان تقع في شمال الفيتنام (التونكان سابقا) احتلها الأميرال كوربي سنة 1883 وكانت الفصائل العسكرية المشكلة مـن الجزائريين في مقدمة الجيش الذي فتح هذه المدينة.

[484] - Lespes :op.citp.34

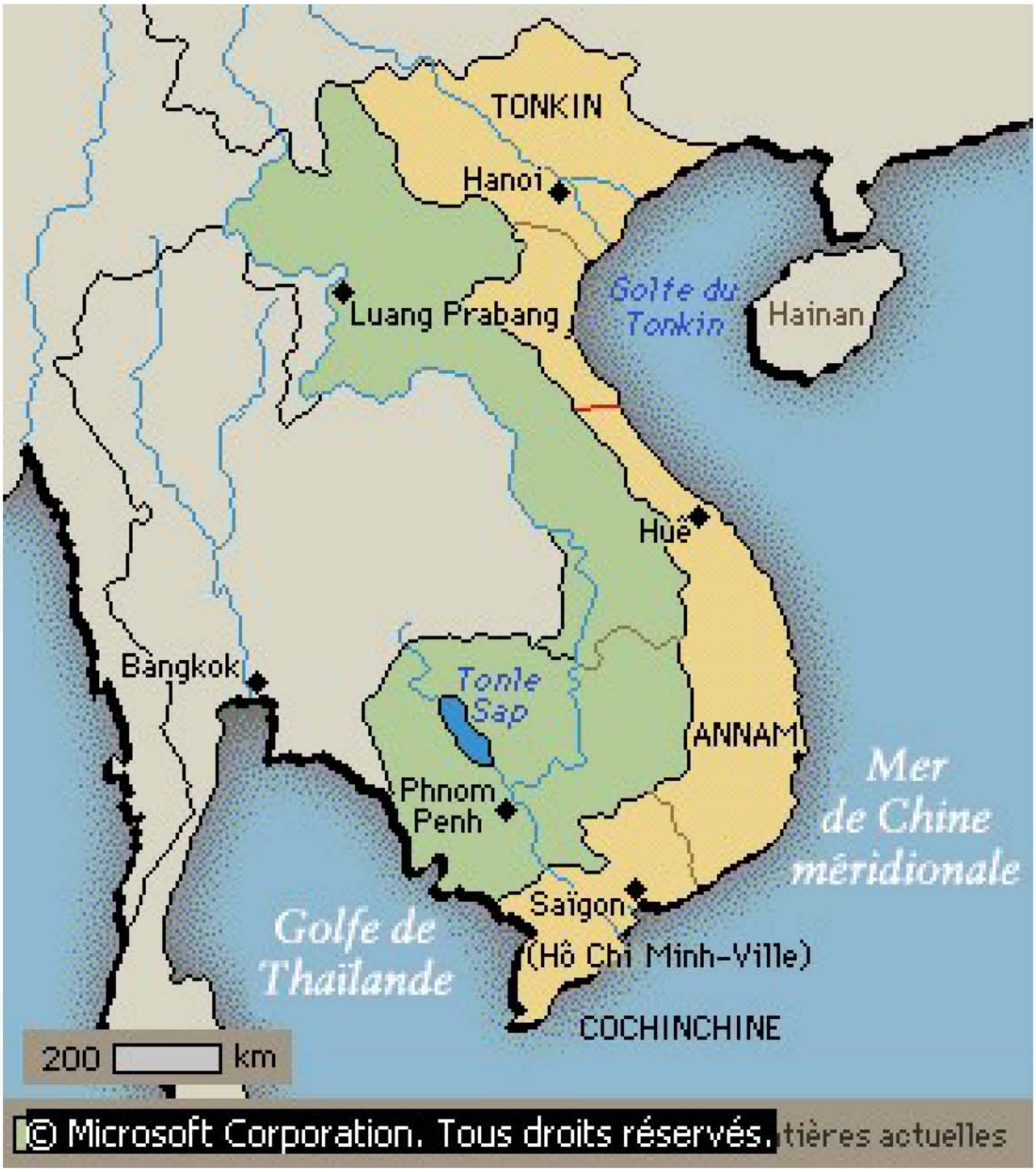

خريطةالهند الصينية التي كانت مستعمرة فرنسية منذ عام **1887** وإلى غاية **1954** وهـي تمثـل حاليـا الـدول التالية:الفيتنام، اللاوس ، والكومبودج .

ومصدر هذه الخريطـة هـو: Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993- Corporation. 2005 Microsoft

---

الغزو الفرنسي للهند الصينية كان على مراحل:

1- السيطرة علىالكوشان شين.وفرض الحماية على الكومبودج سنة 1860

2 - فرض الحمايةعلى الأنام والتونكان عام 1884 ، وتم تأسيس اتحاد الهند الصينية "التي تجمع مختلـف هـذه الأقاليم عام 1887.

3– وتم بعد ذلك غزو اللاوس في سنة 1893

5- حملة المكسيك 1862-1867:

بعد الحملة العسكرية الفرنسية على الصين و على الكوشان شين، ارتأت السلطات الفرنسية أن تنقل نشاطها العسكري إلى أبعد نقطة في العالم بالنسبة لهذه المناطق، ذلك أنه منذ مدة طويلة كانت لفرنسا و إنجلترا و إسبانيا عدة تحفظات بشأن الحكومة المكسيكية.

إذ أنه في عام 1838 كانت السلطات الفرنسية قد أرسلت سرية إلى مدينة فيراكروز لفرض بعض المطالب الفرنسية، لكن الحكومة هناك لم تستجب لهذه المطالب حتى تم الاستيلاء على حصن سان جون دولوا Saint-Jean **D'Ulloa**، و بعد مضي سنوات على هذه الأحداث أصبح جواريس رئيسا للجمهورية المكسيكية عام 1860.[485]

ومنذ ذاك الحين توقفت الحكومة المكسيكية عن دفع مستحقات فوائد القروض المترتبة عليها من حقوق الجمارك في فيراكروز، و هو إجراء أضر بالمصالح الفرنسية و الأنجليزية و الأسبانية مما دفع هذه الدول الثلاث إلى عقد اتفاقية لندن التي تمخضت عن إرسال فصائل عسكرية إلى المكسيك بغرض إجبار الرئيس جواريس على دفع الديون المترتبة على بلاده.

و فعلا فقد تم إنزال قوات فرنسية بتعداد ثلاثة آلاف جندي بفيراكروز و ذلك بتاريخ 07 جانفي 1862، لكن سرعان ما حدث الطلاق بين الدول الثلاث المتحالفة بعد أن تحصل الإنجليز و الأسبان على تعويضات من الرئيس جواريس، و هي تعويضات قبلوا بها فانسحبوا من الأراضي المكسيكية تاركين فرنسا وحدها في الميدان تواجه القوات المكسيكية.

وعمد الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث إلى دعم حملته العسكرية بخمسة آلاف جندي إضافي معلنا بذلك الحرب على الرئيس المكسيكي جواريس[486].

و زحفت القوات الفرنسية على العاصمة مكسيكو لكن الهدف الحقيقي كان ساحة بويبلا **Puebla** التي لم تتمكن القوات العسكرية الفرنسية من الاستيلاء عليها مما دفع بقائد الحملة الجنرال دولورانسيز **Delorencez** إلى طلب الإمدادات العسكرية من باريس فكتب إليه الإمبراطور نابليون الثالث في 05 جوان 1862 ما يلي: " شرف الوطن رهينة هذه الحملة العسكرية، سوف ندعمكم بكل النجدات و الإمدادات التي تحتاجون إليها ".[487]

وعين الجنرال فوري **Forey** قائدا عاما للقوات العسكرية في المكسيك خلفا للجنرال دولورانسيز، و أحضر القائد الجديد معه الإمدادات العسكرية التي وصلت إلى حدود 22.320 جنديا لتكون في مجموعها اثني عشر لواء للمشاة، منهم ثلاثة ألوية من الجيش الزواوي ، و لواء واحد خاص من الرماة الجزائريين، و ثمانية سرايا لقناصة إفريقيا.

وتلاحقت النجدات و الإمدادات العسكرية فيما بعد، إذ أنه خلال الفترة الممتدة من نوفمبر 1861 إلى فيفري 1863 تم إمداد القوات الفرنسية بجيش تعداده 38.493 جنديا و 6.724 حصانا و بهذا الجيش واصل قائد الحملة الجنرال فوري زحفه نحو ميكسيكو ليفرض من جديد حصاره على بويبلا بدءا من 16 مارس 1863.[488]

الرماة الجزائريون كانوا من جهتهم ممثلين في هذا الجيش بفيلق تعداده 700 جندي مما يعني 06 كتائب شكلت اثنتان منها من كل لواء من الألوية الثلاثة و تضم كل كتيبة منها 120 متطوعا من المجندين الجزائريين. أما الضباط فعددهم غير محسوب في هذا المجموع العام.

485- **Duruy. V**: op. cit, P. 151.
486- **Huré. R :** op. cit, p. 115.
487- **Duruy. V** : op. cit, P. 151.
488- Capitaine Niox: **Expédition du Mexique**, T.1, Ed: collection Georges Barba, Paris 1874, **p.15**.
Voir Aussi **Huré** p.119.

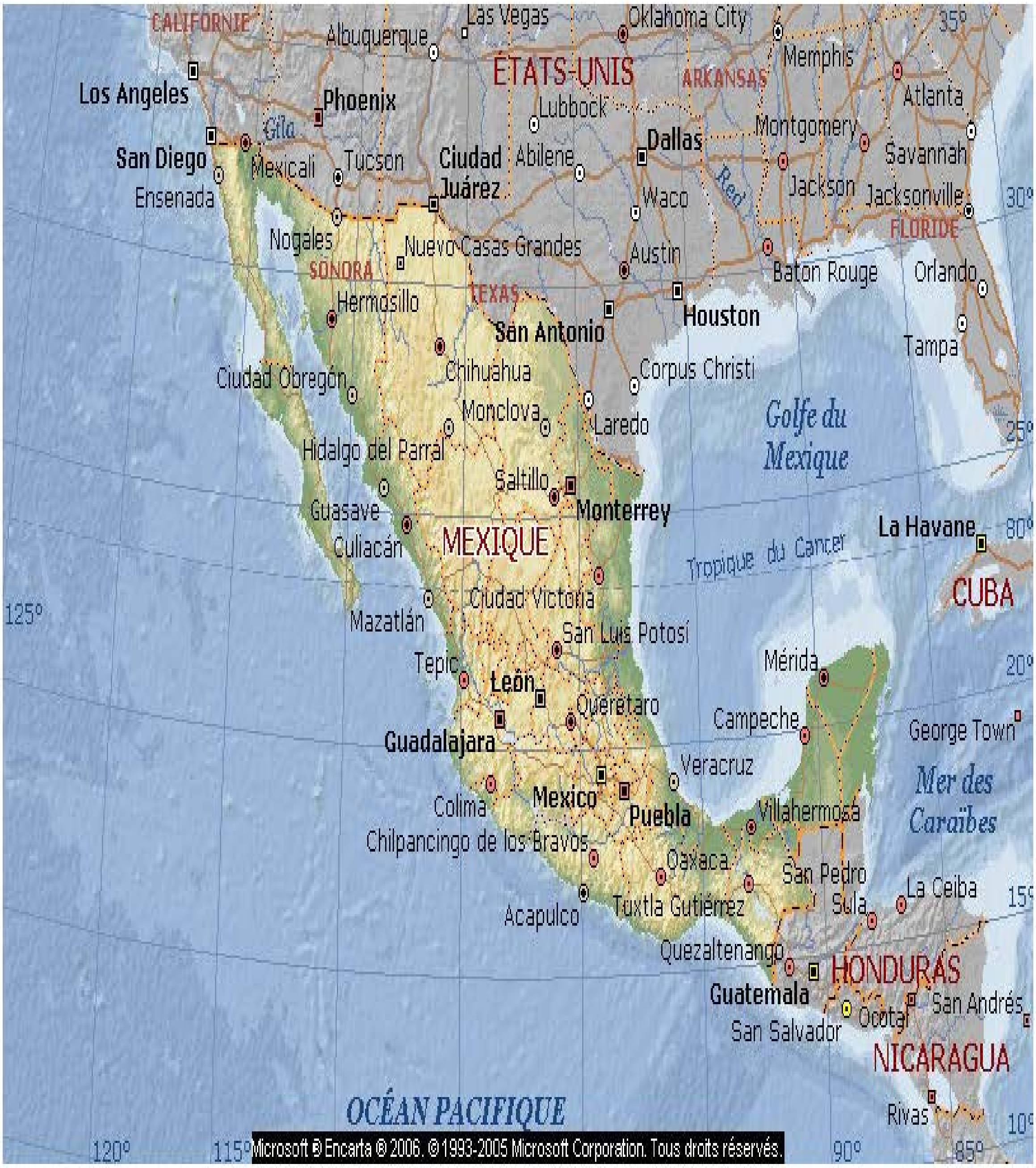

خريطة المكسيك: وهي توضح أهم المدن التي جرت بها أحداث الحرب المؤلمة مـن 1862- 1867

ومصدر هذه الخريطة هـو: Microsoft ® Encarta ®2006. © 1993-2005Microsoft Corporation

و كانت الكتيبتان الثانية و الثالثة من اللواء الأول للرماة الجزائريين قد غادرتا البليدة فـي 02 أوت 1861 ليصـلوا إلى فيراكروز في حدود 20 أكتوبر 1861 ليتم بعد ذلك ضمهم إلى القسـم الأول تحـت قيـادة الجنـرال بـازين Bazaine. و لم يكن آنذاك المناخ مناسبا البتة للجنود القادمين من إفريقيا الشمالية و أوروبا. وبالإضافة إلـى هـذا المناخ، هناك تراكم فظيع للأوساخ و القاذورات المنتشرة في جميع أرجاء المدينة ، أما المنازل فقد كانـت بصـورة عامة تنبعث منها الروائح الكريهة، مما جعل هذا الميناء مكانا مخيفا...

Place de la Constitution, Mexico (Mexique)

ساحة الدستور ـ أو بلازا مايور في عاصمة البلاد مكسيكو واحدة من أقدم الساحات في العالم بنيت في القرن 16م بمبادرة من كورتوسفي مكان السوق القديمة آزتيك ، هذه الساحة الكبيرة المربعة الشكل (240 م لكل ضلع) يدعوها الناس في المكسيك زوكالو مثل كل الساحات في المكسيك .

وهي مسرح كل الأحداث الكبرى في البلاد.

هذه الساحة الشاسعة هي عبارة عن وحدة معمارية كبيرة تقع على بعد أمتار من الحي القديم ، أعيد تنظيمها حديثا من طرف علماء الآثار الأمريكيين .هذه الساحة والكثير من المباني المحيطة بها بنيت بحجارة الأهرامات[489].

وزيادة على هذا المناخ الحار الساخن في الأراضي المكسيكية و هو خصم عنيد لجنود الجيش الفرنسي، فهناك أيضا خصم شرس لهم، سيضطرهم لمجابهته و هو جيش المقاومين المكسيكيين الذين كانت جل عناصره من الهنود الحمر الذين كانوا يحاربون تحت قيادة رجال من الجنس الأبيض و الجنس المختلط و هؤلاء المحاربون يتصرفون بحنكة المحارب الكاملة خاصة عندما يكونون وراء الحصون، و الدروع، كما أن قادتهم العسـكريين بمكـنهم أن يجنـدوا بسهولة تامة كل من يستطيـع حمـل السلاح. و بذلك كانت أعداد أفرادهم تزداد بشـكل واضـح كل حـين، أمـا أعداد المتطوعـين في هذا الجيش فقد كانت قليلة جدا...

و بصورة عامة يمكن ملاحظة ما يلي: إن عناصر جيش المقاومين المكسيكيين كانت تمتاز بروح وطنية متأججة في الصدور، و مقاومة بدنية طبيعية واضحة ضد التقلبات الجوية.[490]

و بمجرد أن شاع خبر نزول الوحدات العسكرية الفرنسية في ميناء فيراكروز، أصدر الرئيس المكسـيكي جواريس مرسوما رئاسيا يضم ثلاثة بنود تنص على ما يلي:

[489] - Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation.

[490]- Général De Barail : Mes Souvenirs, T.3, Ed: Fermin, Paris 1874, P.343.

1- عندما تنطلق القوات الفرنسية في عملياتها العسكرية، فإن كل المناطق و الجهات التي تحتلهـا تصـبح منطقـة محظورة يطبق فيها نظام حالة الطوارئ، و كل مكسيكي لا يقاوم الأعداء يعتبر خائنا، و يعاقب.
2- كل مكسيكي بلغ عمره من 20 إلى 60 سنة يصبح من واجبه حمل السلاح و مقاومة الغزاة، وإلا اعتبر خائنـا للوطن...
3- كل من يتعاطف مع الغزاة أو يقدم لهم عونا: طعاما كان أو سلاحا أو أية معلومات مهما كانت بسيطة يمكنهـا مساعدة الأعداء، يعتبر عندها هذا الشخص خائنا للوطن . و يعدم بموجب ذلك.
بالإضافة إلى كل هذه التعليمات هناك الجفاء و العداء الجماعي الذي أبداه السكان تجاه الجيش الغازي لبلادهم، حتى أنهم كانوا يرفضون الإجابة عن أي سؤال يطرح عليهم، من ذلك أن أحد الضباط الفرنسيين ذكر الموقـف السـلبي الذي اتخذه المواطنون المكسيكيون من الغزاة. إذ أنهم كانوا يرددون دائما العبارة نفسها عن أي سؤال يطرح عليهم و هي قولهم: "**Quien sabre senôr**" و تعني بالعربية: "من يستطيع قول ذلك يا سيدي؟..." و من الأمثلة علـى هذه الإجابات، أن رجلا سئل عما إذا كان له زوجة و أولاد؟... فأجاب على الفور: "من يسـتطيع قـول ذلـك يـا سيدي؟..."[491] و هي عبارة تشبه إلى حد بعيد ما كان الناس في بلادنا يتداولونه خلال ثورة نوفمبر: ما رأيت... ما عرفت... ما سمعت... ! يعني بالعربي الفصيح " احفظ لسانك تسلم. وهي معنى العبارة المتداولة في بلادنا أيـام المحن: احفظ الميم تحفظك".

الرماة الجزائريون
في المكسيك:

واستقرالرماة الجزائريون بعد وصولهم إلى المكسيك في مدينة سوليداد التي تبعد عن فيراكروز بمسافة تقدر بنحو مسيرة 03 أيام، و هذا خلال الفترة الممتدة من 16 إلى 23 نوفمبر 1861، لكن هذا الجيش انتقل مباشرة إلـى شيكيويت Chiquihuite للدفاع عن القوافل العسكرية المتنقلة من فيراكروز إلى أوريزابا حيث كان الرماة خـلال الفترة الممتدة من 25 ديسمبر 1861 إلى غاية 19 فيفري 1862 في صراع مريـر و مسـتمر مـع المقـاومين المكسيكيين، إما دفاعا عن القوافل العسكرية المتنقلة أو دفاعا عن الحصون و المواقع الفرنسية.
و بتاريخ 26 ديسمبر 1861 خرج الملازم محمد بن صلاح رفقة كمشة من الرماة الجزائريين كانوا فـي حراسـة حملة البريد حين اعترضت طريقهم مجموعة من المقاومين المكسيكيين بتعداد700 رجل، و كانت المعركة قويـة و طاحنة، و رغم فارق العدد إلا أن الرماة أبلوا بلاء حسنا ينم عن حنكة عسكرية عاليـة، تتماشـى مـع سـمعتهم المعهودة[492] .

ومنذ بداية الحصار الذي تعرضت له بويبلا عام 1862 عمد سكان المدينة إلى تـدعيم نظامهـا الـدفاعي و ساعد على ذلك هندسة بناء شوارعها التي كانت على شكل زاوية قائمة، وقد حصـنوها بالخنـادق و الحـواجز و المتاريس، حتى أنه صار من الصعب اختراقها على من يعرفها !...

وقد كانت الكنائس بها كثيرة بشكل ملفت للانتباه، و سطوح منازلها ملتصقة ببعضها، و أضافوا إلـى هـذا إغلاق جميع منافذها ليصبح الاتصال بينهم يتم عن طريق الممرات و السراديب تحت الأرض.
و لهذا لم يتمكن الجيش الفرنسي من اختراقها حتى دلهم أحد سكان المدينة على المدخل المؤدي إلى قبو في المصنع.
و بعد دخول الجيش الفرنسي لهذه المدينة العتيدة و المدرعة بالحواجز و الموانع كان على الجنود الفرنسيين حراسة المنازل بيتا، بيتا ؟!..[493] .

[491]- Prince Georges Bibesco: **Au Mexique, T1**. Ed: Librairie Algerienne et coloniale, Paris 1887, P. 31.
[492]- **Duruy. V** : op. cit, P. 156
[493]- **Idem** : P. 157.

وأبدى المقاومون المكسيكيون شجاعة نادرة و معرفة تامة بطرق الدفاع عن مدينتهم مثل ما أبـدى الجنـود الغزاة إصرارا وعزما على فتح المدينة و الاستيلاء عليها مهما كلفهم ذلك من ثمن رغم معرفتهم من أن هذه المدينة تعرضت لأكثر من عشرين مرة لمثل هذا الحصـار. و أهلها يملكون الخبرة التي تساعدهم في الدفاع عن مدينتهم.

و تحصن الجنرال أورتيغا في ساحة المدينة بويبلا بجيش قوامه 15 ألف جندي لكن بـ- 151 قطعة سلاح فقط، غير أن المكسيكيين كانوا عازمين على المقاومة و الانتصار على الأعداء الذين كانوا يحاصرونهم بجيش قوامه 26 ألف جندي منهم 2000 مكسيكي إضافي و معهم 56 مدفعا.

وتعرض الرماة الجزائريون كغيرهم من الفصائل العسكرية الأخرى في الجيش الفرنسي إلى خسائر معتبـرة أثناء هجماتهم على مواقع الخصوم، حيث فقدوا سبعة من القتلى و 26 جريحا من الجنود، و 05 ضباط ، و في 15 أفريل 1863 كلف الهجوم على ديرسانتا- إينوس 200 جندي قتيل من مختلف الفصائل العسكرية دون أن يتوصل الجيش الفرنسي إلى تحقيق هدفه.

وفي هذه الآونة، كان جنرال مكسيكي آخر يدعى كومونفور Comonfort قد حضر بجيش قوامه 15 ألف جنـدي لفك الحصار المضروب عن جيش الجنرال أورتيغا، لكن كل محاولاته باءت بالفشل الذريع بعد أن تصدى له قناصة إفريقيا و أجبروه على الابتعاد عن المدينة في نفس اليوم الذي حاول فيه المحاصرون فك الحصار عن أنفسهم لكـن من دون جدوى[494].

أيام قلائل بعد ذلك و بالذات يوم 05 ماي 1863 خرجت السرية السادسة من اللواء الأول لقناصـة إفريقيـا بغرض التعرف على ضواحي بويبلا و استكشاف الجديد تحت قيادة النقيب دومونتاربي De Montarby، ففوجئت بكتيبة عسكرية مكسيكية قوامها نحو ألف مقاتل جلهم من الفرسان الخيالة، و قبل أن يتمكن الجيش الفرنسي من نجدة السرية السادسة كان القناصة قد خسروا في مواجهة هذه الكتيبة المكسيكية ستة جنود قتلى و ضابطين جـريحين، "و لكنهم بالمقابل تمكنوا من إحراز نجاح بإنجازهم الرائع و المتمثل في تشتيت الكتيبة المكسيكية و أسر 30 جنديا منها و علما كبيرا مطرزا فكان بحق هذا الإنجاز العسكري شرفا ناله كل عناصر لواء قناصة إفريقيا...[495]".

ولكي ينتهي الجنرال الفرنسي فوري قائد الحملة العسكرية من هذه الوضعية المتأرجحة قرر مهاجمة الجنرال المكسيكي كومنفور، وأصدر من أجل ذلك تعليماته إلى فيلق الرماة الجزائريين و 04 سرايا مدفعية وفرقة للهندسـة العسكرية بالتجمع في جسر مكسيكو مع كتيبة من فيالق فرق المشاة التي كانت تحت قيادة الجنرال نييغرا **Neigra** وأعطيت القيادة العامة إلى الجنرال بازين **Bazaine** الذي وصله الأمر بالتحرك من معسكره ليلا علـى السـاعة الواحدة من يوم 08 ماي 1863 والتوجه عبر طريق مكيسكو بهدوء نحو مشارف سان- لورانزو وهناك ينحـرف يمينا ليصل مع بداية النهار إلى المواقع التي يجب احتلالها.

وفوجئ المكسيكيون بهذا الهجوم الكاسح، وفتحوا نيران مدافعهم من على بعد 1200م لترد عليهم المدفعيـة الفرنسية بأكثر حدة، وتقدم الرماة الجزائريون ومن ورائهم بقية الفصائل الأخرى... و ما هي إلا دقائق معـدودات حتى مالت الكفة لصالح الجيش الفرنسي، و تشتت الجيش المكسيكي تاركا وراءه 08 قطع مدفعية منها 06 محطمـة و 03 أعلام و 11 راية ونحو 1000 أسير، و ما لا يقل عن 900 قتيل و جريح...

ومما جاء في تقرير الجنرال نييغرا ما يلي :" الرماة الجزائريون انتزعوا 02 علمين و05 رايات من الجيش المكسيكي، وأما المجند الرامي أحمد بن ميوب التابع إلى اللواء الثالث للرماة الجزائريين فقد افتك من المكسـيكيين علما، وبفضل إنجازه هذا، تحصل على وسام الشرف[496].

ولم تكد تنقضي سوى تسعة أيام عن معركة سان لورانزو حتى سقط الجنرال المكسيكي أورتيغا في الأسـر بعد أن تمكن الجيش الفرنسي من الاستيلاء على بويبلا في 17 ماي 1863، ومكن إلقاء القبض على هذا الجنـرال

---

[494]- **Duruy V**:. P. 155.
[495]- **Huré. R** : op. cit, P. 122.
[496]- **Duruy. V**: op. cit, p. 155.

من وقوع 25 جنرالا و1482 ضابطا و 11 ألف جندي في الأسر، وحصول الفرنسيين على 150 قطعـة مـدفع، لتدخل بعد هذا الإنجاز العسكري ألوية الجيش الفرنسي التي كانت تحت قيادة الجنرال بازين مدينة مكسيكو العاصمة في 07 جوان 1863 متوجين بأكاليل الغار بعدما تحقق لهم هذا الانتصار الباهر.

لكن السرايا المكسيكية الخفيفة الحركة كثفت من نشاطاتها بحجة الدفاع عن حرية البلاد واستقلالها، ولذلك لم يبق من عناصر الفيلق الجزائري للرماة بعد هذه المعارك الدامية التي أبدى فيها المجندون الجزائريون ضروبا مـن الشجاعة والبطولة، وكانوا دروعا واقية لعناصر الجيش الفرنسي من هجمات وضـربات المقـاومين المكسـيكيين المصرين على الاستماتة في الدفاع عن بلادهم، وبذلك لم يبق من الرماة الجزائريين أحياء بعد التصـدي للهجمـات المكثفة للمكسيكيين سوى **30** ضابطا و**464** جنديا من مجموع كان يتجـاوز تعـداد **700** جنـدي، وهـذا حسـب إحصائيات 28 ماي 1863.[497]

وارتأى الفرنسيون بأنه لا بد من تأسيس حكومة موالية لهم من المحـافظين الـذين اقترحـوا مكسـيميليان النمساوي ليكون إمبراطورا على المكسيك، وتم ذلك بالفعل. لكن ما مصير حكومة ترتكز على قوة خارجية غازية ؟ ليس لها من الصلابة والتغلغل في أوساط الجماهير الشعبية ما يمكنها من الصمود فـي وجـه المقاومـة الشـعبية وصرامة الرئيس جواريس الذي كان يرمز في نظر المكسيكيين إلى الاستقلال الوطني وحرية البلاد والعباد، ويعتمد في حربه مع الأعداء " على دعم جارته الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تمده بالعتاد الحربي المتفوق مقارنة بالسلاح الفرنسي. وانطلقت حرب العصابات وراحت تنتشر في جميع أرجاء البلاد"[498].

وغدا الصراع مريرا بين قوات الجيش الفرنسي ضد سرايا المقاومين المكسيكيين التي كانت تهاجم مواقـع الغزاة حيثما وجدت في المدن أو القرى، بعد انهزام جيشي الجنرالين أورتيغا و كومونفور وعمد الفرنسـيون إلـى التعاون مع العناصر الوطنية المحافظة من أتباع الإمبراطور مكسيميليان حتى خيل إلـيهم أنهـم بـدؤوا يخطـون خطوات ناجحة في طريق تحقيق الغاية المرجوة من فرض نظام الإمبراطور الموالي لهم علـى حسـاب الـرئيس جواريس الذي يحاربه الفرنسيون، ولكن الحقيقة كانت على العكس من ذلك تماما، لأن الحزب الذي كان يحكم البلاد قبل الغزو الأجنبي حتى وإن كان قد خسر الحرب إلا أنه بقي متماسكا، ومن دون انقسامات في صفوفه على عكس العناصر الموالية للإمبراطورالذي كانت العناصر الموالية له تدب في أوساطهم الانقسامات بمجرد تنصيبهم سـلطة في المدينة أو الإقليم وانسحاب الجيش الفرنسي من المنطقة، وبذلك تضيع الهيمنة والهيبة الفرنسية، و لايبقى عنـد ذاك بين أيدي الفرنسيين سوى المساحات التي كانوا يقيمون بها أو كانوا ما يزالون عليها مسيطرين.[499]

في خلال هذه الفترة كان الجنرال فوري قد التحق بفرنسا بعد أن تمت ترقيته إلى رتبة ماريشـال ، وخلفـه على قيادة الجيش الغازي للمكسيك الجنرال بازين الذي أسس طوابير عسكرية خفيفة كانت تجوب مختلـف أرجـاء البلاد لتضييق الخناق على المقاومين من أتباع الرئيس.

وبالفعل ففي نهاية عام 1863 وإلى غاية فيفري 1864 توغلت القوات الفرنسية حتى كوادا لاخارا وشـواطئ المحيط الهادي، وأسس الجنرال بازين كذلك طابورا لمراقبة حدود التكساس باتجاه متاماروس للحد من تزويد الثوار المكسيكيين بالسلاح من الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تم له تحقيق ذلك الهدف بعد أن استمال إلى صـفه 3000 مكسيكي إلى جانب ما كان يملك بين يديه من عساكر بتعداد 580 جنديا فرنسيا بما فيهم الرماة الجزائريـون و 80 جنديا من الأهالي المكسيكيين.

غير أن هذه الإجراءات لم تؤثر في عزم الرئيس جواريس المؤزر بالسكان الوطنيين المكسيكيين والمدعم بمـؤازرة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث واصل نشاطاته في مختلف أرجاء البلاد حتى تم له النصر.[500]

[497]- Capitaine Niox: **Expédition du Mexique,** T. 1 Ed: Collection Georges Barba, Paris 1874. p.377.
[498]- **Huré. R**: op. cit, P. 122.
[499]- Général De Barail: **Mes Souvenirs, T. 3** Ed: Fermin, Paris 1874 p.495.
[500]-**Huré. R**: op. cit, P. 122.

ولكي يتمكن الفرنسيون من القضاء على سرايا المقاومين وفرض الهيمنة الفرنسية على البلاد قـرر القـادة العسكريون في جانفي 1864 إعطاء تنظيم مختلط لفيلق الرماة الجزائريين بحيث يعمل ثمانون راميا مـنهم علـى تدريب فوج من الخيالة في كل كتيبة من كتائب الجيش الفرنسي، وفي شهر أفريل عام 1864 جمعت هذه الأفـواج Sections في إطار الكتيبتين الثالثة والرابعة اللتين كانتا تتشكلان من الفرسان الخيالة.

وجاءت نتائج هذه العملية مرضية ومشجعة في مستوى الآمال التي كانـت منتظـرة مـن أولئـك الرمـاة الجزائريين. وهكذا ففي 23 أفريل 1864 خرج 60 راميا من الفرسان وهاجموا سرية من المقـاومين المكسـيكيين بتعداد 100 جندي بالقرب من مدينة كواد لاخار وتمكنوا من تشتيتهم وقتل ما يربو عن ربع عددهم.

و خلال يومي 26 و 27 أفريل خاضوا حملاتهم العسكرية ضد الفرق الثورية المكسيكية بكل نجاح تام... أما في 6 جوان 1864 فقد تحرك فيلق الرماة الجزائريين تحت قيادة النقيب بيزار Besard نحو مدينة بويبل- نوفـا حيـث تمكنوا من قتل 50 رجلا من المقاومين وافتكوا منهم 04 قطع حربية، و لم يخسر الرماة يومها سوى أربعة جرحى كان أحدهم تابعا إلى اللواء الأول.

وبعد هذه المعارك الناجحة تمكنوا من الاستيلاء على مدينة أكابولكو يوم 08 جوان، حيث وجدوا بها ثلاثـين مدفعا، كان أتباع الرئيس جواريس قد تخلوا عنها عند فرارهم من وجه الرماة.[501]

وبعد أن احتل الرماة الجزائريون مدينة أكابولكو نزلت فرقة المشاة البحرية في ميناء مـزاتلان يـوم 10 نـوفمبر وتمكنوا رفقة الرماة من السيطرة على المدينة من دون قتال بعد انسحاب 700 جندي مكسيكي من وجه الغزاة على إثر القصف المدفعي المكثف الذي تعرضت له المدينة من المدفعية الفرنسية.

وبعد شهر واحد من الاستيلاء على المدينة تعرض الرماة الجزائريون الذين كانوا يشكلون حامية مزاتلان إلى هجوم عنيف من طرف الموالين للرئيس جواريس، لكن الرماة وكعادتهم دائما تمكنوا من المقاومة بشجاعة وكفـاءة عالية، ولم يصب منهم سوى جندي واحد بجروح، كما أنهم حافظوا على مواقعهم، ولم يمكنوا المقاومين المكسيكيين من نيل هدفهم.[502]

وغادر الرماة الجزائريون مزاتلان في شهر فيفري 1865 ليلتحقوا بـ غواد لاخارا ، و لمدة ستة أشهر كاملة كان الرماة خلالها يطاردون الثوار في معاقلهم وفي كل الجهات التي يمكن أن يصلوا إليها. و تارة تراهم يتصـدون لهجمات هذه السرايا التي لم يكن ليهدأ لها بال حتى تنقض على الغزاة في كل مكان يوجدون به.

و في 27 فيفري 1865 عسكر الرماة الجزائريون في مكسيكو، و بذلك وصلت إمبراطورية مكسيميليان إلى قمـة أوجها بسبب الضربات الموجعة التي تلقتها كتائب جواريس على يد الرماة الجزائريين.

غير أن هذه القمة والشموخ لم يدم طويلا بسبب اعتماد الإمبراطور على الأحرار من أتباع خصـمه دون الاعتمـاد على المحافظين الذين كان لهم الفضل في تتويجه، فاتحا بذلك آمال الوطنيين التي كادت أن تموت، و بسبب ذلك فإنه و منذ الأشهر الأولى لسنة 1866 اشتدت وطأة الثوار المقاومين في كل مكان بالمكسيك.[503]

ورغم كل ذلك فقد تمكن الرماة الجزائريون من تشتيت أتباع جواريس الذين بلغ تعدادهم هذه المـرة 8000 جندي... وفي كل مرة كان المقاومون المكسيكيون يتمكنون من إعـادة تنظـيم صـفوفهم إلا كـان لهـم الرمـاة الجزائريون بالمرصاد لإعادتهم إلى نقطة الصفر.

وبعد أن استقرت الأحوال في البلاد و عاد الهدوء من جديد عاد الرماة إلى مكسـيكو فـي 11 مـاي 1866 تاركين وراءهم حامية من المكسيكيين في مدينة زيتاكوارو بعد أن حصنوهم بالخنادق و الحواجز، لكـن عناصـر الحامية لم يصمدوا أمام هجمات أتباع جواريس الذين حطموا القلاع و طردوا عناصرها. فاضـطر فيلـق الرمـاة

501- **Duruy. V**: op. cit, p. 157.
502- **Duruy. V**: op. cit, p. 158.
503- Dominique Vallaud: **Dictionnaire Historique,** Ed: Fayad, Paris 1995, p. 629.

الجزائريين إلى العودة على عقبيه بعد مسيرة يومين بغرض طرد المقاومين وإعـادة تنصـيب عناصـر الحاميـة المكسيكية من جديد وكان ذلك في 13 ماي 1866.[504]

وأخيرا عاد الرماة الجزائريون إلى مكسـيكو التي وصلوها في 19 جويلية 1866 لا لكي يستريحوا من عناء حرب العصابات، و لكن ليدخلوا مرحلة جديدة من مراحل الأتعـاب و الإجهاد و الأمراض الفتاكة فـي الأراضـي المكسيكية الحارة، لأن القيادة العسكرية العامة عينت في 13 أوت 1866 الكتيبتين الثالثة و الخامسة للرماة لكي تقوم بعملياتها الحربية في كوردوفا **Cordova** والكتيبة الأولى في كامرون **Camron** و بازو ديلماشـو **Paso del Macho** و أما الكتيبتين الرابعة و السادسة فقد تم إلحاقهما بـ صوليداد **«Soledad»** .

وكانت خسائر الرماة الجزائريين في هذه الأراضي الساخنة، بسبب الأمراض والحمى الصفراء كبيـرة، لأن الفصل السيئ في هذه الأراضي هو ما بين شهر جوان و 22 أكتوبر، فالحرارة و الأمطار تحملان معهمـا دائمـا مختلف الأمراض بالإضافة الى الحمى الصفراء.

ففي خلال الفترة الممتدة من أوت 1866 و إلى غاية 1867 خسر الرماة الجزائريون من الأموات: ضابطين اثنين و من الجنود 110 أفراد، و لم ينج من هذه الكوارث الطبيعية سوى المجندين من ذوي البشرة السوداء، حيث كانت لهم مناعة عجيبة ضد هذه الأمراض الفتاكة، في حين أن خسائر الرماة بسبب المعارك الضارية مع سـرايا المقاومـة المكسيكية لم تكن ذات بال بحيث إنه لم يقتل من أولئك الرماة سوى اثنين و لم يصب منهم بجـروح سـوى اثنـين فقط.[505]

وكانت وضعية الجيش الفرنسي في هذه الأجواء سيئة جدا خاصة بالنسبة للفصائل الجزائريـة التـي كانـت القيادة العسكرية تدفع بهم إلى المناطق الحارة الملتهبة بغرض فرض النظام أو تحرير الحاميات المحاصـرة. أمـا السياسة الفرنسية فقد كانت تتعرض باستمرار لعدوانية الولايات المتحدة الأمريكية الرافضة لما كـان يجـري فـي المكسيك، كما أن الملاحظين تعبوا من رؤية سقوط الضحايا من جنود الجيش الفرنسي وضياع الأموال فـي بـلاد كانت النتائج المحققة بها ضعيفة لا تسمو لمستوى الأمال المعلقـة عليهـا، والمقـاومون المكسـيكيون المـدعمون بالمواطنين الحريصين على استقلال بلادهم وتحريرها من السيطرة الأجنبية، لم يتوقفـوا عـن تسـديد ضـرباتهم الموجعة لكتائب الجيش الفرنسي في كل مكان بالأراضي المكسيكية.

وكنتيجة حتمية لكل المعطياتالسالفة الذكر قرر الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث سحب القوات الفرنسية مـن الأراضي المكسيكية، وهو ما حدث فعلا خلال عامي 1866/1867، تاركين وراءهم الإمبراطور مكسيميليان وحيدا يجابه مصيره المحتوم أمام أتباع خصمه العنيد جواريس الذين ألقوا القبض على الإمبراطور المهزوم و نفذوا فيـه حكم الإعدام بتاريخ 18 جوان 1867. و بذلك كانت حملة المكسيك صدمة عنيفة لفرنسا و فشلا ذريعا لسياستها بعد أن تركت وراءها سبعة ألاف قتيل و خسارة مبالغ مالية ضائعة قدرت بنحو 300 مليون فرنك......

عودة الرماة الجزائريين

إلى أرض الوطن :

وتلقى الرماة الجزائريون الأمر بالانسحاب من الأراضي المكسيكية كغيرهم من فصائل الجيش الفرنسـي، و كان ذلك في جانفي 1867، و قبل أن يغادروا هذه الأراضي التي شهدت أعنف معاركهم و أشـهى انتصـاراتهم و أصعب مراحل حياتهم العسكرية في مواجهة المقاومين و الأمراض الفتاكة، توجه إليهم القائد العام للحملة العسكرية الماريشال بازين **Bazaine**[506] بخطاب ضمنه إعجابه بإنجازاتهم الحربية و بطولاتهم في سـاحة المعـارك التـي

[504] - **Duruy. V**: op. cit, p. 159.
[505] - **Lespes. R**: op. cit, p. 30.
[506] - **آشيل بازين** ماريشال فرنسي ولد في فرساي (1811- 1888) كان قائدا عاما لقوات الجيش الفرنسي الغازي للمكسيك.
وضع على رأس جيس اللورين عام 1870 و حوصر في ميتز **Metz** حيث استسلم

خاضوها بكل جلد و صبر خدمة للعلم الفرنسي في هذه البلاد النائية ذات الأجواء الطبيعية القاتلة و المليئة بالأوبئـة الفتاكة.وقد حياهم بكل حرارة عن كل ما قدموه من خدمات و تضحيات لا يسع المرء إلا أن يقر بها معترفا بما قدمه الرماة الجزائريون من جهد و تضحيات فاقت كل ما قدمته أية فصيلة أخرى في الجيش الفرنسي، لأنه حيثما كانـت المعارك عنيفة، و حيثما كان لزاما على الجيش الفرنسي مطاردة الأعداء الذين كانوا يهاجمون القوات الفرنسية ثـم يختفون كالأشباح، كان الرماة الجزائريون هم الذين يتعقبونهم أينما حلوا أو هربوا... و عنـدما اضـطرت القيـادة العسكرية إلى التوغل في الأراضي الساخنة و مجابهة المناخ الاستوائي الفتاك، كانت عناصر الرماة الجزائريين في الموعد...

وبهذا يمكن القول بأن الرماة الجزائريين حافظوا على مجد و شرف الإمبراطورية الفرنسية لأنهم لم ينفكوا يبرهنون عن عظيم شجاعتهم و جبروتهم أمام الأعداء بنفس الأسلوب الذي عرفوا به خلال الحروب السابقة (القرم-إيطاليا) و كانوا دائما أكثر شجاعة وبطولة أمام الموت ، و إنكارا للذات مما جعلهم بحق يستحقون هذه السمعة و هذا الصـيت الطيب الأثر ضمن مختلف الفصائل العسكرية.[507]

وعاد الرماة إلى الجزائر بعد أن تم تقسيمهم إلى ثلاثة أفواج: كل فوج منهم كان يضم العناصر التابعة لأحـد الألوية الثلاثة بالجزائر... و كذلك عاد الفوج التابع إلى اللواء الأول في 26 فيفري 1867 ليحط الرحال في مينـاء الجزائر العاصمة بتاريخ 07 أفريل 1867 بعد غياب عن الوطن دام خمس سنوات. و قبل الانتهاء من الحديث عن هذه الحملة العسكرية التي أقحم فيها المجندون الجزائريون بمختلف فصائلهم و قد أبلوا فيهـا الـبلاء الـذي كـان الفرنسيون يطلبونه منهم ، و كانوا في مستوى السمعة التي اكتسبوها خلال الحروب السابقة وكان. "لابـد إذن مـن الإشارة إلى أنه بالرغم من الانتصارات المشرقة التي حققها أولئك الرماة الجزائريون بفضل كفـاءتهم الحربيـة وصبرهم العنيد و تضحياتهم الكبيرة، و تفانيهم في خدمة الجيش الفرنسي و سمعة الإمبراطورية الفرنسـية، إلا أنهم خسروا الحرب نتيجة حسابات سياسية و ترتيبات استراتيجية و ضغوط دولية أجهضت هذه الانتصارات فـي ســاحات المعــارك التــي خاضــوها بكــل شــجاعة و شــرف و إقــدام[508].

للقوات الألمانية. في سنة 1873 حكم عليه بالإعدام لكنه فر هاربا إلى اسبانيا... حيث مات في مدريد.

[507] - **Duruy. V** : op. cit, p. 160.
[508] - **Lespes. R** : op. cit, p. 31.

6- الحرب الفرنسية الألمانية 1870-1871:

بعد الحرب القاسية التي خاضتها الجيوش الفرنسية في المكسيك و التي أثقلت كاهل الدولة من حيث الجانب المادي و البشري و قبل أن تسترجع قواها على الوجه الأكمل، و جدت فرنسا نفسها وحيدة في مواجهة تحرشات بروسيا منذ 1867، و في نهاية الأمر كانت مجبرة على الدخول في حرب كانت كل الدلائل توحي بعدم قدرة الجيش الفرنسي على المواجهة رغم أنه كان ذا سمعة حربية و صيت عسكري مهيب في أوروبا. و مع ذلك فقد كان يفتقر إلى قيادة حازمة و سلاح حديث و مؤن ومواصلات سريعة.

وقبل أن يكمل الفرنسيون استعداداتهم و تعبئة جيوشهم، زحفت الجيوش البروسية نحو الأراضي الفرنسية ناقلة بذلك ميدان المعركة الحاسمة إلى الأراضي الفرنسية، و بعد يومين فقط من عبور البروسيين الحدود الفرنسية تمكنوا من تحقيق انتصارين كبيرين في 1870/08/06 أحدهما في الألزاس و الثاني في اللورين.[509] فكيف كان ذلك ؟........

الخريطة التي توضح مسرح المعارك الفرنسية الألمانيةخلال حرب 1870-1871*

*- Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation.

ومباشرة بعد أن اعلنت بروسيا الحرب على فرنسا تلقى اللواء الأول للرماة الجزائريين الأمر بتشكيل ثلاثة فيالق حربية لمواجهة الوضع في جبهات القتال، في حين أن الفيلق الثاني الذي كان في حامية باريس منذ 04 جوان 1870 صدرت إليه الأوامر بالتحرك نحو هاغنو Haguenau التي وصل إلى ضواحيها في 29 جوان 1870

509 - Commandant de Chalus: **Guerre Franco-allemande 1870-1871, Ed: Imprimerie Militaire, Besançon 1882. pp.16 et les suivantes.**

ملتحقا بالفيلقين الثالث و الرابع ، و نزل الجميع إلى مرسيليا في حدود 19-23 جويلية و منها زحف الجميع نحـو برومات في 24 جويلية، مشكلين بذلك اللواء الذي صار يضم في حدود 1870/07/31 ما تعداده نحو 2215 جنديا و 97 ضابطا.

وعندما وصل الجميع إلى جبهة القتال خرج الناس لاستقبالهم في الألزاس متطلعين إلى رؤية أولئك المجندين الجزائريين و قد علت وجوههم سمرة فيها بهاء و صرامة و إباء، و قد رددت النسوة عبارة مفادها: يا إلهي!... ما أعجب هؤلاء العفاريت؟. تعبيرا منهن عن إعجابهن بالمجندين الجزائريين الذين أطبقت شهرتهم الآفاق منذ حـرب القرم.[510]

أما اللواء الأول للرماة الجزائريين فهو مثل بقية فرق مشاة الأسلاك الإفريقية الأخرى فقد كان يمثل جـزءا من السلك الأول لجيش الراين Rhin الذي تم إدماجه في القسم الثاني تحت قيادة الجنرال آبل دوي Abel Douay و هذا القسم العسكري لم يكن يضم في صفوفه أية فرقة للخيالة، و تعداده الإجمالي كان على الشكل الآتي:
13 فيلقا و 03 فرق مدفعية و كتيبة واحدة للهندسة العسكرية، غير أنه ابتداء من 29 جويلية تم إلحاق 16 فيلقا مـن القناصة بـ- سالتز Seltz و الفيلق 50 ألحق بالقسم الثاني ابتداء من 03 أوت 1870، و أما الفيلق 78 فقد التحـق بـ- كلمباخ Climbach بهدف تعويض الفيلق 96 من القسم الأول، لأن القيادة العسكرية آنذاك كانت ترى أنه مـن الأفضل في حالة وقوع معركة في ويسمبورغ **Wissembourg** لا يشارك الجيش الفرنسي بصفة عمليـة سـوى بستة آلاف جندي فقط منهم 4800 جندي من فرق المشاة.[511]

وعند وصول الجنرال دوي إلى هاغنو على الساعة التاسعة مساء يوم 02 أوت أي قبل أن تعلـن بروسـيا الحرب على فرنسا بيومين وصلت إلى الجنرال برقية بعثها له رئيس دائرة ويسمبورغ يخطره فيها بوجود الأعـداء بضواحي المدينة، و حول الجنرال بدوره تلك البرقية إلى مدينة ستراسبورغ حيث يقيم الماريشال ماكمـاهون قائـد السلك الثاني الذي رد على مراسلة الجنرال بالأمر التالي:
" بعد الأخبار و المعلومات التي أفدتمونا بها. نأمركم بالتحرك غدا في الصباح الباكر بجميع فيالق القسم للالتحاق بمدينة ويسمبورغ، في حين أن الفرقة الثالثة للخيالة و كذلك السرية **11** من قناصة العقيد هاغنو الذين كان عليهم التوجه نحو سالتز. ثم إن فرقة سولتز العسكرية ستلتحق بكم في **04** أوت و أما الجنرال دوكـرو الـذي سـينقل جزءا من قسمه إلى لامباخ فسوف يلتحق بكم في الطريق، و سوف يوضح لكم كيف تلتحقون بالقسم الأول ".[512]

وصل الجنرال دروي بعساكره إلى مدينة ويسمبورغ بعد أن قطع 31 كلم توقف خلالها لمدة أربع ساعات في مدينة سالتز حيث ترك الفرقة الثالثة للخيالة و كذلك السرية 11 من القناصة طبقا لتعليمات الماريشال ماكماهون، و واصل مسيرته حيث تمركز مع بقية جيوش القسم الأول في القمم الشمالية الشرقية غيسيبرغ Geisseberg في حين أن المعلومات المتداولة آنذاك كانت دائما هي نفسها: البروسيون يحتلون كل المنطقة القريبة منهم.[513]

في هذا الوقت بالذات كان الفيلق 74 يقاوم بشجاعة في ستراسبورغ حيث تلقى الرماة الجزائريـون الأمـر بالنزول ليلا إلى الوادي مع فرقة المدفعية التي كانت تحت قيادة ديديي الذي تمركز في منطقة بين ستراسـبورغ و محطة القطار و قبل أن يطلقوا نيران أسلحتهم، انطلقت مدفعية البروسيين تلقي بقنابلها على الجيوش المتحركـة، و أسرع الرماة الجزائريون خلف الجياد يبغون الابتعاد عن الأضواء ، و القذائف المدفعية تنفجـر هنـا و هنـاك، و تلاحقت عناصر الفيالق الثلاثة لتختفي وراء الأشجار و قذائف العدو ما تزال متساقطة على الجنود الفرنسيين فـي مختلف الجهات مخلفة وراءها أشلاء القتلى و الجرحى... و كل هذا السـيل مـن القـذائف المتفجـرة و الرمـاة الجزائريون لا يطلقون أية رصاصة في اتجاه الأعداء... و في الصباح الباكر ومن بين أشجار الكروم بـدأ الرمـاة

---

[510] - **Duruy. V:** op. cit, p.31.
[511] - **Commandant de Chalus**: op. cit, p.31.
[512] - **Duruy. V:** op. cit, p.167.
[513] - **Idem:** p.168.

الجزائريون يطلقون النار و لكن بشكل سيء لمدة ثلاث ساعات بسبب عدم تمكنهم من الوصول إلى خصومهم الذين كانوا يمطرونهم بوابل من القذائف، و مع ذلك لم يتمكن الألمان من قتل أو جرح أكثر من 50 جنديا من كتيبة تعدادها 120 رجلا... ففي عدة مناسبات كان الرماة الجزائريون الشجعان يسعون إلى اختطاف هذه المدافع التي كانت منصوبة نحوهم ، غير أن محاولاتهم كانت تتحطم قبل الوصول إلى الهدف بسبب القصف المكثف مما جعل من بقي منهم حيا يتراجع على عقبيه مرغما.[514]

لم يكن تفوق المدفعية الألمانية مفاجئا للفرنسيين،لأنه كان منتظرا ، و قد بدا ذلك واضحا منذ المعركة الأولى. فقد كان العقيد ستوفل Stoffel المستشار العسكري في سفارة فرنسا ببرلين قد أشار و نبه إلى هذه النقطة بالذات منذ عامين قبل بدء العمليات العسكرية، و ذلك في تقرير عسكري[515] قال فيه: " على الفرنسيين أن يأخذوا حذرهم في حالة اندلاع حرب بينهم و بين ألمانيا... لأن سلاح المدفعية البروسية أحسن بل و أكثر تفوقا من الأسلحة الفرنسية".[516]

وبالرغم من صعوبة الوضع و تفوق السلاح الألماني بشكل ملفت للانتباه إلا أن الرماة الجزائريين قاوموا بشجاعة و من دون أمل في النصر أمام الفرقة 17 البروسية التي راحت آلتها العسكرية تحصد أرواح أولئك المجندين الجزائريين خاصة أولئك الذين بقوا وراء الأشجار يحمون رفقاءهم المنسحبين، فالجرحى من المجندين الجزائريين حاولوا الالتحاق بالمنازل و لا سند لهم سوى الجدران فبعضهم نقل و أكثرهم قضى نحبه من دون إسعاف... إذ أنه لم يكن قد مضى أكثر من نصف ساعة عن بداية الهجوم حتى كان نصف الكتيبة قد قتل أو جرح وعند هذا الحد أعطيت الأوامر للجميع بالانسحاب من ميدان المعركة بعد أن استهلك الجميع ما كان معه من ذخيرة حربية.

و بعث قائد المدفعية ديديي برقية إلى الجنرال فيليكس دوي يقول له فيها: " لقد هاجمونا في مواقعنا صباح يوم **1970/08/07** بقوات متفوقة جدا... لقد خسرنا المعركة... و كانت خسائرنا كبيرة ".[517]

فاللواء الأول للرماة الجزائريين فقد 8 ضباط قتلى و 12 ضابطا جريحا و أكثر من 700 جندي بين قتيل و جريح... و حسب شهود عيان حضروا المعركة قالوا مؤكدين: بأن الرماة الجزائريين قتل منهم في هذه الواقعة أكثر من النصف، و جاء في تقرير أعده الكولونيل موراندي Morandy عشية المعركة ليقدمه إلى الماريشال ماكماهون قال فيه: " أكثر من نصف الرماة الجزائريين الحاضرين في المعركة قتل أو جرح، يعني أكثر من **800** جندي من الرماة " و عشية يوم 24 أوت كان السلك الأول لا يضم أكثر من 932 ضابطا و 26.601 جنديا و 2.858 حصانا... مما يعني أن هذا السلك قد خسر منذ دخوله معركة ويسمبورغ منذ يومين: 693 ضابطا و 12.930 جنديا و 5.187 حصانا، تلكم هي حصيلة يومين من المعارك الطاحنة.[518]

ومنذ بداية المعارك وضعت فيالق الرماة الجزائريين في مقدمة الجيش حيث أبدوا شجاعة نادرة في معارك دامية حفظها لهم التاريخ العسكري و منها معركة ويسمبورغ التي تلقت فيها القوات الفرنسية هزيمة نكراء بتاريخ 1870/08/04 دفع ثمنها المجندون الجزائريون غاليا حيث لوحظ شبه إبادة كلية لكتائب و فيالق الرماة الجزائريين الذين بعد أن تشتت صفوفهم في معارك دامية لا يتحملون فيها عبء الهزيمة، التحقوا كمجموعات بمعسكر جيش لالوار La Loire ثم بجيش الناحية الشرقية الذي كان ضعيفا هو الآخر، و تعرض الجميع إلى التدمير الكلي من قبل جيشين للأعداء قاموا بمحاصرة هؤلاء المثخنين بالجراح، و الذين لم يجدوا مكانا يلتجئون إليه سوى الأراضي السويسرية هذا البلد المحايد الذي استقبلهم.[519]

---

[514] - Albert Duruy: **Etudes d'histoire militaire,** Ed: Hachette, Paris 1888. p.225.

[515] - أنجز العقيد ستوفل هذا التقرير العسكري في برلين بتاريخ 1868/04/25.

[516] - Colonel Stoffel: **Rapport militaire,** Ed: Librairie militaire, Paris 1871. p.107.

[517] - **Duruy. V:** op. cit, p.182.

[518] -Id

[519] - **Lespes. R:** op. cit, p.32.

فخلال ستة أشهر من المعارك الطاحنة لم يعرف الرماة الجزائريون و كل المجندين الجزائريين بمختلف فصائلهم أي تقاعس أو تخاذل، و بقيت معنوياتهم في ارتفاع مستمر، رغم تفوق السلاح الألماني إلا أن المجنـدين الجزائـريين كانوا يهاجمون أعداءهم بكل روح قتالية دون مبالاة بمن كان يسقط منهم تحت نيران الأعداء، أولئك الأعداء الـذين لم يتمكن الرماة الجزائريون من الوصول إليهم بالسلاح الأبيض كما كانوا متعودين علـى ذلـك خـلال حـروبهم السابقة.[520]

ومما يذكره تاريخ هذه الحرب عن الرماة الجزائريين أنهم أثناء تراجعهم إلى الخلف تحت إلحاح ضباطهم و قادتهم تمكنوا من قطع مسافة 97 كلم كانت تفصل بين ميدان المعركة ويسمبورغ و مدينة ساريبورغ Sarrebourg خلال أربعة أيام فقط بالرغم من أن الظروف كانت قاسية جدا.

ورغم من هذه الهزيمة النكراء التي منيت بها الجيوش الفرنسية في هذه الحرب التي أجبرت الإمبراطورية الفرنسية على الاستسلام في 28 جانفي 1871، إلا أن الضباط و القادة العسكريين الفرنسيين الذين أشرفوا على قيادة و تأطير المجندين الجزائريين لا يقرون و لا يعترفون مطلقا بهزيمة هذه الكتائب العسكرية المشكلة من الجزائريين التي لـم يكن لها أي ذنب في الهزيمة القاسية.[521]

ومن أجل ما سبق نقول: بأن هذه الحرب التي خاضتها الجيوش الفرنسية ضد ألمانيا كانت بالفعـل مفاجـأة مؤلمة للرماة الجزائريين الذين وجدوا أنفسهم تحت رحمة نيران عدو يقصفهم من بعيد بمدافع بعيدة المدى و يقاتلهم بأسلحة متطورة مقارنة بالأسلحة الفرنسية.

مما جعل الجنود الألمان بالنسبة للمجندين الجزائريين كالأشباح الذين لا يمكن الوصول إليهم...! بسبب اسـتعمالهم لمدافع تقضي على الجيوش المعادية و هم بعيدون عن متناول أيديهم، و المجندون الجزائريون لم يتعودوا على هـذا النمط من المعارك خلال حروبهم السابقة سواء في القرم أو في إيطاليا أو فـي المكسـيك و لهـذا وجـد الرمـاة الجزائريون أنفسهم مذعنين للأمر الواقع أمام عجزهم عن تحقيق الانتصار، لقد ماتوا كما يموت كل الشـرفاء فـي ساحات المعارك، و لكنهم عرفوا كيف يموتون بعز و شرف و بقي مجدهم محفوظا و سمعتهم الحربية و قيمـتهم العسكرية بقيت عالية سامية فوق كل الشبهات باعتراف الجميع، رغم الكارثة الأليمـة التـي نزلـت بـالجيوش الفرنسية في هذه الحرب.[522]

ولذلك فإنه مباشرة بعد أن استعادت فرنسا مكانتها السياسية و وزنها العسكري سارعت في العمل على إعادة تكوين و تنظيم جيوشها، و كانت بطبيعة الحال الفرق الأولى من المجندين الجزائـريين: الصـباحية و القناصـة و الرماة يحتلون المكانة المرموقة في الجيش الفرنسي المعد للتوسع الاستعماري عبر مختلف القارات.[523]

[520] - **Lespes. R:** op. cit, pp.32-33.
[521] - Id
[522] - **Duruy. V:** op. cit, p.63.
[523] - **Lespes. R:** op. cit, p.33.

-7- حملة مدغشقر 1898/1895:

تقع جزيرة مدغشقر في أقصى الجنوب الشرقي لقارة إفريقيا التي يفصلها عنها مضيق الموزمبيـق و تبلـغ مساحتها 573 كلم²، عاصمتها تاناناريف و أهم مدنها : ماجونغا، طماطاف، أنتسيرابي.

و هذه الجزيرة عبارة عن هضبة صخرية كبيرة بها سهول ضيقة هي التي تشكل سواحلها، و أطول هذه السهول تقع بالساحل الشرقي، أما مناخها فمتقلب يصيب وافديه بالأوبئة الفتاكة، و شواطئها الشرقية ساخنة رطبة تغطيها غابات كثيفة.

أما الشمال الغربي من الجزيرة فيمتاز بفصلين متناقضين: أحدهما ماطر و الآخر جاف، و الهضاب العليا لجزيـرة مدغشقر مناخها معتدل وصحي، لكن هذه الهضاب يغطي قسما كبيرا منها صخور مجدبة عقيمة.[524]

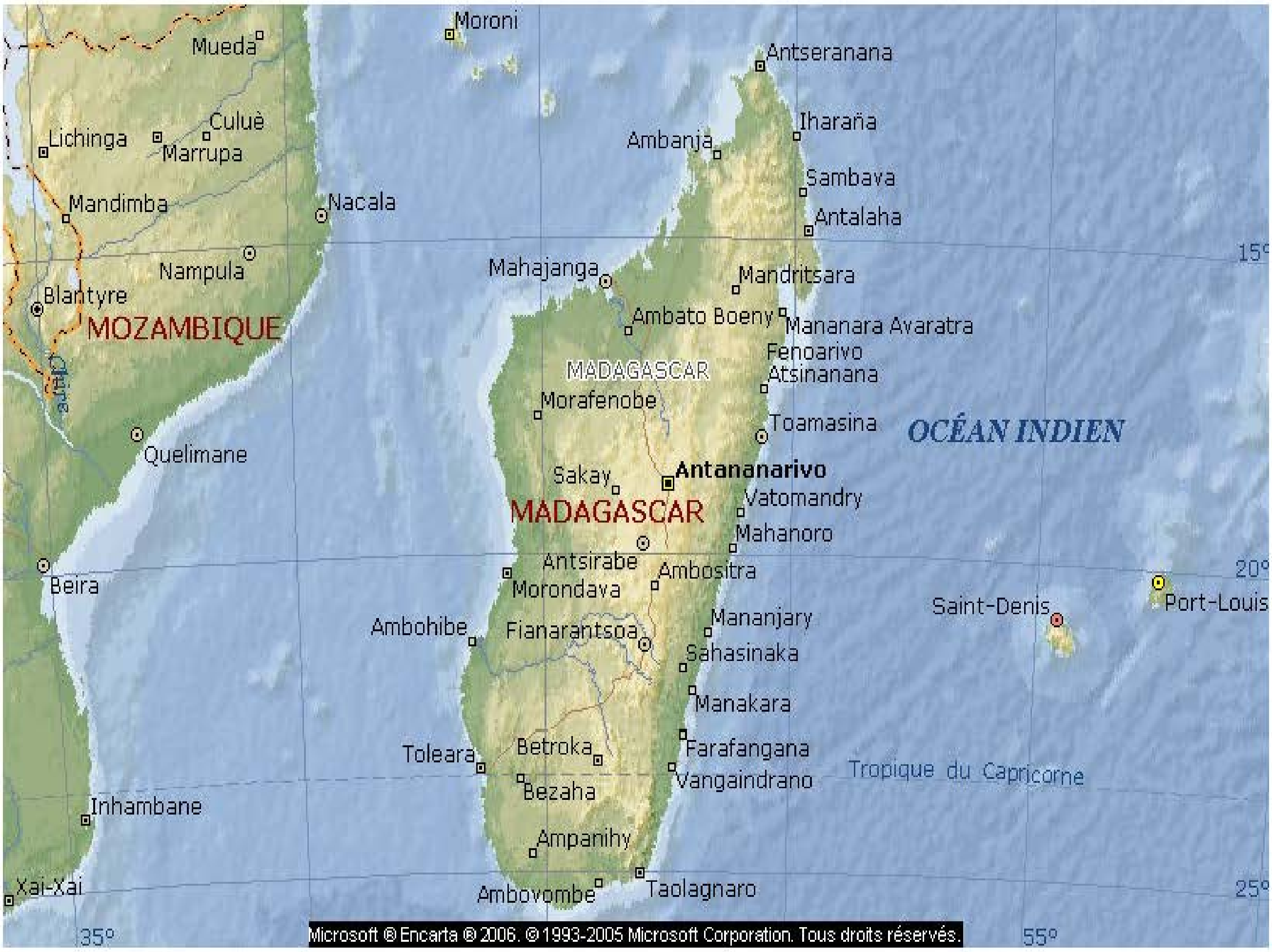

خريطـة جزيـرة مدغشـقر ويتضـح عليهـا أهـم المحطـات والمواقـع التـي شـهدت المواجهـات - ---- العسكرية بين الغزاة الفرنسيين والمقاومين الملغاشيين * ----

Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft --*
*-- Corporation

و تسكن هذه الجزيرة أجناس مختلفة أهمها الأعراق الثلاثة: السكالاف Sakalave وهم مـن الجـنس الأسـود ، الهوفاس وهم من أصل ماليزي وقد عمدوا إلى دحر السكالاف نحـو الشـواطئ الغربيـة، وأخيـرا البيتسـيليوز

524 - أنظر خريطة جزيرة مدغشقر.

Bestsiles وهم الأخرون أيضا تعرضوا لمضايقات الهوفاس الذين دفعوهم نحو الجنوب، ليبقى الهوفاس بعد ذلـك يحتلون الهضبة التي أقاموا عليها مملكة إيميرينا وإدارة هذه المملكة إقطاعية وعاصمتهم بالطبع هي تناناريف علـى هضبة إيميرينا. ويقع كل من الميناء الشرقي طماطاف، وميناء ماجونغا على سواحل الشمال الغربي للجزيرة، فـي حين أن أكبر ميناء بالشمال

يسمى دييغو سواريز Diégo Suarez.[525]

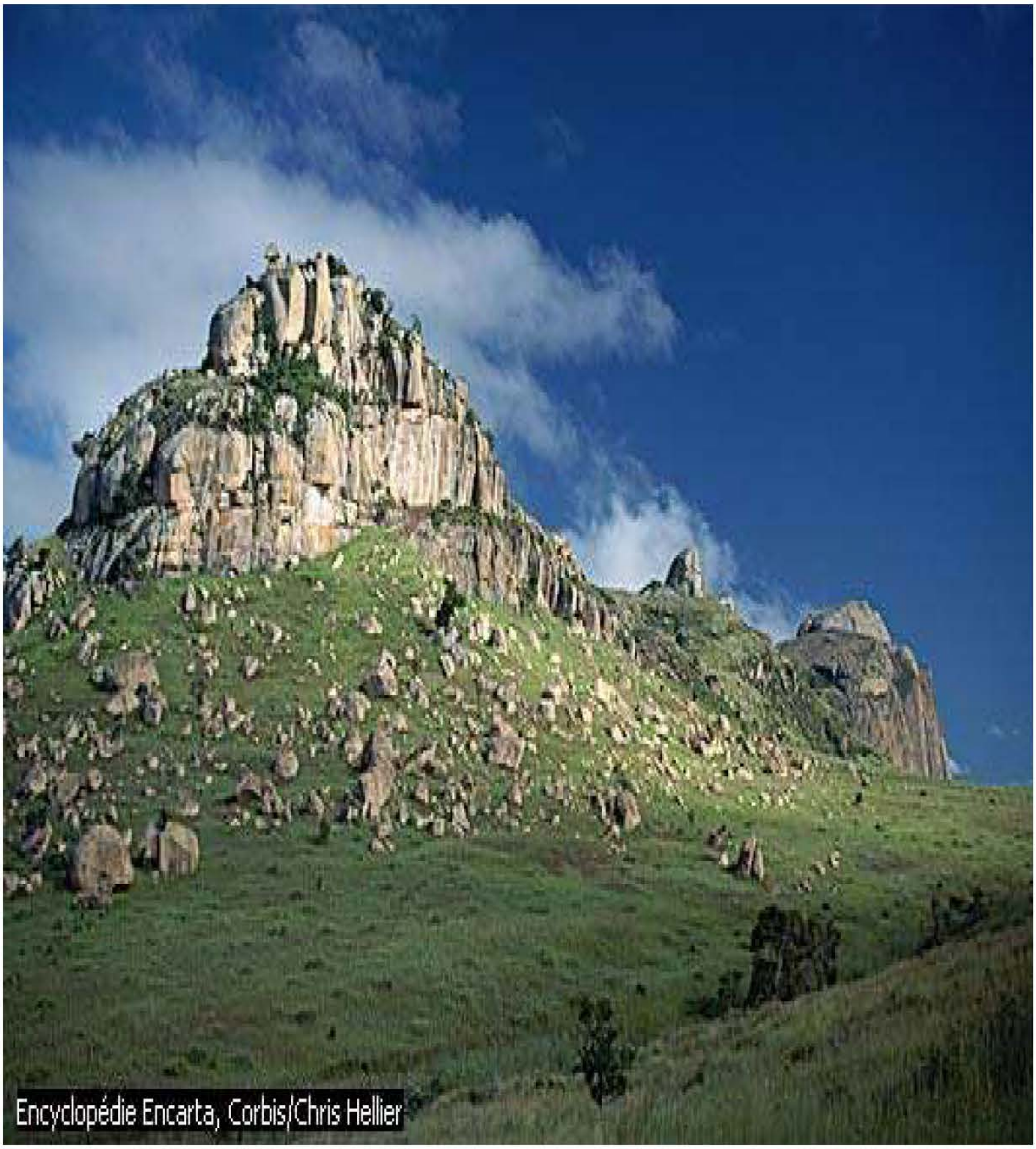

صورة من الهضاب العليا لجزيرة مدغشقر وقد غطتها الصخور المجدبة *

مصـدر الصـورة: Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation- *

---

525 -**Huré.R**: op. cit, p. 197.

لقد اكتشف العرب هذه الجزيرة قبل أن يتعرف عليها الأوروبيون في القـرن 15° وتعـود بدايـة الاهتمـام الفرنسي بهذه الجزيرة منذ عهد الملك لويس 13 ووزيره الشهير روشيليو الذي أمر ببناء قلعة فوردوفان « Fort-dauphin » عام 1643 جنوب هذه الجزيرة التي انتعشت بها المؤسسات الفرنسية في القرن الثامن عشـر حـين كانت الشركة التجارية الهندية الفرنسية في أوج عزها لكن المصالح الفرنسية ومؤسساتها عرفت تراجعا واضمحلالا في عهد الثورة الفرنسية، غير أنه سرعان ما أعاد الفرنسيون إلى هذه المؤسسات توازنها في القـرن 19 م بعـد النشاط الاستعماري الذي نفخت فيه السلطات الفرنسية روحا نشيطة تمثلت في حملاتها العسكرية الاستعمارية، بعـد أن كان رجال الدين البروتستانت الإنجليز قد نشطوا في ربوع جزيرة مدغشقر، خلال مرحلة الضـعف والركـود الفرنسي.[526]

وبعد عودة الاهتمام أكثر بالمصالح الفرنسية، عمدت حكومة مملكة الهوفاس إلى بعث الروح فـي العلاقـات الفرنسية الملغاشية، لكن الفرنسيين هذه المرة بدأوا بالتدخل السافر في شؤون المملكـة حيـث راحـوا يناصـرون السكالاف المضطهدين من قبل الهوفاس حسب زعمهم طبعا، وهذا ما أدى إلى بروز مظاهر العداء ضد الفرنسـيين المقيمين على أرض مدغشقر وضد كل الموالين والمتعاملين معهم منذ 1883 وهذا ما كان ينتظره الفرنسيون الذين قنبلوا مدينة ماجونغا على الساحل الشمالي الغربي للجزيرة واستولوا كذلك على مدينة طماطاف عـام 1884، ثـم استولوا كذلك على ميناء دييغو سواريز الواقع في أعلى القمة الشمالية للجزيرة، لتنتهي المواجهات الحربيـة بـين فرنسا والمملكة الملغاشية بمعاهدة 17 ديسمبر 1885 التي اعترفـت بموجبهـا ملكـة الـبلاد رانافـالو الثالثـة « Ranavalo » بسيادة فرنسا على خليج دييقو سـواريز مع ضمان الامتيـازات التجاريـة والدينيـة للمعمـرين الفرنسيين مقابل اعتراف فرنسا بالملكة رانا فالو الثالثة حاكمة على جميع تراب الجزيرة، في الوقت الذي يكون فيه السيد مير دي فيليرس « myre de villers » ممثلا للدولة الفرنسية ومقيما في العاصمة تنانـاريف وهـو الـذي يشرف على العلاقات الخارجية للملكة الملغاشية، وهذا ما يعني بكل وضـوح الاعتـراف الكامـل لفرنسـا بحـق الحماية...

لكن الذي حدث هو أن النزعة الاستغلالية عند الهوفاس لم تمكن الممثل الفرنسي في الجزيرة، السيد/مير دي فيليرس من فرض ما تم الاتفاق عليه في المعاهدة السابقة الذكر بسبب كثرة الاعتـداءات التـي تضـاعفت ضـد المصالح الفرنسية الأمر الذي دفع الممثل الفرنسي إلى مغادرة البلاد لتبقى السلطات الفرنسية بعد ذلك تحـاول مـع حكومة الهوفاس الوصول إلى كيفية واحترام بنود المعاهدة، لكن المفاوضات تأكد فشلها في أكتوبر 1894، مما يعني أن الحكومة الفرنسية وجدت نفسها أمام خيارين لا ثالث لهما ، وهما : إما التخلي نهائيا عن مصالحها في الجزيـرة الكبيرة، وإما استخدام القوة والمواجهات العسكرية لفرض السيادة الفرنسية على مدغشقر.[527]

وأخيرا تختار السلطات الاستعمارية الفرنسية خيار الحرب وترصد ميزانية مالية قيمتها 65 مليـون فرنـك بقانون 07-12-1894 الذي وضع تلك الأموال تحت تصرف وزير الحرب والبحرية من أجل تنظيم حملة عسكرية ضد المملكة الملغاشية لفرض سلطان وهيبة فرنسا في الجزيرة.

وبعكس الحملة على التونكان فإن الفرنسيين حضروا بشكل جيد حملتهم العسكرية على جزيرة مدغشـقر، لأن الهوفاس كان بامكانهم تجنيد 30 ألف مقاتل مسلح بشكل جيد، وهو جيش مدعم بفرق المدفعية العصـرية التـي كانت تضم 40 مدفعا، وانجلترا هي التي كانت تزودهم بالسلاح وبالضباط العسكريين الذين يشرفون على العمليـات الحربية.

---

[526]- **Huré.R**: op. cit, p. 198.
[527] - **Duruy. V:** op .cit, p. 270.

كما أن المشكل الذي كان يطرح نفسه بإلحاح أمام السلطات العسكرية الفرنسية هو الأرضية الصعبة للجزيرة وكذلك المناخ الملوث والفتاك بكل وافد جديد عليه، إلى جانب هذا كله فهناك بعد المسافة التي تجعل نقل الوحدات العسكرية بمعداتها أمرا عسيرا.[528]

التحضير للحملة العسكرية:

وتقرر أمر القيام بالحملة العسكرية على مدغشقر بشكل لم يعد معه مجال للتراجع، وتم تعيين السلك 19 للقيام بهذه العملية العسكرية تحت قيادة الجنرال دوشسن الذي وفر جيشا بتعداد 18000 جندي بعتاده وعدته إلى جانب توفيره خدمات صحية تغطي سدس 1/6 التعداد الإجمالي: وأخيرا تمكنت القيادة العسكرية من تعبئة وتجنيد 7000 مجند من سكان منطقة بلاد القبائل لضمان الخدمات التي يحتاج إليها الجيش من نقل للمعدات على ظهور البغال...[529] و بدئ في تنظيم الفصائل العسكرية وكتائبها وفيالقها، واتجهت الأنظاركلها إلى

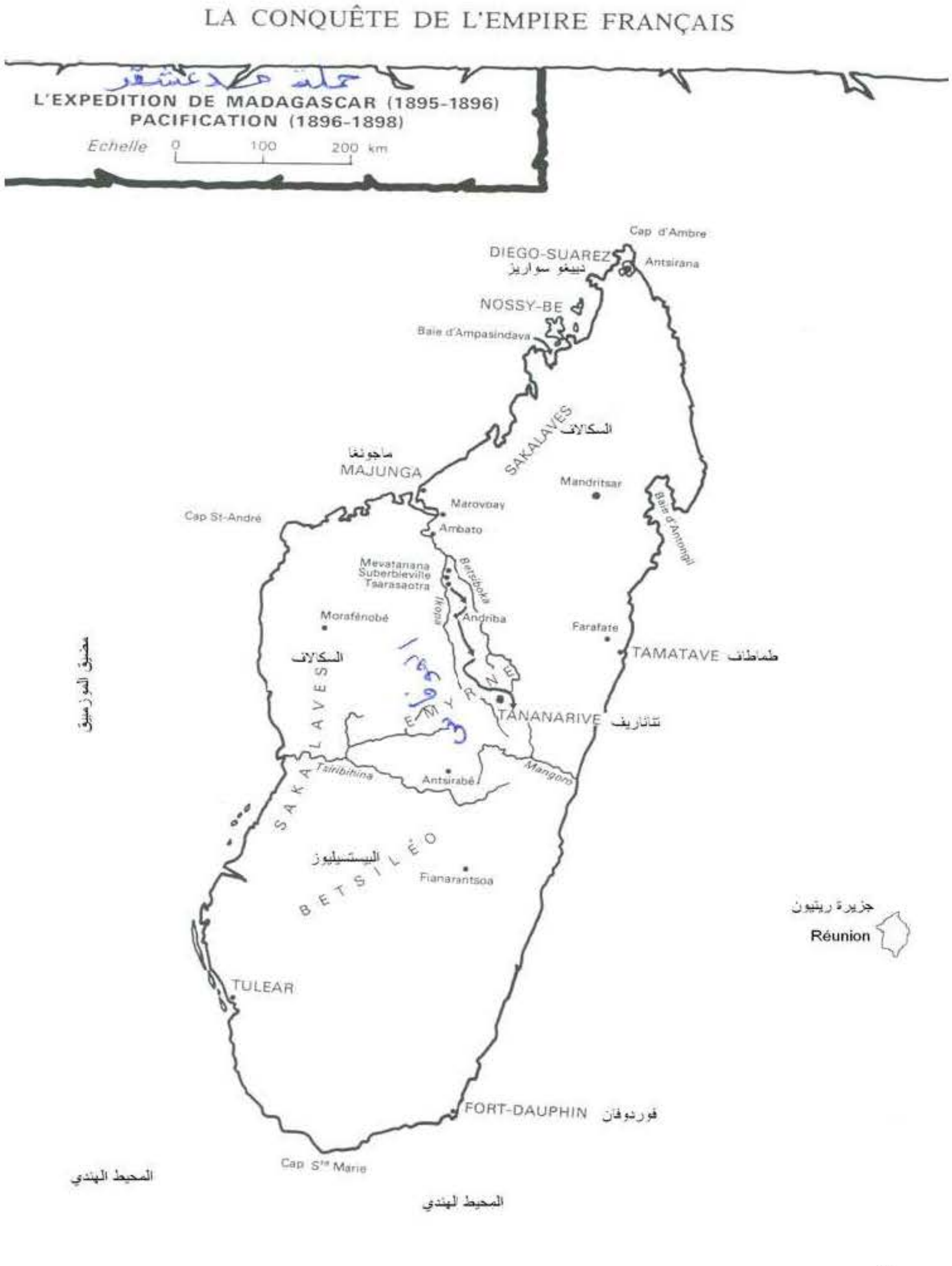

مصدر الصورة: -Huré Robert (général): L' Armée , d'Afrique (1830-1962)

فرق النخبة والرماة الجزائريين من أجل تدعيم هذا السلك الذي ينتظر منه الكثير ....

528 - **Duruy. V:** op .cit, p. 270.

529 - **Lespes. R:**op.cit, p. 37.

وتبعا لما كان ينتظرمن هذه الفرق التي برهنت في أكثر من مناسبة عن صبرها وقدراتها في إنجاز المهمات العسكرية الصعبة الموكلة إليها، وصارالجميع يتغنى بأنشودة تبين هذا المعنى، حيث تقول كلماتها ما يلي:

" النخبة والرماة... إلى الأمام نمشي جميعنا من دون خوف../

الحقيبة دائما على الظهر.../ وخلال ستة أشهر.. بالمفرقعات والمتفجرات/

سنصبح أسيادا في مدغشقر...[530]

ومن الجزائر إذن انطلق اللواء الجزائري للرماة والذي تم تأسيسه بأمر وزراي مؤرخ فـي 03-02-1895 ليكتمل بناؤه في 15-03-1895 وكان هذا اللواء يضم ثلاثة فيالق هي :

1- الفيلق الأول: ويتكون من كتيبتين تابعتين إلى اللواء الأول، وكتيبتين من لواء الفرق الأجنبية، وقد تـم إنشـاؤه وتأسيسه في سيدي بعلباس.

2- الفيلق الثاني: ويتكون من كتيبتين تابعتين إلى اللواء الأول وكتيبتين من اللواء الثـاني وتأسـس فـي مدينـة « Orleansville » - الشلف حاليا.

3- الفيلق الثالث: ويضم كتيبتين من الفيلق الثاني القديم في اللواء الثالث وقـد تـم إنزالـه فـي مدينـة سـكيكدة « Philippe Ville » يوم 05-02-1895 لينطلق منها إلى ماجونغا بمدغشقر.

الكتائب العسكرية التابعة إلى اللواءين الأول والثاني كانت ضمن الفيلق الأول الـذي انطلـق نحـو جزيـرة مدغشقر، وقد حدد يومها تعداد كل كتيبة منها ما بين 200 و 225 جنديا، وهذا تحسبا لكل طارئ بعد أن كـان قـد تقرر في البداية جمع 200 جندي لكل كتيبة عند بداية التكوين...

وكانت القيادة العليا لكل فيلق تتكون من: رئيس الفيلق + نقيب + مسـاعد أول + مـلازم أول مكلـف بالمرتبـات والأجور + ملازم أول مكلف بعملية التموين + طبيبين اثنين.[531]

ولقد قال الجنرال ميتزينغر « Metzinger » الذي خرج لتوديع الرماة الجزائريين المتوجهين إلـى جزيـرة مدغشقر لفرض الحماية الفرنسية " بأن الرماة الجزائريين لهم الحق وكل الحق في أن يفتخروا بالصفحات المشرقة لتاريخهم العسكري المجيد في فرنسا والجزائر، فلقد كان لهم الفضل الأكبر في نجـاح عملياتنـا العسـكرية فـي مختلف بقاع العالم، بفضل شجاعتهم وقدرتهم الفائقة على تحمل الصعاب و المشاق."[532]

وعلى متن الباخرة كاشمير « Cachemire » انطلق الفيلق الثاني يوم 1895/04/01 على الساعة الخامسة مساء من ميناء العاصمة "الجزائر" ليصل يوم 1895/04/23 إلى ميناء ماجونغا على الساعة التاسعة صباحا، وفـي مساء اليوم الموالي حط الجنود رحالهم في مخيم يبعد عن ماجونغا بنحو 2 كلم، وفي اليوم التالي غـادر عناصـر الفيلق الثاني هذا المخيم، وصادف أن حاكم مدينة هو فادي بويني عسكر بجيشه على ضفاف نهر ماروفوايا الـذي يبعد عن ماجونغا بنحو 78 كلم، وكأنه كان يرمي إلى منع الجيش الفرنسي من التقدم نحو تناناريف، ولم يكن يدري أنه بتصرفه هذا إنما كان يدفع بجنوده إلى الدمار، ذلك أن الكتائب الخامسة و السادسة و السـابعة التابعـة للـواء الجزائري كلفت بالهجوم على الحاكم وجيشه تحت قيادة العميد بوانارد « Poynard » بعد أن تم لهم الاستيلاء على قرية ميادانا « Miadana » من دون إطلاق النار، لأن الرماة الجزائريين، كانوا متعودين على اسـتعمال السـلاح الأبيض في معاركهم. والتحقت بهذه الكتائب الزاحفة الفرقة العسكرية التي كان يقودها العميد باردس « Pardes » يوم 03 أفريل 1895 لينطلق الجميع في هجوم كاسح على الحاكم وعساكره في ماروفوايا من الجهة اليسرى يـوم 1895/05/02 و لمسافة 600 م لم يطلق الرماة الجزائريون النار على المقاومين للجيش الفرنسي الغازي، ورغـم تعرض هؤلاء الرماة لوابل من النيران التي كانت تلاحقهم، إلا أنهم لم يخسروا في صفوفهم سوى جندي واحد بعـد الانتهاء من تحطيم المركز الدفاعي للمقاومين الهوفاس، وعلى الساعة العاشرة من نفس اليوم كانت قـوات العميـد

530 - **Duruy. V:** op.cit, p.271.
531 - **Duruy. V:** op.cit, p.271.
532 - **Lespes. R:**op.cit, p. 36.

باردس تقذف نيران مدافعها على مواقع المقاومين، لينزل بعد ذلك عناصر الكتيبتين الثالثة و السادسة على خاصرة معسكر المقاومين الذين انهزموا وانسحبوا هاربين من ساحة المعركة بعد نصف ساعة من الصراع الدموي.

وبعد هذا الانتصار الذي حققه جيش بوانارد عسكرت عناصره في مخيم المنهزمين، أما جيش العقيد بـاردس فقـد قضى عناصره ليلتهم في مخيم أومباريلافا « Amparilava ».

هذه المعارك التي كانت تنتهي دائما بانتصارات ساحقة لعناصر الرماة على حساب المقاومين ضمنت للجيش الفرنسي التحكم في مصب نهر بيتسي بوكا « Betsiboka ».

أما الحاكم راسنازومبوزاها الذي انهزم جيشه في أول مواجهة له مع الغزاة فقد عسكر مع ما تبقى من جيشه علـى بعد 12 كلم جنوبي شرق هذا المصب حيث تخندق مع 2000 جندي من أتباعه.[533] وفي يـوم 15 مـاي الـتحم الجيشان في معركة حامية بالسلاح الأبيض في جسر تماريني، غير أن هذه الواقعة لم تـدم طـويلا لعـدم قـدرة المقاومين على الصمود، وفتح بذلك الطريق واسعا أمام عناصر الجيش الفرنسي للتوجه نحو معسكر الحاكم في قرية أومبودي مونتي « Ambotimanty » لكن المقاومين الهوفاس لم يتمكنوا هذه المرة أيضا من الصمود وتخلوا عن معسكرهم تاركين وراءهم كميات معتبرة من الذخائر الحربية . أما الكتيبتان الخامسـة و السادسـة فقـد التحقـت عناصرها بعد هذه العمليات الناجحة بالعقيد أودي Audi و في 18 ماي عسكر الجميع في أوندوترا مـع الفيلقـين الأول والثالث التابعين إلى لواء الرماة الجزائريين.[534]

الرماة في مقدمة الطوابير:

وهكذا يتضح من خلال المعارك السابقة أن مقدمة الجيش المعدة للصدمات الأولى قد أدت مهمتها بكل نجاح، وواصل الجيش الفرنسي توغله نحو العاصمة تاناريف، خاصة وأن المنطقة من ماجونغا وحتى أونـدوترا كانـت خالية تماما من المقاومين، وبذلك لم يبق أمام الجـيش الفرنسـي سـوى مواصـلة الزحـف نحـو سـوبربييفيل Suberbievilles لتمكين وحداته من الاستفادة بالمواصلات المائية عبر النهر.[535]

واصل الطابور العسكري الذي كان تحت قيادة الجنرال ماتزينغر زحفه حتى وصل إلى المرتفعـات المطلـة على الجهة الشمالية التي يريد الوصول منها إلى نهر بيتسي بوكا الذي كان عرضه 450 م، وقد عجـل الجنـرال بالاستيلاء عليه بعد أن تم انسحاب المقاومين الهوفاس منه دون مقاومة تذكر، مما سمح لعناصـر هـذا الطـابور بالوصول إلى مدينة ميفالانانا التي قرر الجنرال مهاجمتها يوم التاسع جوان من الجهة اليسرى بـالفيلق الأربعـين لقناصة إفريقيا، في حين أن مهاجمة الخاصرة كانت من طرف الكتائب الثلاث السادسة و السابعة و الثامنة للفيلـق الثاني للرماة الجزائريين، متبوعين بالفرقتين الخامسة عشرة و السادسة عشرة للمدفعية التي بدأت بإطلاق النار على المدينة، فتسببت بقذائفها في اضطراب و زعزعة الجيش المقاوم من الهوفاس، الذي فقد السـيطرة علـى المدينـة، وانسحبت عناصره تاركة الساحة لجيش الغزاة الذي تمت له السيطرة على الطريـق الـرابط بـين مورولولـو و سوبيرييفل « Suberbievilles » وهناك أنشأ الجيش الفرنسي مركزا للتموين. وانطلق الجيش بعد ذلك في شق و تعبيد الطريق في 14 جوان الذي دامت أشغاله حتى 3 سبتمبر، و خلال هذه المدة كانت المعدات والمؤن والـذخائر الحربية تصل إلى الجيش الفرنسي عبر المواصلات المائية.[536]

وكان الرماة الجزائريون بفيالقهم الثلاثة يعملون في شق وتعبيد هذا الطريق بكل صبر وأنـاة و جـد، مـن الساعة 6 صباحا إلى التاسعة، أما في المساء فيبدأون العمل من الساعة 4 إلى الخامسـة، حيـث كـانوا يعملـون بالمسحاة والمجرفة والفأس بيد والبندقية باليد الأخرى لرد هجمات الهوفاس الذين لم يتوقفوا عن مهاجمة الفصـائل

533- Commandant Mirepoix : **Étude sur L'expédition de Madagascar en 1895,** Ed Hachette, Paris 1897, pp. 130 et les suivantes.

534 - **Duruy. V:** op.cit, p.273.

535 - **Huré. R:** op. cit, p.202.

536 -- **Huré. R:** op. cit, p202.

العسكرية الفرنسية رغم الهزائم المتوالية والخسائر التي كانوا يتكبدونها في كل مواجهة، ولكن إصرارهم وعـزمهم على مقاتلة الخصوم كان دافعهم الذي لم يتوقف... والطبيعة نفسها كانت بالمرصاد لعناصر الجيش الفرنسي خاصة بالنسبة للوافدين إلى مدغشقر من أوروبا، فحصدت منهم أعدادا معتبرة نتيجة للأوبئة والأمراض المنتشرة في تلـك الأقاليم، والخسائر البشرية التي تكبدها هذا السلك العسكري أثناء شق هذا الطريق كانت مفزعـة، ذلـك أن الفيلـق الأربعين من قناصة إفريقيا بتاريخ 6 سبتمبر لم يبق من عناصره سوى 248 جنديا منهم145 عنصرا فقـط يمكـن الاعتماد عليهم لمتابعة أطوار هذه الحملة التي ما تزال بعيدة عن نهايتها.

أما الفيلق الثالث فلم يبق من عناصره سوى 283 جنديا بتاريخ 17 سبتمبر، وفيلق المشاة البحرية بقي مـن عناصره ما بين 334 و 275 جنديا بتاريخ 15 سبتمبر، أما فيلق النخبة فقد كانت عناصره لا تتجـاوز عـدد 458 رجلا. في حين أن الفيلق الثاني للرماة الجزائريين كان يضم بتاريخ 5 سبتمبر 659 جنديا وأما الفيلق الثالث فقد كان بتعداد 556 جنديا.[537]

المجندون الجزائريون

يقاومون الأوبئة:

وبسبب تفشي الأوبئة والأمراض في صفوف الجيش الغازي إلى جانب الإرهاق التام الذي عم جميع عناصره فإن زحفه صار صعبا للغاية، هذا ما أكده التقرير الرسمي للجنرال دوشسن « Duchesne » الذي قال فيـه: "إن الفيالق العسكرية لم يكن باستطاعتها أن تتقدم أكثر من 2 كلم أو 3 كلم يوميا، والطريق إلى العاصمة تناناريف مـا يزال بعيدا، خاصة وأن هناك 50 موقعا دفاعيا من مواقع دفاع المقاومين مازالت تنتظر الاختراق.[538]

وأمام هذه الصعوبة وهذا الوضع العصيب كان على القادة العسكريين الاختيار بين أحد الأمرين وهما:

1- إما العودة إلى سوبير بيفيل للاستراحة وإعادة تنظيم الصفوف قبل متابعة الحملة العسكرية في انتظـار نهايـة موسم الأمطار.

2- وإما مواصلة الزحف نحو العاصمة وهو الاختيار الأكثر طموحا وجرأة ولكنه غير مأمون العواقب بحيث يمكنه أن يؤدي إلى التدمير الكلي لعناصر الجيش الفرنسي في هذه البقاع المميتة.

لكن الشجاعة وقوة الصمود التي كانت تمتاز بها عناصر هذا الجيش مـن المجنـدين الجزائـريين دفعـت القـادة العسكريين إلى اختيار الأمر الثاني و هو القاضي بالزحف على تناناريف رغم المخاطر المحدقة بالجنود، وشعارهم في ذلك:" السير إلى الأمام أو الموت" Marche ou crève.[539]

وانطلق الجيش الفرنسي الغازي باتجاه العاصمة تناناريف من سهول أندريبا، لكن طبيعة البلاد الجبلية جعلت من العسير على عناصر هذا الجيش أن يتقدموا بشكل عادي ولذلك عمدوا إلى تقسيم الطابور العسكري الـذي كـان يضم 5700 جندي و 2800 بغل لحمل المعدات، إلى ثلاثة أفواج:

1- المقدمة: وكانت تتكون من 04 فيالق للهندسة العسكرية، وفريقين للمدفعية وسرية للخيالة وتحمل معها مؤونـة 05 أيام أو 06 أيام لا غير... و بعد أن تقطع هذه الفيالق العسكرية مسيرة يوم كامل تلتحق بها بقية الأفواج...

2- الفوج الثاني: و يتشكل من 03 فيالق للمشاة و فرقة للمدفعية ، و قافلة البغال المحملة...

3- فرقة الاحتياطيين: وتضم فيلقين اثنين وقافلة بغال...

ومجموع ما كان يحمله هذا الطابور العسكري من مؤن بالإضافة إلى ما كانت تحمله البغال على ظهورها، وكذا ما يحمله كل جندي، كان لا يتجاوز مؤونة 22 يوما...

---

537 - **Commandant Mirepoix :** op.cit, pp. 160 – 170.

538 - Général Duchesne: **Rapport sur L'Expédition de Madagascar, T. 1,** Ed : Hachette et Cie, Paris 1897.p. 98.

539 - Commandant Aubier : **La colonne expéditionnaire et La Cavalerie à Madagascar,** Ed: Hachette et Cie, Paris 1897.pp. 90 – 95.

و في مثل هذه الظروف كان لا بد على القيادة العسكرية من أن تختار الجنود القادرين على السير لمدة لا تقل عـن 15 يوما متواصلة حتى تضمن النجاح لزحفها...

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن لواء الرماة الجزائريين كان الوحيد في السلك 19 الذي ما يزال يحتفظ بجميـع فيالقه الثلاثة، فالمجندون الجزائريون كانوا الأكثر احتفاظا بلياقتهم البدنية وبتعدادهم المرتفع مقارنة مع غيرهم مـن الفصائل العسكرية الأخرى سواء القادمة من فرنسا أو حتى تلكم القادمة من الجزائر، والتقرير الذي توج الفحـص الطبي يوم 05 سبتمبر أعطى النتائج التالية:

بالنسبة لعناصر اللواء الجزائري:[540]

الحاضرون يوم 1895-09-05	القيادة العامة	الفيلق الأول	الفيلق الثاني	الفيلق الثالث
	ضباط: 03	ضباط: 19	ضباط: 25	ضباط: 23
	جنود: 10	جنود: 458	جنود: 659	جنود: 556
القادرون علـى مواصـلة السـير السريع لمدة 15 مرحلة	ضباط: 03	ضباط: 19	ضباط: 25	ضباط: 17[541]
	جنود: 09	جنود: 330	جنود: 529	جنود: 416

و تحرك هذا الطابور العسكري الخفيف مواصلا زحفه نحو العاصمـة تناناريف يوم 14 سبتمبر، و في مقدمة هذا الجيش كانت عناصر اللواء الجزائري تتقدم الزاحفين لصد الضربات الأولى للمقـاومين الهوفـاس الـذين كـانوا يخرجون لمهاجمة الغزاة الزاحفين و محاولة عرقلة تحركاتهم في كل مرحلة من مراحل هذا الزحف نحو العاصـمة تناناريف[542].

لقد كانت هذه الحملة العسكرية على مدغشقر اختبارا جديدا و امتحانا آخـر يضـاف إلـى سـجل الرمـاة الجزائريين الذين برهنوا ككل مرة عن مدى تحملهم للصعاب و الشدائد، و انضباطهم أثناء مجابهـة الأخطـار، و انقيادهم بصورة كاملة و مسؤولية تامة لضباطهم و قادتهم الذين كثيرا ما كانوا يطلبون منهم الاقتصاد في اسـتعمال الذخيرة الحية، و الاعتماد أكثر فأكثر على السلاح الأبيض للقضاء على الخصوم المقاومين كلمـا كانـت الفرصـة مواتية و ممكنة...

وفي هذا الاتجاه نستعرض بعض ما جاء في شهادة الماريشال الفرنسي جوزيف غاليبيني[543] الذي قال عنهم: " إن الفصائل الجزائرية من الرماة و القناصة كان عليهم واجب الزحف نحو العاصـمة فـي مقدمـة الطـوابير العسكرية، و كان عليهم أن يتحملوا أكثر من غيرهم تبعات الإجهاد المتواصل، و الصعوبات الجمة التي لـم يكـن غيرهم يستطيع القيام بها أو القدرة على تحملها... و بعد الأشغال الشاقة التي تحملوها لمدة **3** أشهر في شـق و بناء الطريق الذي مكننا من استخدام العربات لتموين الجيش، و هو أمر ضروري لمواصـلة الحـرب فـي هـذه الظروف القاسية جدا بسبب الأوبئة و الحمى التي قلصت من تعداد الجنود الوافدين مـن فرنسـا، أمـا الرمـاة الجزائريون و الفصائل الجزائرية الأخرى فقد كانت الأكثر تحملا و الأقل تضررا من هذه الأوبئة الفتاكـة، وهكـذا كان الشرف و كل الشرف للرماة الجزائريين الذين شكلوا أول طابور عسكري للجنرال ماتزينغر يـدخل عاصـمة الجزيرة ".[544]

540 - **Duruy. V:** op.cit, p. 280.

541 - هذا الفرق الملحوظ في عدد ضباط الفيلق الثالث كان نتيجة لوجود 6 ضباط مسنين من المجندين الجزائريين.

542 - **Duruy. V:** op. cit, p.280.

543 - **جوزيف غاليبيني Joseph Gallieni** ماريشال فرنسي ولد في سان بييت Saint Beat (1849-1916) عمل في السودان و التونكان، نظم و أشرف على تهدئة الأوضاع في مدغشقر (1897-1905) صار حاكما على باريس في 1914 و شارك في انتصارات معركة مارن Marne 1914 بشكل حيوي حيث تمكن من وقف الاجتياح الألماني مما دفع بالقائد الألماني بولتكي إلى التراجع نحو الخلف.
تقلد منصب وزير الحرب من 1915-1916 و تحصل على رتبة ماريشال بعد وفاته.

544 - **Lespes. R:** op. cit, p.36.

ولقد كانت خسائر الرماة الجزائريين الذين كانوا منذ البداية في مقدمة الطوابير العسكرية الزاحفة أقل بكثيـر من خسائر الفرق العسكرية القادمة من أوروبا بسبب تفشي الأمراض و الأوبئة الفتاكة في صفوف الجنود...
فالسلك العسكري 19 الذي أعد خصيصا للحملة على مدغشقر كانت خسائره منذ البداية كالآتي:
16 قتيلا منهم ضابط واحد و 97 جريحا منهم 7 ضباط، و كان نصيب المجندين الجزائريين من هذه الخسائر هـو
10 قتلى منهم ضابط واحد و 35 جريحا منهم 03 ضباط، مما يعني أن الخسائر البشرية من المجندين الجزائـريين كانت تشكل 1/3 الخسائر الكلية.[545]

لقد كان المجندون الجزائريون ورقة رابحة في يد الجيش الفرنسي في مختلف حروبه بسبب قـدرة المجنـد الجزائري على تحمل الأمراض و الأوبئة و الاستعداد الدائم لتحمل الصعوبات و المشاق أحسن بكثير من الجنـدي الأوروبي، ففي كل موقعة أو حرب إلا كان المجندون الجزائريون في مستوى الحدث الذي يـواجههم ممـا جعـل الضباط و القادة العسكريين بعد كل معركة أو حرب يشيدون بقدرات الجزائريين و ينوهون في كل مناسبة بما أبدوه من عزم و إصرار على النجاح في مهمتهم حتى صار القادة العسكريون في كل مرة يؤكدون على أن نجـاح هـذه الحملة أو تلك ما كان ليكون لولا حضور الفصائل الجزائرية التي كان دائما عبء المعارك و الحروب يقع عليهـا دون سواها. و لم تكن شهادات الضباط و القادة العسكريين اعتباطية تدغدغ مشاعر أولئك المجندين كما يمكـن أن يتبادر إلى الأذهان و لكنها ملاحظة لواقع أكيد و عملي، ذلك أن خسائر الجيش الفرنسي بمختلف فصائله في الحملة العسكرية على مدغشقر بسبب الأمراض و الأوبئة كانت على النحو التالي[546]:

1-الفيلق الأول من النخبة: المتكون من 4 كتائب خسر بسبب الأمراض و الأوبئة 210 جنود أموات.
2-الفيلق الأول للرماة الجزائريين و يتكون من كتيبتين اثنتين تابعتين للواء الأول خسر 34 جنديا ميتا.
3-الفيلق الثاني للرماة الجزائريين ويتكون من كتيبتين اثنتين تابعتين للواء الثاني خسر 59 جنديا ميتا.
4-الفيلق الثالث للرماة الجزائريين و يتكون من 4 كتائب تابعة للواء الثالث خسر 62 جنديا ميتا.

ومن هنا يبدو الفرق شاسعا بين خسائر الجزائريين بسبب الأوبئة و خسائر فيلق النخبة الذي كان يتكون مـن 4 كتائب حيث ضيع 210 جنود، في حين أن فيالق الرماة الجزائريين بمجموع 8 كتائب ضيعوا 155 جنديا.
مع العلم أن فيلق النخبة كان يضم عند الانطلاق من قواعده 972 جنديا، و من هنا تكون نسبة الوفيات في صـفوفه بسبب الأمراض و الأوبئة 21,6% ، في حين أن الرماة الجزائريين كان تعدادهم عنـد الانطـلاق مـن قواعـدهم بالجزائر 1769 جنديا، وكانت نسبة خسائرهم البشرية من مجموع هذه الأعداد هي 8,7% و هنا تجدر الإشارة إلى أن الرماة الجزائريين كان من بين عناصرهم 200 جندي فرنسي أو أوروبي، و مات منهم بسـبب الأوبئـة ثلاثـة أضعاف المجندين الجزائريين. أما بالنسبة للمفقودين فقد كانت نسبة المفقودين في صفوف فيلق النخبة 32,8% مـن العدد العام لمجموع التعداد، و لكن النسبة المتعلقة بالمفقودين من الرماة الجزائريين لم تتجاوز 15,3% فقط.[547]

سقوط العاصمة تناناريف :

هذه الحملة العسكرية التي ظهر فيها المجندون الجزائريون عامة و الرماة الجزائريـون خاصـة ، أقويـاء صامدين كعادتهم دائما في الحروب . جعلوا الحكمة الأزلية سائدة في هذه الأرض التي غلب فيها أهلها على أمرهم أمام قوة النيران و الأسلحة الفتاكة بأيدي رجال أشداء و أقوياء، مثل المجندين الجزائريين الذين كانوا في وضـع لا يحسدون عليه، بحيث أنه لا بد لأولئك المجندين من الانتصار على الخصوم للإبقاء على حياتهم، و هكـذا صـار الفرنسيون بعد ذلك ملوكا على تلك البلاد التي أفسدوها و جعلوا أعزة أهلها أذلة، إذ أنهم بمجرد سـقوط العاصـمة

545 - **Duruy. V:** op. cit, p.283.
546 - **Idem**, p.283.
547 - **Commandant Mirepoix :** op.cit, pp.140 et les suivantes.

تناناريف تحت ضربات الرماة الجزائريين و سيطرة القيادة العسكرية الفرنسية على القادة المدغشقريين بما فيهم الملكة رنفالو الثالثة[548]، سارعت الحكومة الفرنسية إلى تعيين الماريشال غالييني حاكما عاما على الجزيرة، فكان أول إجراء اتخذه هو فرض حالة الطوارئ على البلاد و إلقاء القبض على وزير الداخلية الذي حوكم من طرف محكمة عسكرية قضت بإعدامه بالرصاص بتهمة التحريض على الثورة!...

أما ملكة البلاد رنفالو الثالثة فقد فرض عليها الحاكم العام للبلاد، النفي إلى جزيرة Réunion[549] أولا و من ثمة نفيت إلى الجزائر حيث عاشت بقية حياتها.[550]

بعد هذه الإجراءات التعسفية في حق هؤلاء المغلوبين على أمرهم، هل يمكن أن نقول: بأن العمليات العسكرية في الجزيرة قد انتهت وأن الهوفاس المغلوبين على أمرهم لم يبق أمامهم سوى الرضوخ والصبر على ما حدث مع تسليم أمر العباد والبلاد إلى الغزاة علهم يعطفون ويخففون من إجحافهم و ظلمهم في حق المغلوبين المنهزمين في ساحات المعارك، لكن ذلك لم يحدث إلا سرعان ما أثبتت الأيام عكس ما كان ينتظره المستعمرون الفرنسيون....فكيف كان ذلك؟.......

Antananarivo (Madagascar)

تناناريف: هي العاصمة السياسية لجزيرة مدغشقر منذ 1895 وتقع هذه المدينة على الهضبة الصخرية العليا في القسم الأوسط للجزيرة. بنيت المدينة من طرف حكام ميرينا في بداية القرن 17 م لتكون قلعة حكمهم. أما اليوم فإنها مركز اقتصادي وثقافي وإداري للبلاد المدغشقرية [551].

[548] - الملكة رنفالو الثالثة من مواليد 1862 توجت ملكة على جزيرة مدغشقر سنة 1883، 1894 فرض عليها الماريشال غالييني النفي إلى جزيرة رينيون 1896 و منها أبعدت إلى الجزائر حيث عاشت بها حتى توفيت سنة 1917.

[549] - رينيون جزيرة صغيرة مساحتها 260 كلم2 مثلثة الشكل تقريبا، استولى عليها الفرنسيون عام 1642 و ألحقت بالعمالات الفرنسية عام 1946، و تقع هذه الجزيرة شرق شمال مدغشقر و تسمى كذلك جزيرة الكنيسة ماري.

[550] - Huré, R; op. cit, p.240, voir aussi Duroy, R; op. cit, p.284.

[551] - Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation. Tous droits réservés.

ثورة و تهدئة:

لم يكد يمضي شهر واحد عن إعلان فرض الحماية على الجزيرة حتى اندلعت الانتفاضة العامة في كل أنحاء الجزيرة بتحريض من الزعماء المحليين.

ولذلك ضيقت الفصائل العسكرية الفرنسية من مجال تحركاتها في البلاد، حيث أنها أطبقت سيطرتها على العاصـمة تاناريف وجعلت مجال تحركاتها خارج العاصمة لا يتعدى شعاع 15 كلم.[552]

الحكومة الفرنسية قررت ضم الجزيرة وإلحاقها بفرنسا عام 1896 وقامت بتعيين الجنرال جوزيف غـالييني حاكما عاما على البلاد، وكان الرجل بحق سياسيا حازما وقويا، إذ بعد تعيينه مباشرة أعلن حالة الطوارئ في البلاد وعمد إلى إخماد الثورة بعمل اقتصادي بحت بعد أن رفض كل دعم عسكري إضافي بل اكتفـى باصـطحاب 600 جندي من النخبة (اللفيف الاجنبي) من مرسيليا عند تعيينه حاكما عاما على مدغشقر وكـان هدفـه هـو تهدئـة الأوضاع والعمل على استمالة الأهالي الملغاشيين إلى صفه لكي يتمكن حسب زعمه " من أن يموت موتـة لائقـة (Mourir convenablement).[553]

لقد كانت السلطات الفرنسية تسعى إلى المحافظة على الجزيرة تحت سيطرتها، وكانت تـرى بـأن الفرقـة البحرية للمشاة قادرة على السيطرة على الوضع العام، لكن قائد الحملة دوشسن أمر بالإبقاء على المجموعة الثانيـة Brigade في العاصمة وكانت تضم فيلقين اثنين للرماة الجزائريين مع فرقة المدفعية الجبلية وكتيبتين اثنتين للهندسة العسكرية، وكتيبتين اثنتين للمشاة وسرية الخيالة الصبايحية، وكما قال الجنرال ماتزينغر الذي أسـندت إليـه قيـادة الفرق الباقية في الجزيرة:" الرماة الجزائريون يصلون إلى الميدان قبل بدء المعركة، وبعد الانتهاء منها يكونـون آخر من يغادر المكان...فبفضل شجاعتهم وصبرهم وقوة احتمالهم للمشاق والصعاب، يعود الفضل الأكبر في نجاح هذه الحملة السارة، إنهم يستطيعون بحق أن يفتخروا بالصفحة الناصعة التي أضافوها لسجل أمجادهم، وسوف لن أتردد في قول هذا الكلام وإعادة ترديده في فرنسا وفي الجزائر".[554]

وقد شارك الرماة الجزائريون من جهتهم في تتبع السرايا الشرسة في مهاجمتها للقوات العسكرية الفرنسـية، ولمدة عامين كانت عناصر تلك السرايا تمتهن اغتصاب كل ما يقع تحت أيديهم وهم مدعمون بالمواطنين المنتمـين إلى جنس الهوفاس باعتبار أن الامتيازات التي كانت لهم سوف تتبخر مع وجود هؤلاء الغزاة على أراضيهم، ولقـد كانت عناصر هؤلاء المقاومين خفيفة وسريعة الحركة. تتبخر في وقت وجيز وتصبح كالأشباح التي تدفع خصومها إلى الغابات والأحراش لتنقض عليهم فيما بعد عن طريق كمائن مرتبة ومدروسة، وعندما يفشلون في مهمتهم تراهم يتلاشون ولا تجد لهم بعد ذلك أي أثر بعد عين، مما يعني أن الصعوبة بالنسبة لعناصر الجيش الفرنسي تبقى قائمـة إن لم نقل مستحيلة عندما يحاولون القبض على أولئك المقاومين الشرسين.[555]

ولهذا عمدت القيادة إلى تقسيم الكتائب العسكرية الباقية في الجزيرة بغرض التهدئة وضبط الأمور، إلى أفواج صغيرة سريعة الحركة تشبه السرايا التي ابتكرها الجنرال بيجو خلال تتبعه لجيش الأمير عبد القادر عندما استحدث سرايا خفيفة سهلت على الغاصبين مهمة القضاء على المقاومة الجزائرية، فكذلك كانت هذه الأفواج فـي مدغشـقر تسعى إلى إبعاد القرى التي جمعت على شكل محتشدات في مراكز معينة قصـد إبعـاد السـكان عـن العناصـر الثائرة.[556]

وكان الرماة الجزائريون يطاردون باستمرار هذه السرايا من المقاومين الذين كانوا يتلاشون ويذوبون كالملح في الغابات الاستوائية و مغارات الجبال التي كانوا بها يختبئون، لكن هذه المطاردة المسـتمرة أجهـدت العناصـر المقاومة وجعلتهم عرضة للضياع والحمى القاتلة بعد أن ضيق عليهم الرماة مجال تحركاتهم، ولم تكن هذه العناصر

[552] - **Huré. R:** op. cit, p.204. voir aussi **Duruy. R**: op. cit, p.284..
[553] - **Huré. R:** op. cit, p.204.
[554] - **Duruy. V :** op.cit, p.284.
[555] - **Lespes. R :**op. cit, p. 37.
[556] - Les Armées Françaises d'outre Mer **: les grands soldats coloniaux,** Ed: société de l'histoire de France. Paris 1931.p. 413.

الثائرة ترغب في الالتحام مع مطارديهم من المجندين الرماة الذين كانت شهرتهم قد انتشـرت فـي كامـل أنحـاء الجزيرة مماجعل الخصوم يتحاشون الاصطدام بهم في مواجهة بالسلاح الأبيض...

وكان آخر قادة هذه العصابات الثائرة يدعى هوفا رابيزافانا الذي غلب على أمره في النهاية وهزم في عدة مواقـع كانت آخرها موقعة مرافينو حيث سلم نفسه للضابط العسكري ليـوتي « Lyautey » مع مجموعة من أتباعه الذين بلغ عددهم 500 مقاتل...

وطبقا لمبادئ وسياسة الحاكم العام جوزيف قالييني الهادفة إلى التهدئة واستعمال الحيل لتـرويض السـكان والثائرين على السواء، تحصل هذا القائد الثائر على العفو أولا ثم عين رئيسا على المنطقة التـي كانـت مسـرحا لعملياته الحربية من قبل ضد الفرنسيين، لكنه بقدرة الحكيم غـالييني تحول العدو اللدود والخصم العنيد إلى صـديق ودود وخادم مخلص للفرنسيين.[557]

ومن جانبه فقد أشاد هذا الحاكم بالرماة الجزائريين الذين أعطوا الكثير لهذه الحملة العسكرية في مدغشقر منذ 1895 سواء خلال المعارك قبل الاستيلاء على تناناريف أو بعد ذلك من خلال تتبعهم لسرايا المقـاومين وإحـلال السلام حيث برهنوا عن الكثير من شجاعتهم المعهودة مبرزين خلال عملياتهم العسكرية الصعبة ميـزة الانضـباط والقدرة على تحمل الإجهاد والمشاق وهي لعمري صفات لا توجد إلا في فصائل النخبة الممتازة في أي جيش مـن جيوش العالم.

ولا يمكننا أن نتحدث عن هذه الحملة العسكرية دون أن نذكر المجندين الجزائريين الذين بلغ تعدادهم في هذه الحملة بمدغشقر 7000 مقاتل قدموا خدمات ثمينة لفرنسا، بالإضافة إلى 7000 مجند آخر من بلاد القبائـل كـانوا مكلفين بتأمين نقل المعدات الحربية والعسكرية على ظهور البغال في مسالك وعرة بـالجزيرة، فمـن دون أولئـك الجزائريين ما كان لهذه الحملة العسكرية أن تكون، ولا أن تحقق هذه الانتصارات، ولا أن تحقق هذا النجـاح فـي مهمتها وفي الوقت المحدد.[558]

منذ بداية غزو جزيرة مدغشقر وحتى نهاية العمليات العسـكرية الهادفـة إلـى القضـاء علـى الثـورات والانتفاضات التي اندلعت في مختلف مناطق الجزيرة، كانت الفصائل العسكرية للجيش الفرنسـي تجـوب الـبلاد الملغاشية طولا وعرضا رغم صعوبة مسالكها وكثرة الأوبئة المنتشرة في أجوائها، وتمثلت هذه الفرق فيمـا يلـي: لواء من النخبة وثلاثة ألوية للرماة الجزائريين، و06 ألوية لقناصة إفريقيا ولواء واحد لفرق الصبايحية.

وقد كان عمل هذه الفصائل العسكرية منحصرا منذ 1895-1898 في إخضاع البلاد للهيمنة الفرنسية القادمـة مـن الشمال إلى أقصى الجنوب مستخدمة في حملتها هذه عناصر من مختلف الأقطار والأمصار والمتمثلـة فـي فـرق اللفيف الأجنبي، إلى جانب الآلاف من المجندين الجزائريين الذين كان لهم حضور ملفت للانتباه...

---

[557] - **Les Armées Françaises d 'outre Mer:** op. cit, p. 413.
[558] - **Lespes. R:** op. cit, p. 38.

Antsirabe (Madagascar)

مدينة أنتسيرابي تقع في أعالي جبال الأنكاراترا في وسط جزيرة مدغشقر ، وهذه المدينة قريبة من البحيرتين البركانيتين............... والبناء المعماري لهذه المدينة هو من خاصيات البناء المعماري لمملكة ميرينا في نهاية القرن 18م والقرن التاسع عشر[559] .

---

[559] - Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation. Tous droits réservés

أ- شهـ ـادات وآراء

الضباط العسكريين:

قبل الخوض في استعراض ما جاء من شهادات الضباط العسكريين المتعلقـة بالمجنـدين الجزائـريين فـي صفوف الجيش الفرنسي، لا بد من التنبيه و هذا للأمانة التاريخية، من أن الاستعمار الفرنسي ظلّ و لمدة طويلة من الزمن يبحث من دون جدوى عن رجال من ذوي الكفاءة ليتخذهم من بين أبناء الشعب العظيم حلفـاء لـه وأعوانـا يساندونه، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الفرنسي روسي:" لقد كان من الصعب على الفرنسيين اختيار من يليق حليفا ومتعاونا من الأعيان الكبار:" لأن الأمير عبد القادر كان أدرى الناس بقيمة الرجال ومكانتهم في المجتمع ولـذلك عرف كيف يختار من بين النخبة العناصر القادرة على التعاون معه، وبذلك لم يترك للفرنسيين سوى الحثالة مـن القوم ".[560]

قد يكون هذا هو السبب الذي جعل أغلب المؤرخين الفرنسيين وكل ما جاء في مذكرات الضباط العسـكريين من إشادة وتنويه بوحشية بعض أولئك المجندين و قسوتهم في معاملة خصومهم أكثر من الفرنسيين أنفسـهم لأنهـم فعلا حثالة هذا الشعب التي تعاونت مع الاستعمار الفرنسي، بينما كانت الأغلبية الساحقة من هذا الشعب معتصـمة بالجبال أو منخرطة في صفوف الأمير عبد القادر، لأن الحقيقة السائدة آنذاك هي أن مجرد الانتمـاء إلـى الجـيش الفرنسي يعتبر في حد ذاته خيانة للأمة. فالقضية بالنسبة للجزائريين هي قضية الاعتزاز بالوطن والشـعور القـوي بالانتماء إلى هذه الأرض، وكل غريب عنها مهما طال بقاؤه فيها يبقى دائما مجرد غريب في نظـر الجزائـريين، ولعل ما جاء في رسالة سكان غريس بنواحي مدينة معسكر التي كانت ردا على الجنرال بيجو، يمثل رأي أغلبيـة الجزائريين في ذلك الوقت حيث قالوا:" نقسم بالله، أنه لن يكون بيننا وبينكم لقاء إلا في ميادين القتال ....وأن نفوذكم لا يتجاوز التراب الذي تدوسه أقدام جنودكم ولكي تتأكد من هذا الكلام، ما عليك إلا أن تذهب إلى الصحراء، وسوف ترى.[561]............

ولعل هذا الإحساس الذي كان عميقا في نفوس بعض المجندين الجزائريين سواء الصبايحية منهم أو القوميـة الذين عملت السلطات الفرنسية بتواطؤ مع بعض القياد والباشاغاوات على تجنيدهم هـو الـذي كـان يـدفعهم لأن يتصرفوا في المعارك تصرفا لم يكن يُرضي الضباط الفرنسيين، وهذا ما عبر عنه النقيب دوكرو « Ducrot » من امتعاض حين لاحظ سنة 1846 بأن: "وجود الأمير عبد القادر في المعركة كان دائما يؤثر على الخيالة من الأهالي المجندين تأثيرا لم يكن من السهل أن يتخلصوا منه، مهما بذلنا من جهود فقد كان ذلك التأثير يحط من معنوياتهم و شجاعتهم"[562] إن هذا الاشمئزاز لدى أولئك المجندين لا شك أنه لم يكن يخلو من تأنيب الضمير سببه عدم الرضا عما هم فيه من خزي وعار.

ولذلك رأينا الفرنسيين في حرب القرم عندما قرروا إقحام المجندين الجزائريين فيها، راحوا يضربون علـى الوتر الحساس المتمكن من نفوس أولئك الجزائريين فأوهموهم من أن الحرب التي ستدور رحاها في شـبه جزيـرة القرم إنما هي من أجل الدفاع عن الإسلام و المسلمين في تركيا من ظلم الروس . فهب أولئك المجندون الجزائريون للدفاع عن الإسلام هناك[563]، و كأنهم بذلك يكفرون عما بدر منهم تجاه إخوانهم، فلعل موتهم فـي مقاتلـة أعـداء الإسلام بتركيا يكفر عنهم بعض ما سلف منهم.

أما في شبه جزيرة القرم فقد خاطبهم الجنرال كامو بما يلي: " لقد كنتم حقا جنودا يقظـين وممتـازين... و سيرتكم الحسنة أكسبتكم في الجيش الفرنسي سمعة طيبة، اعترف بها حلفاؤنا و حتى أعداؤنا... لقد حققتم العديد من الانتصارات المشرفة و الأمجاد التي رفعت مكانة لواء الرماة الجزائريين و شرفته، و بينـتم أنكـم أهـل لأن

---

[560] - **C. Rousset :** op. cit, T. 1, p.284.

[561]- **مصطفى الأشرف: مرجع سابق** ص ص. 134- 135. يقول المؤلف في الصفحة 134 من أن هذا الكلام الذي ورد في رسالة سكان **غريس** نسبه بعض المؤرخين إلى الأمير عبد القادر خطأ.

ملاحظة: فعلا لقد لاحظنا أثناء بحثنا من أن الكثير وقع في هذا الخطأ من بينهم **د/ صلاح العقاد في المرجع السابق ص122.**

[562]- **مصطفى الأشرف:** مرجع سابق ص.93.

[563] - **Lespes. R:** op. cit, p.24.

تكونوا من أحسن الفرق العسكرية الفرنسية"[564]. و من دون شك فإن هـذا التنويـه و هـذه الإشـادة بالمجنـدين الجزائريين لم تأت من العدم إذ كانت تعبيرا من الجنرال عن إعجابه بطريقة هؤلاء المجندين الجزائريين فـي شـن الهجمات على الخصوم و كذا في التصدي للخصوم الروس بكل شجاعة و صبر، و بقـي الجزائريـون بمختلـف فصائلهم محل إعجاب و اندهاش ضباطهم و قادتهم العسكريين الفرنسيين من بداية دخولهم في المعـارك و حتـى نهايتها...

ولعل هذا الاعتراف بقدرات كل المجندين الجزائريين يتضح أيضا من خلال ما جـاء فـي كلمـة الجنـرال كانروبير قائد القسم الأول الذي كان يضم إلى صفوفه لواء من الزواويين في حرب القرم حيـث خاطـب الفـرق العسكرية الجزائرية و هي تستعد للعودة إلى أرض الوطن الجزائري في أكتوبر 1855 بقوله: " إن الإمبراطور فرح كثيرا بما صدر منكم من الشجاعة و الصفات الحميدة و ما فعلتموه في هذه الحرب التي كانت سببا لحفظ المملكة العثمانية و حماية سلطانها من مكائد العدو، فلذلك أذن لكم الإمبراطور بـالرجوع إلـى أوطـانكم، و حقيـق أن الشجاعة العظيمة التي بدت منكم في كل معركة هناك تماثل شجاعة العساكر الفرنساوية، كما شهد جميع جيـوش الأجناس التي رافقتنا، حتى العدو تيقن بذلك و علم ضرورة قتالكم و بأسكم ".[565]

و ما هي إلا أعوام قليلة حتى وجد المجندون الجزائريون أنفسهم مرة أخرى في مواجهة حـرب أوروبيـة بإيطاليا حيث عمدت فرنسا إلى إقحامهم فيها على غرار ما فعلت بهم في حرب القرم. و كانت هذه الحرب فرصـة أخرى للعناصر الجزائرية كي تثبت جدراتها و كفاءتها الحربية أمام الجيوش الأوروبية، و ها هو الجنرال موتروج القائد الأعلى للقوات الفرنسية في حملة إيطاليا قد انتقل شخصيا إلى جبهة القتال حيث كانـت الفصـائل العسـكرية الجزائرية تستعد للهجوم على القوات النمساوية فخاطبهم باللغة الفرنسية التي ترجمت فورا إلى العربية حيث قال: " أيها الرماة العدو أمامكم، و أنتم أوائل الفيالق العسكرية من السلك الثاني... و سيكون لكم الشرف لمواجهة هـذا العدو و إني أعتمد على قيمتكم الحربية، و فعاليتكم في القتال... و بفضل تفانيكم و طاقاتكم سوف تبرهنون فـي هذه المعركة على أنكم أهل للسمعة التي اكتسبتموها في حرب القرم، و عليكم واجب رفع سمعة و مجـد القسـم الأول في السلك الثاني عاليا... و إني أوصيكم بالاقتصاد في إطلاق النار بقدر الإمكان، و الإكثار مـن اسـتخدام الحراب في طعن و إفناء أعدائكم...".[566]

ولقد ذكر الجنرال موتروج في مذكراته ما يلي: " كان النمساويون يتداولون فيما بينهم إشاعة مفادهـا أن الرماة الجزائريين كانوا يأكلون لحوم أسراهم، و هذا بالطبع ما ساعد على هزيمة الخصوم، حيث كـان الجنـود النمساويون يهربون من وجه الرماة الجزائريين قبل ملاقاتهم.

أما عناصر الرماة فقد كان عليهم مجابهة 3 فيالق نماسوية و فرقة للمدفعية بواسطة السلاح الأبـيض إذ بفضـل شجاعتهم التي لا يضاهيهم فيها أحد تمكنوا من التغلب على النمساويين الذين كادت عناصر سريتين منهم أن تقع أسيرة في أيدي الرماة، لو لا أنهم أطلقوا العنان لخيلوهم هروبا من وجه الرماة. فالجيش النمساوي كان مضطرا لتعبئة **5000** جندي إضافي لمجابهة فصيلة من الرماة الجزائريين الذين لم يكن عددهم يتجاوز **2800** جندي عند الهجوم".[567]

كما عبر من جهته الإمبراطور نابليون الثالث عن تقديره و إعجابه بأولئك المجندين الجزائريين في ميـادين المعارك حيث أنجزوا عملا أفرح الفرنسيين وحقق لهم انتصارات باهرة، فأرسل عن ذلك إلى الإمبراطورة برقيـة قال فيها: " لقد أنجز الرماة الجزائريون تحت قيادة العقيد لاري ***Laré*** عملا كبيرا و رائعا، لا يقـل عظمـة عمّـا حققوه في حرب القرم، و لهذا صار من الأكيد في إيطاليا ضرورة استخدام هؤلاء الجنود إلـى جانـب جيوشـنا

564 - **Idem:** p.25.

565 - **المبشر:** عدد 1855/11/15.

566 - **Duruy. V:** op. cit, p.188.

567 - Motterouge: **Mes souvenirs T 3,** op. cit, p.79.

الوطنية في أية حرب أوروبية، ففي هذا اليوم اتضح بشكل جيد ما للجزائريين من اندفاع و جرأة فائقة و غير قابلة للطعن أو التشكيك فيها..." [568]

وكما هو شأن الفرنسيين دائما خلال القرن التاسع عشر الذي شهد عدة حروب كان الهدف منها توسيع رقعة الإمبراطورية ، ذلك أنه بعد سنوات قليلة أقحمت الفصائل الجزائرية من جديد في حرب المكسيك التي كانت بها المعارك قاسية جدا نظرا لإصرار المكسيكيين على ضرورة دحر القوات الفرنسية الغازية، وبعد عام واحد من بدء المعارك الطاحنة ضيع الرماة الجزائريون وحدهم نصف التعداد بالتقريب دون ذكر الخسائر في صفوف الزواويين و قناصة إفريقيا، إذ لم يبق من الرماة الجزائريين سوى 464 جنديا و30 ضابطا بعد أن كان تعدادهم حين نزولهم على الأراضي المكسيكية يتجاوز 700 جندي من دون حساب عدد الضباط... [569]

وتلقى الرماة الجزائريون الأمر بالانسحاب من الأراضي المكسيكية كغيرهم من الفصائل العسكرية الفرنسية الأخرى في جانفي 1867، و قبل أن يغادروا هذه الأراضي التي شهدت أعنف معاركهم و أشهى انتصاراتهم و أصعب مراحل حياتهم العسكرية في مواجهة حرب العصابات التي اشتهرت بها فصائل المقاومة المكسيكية. و كذلك مواجهتهم للأمراض الفتاكة و الأوبئة القاتلة، توجه إليهم الماريشال بازين بخطاب ضمنه إعجابه بالإنجازات العسكرية و البطولات التي لا تنكر في ميادين المعارك التي خاضوها بكل صبر خدمة للإمبراطورية الفرنسية في هذه الأراضي النائية و مما جاء في خطابه قوله: " إن الرماة الجزائريين قدموا كل ما كان مطلوبا منهم و أكثر... حيث قاتلوا في هذه الحملة العسكرية على المكسيك أكثر و أفضل من أية فصيلة عسكرية أخرى في الجيش الفرنسي.
فحيثما كانت المعارك عنيفة، و حيثما كان لزاما علينا مطاردة الأعداء الذين كانوا كالأشباح، إلا كان الرماة الجزائريون في الموعد... بالسير الطويل و الحثيث، فلم يكونوا يتوقفون عن المطاردة حتى يحققوا الهدف المطلوب منهم، و حينما اضطررنا إلى مواجهة المناخ الاستوائي الفتاك إلا كان الرماة الجزائريون في الموعد كذلك... حقا لقد حافظ الرماة الجزائريون على مجد و شرف فرنسا، حيث برهنوا باستمرار عن عظيم شجاعتهم أمام الخصوم، و كانوا أكثر بطولة و أنفة أمام الموت، و أكثر إنكارا للذات في كل المواقف، مما جعلهم بحق يستحقون السمعة الطيبة في صفوف الجيش الفرنسي...". [570]

وتشاء الأقدار و الإدارة الاستعمارية مرة أخرى أن تدفع بالجزائريين في حرب أخرى لا ناقة لهم فيها و لا جمل و في ظروف أقل ما يقال عنها أنها لم تكن متكافئة، فالجيش الألماني المدرب أحسن تدريب و المحضر لخوض هذه الحرب أحسن تحضير و المدعم بأسلحة متطورة مقارنة مع ما كان يملكه الجيش الفرنسي المنهوك القوى بفعل حروبه المتتالية، أضف إلى كل ذلك تجهيزات الجيش الفرنسي الضعيفة و مدافعه النحاسية التي بدت كلعب الأطفال أمام صلابة المدافع الألمانية الحديدية...
فالمجندون الجزائريون الذين كانوا منتشين بانتصاراتهم المتتالية و تفوقهم في كل المعارك التي خاضوها وجدوا أنفسهم هذه المرة أمام الجيش الألماني في وضع لا يحسدون عليه بحيث أنهم كانوا في حرب 1870-1871 في مواجهة جيش كانت عناصره بالنسبة إليهم كالأشباح التي لا يمكن الوصول إليها رغم المحاولات اليائسة التي كان يقوم بها أولئك المجندون الذين أوشكوا على أن يفنوا عن آخرهم بعد أن تعذر عليهم الدخول في معارك ضد أولئك الأشباح بالسلاح الأبيض كما كانوا متعودين دائما...

ولكنهم بالرغم من هذه الهزيمة النكراء التي لحقت الجيوش الفرنسية في هذه الحرب التي دفعت الحكومة الفرنسية إلى الاستسلام في 28 جانفي 1871 يقول عنهم الكابتن المتقاعد ليسبيس: " بقي الضباط و القادة العسكريون الذين أشرفوا على قيادة هذه الفيالق من المجندين الجزائريين في حرب 1871/1870 لا يقرون و لا يعترفون مطلقا بهزيمة الكتائب العسكرية الجزائرية بمختلف تسمياتها... إذ لم يكن لهؤلاء الأبطال أي ذنب أو أية

---

568 - **Duruy. V:** op. cit, p.130.
569 - **Capitaine Niox:** op. cit, p.377.
570 - **Duruy. V:** op. cit, p.160.

مسؤولية في هذه الهزيمة. و لذلك مباشرة بعد أن استعادت فرنسا عافيتها العسكرية انطلقت في العمل علـى إعـادة تنظيم جيشها، فكانت الفرق الجزائرية من الرماة و الصبايحية و القناصة يحتلون المكانة المرموقـة فـي الجـيش الفرنسي..." .[571]

واعترافا من الفرنسيين السياسيين منهم والعسكريين بكفاءة الكتائب العسكرية الجزائرية في الحروب ها هـي مرة أخرى تزج بالمجندين من أبناء الجزائر في حرب أخرى بجزيرة مدغشقر، حيث جندت من بلاد القبائل ما يزيد عن 7000 مجندا لضمان نقل المعدات الحربية على ظهور البغال و الخيل لأن بلاد مدغشقر طرقاتها كانت مهشمة ومسالكها وعرة، و سكان منطقة القبائل هم الأقدر على التعامل مع تلكم الطرقات الصعبة و الممرات الجبلية الوعرة ، لتشابه التضاريس الجبلية..

ومرة أخر تختار القيادة العسكرية الفرنسية فصائل من الصبايحية و القناصة و لواء كامل العدة و العدد مـن الرماة الجزائريين لإقحامهم في هذه الحرب، و قبل مغادرتهم أرض الجزائر خرج إليهم الجنرال ماتزينغر مودعـا، فقال على الخصوص:" إن الرماة الجزائريين دائما كعادتهم يصلون الأوائل في مقدمة طلائع الجيش لبدء المعارك، و عند نهاية الحرب يكونون آخر من ينسحب... فبفضل شجاعتهم و قدراتهم الفائقـة علـى تحمـل الصـعاب و المشاق يعود الفضل الأكبر في نجاح عملياتنا العسكرية في مختلف بقاع العالم، فلهـم الحـق فـي أن يفتخـروا بالصفحات المضيئة و المشرقة في تاريخهم العسكري المجيد في فرنسا و الجزائر...".[572]

أما الجنرال أوري روبير فيقول عنهم في كتابه الجيش الإفريقي...: " لقد كانت الفصائل العسكرية الجزائرية دائما في مقدمة الجيش المعد لتلقي الصدمات الأولى... و قد أدت هذه الفصائل العسكرية مهمتهـا علـى الوجـه الأكمل، مما سهل للجيش الفرنسي مواصلة توغله نحو عاصمة البلاد تناناريف...".[573]

في حين أن العقيد ميريبوا يقول عن المجندين الجزائريين في حملة مدغشقر منوها و مشيدا بكفاءتهم العسـكرية و انضباطهم و مقاومتهم للإجهاد و هجمات الهوفاس العنيدين: " لم يكن عمل الفصائل الجزائرية مقتصرا على محاربة و مطاردة الأعداء، أو الدفاع عن المعاقل و المعسكرات الفرنسية، أو السير في مقدمة الجيش فحسب، بـل كـان الرماة الجزائريون بفيالقهم الثلاثة يعملون على شق الطريق المؤدي إلى العاصمة تناناريف بكل حـزم و جـد و نشاط... بحيث أنهم كانوا يمسكون المجرفة و المسحاة بيد، و البندقية باليد الأخرى لرد هجمات الهوفاس الـذين لم يتوقفوا أبدا عن مهاجمة عناصرنا رغم الهزائم المتوالية التي كانوا يتلقونها في كل مرة يعترضون فيها طريق الجيش الفرنسي ".[574]

أما الماريشال جوزيف قالييني فيقول عن المجندين الجزائريين في حملة مدغشقر مـا يلـي: " إن الفصـائل الجزائرية من الرماة و القناصة كان عليهم واجب الزحف نحو مدينة تناناريف في مقدمة الطوابير العسـكرية، و كان عليهم أن يتحملوا أكثر من غيرهم تبعات الإجهاد المتواصل و الصعوبات الجمة التي لم يكن غيرهم يسـتطيع تأديتها أو كانت لهم القدرة على تحملها... فبعد الأشغال الشاقة و المجهودات التي بذلوها لمدة ثلاثة أشـهر فـي شق الطريق و إصلاحه، و هو الطريق الذي مكننا من استخدام العربات لتموين الجيش و نقل المعدات الحربية، و هو أمر حتمي و ضروري لمواصلة هذه الحرب... في مثل هذه الظروف القاسية جدا بسبب الحمى التي قلصـت من تعداد الجنود الوافدين من فرنسا، فإن الرماة الجزائريين و الفصائل العسكرية الجزائرية عامة كانـت الأكثـر تحملا و الأقل تضررا من هذه الأوبئة الفتاكة. فالشرف كل الشرف للرماة الجزائريين الذين شـكلوا أول طـابور للجنرال ميتزينغر يدخل منتصرا عاصمة الجزيرة تناناريف ".[575]

بهذه الشهادات الحية التي أجمعت كلها على كفاءة و قدرة المجندين الجزائريين على مجابهة كـل الأخطـار بصبر و قوة لا يسعنا إلى أن نذكر: بأنه لو لم يكن المجندون الجزائريون في صفوف الجيش الفرنسي مـا فكـرت

---

571 - **Lespes. R:** op. cit, p.36.
572 - **Id.**
573 - **Huré. R:** op. cit, p.202.
574 - **Commandant Mirepoix:** op. cit, pp.160 et les suivantes.
575 - **Lespes. R**: op. cit, p.36.

فرنسا مطلقا في غزو مختلف مناطق العالم بالقارات الثلاث، لأننا في كل مرة نجد جنرالا أو ماريشالا قاد الجـيش في هذه الحملة أو تلك يقول: لو لم يكن المجندون الجزائريون حاضرين في صفوف الجيش الفرنسي ما كانت هذه الانتصارات لتكون و لا حتى هذه الحملات العسكرية.

وبالرغم من كل ما قيل عن قدرة أولئك المجندين الجزائريين في مواجهة الأخطار و الصبر على المكـاره، إلا أنها لاتضاهي ما كان عليه المجاهدون في سبيل الله والوطن من صبر ومقاومة منذ بداية الغزو الفرنسي لبلادنا إلى ساعة خروج المستعمرين من بلادنا مدحورين مذمومين، ولذلك لا بد من القول أن تلك الميزات كانـت و مـا تزال كامنة في شباب الأجيال المتلاحقة، فجيل ثورة نوفمبر المجيدة صبر على الآلام و عانى الكثير مـن المشـاق حتى حقق الانتصار و الحمد لله، و ما ذلك إلا دليل على أن القوة الكامنة في أي شعب من الشعوب لا تمـوت و لا تنتهي بل تنتقل من جيل إلى جيل عبر الأصلاب و الأرحام حتى يتوفر لها في المجتمع، القائد الـذي يفجـر تلـك القوى العظيمة...

وما دام العصر قد تغير و الوقت الذي كانت تسعى فيه الدول الكبرى إلى التوسع في أقطار العالم قـد تبـدل شكله ومضمونه، فأولى وأحرى أن تستغل الطاقات البشرية الشابة في بلادنا اليوم و توجه نحو العمـل و الإنتـاج، وتعود على العمل و المثابرة و بذل الجهد بدل تركها في الشوارع تتسكع ولا تجني من وراء ذلـك غيـر الخمـول والكسل و الحقد على الأهل و على كل شيء في البلاد ، لأنهم لم يوفقوا في الحصول على مـا يريـدون بعـد أن تعودوا على الإنفاق من غير حسيب مع الاتكال على الأهل في كل ما يحتاجون اليه ......

ج- خلاصة الفصل الثالث:

إن المجندين الجزائريين الذين كانوا قد شكلوا دعما قويا للجيش الفرنسي منذ غزوه لهذا الـوطن الجـريح ، حملتهم فرنسا معها إلى مختلف مواقعها الحربية البعيدة منها و القريبة، و لها في ذلك أهداف عدة منها:

1- إخلاء البلاد بقدر المستطاع من الطاقات البشرية الشابة التي قد تكون كالحراب السامة في ظهورهم أيام محنهم و حروبهم ضد مختلف القوى الأجنبية الأخرى.

2- الحيلولة دون أن يصبح أولئك الشباب دعما إضافيا للثوار و المناهضين للوجود الاستعماري في الجزائر التي لم يتوقف أهلها الأحرار يوما عن الثورة و الغليان و محاربة الأعداء. مما حدا بالعقيد دومـونتي **Dumontet** إلـى التصريح بالقول: "لست متفائلا بمستقبل هذه المستعمرة (الجزائر)... هذه المستعمرة التي لا بدّ من إعادة احـتلال مختلف مناطقها كل ثلاث سنوات".[576]

وعلى كل فالمجندون الجزائريون الذين استخدمتهم فرنسا في حرب القرم ، في إيطاليا و كـذلك فـي بسـط نفوذها على السينغال خلال السنوات 1860- 1861 ، استخدمتهم كذلك في كوشان شين خـلال سـنوات 1861-1864 ، في حربها بالمكسيك خلال السنوات 1862-1867 ، في حربها ضد ألمانيـا فـي 1870-1871 ، فـي التونكان بآسيا 1883-1886، و في مدغشقر في أقصى الجنوب الشرقي لقارة إفريقيـا خـلال السـنوات 1895-1898.

في كل مرة كانت تستغل ما أمكن استغلاله من الجزائريين مع العمل على وضـعهم دائمـا فـي الصـفوف الأمامية لحماية مقدمة جيوشها الغازية عند الهجوم على الأعداء ليكونوا أيضا فـي مـؤخرة هـذا الجـيش عنـد الانسحاب... إنها حقا معادلة ذكية..... كان قد أوصى بها ساسة فرنسا و قـادتهم للتخفيـف مـن معانـاة أبنـاء جلدتهم.[577] ففي كل المواقع الحربية كان للمجندين الجزائريين فائدة عظيمة للإمبراطورية الفرنسية و أية فائـدة!... حيث كانوا في كل مرة يبرهنون عن قدرات عسكرية خارقة منذ حرب القرم و ما تلاها مـن حـروب و حمـلات عسكرية قاسية.

ومع كل ما سبق ذكره فإن ذاك المجند الجزائري لم يكن يدرك ما كان يفعله في هذه المناطق النائية البعيـدة كل البعد عن قريته و مسقط رأسه، فكل ما كان يعنيه خارج محيطه الضيق أنه كان يعمل في إطار خدمة عسكرية ، و بالتالي فهو يؤدي عملا و يمتثل لأوامر قائده مقابل أجرة يتلقاها، فمن ذلك أن مدغشـقر كـان يسـميها أولئـك المجندون الجزائريون مدام بوبليك... فهم لا يعرفون عنها شيئا، و لا يهمهم معرفة من يحاربون، أو لماذا يحاربون هنا أو هناك؟... فالمهم عندهم أنهم يقومون بحملة عسكرية و عليهم واجب التنفيذ، و كفى!... و دون أن يلتفت هذا المجند خلفه فإنه يخوض معركته ساعيا للخروج منها حيا ومنتصرا، فحيثما كانت هذه المعركة فالأمر عنده سيان...

في أوروبا مثلا كانت العناصر الأولى من المجندين الجزائريين، و بغض النظر عـن تسـمياتهم المختلفـة: زواويين، صبايحية، قناصة، رماة... كانوا كلهم وراء كل الانتصارات التي حققتها الجيوش الفرنسية بدءا من حرب القرم و حملة إيطاليا حيث كبدوا القوات النمساوية خسائر كبيرة، و كانت انتصاراتهم دائما لا غبار عليهـا، لأنهـم كانوا يخوضون معاركهم بأناقة و شجاعة الجندي الذي يبحث عن الانتصار. أما الهزائم التـي لحقـت الجيـوش الفرنسية في حربها ضد ألمانيا **1870-1871** فقد كان المجندون الجزائريون فيها مجرد ضحايا لتهاون السلطات الفرنسية و عدم قدرتها على مواكبة التطور الصناعي عند الألمان. أما الخيبة و الانكسارات التي لحقت الجيـوش الفرنسية في حملة المكسيك خلال السنوات **1862-1867** فقد كانت نتيجة للحسابات السياسية، كما يعترف بـذلك القادة و الجنرالات الفرنسيون.[578]

---

[576]- **مصطفى الأشرف:** مرجع سابق، ص.84.

[577] - **Camille Rousset:** op. cit, pp.91 et les suivantes.

[578] - **Duruy. V:** op. cit, p.160.

أما فاتورة الضحايا من المجندين الجزائريين في خدمة العلـم الفرنسـي و شـرف الإمبراطوريـة و كـذا الجمهورية الفرنسية فقد كانت طويلة و عريضة، فكم هم القتلى من الجزائريين؟... في حرب القرم حيث قتل مـن الجزائريين 27 ضابطا من بين 104 ضابط، و جرح منهم 29 ضابطا و في نهاية المطاف لم يسلم من نيران هـذه الحرب سوى واحد من اثنين.

وفي معركة ويسمبورغ قتل من المجندين الجزائريين 560 جنديا و في معركة وورث Worth هلـك مـن الجزائريين 700 محارب في اليوم الأول فقط ، أما مجموع من سقط قتيلا في هذه المعركـة فقـد تجـاوز 1300 جندي لقوا حتفهم جميعهم في سبيل شرف العلم الفرنسي من مجموع عدد المشاركين في هذه المعارك و الذي كـان في حدود 2215 جندي.

في حين أن معركة سيدان لم يبق من المجندين الجزائريين على قيد الحياة سوى 585 جنديا أما الآخرون فقد هلكوا عن آخرهم، و ذلك لعدة أسباب أهمها:

1. المجند الجزائري لا يولي الأدبار مهما كان الخطر بليغا، و إن صادف و ولى الأدبار هاربا قـد تخـترق صدره رصاصات الجنود الفرنسيين من ورائه.
2. القادة العسكريون كانوا يدفعون الكتائب و الفيالق الجزائرية إلى المقدمـة لمواجهـة الصـدمات الأولـى للأعداء، و لو أعطيت الأوامر إلى الجيش كله بالانسحاب، لكان الجزائريون آخر من ينسحب، هذا إن كان هناك انسحاب. ففي معركة ويسمبورغ على سبيل المثال حيث تلقى الجيش الفرنسي هزيمة نكـراء، لـم ينسحب المجندون الجزائريون الذين بقوا أحياء مثخنين بالجراح إلا بعد إلحـاح شـديد مـن ضـباطهم و قادتهم...وأخيرا انسحبوا ... و ما كادوا يفعلون.[579]

أما حصيلة القتلى من الضباط المجندين الجزائريين فقد كانت ثقيلة في المعارك الثلاث المذكورة آنفا، بحيـث أنه قتل من بين 97 ضابطا مشاركا ما لا يقل عن 23 ضابطا و جرح 51 ضابطا آخر، مما يعني بطبيعة الحال أنه لم يسلم من الجزائريين الضباط سوى القلة القليلة التي لم تتجاوز عدد 23 ضابطا بقوا أحياء ينتظرون دورهم فـي المعارك القادمة.

وهنا وللأمانة التاريخية لا بد أن نذكر قصة يبدو أن الهدف منها كان لمجرد الدعاية وقد تكـون صـحيحة؟. وعلى كل حال فإن القصة في حد ذاتها تنبئ عن مدى إعجاب الشعب الفرنسـي بشـجاعة المجنـدين الجزائـريين وصرامتهم في المعارك الدامية ، و بالسمعة التي اكتسبوها ، فكثيرة هي المواقف التي بقيت فيها الجماهير الفرنسية مبهورة معجبة بالمجندين الجزائريين ، و هذا ما يبدو من خلال القصة التي ذكرها السيد آرنيست لافـيس عضـو الأكاديمية الفرنسية حين زعم: بأن أحد الضباط الألمان جرح في معركة *وورث*، و عندما نقل إلى إحـدى البيـوت بمقاطعة الألزاس أشرفت إحدى النساء هناك على علاجه و تضميد جراحه، و لكنها قبل أن تنتهي من عملها وصل إلى المكان أحد المجندين الجزائريين الجرحى، فأسرعت إليه المرأة تاركة وراءها ذلك الألماني يعاني من جروحـه وحروقه، فناداها باللغة الألمانية: لماذا تخليت عني! أ من أجل هذا المتخلف المتوحش؟... فردت عليه قائلة:" إن هذا المتوحش كما تقول، من جنودنا و أتباعنا بالجيش الفرنسي، و هو أحق بالرعاية و العناية من أعدائنا ".[580]

هكذا كان المجندون الجزائريون الذين يموتون من أجل العلم الفرنسي، لا يعترف لهم بفضل حتـى يكونـوا وسط لهيب قذائف المدافع! لماذا؟... لأن الفرنسيين ببساطة كانوا يحتاجون إلى صدور أولئك المجندين دروعا تقيهم نيران أعدائهم، فهم بحاجة إلى تضحيات أولئك المجندين وإلى قوة جبروتهم فـي الحـروب، و إلـى وحشـيتهم و شراستهم التي كانوا بها يهزمون خصومهم و ينتصرون بها على أعداء فرنسا و بذلك رفعوا صيتها عاليا.[581]

---

[579] - **Lespes. R:** op. cit, p.32.

[580] - **Ernest Lavisse: in Duruy. V**: op. cit, p.4

[581] - لقد كان المجندون الجزائريون في مختلف المعارك التي خاضوها مندفعين لا يهابون الموت إطلاقا على عكس الجنود الأوروبيين الذين كانوا بالحياة متشبثين → Duruy. V: op. cit, p.5

لقد كان لأولئك المجتدين الجزائريين الذين أقحمتهم فرنسا في مختلف حروبها الدامية الفضل الكبير في هيمنتها على الكثير من بقاع العالم ، مما حدا بالعديد من الكتاب والمؤرخين الفرنسيين وكذا العديد من جنرالاتهم الذين كتبوا مذكراتهم عن الحروب التي خاضوها بأولئك الجزائريين. إلى التنويه ببطولات أولئك المجتدين والإشادة بشجاعتهم النادرة والتي كثيرا ما كانت تثير التعجب، والإعجاب ! ... وكلهم انبهار بما كانوا يروونه عن أولئك المجتدين في صفوف الجيش الفرنسي.[582]

وعلى كل فإن أولئك المجتدين يستحقون أن يكتب الفرنسيون تاريخهم بكل صدق مثل بقية الفصائل العسكرية الفرنسية الأخرى، لأن أولئك الجزائريين الذين كانوا مجتدين في هذا السلك أو ذاك، وسواء أكانوا من الرماة الجزائريين أو الزواويين أو فرق الصبايحية أو القناصة الجزائريين، كلهم ضحوا في سبيل مجد فرنسا وحريتها وقدموا التفوس دفاعا عن شرف وسمعة فرنسا التي جتدتهم في صفوف جيوشها، فلم يتقاعسوا في الدفاع عنها بالجهد والدماء. وسواء أكانوا في ذلك مختارين أو مجبرين، لأن العبرة في النهاية بالتتيجة، ومن حق الأمة التي أنجبتهم أن تتلقى التعويض المادي والمعنوي عن تضحيات أولئك المجتدين ،حتى ولو كانوا من حثالة الشعب الجزائري.[583] ناهيك عمن قاوموا الفرنسيين من المجاهدين دفاعا عن شرف وعزة هذا الوطن الغالي منذ **1830** لأنهم في النهاية يبقون جميعهم أبناء هذا الشعب، و من حق الخلف أن يرث بعض التعويض إن لم نقل كل التعويض عما كان من حق السلف.

وما التقدم الحاصل في فرنسا في مختلف مجالات الحياة إلا من صنيع و تضحيات أبناء الشعب الجزائري عبر مختلف الحقب الزمنية التي عاشها تحت سيطرة أولئك " الذين خربوا و دمروا البلاد تدميرا كاملا، و قضوا على كل أخضر من قرى و أشجار و حقول ".[584] دون نسيان مانهب المستعمرون الفرنسيون من خيرات البلاد التي استنزفت بشكل يثير الاشمئزاز ويربي الأحقاد في نفوس الخلف قبل السلف.

هذا علاوة على الديون التي كانت مترتبة على الدولة الفرنسية قبل سنة 1830م، والتي كانت سببا في حملتهم العسكرية على بلادنا والتي أضرت كثيرا بالجزائريين الآمنين في ديارهم... فكان الغزو وكان الاحتلال... و كان الاستدمار...بعد أن تعرضت الخزينة الجزائرية إلى السلب والنهب من ضباط الجيش الفرنسي الغازي وكبار رجاله .فالجنرال بيرتوزان والدكتور بونافون والقبطان بيليسيي دورينو والرسام المصور فودان ...و آخرون غيرهم كلهم شاهدوا الخزينة الجزائرية وشهدوا بأنه كان بها من الذهب ما قدره (24 مليون و700 ألف فرنك) 24700000 فرنك على نسبة ذلك العصر، وكان بها من نقود الفضة ما يقدر بمبلغ 23 مليون و984 ألف و527 فرنكا، أما مختلف البضائع والسلع المتنوعة التي وجدت مودعة بمخازن الحكومة فإنها قدرت بما يبلغ ثمنه نحو 11 مليون فرنك ... أما ما وجد هناك من السلع والعتاد الحربي وما يرجع إلى ما تملكه الدولة الجزائرية من عقار فقد قدر ب 50 مليون فرنك ، وذكروا أن من بين ما اختلسه الجيش الغازي من ذخائرالقصر ومستودعاته سبائك من التبر وقطع من الذهب الخالص وذلك ما يقدر بعشرة ملايين ريال. وهذا من غير الحلي والأحجار الكريمة والملابس الفاخرة وقطع من نسيج الحرير والصوف ، وكميات كبرى من الحديد والنحاس والرصاص ، والشمع والجلد والخل والملح ...وغير ذلك من المسكوكات والنقود الأجنبية المتجمعة بالخزينة قدرها الجنرال دي بورمون نفسه بمبلغ 80 مليون فرنك ، وقدرها القنصل الأمريكي وليام شيلر في كتابه مختصر الجزائر Sjatches Algires المطبوع بواشنطن سنة 1826.ص،119 ،أنه كان يوجد بالخزينة الجزائرية أيام تمثيله لحكومته بالجزائر 1815-1824 ما يقدر ب250 مليون دولار ، في حين ذهب القنصل البريطاني إلى 500 مليون فرنك .

---

[582]- انظر مؤلفات ومذكرات الجنرالات الذين ورد ذكرهم في هذا البحث أمثال:
de La Motte rouge- de Barail- Paul Azan...الخ...

[583] - **Camille Rousset**: op. cit, p. 284.

[584] - **مصطفى الأشرف:** مرجع سابق، ص85.

وتذكر لجنة الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائرسنة 1830 والتي كلفت بتقدير كنوز قصر القصبة أنها وجدت بالخزينة الجزائرية 72 قنطارا و12كلغ من الذهب ، ومن الفضة الخالصة 1087 قنطارا و04 كلغ ، وقومت هذه المعادن النفيسة بحوالي 48 مليون و683 ألف فرنك فرنسي

ولقد ثبت أن جنود الغزاة كانوا يستخدمون أوراق السجلات لإشعال السجائر ، وأن إتلاف السجلات هذا كان عمدا أو عفويا ساعد على عدم إثبات قيمة تلك المبالغ[585]!...

ورحم الله الشاعر التونسي أحمد بن علي القليبي المعاصر لحوادث هذه الكارثة، و القائل في مطلع مرثيته للجزائر :

عظم الله أجركم في الجزائر وجزاكم برزئها أجر صابر
دخلوها وملكوها خداعا ودنوا من أميرها دون زاجر
وتولوا خزانة لو حوتها يد قارون لم يزل يتفاخر

ورغم كل ما اقترف الغزاة من نهب وسلب لممتلكات الشعب الجزائري ، وإلى حد الساعة لم يكلف الفرنسيون أنفسهم حتى عناء الاعتراف بما اقترفت أيادي سفاحيهم من أمثال بيجو و سانت آرنو و غيرهما في حق هذا الوطن و أبناء هذه الأمة من 1830 إلى 1962. رغم أنه من حق الأمة التي تعرضت للحيف الاستدماري والظلم الشنيع عبر مختلف السنوات التي كان فيها المجتمع الجزائري مضطهدا من قبل المعمرين وأذيالهم من أبناء هذه البلاد الخائنين للوطن والأمة، والذين كانوا جميعهم محتمين بمظلة الاستعمارالفرنسي.

فمن حق هذا الشعب إذن الحصول على التعويض المناسب عن كل ما أصابه من انتهاك للأعراض وتقتيل للأبناء واستنزاف للخيرات والثروات الوطنية...

واعتراف الفرنسيين بجرائم استعمارهم في بلادنا أمر ضروري وحتمي لجعل العلاقات طبيعية بين الجزائر وفرنسا حتى تكون هذه الدولة العظمى في مستوى شعارثورتها العظيمة: أخوة. .مساواة .حرية. وحتى تكون في مستوى جارتها ألمانيا الدولة الأوروبية مثيلتهم في التقدم والتحضر، والتي لم تجد أي حرج في أن تعترف للفرنسيين بجرائمها في حقهم وتعتذر عما ألحقته بهم من أضرار ودمار خلال الحرب التي قامت بينهم سنة 1870 / 1871 وخلال الحربين العالميتين الأولى والثانية ...

فلماذا لا تحذو فرنسا حذو غريمتها بالأمس وصديقتها اليوم ألمانيا ؟..!

فعلى الأحرار من الفرنسيين المحبين للسلام أن يسعوا إلى الدفع ببلادهم فرنسا الحرة المحبة للسلام أن تعترف للجزائريين بجرائم أسلافهم من السياسيين والعسكريين في بلادنا وتخريبهم للبنية الاجتماعية والاقتصادية للشعب الجزائري الذي ضرب في أعز مقوماته ألا وهي هويته وثقافته! ...

لكن يبدو أن غلاة الاستدمار والذين في نفوسهم مرض تجاه بلادنا ما زالوا يصولون ويجولون في دواليب الحكم في فرنسا .وإلا كيف نفسر خروجهم علينا في 2005/02/23 بقانون يمجد الاستعمار وفضائله ، في الوقت الذي كان ينادي فيه عقلاؤهم ومحبو السلام منهم إلى عقد صداقة دائمةعلى قدم المساواة بين الشعبين الجزائري والفرنسي لينعم الجميع بخيرات التعاون البناء وفضائله .

ومع ذلك يسجل الشعب الجزائري بارتياح مواقف الأحرار من الساسة الفرنسيين ومثقفيهم الذين عملوا على إلغاء قانون الخزي والعار قانون تمجيد الاستعمار. ورغم تأخرالإلغاء إلى الثلاثي الأول من سنة 2006 ومع ذلك نسجل ارتياح كافة أفراد المجتمع الجزائري لهذه الخطوة الإيجابية في انتظار خطوات أكثر جرأة وشجاعة من الجانب الفرنسي .وعلى كل حال فالطيب يبقى طيبا حتى وإن تأخر...

وما على الدولة الفرنسية سوى الاعتراف والاعتذار للشعب الجزائري ومعاملته بما يستحق من احترام وتقدير، مع التعويض المادي والمعنوي عن كل مالحق بأسلافنا . أما وقد من الله عز وجل علينا في هذه السنوات

---

[585]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: مرجع سابق. ص ص.418-419

الأخيرة بقيادة رشيدة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من خدمة الشعب الجزائري ورفع مكانته عاليا بين الأمم هؤلاء الرجال الذين يسعون إلى تحقيق هذا المطلب المشروع.

بل إنه من واجب كل جزائري أن يطالب بالاعتذار لأمته ووطنه عما لحق بأسلافنا من أذى وظلم وحيف طيلة قرن وربع قرن من استدمار غاشم .

فهل سيتحقق هذا المطلب المشروع يوما ؟...

الجواب: نعم ، سيتحقق هذا بإذن الله و إرادة الرجال من أبناء الجزائر العتيدة والفرنسيين الأحرار الـذين إذا رغب ساستهم حقا في طي صفحات المآسي والآلام الماضية، وعند ذاك فإن الجميع: الجزائـريين والفرنسـيين على السواء سينعمون بفوائد التعاون والاحترام المتبادل.

وإلا فإن الجزائريين لم ينسوا ولن ينسوا آلام وأحزان أسلافهم طيلة 132 سنة من الظلم والاستعباد والآثار السـلبية المترتبة عن هذه الحقبة الاستعمارية التي مازال الشعب الجزائري يعاني منها حتى اليوم !. ولهذا فإن الجزائريين: الجيل بعد الجيل سيطالبون بهذا الحق المشروع.....

ولن يضيع حق وراءه طالب مهما طال الزمن.....

الخاتمة:

بعد أن تعرضنا في نهاية هذه الدراسة إلى بعض الحروب التي أقحم فيها المجندون الجزائريون الذين أسهموا بالغالي و النفيس في خوض المعارك الطاحنة التي قضت على الكثيرين منهم و رمت بجل من بقـي مـنهم حيـا، بعاهات مستديمة لازمتهم حتى آخر حياتهم، دون أن يكون لتلك التضحيات بالدم و الجهد و الصحة أية نتائج إيجابية على أهاليهم من حيث الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية على الأقل.

وهنا لابد من التذكير بأن أغلبية أولئك الشباب الذين لجؤوا إلى التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي كان ذلك بدافع الهروب من شبح الفقر و سياط الجوع، أو نتيجة لظلم كان مسلطا عليهم من قبل القياد و الباشـاغوات. و قـد عمد الفرنسيون بعد الاستيلاء على قسنطينة إلى حكم المجتمع الجزائري بواسطة أذنابهم و حلفائهم بعـد أن تعلمـوا طيلة الفترة السابقة بأن حكم الشعب الجزائري بصفة مباشرة لم يجلب لهم سوى الأتعـاب و الخسـائر الماديـة و المعنوية.

وقد كانت طريقتهم في التعامل مع القياد و الباشاغوات و رؤساء القبائل و الدواوير ذكيـة بحيـث اسـتغلت ظروف كل طرف حتى جعلت منهم متعاونين و متحالفين ، مستغلة ضعف البعض و جشع الطامعين منهم في الحكم أو الحاقدين على أبناء وطنهم كما رأينا ذلك مع مصطفى بن إسماعيل الذي كان حقده على الأمير عبد القادر يغـذي استبساله في خدمة الفرنسيين و تحطيم شوكة المقاومين الذين لم يرضوا باحتلال الفرنسيين، وقد ردد هذا المذـاوئ في كل مناسبة عن عدم قدرته على الانصياع إلى رجل زاوية مرابط، ربما لأنه يرى فيه شخصا غير أهل للسياسة و الحكم؟ ...

وقدعرفت الإدارة الاستعمارية بما كان لها من إمكانيات كيف تسـتثمر ظـروف الأهـالي الـذين أحرقـت محاصيلهم و خربت أرزاقهم ليسهل عليها فيما بعد الزج بأكبر عدد منهم في خدمة الجيش هروبا من الفاقة و الحاجة إلى لقمة العيش.

وبعد أن وصلنا إلى هذا الحد من الدراسة كان لا بد لنا من أن نقف قليلا للنظر في بعض القضايا...ذلـك أن فترة 1830-1900 غالبا ما أهمل الباحثون فيها قضية المجندين الجزائريين الذين كان الفرنسيون ينظـرون إلـيهم كآلات حرب دفعت بهم الحاجة إلى أحضان هذا الجيش الغازي لبلادهم ، و رغم كونهم فـي كـل مناسـبة كـانوا يتشدقون بولاء و إخلاص المجندين للقضية الفرنسية، إلا أنهم كانوا يعلمون في قرارة أنفسهم بأن ذلك غير صحيح ، و قد عبر عن هذا المعنى أكثر من ضابط فرنسي سامي:" على أنه ليس لهم مـن بـين العـرب صـديق، أو أن الجزائريين لا يتعاملون معهم إلا إذا كان ذلك بدافع الحاجة أو الخوف".

وقد صدقوا في ذلك فعلا لأن الجزائريين عامة كانوا ينظرون إلى كل متحالف مع الغزاة المحتلـين أو مجنـد فـي صفوفهم على أنه خائن لا بد من معاقبته، و لذلك كان هؤلاء المجندون يخافون من الوقوع في أيدي مواطنيهم الذين لم يكونوا يترددون في الانتقام منهم لتعاونهم مع النصارى المحتلين كما عبر عن ذلك المؤرخ الفرنسي جوليان حين قال:" لقد كانوا يخشون من الوقوع حتى في أيدي أقرب الناس إليهم..."

أو ما ذكره المؤرخ الفرنسي روسي الذي يذكر" على أن بومعزة و هو زعيم رجال المقاومـة قـام بإعـدام أحـد الآغاوات و ثلاثة من القياد الموالين لفرنسا جزاء على تعاونهم مع الغزاة ، و لا شك أن ذلك كان سيلحق أضرارا فادحة بالمصالح الفرنسية فيما لو اتسع نطاقها في جميع المناطق التي وصلها المستعمرون الفرنسيون..."

والفرنسيون عندما أنشأوا الفرق العسكرية المشكلة من الجزائريين ، خاصة سلك الرماة لم ينسـوا أن يدسـوا بين صفوفهم عيونا من الجواسيس الضعيفة نفوسهم حتى يوافوهم بكل تحركات عناصر هذه الفرق العسـكرية مـن الأهالي ، رغم أن الفرنسيين كانوا موجودين في كل هذه الفرق بأعداد معينة بقصد التأطير و التنظيم أو بـالأحرى بغرض المتابعة و المراقبة.

وقد كان الصبايحية و القومية من الأعوان الذين عملت فرنسا بمساعدة شيوخ القبائـل و الأغـاوات علـى تجنيدهم، ومع ذلك فقد كانوا خلال المعارك يتصرفون تصرفا لم يكن يرضي الضباط الفرنسيين لما كان يبدو عليهم من الاشمئزاز الذي لا يخلو من تأنيب الضمير، من ذلك ما ذكره النقيب دوكرو الذي لاحظ عام 1846 بأن" وجـود الأمير عبد القادر في المعركة كان يؤثر دائما على الخيالة من الأهالي تأثيرا لم يكن من السهل أن يتخلصوا منه ، و مهما بذلنا من جهود، فقد كان ذلك التأثير يحط من معنوياتهم و شجاعتهم".

وكان لبروز هذا الإحساس و الألم النفسي تجاه ما يحدث لأبناء وطنهم في مختلف المناسبات تأثير كبير على عقلية العملاء و غيرهم من أعوان الاستعمار الفرنسي ، فسلوك هؤلاء كان متقلبا ، مما يـدل علـى أنهـم كـانوا يشعرون بتأنيب الضمير و بمركب النقص تجاه مواطنيهم. ويلاحظ في البداية أن الفرار مـن الكتائـب و الفـرق العسكرية المختلفة التي شكلها الفرنسيون من الجزائريين المتطوعين في صفوفهم ، بلغ درجة من الاسـتياء الحـاد الذي جعل الماريشال فالي يطلب في شهر جانفي 1838 من وزير الحرب تسريحهم من الجندية و في هذا الإطـار يقول روسي: " إن الماريشال فالي يعتقد بأن هؤلاء المجندين الجزائريين سوف يشكلون في النهاية النواة الأولـى لجيش الأمير عبد القادر النظامي، فالجنود المشاة الذين وفرنا لهم التدريب، و أعطيناهم السلاح و العتاد ، كثيـرا ما كانوا يفرون زرافات و وحدانا و ينظمون إلى الكتائب العسكرية التابعة للأمير عبد القادر، أما الفرسان مـنهم فينضمون إلى سرية الخيالة "

ومن خلال تتبعنا للعديد من مواقف المجندين الجزائريين، خلال الفترة التي كانت فيها مقاومة الأميـر عبـد القادر قائمة، و كذا مقاومة الحاج أحمد باي في الشرق نشيطة ، ظهر لنا عدم الرضا أو الارتياح ليس عند المجندين فقط و لكن عند المتحالفين و المتعاونين مع الفرنسيين من القياد و شيوخ القبائل و غيرهم ، و لكنهم لم يجـدوا مـن ينظم صفوفهم و يوجههم بشكل يحفظهم من سوء العاقبة التي كانت تنتظرهم على أيدي الفرنسـيين الـذين كـانوا بالمرصاد لكل تحرك مريب حتى أن الجنرال سانت آرنو كان يقتل لمجرد الشك في طريقـة مشـية رجـل مـن المتحالفين و المتعاونين معه ، حتى صارت أوامره تنفذ بشكل آلي. وهذا ما عبر عنه أحد القياد حين أجاب أمه التي طلبت منه التخلي عن التحالف مع الفرنسيين، و كان الحزن و الأسى يطبعان ملامح وجهه حين أجاب:

"و لكنني يا أماه... إذا عدت إلى الأمير، فإن أيامي ستصبح معدودة..." فهذا الكلام يوضح بشكل بين ما كان يعتمل في صدور أولئك الذين تغلبت عليهم الأهواء الذاتية تارة و الظروف المحيطة بهم تارة أخرى. و ما ذلك إلا نتيجـة لما كان يجري في البلاد بعد الغزو الفرنسي . الأمر الذي جعل الناس يعيشون أحلك أيامهم تحت رحمة مـن اتخـذ الحرب من أجل الحرب!.

ومن أجل ذلك اضطر الأهالي الجزائريون إلى القيام بحرب العصابات أو الجهاد في سـبيل الله و الـوطن ، هذه الحرب التي قال عنها الدوق دورليان بأنها: "ألحقت بالفرنسيين الأضرار التي لم تلحقها بهم جيوش المقاومـة النظامية ، و قد حرمت جيشنا من النوم لأنها أرغمته على أن يظل دائما في حالة استنفار". و لعل هذا مـا أثـار

حفيظة الضباط الفرنسيين و جعلهم يتشددون في الحرب التي ما لبثت أن دخلت في مواجهـات فظيعـة و صـارت هواية لا واجبا ، و صار القتال مهنة كغيره من المهن الأخرى ، حيث تحولت من إخضاع العدو إلى القيام بالغارات من أجل السلب و النهب ، و التسلية... بعد تجرد الغزاة الفرنسيين من كل الاعتبارات الأخلاقية.

و هذا ما عبر عنه الجنرال شانغارنيي الذي يعتبر من أكبر القادة الفرنسيين حين قال متحدثا عن عناصـر جيشـه الذين خربوا في عملية عسكرية لهم غرب سهل متيجة:" لقد وجد جنودنا خيرتسلية لهم في الغـارات المتكـررة التي كنت أشنها في الشتاء ضد القبائل المناهضة لنا في المنطقة التي كانت بين الحراش و بوركيكة".

ولعل انعدام التنسيق بين مختلف القوى الحية في الجزائر هو الذي سهل على الفرنسيين التوغل في أعمـاق البلاد و إحراق المحاصيل و تدمير القرى بالرغم من أن الحكومة في باريس كانت تمنع و تحذر من مواصلة توغل الجيش الفرنسي في المناطق الداخلية ، و في هذا الشأن يقول الجنرال سانت آرنو في إحدى رسائله إلـى شـقيقه:" يبدو أنهم يريدون التخلي عن الجزائر، و الحاكم العام تلقى الأمر بعدم القيام بأية حملة عسكرية... و حملتنا على منطقة القبائل الكبرى كانت لازمة و ضرورية لأن العرب " الجزائريين " إذا لم نهاجمهم لنبين لهم أننـا اقويـاء، فإنهم سيهاجمون مراكزنا الأمامية ".

ولم يكن الفرنسيون قادرين على التوغل في أعماق البلاد الجزائرية لو كان رؤساء القبائل و شيوخ الـدواوير على بينة من أمرهم متآزرين و متحدين فيما بينهم . و كان إلى جانب ما سبق عوامل أخرى ساعدت الغزاة علـى النجاح في مهمة الاحتلال الشامل . و يمكن تلخيص هذه العوامل فيما يلي:

1- انعدام التعاون و التنسيق بين الأمير عبد القادر و الحاج أحمد باي فكلاهما ربما يكون قد رأى القدرة في نفسـه على احتواء الوضع و الانفراد بالقيادة.

2- الترفع و التعالي الذي تميز به الآغاوات و أصحاب السلطة أيام حكم الداي عن بقية الشعب، وعدم قدرة بعضهم على قبول الانضواء تحت لواء الأمير عبد القادر مثل: الآغا مصطفى بن اسماعيل الذي كان يرى فـي شخصـية الأمير رجلا لا يليق بالقيادة و السياسة لأنه من سلالة أسرة أقل من أسرته شأنا . خاصة و أن أسرة الأميـر عبـد القادر من المرابطين الذين ينتمون إلى زاوية العلم و ليس لبيت حكم و سلطان.

3- عدم تمكن الحكام الأتراك من التعاون مع شيوخ و سلاطين العرب في مختلف جهات البلاد، الأمر الذي جعـل الهوة عميقة بين الطرفين حيث أنه بمجرد دخول الفرنسيين و سيطرتهم على العاصمة حتى أسرع بعض الشيوخ و السلاطين إلى عرض تعاونهم مع الغزاة بغرض القضاء على الباي أحمد أو من يمثل السلطة في البلاد التي يمكـن أن تذكرهم بالازدراء و الاحتقار الذي كانوا عرضة له . كما رأينا ذلك مع شيخ العرب البسكري سلطان توقرت.

4- قوة السلاح و التنظيم لدى الغزاة الفرنسيين ، وكذا اتباعهم أساليب كفيلة بالقضاء على كل مقاومة ، إلى جانـب كونهم ركزوا على تجويع الأهالي بإحراق أشجارهم من التين و الزيتون لتركيع الجزائريين مما دفـع فـي بعـض الحالات إلى لجوء الأمير عبد القادر إلى ترحيل السكان إلى مناطق أخرى لم يصلها الفرنسيون بعـد ، لكـن مـع توغلهم في مختلف جهات البلاد ، انتهى الأمر بأولئك الجزائريين إلى الاستسلام أو الموت.

5- معاهدة التافنة التي اضطر إلى عقدها الأمير عبد القادر لتنظيم صفوفه ، وبعدها تفرغ الفرنسيون للاسـتيلاء على قلعة بايلك الشرق الجزائري قسنطينة ، و خنق المقاومة هناك .

ليعتمد فـالي في النهاية على حكم الجزائريين بواسطة الحلفاء و الموالين للفرنسيين الذين عادوا هذه المرة أكثر قوة وإصرارا من أجل التركيز على القطاع الغربي حيث الأمير عبد القادر الذي لم يتمكن من متابعـة الكفـاح بسـبب متاعبه مع سلطان مراكش وتضييق الخناق عليه من طرف القادة العسكريين الفرنسيين ، ليستسلم الأمير في نهايـة المطاف عام 1847.

ومنذ ذاك الحين بدأ الفرنسيون بكل ارتياح في استغلال الشباب الجزائري بتجنيده في صفوف الجيش قصـد التوسع في ما بقي من المناطق و خنق كل حركة عصيان ، ليستتب الأمر في النهاية للمحتلين الذين عمـدوا إلـى

استخدام الطاقات البشرية في مختلف معاركهم و حروبهم خارج القارة وتوسيع رقعة إمبراطـوريتهم التـي كـانوا يحلمون باستعادة أمجادها بعد الضعف الذي أصابها في نهاية حكم نابليون بونابرت.

وبعد أن تمكن الفرنسيون من القضاء النهائي على مقاومتي الأمير عبد القادرغربا و أحمد باي قسنطينة فـي شرق البلاد ، سارعوا إلى تنظيم الفرق العسكرية للأهالي و تجنيدها في حروبهم التي دشنوها بحرب القـرم التـي عرف الفرنسيون كيف يستغلونها لصالحهم حيث أنهم أوهموا أولئك المجتدين الجزائريين بـأنهم سـيدافعون عـن الإسلام و سلطان المسلمين في تركيا ضد روسيا المتحرشة بهم .

وتواصلت حروبهم ، و في كل مرة كان القادة العسكريون الفرنسيون يجدون المجندين الجزائـريين أمـامهم ليكونوا منهم فرقا خاصة يدفعونها في مقدمة الجيوش الغازية لفتح الطريق أمام الجيش الفرنسي أو لصـد هجمـات المقاومين في تلك البلاد المراد استعمارها.

ويستمر الفرنسيون في استغلال الطاقات البشرية الجزائرية حتى نهاية القرن التاسع عشر و لهم فـي تجنيـد الجزائريين فائدتان: فأما الأولى فتتمثل في توفير العنصر البشري لخوض المعارك بأقل التكاليف ، و أمـا الثانيـة فتتمثل في تفريغ البلاد بقدر الإمكان من الطاقات البشرية و تسخيرها لخدمة الوجود الفرنسي في البلاد ، و طمأنـة الفرنسيين عامة و المعمرين خاصة بعدم إمكانية وقوع انتفاضة جلدة يمكن أن تقض مضاجعهم.

ويبقى الجزائريون يراوحون مكانهم فلا تحسين في أوضاعهم الاجتماعية أو الاقتصادية، مـا عـدا تحسـن أوضاع بعض الأسر التي كان لها أبناء مجندون في الجيش الفرنسي يساعدونهم بأجرة التعاقد مع الجيش لمواصـلة الحياة بالحصول على لقمة العيش في ظل غياب أي نوع من التنمية الاقتصادية بعد أن أفقد المسـتعمرون الأهـالي أراضيهم التي هي مصدر رزقهم الوحيد .

ولم ينل المجندون الجزائريون من الفرنسيين بعد تلكم التضحيات الجسام و الآلام العظام سوى كلمات رنانة تمثلت في الإشادة و التنويه بقدراتهم العسكرية و ولائهم و إخلاصهم لأسيادهم الضباط الفرنسيين الذين عرفوا كيف يتعاملون مع أولئك المجندين الذين خانوا بلادهم وأهاليهم وخسروا في النهاية دينهم ودنياهم .

و يستمر الوضع كذلك حتى تشتد قبضة المعمرين على البلاد و العباد مع بداية القرن العشـرين ، حيـث أعطي للجزائر يومها ما عرف بالحكم الذاتي في الإدارة الاقتصادية والاجتماعية، وهو سلطة المعمرين الحقيقية في الوطن الجزائري ، ليدخل الأهالي الجزائريون بعد ذلك في صراع مرير مع الفرنسيين من أجـل البقـاء و إثبـات الذات، وبقي الكفاح مستمرا حتى تحقق الاستقلال و التحرر مـن ربقـة اسـتعمار دام 132 سـنة عـانى خلالـه الجزائريون ضروبا من التدمير و الاستغلال و التهميش الذي لا يقدر على تحمله و الخروج منه سالما سـوى مـن كان على شاكلة الشعب الجزائري الباسل.رغم الآثار السلبية التي مازلنا نعاني منها كالاستيلاب الثقافي والتشكيك في الهوية الوطنية بمقوماتها الثلاث الإسلام والعربية والأمازيغية.

وعلى كل فإن استقراء المعلومات التي تحصلنا عليها كان الهدف منها هو استنباط الحقائق التاريخية التي نهدف إلى بعثها من بطون مصادرها حتى نغطي إسهامات المجندين الجزائريين في حروب فرنسا من 1830 تاريخ تأسيس أول فرقة عسكرية مشكلة من الجزائريين في الجيش الفرنسي مرورا بحرب القرم والحرب الألمانية الفرنسية سنة 1870 والحملات العسكرية التي خاضها المجندون الجزائريون في كل من آسيا والمكسيك ومدغشقر . ومع ذلك يبقى هذا العمل ناقصا ما لم يتبع ببحث يغطي مشاركة المجندين الجزائريين في كل حروب فرنسا منذ بداية القرن العشرين وحتى نهاية الاحتلال الفرنسي للجزائر.

الملاحق:

1 – بيان فرنسا إلى الجزائريين عشية الاحتلال سنة 1830:

وقد اختصرت فقرات النص لكنه نقل كما أوردته المجلة

بدون تغيير لا في العبارات ولا في الرسم الإملائي.

النسخة منقولة عن : **Revue africaine. 6ème année N° 31- 1862. p.153-156.**

أ- * هذه مناداة من سار عسكر أمير الجيوش الفرانساوية *

الى سكان الجزائروأهالي القبائل

بسم الله المبدي المعيد وبه نستعين

يأيها ساداتي القضاة والأشراف والعلماء وأكابر المشايخ والاختيارية اقبلوا مني أكمل السلام وأشمل أشواق قلبي بمزيد العزة والاكرام أما بعد اعلموا هداكم الله الى الرشد والصواب . أن سعادة سلطان فرانسه مخدومي وعزة جنابه الأعلى عز نصره قد أنعم عليا بتوليته أياي منصب سارعسكر. ويا أعزا اصدقائنا ومحيبنا سكان الجزائر ومن ينتمي اليكم من شعب المغاربة ، ان الباشا حاكمكم من حيث أنه تجراء على بهدلة بيرق فرانسه . المستحق كل الاعتبار و أقدم على اهانته فقد سبب بجهله هذا كل ما هو عتيد أن يحل بكم من الكوارث والمضرات لكونه دعى عليكم الحرب من قبلنا فان عزة اقتدار سلطان فرانسه دام ملكه نزع الله من قلبه مرحمته المعهودة ورأفته المعروفة المشهورة فلابد أن هذا الباشا حاكمكم من قلة بصيرته وعماوة قلبه قد جذت على نفسه الانتقام المهول وقد دنا منه القدر المقدر عليه وعن قريب يحل به ما استحقه من العذاب المهين . أما أنتم ياشعب المغاربة اعلموا وتأكدوا يقينا اني لست أتيا لأجل محاربتكم...

... فيا أيها أحبابنا سكان المغرب انه عز و جل ماسمح بأن يصدر من باشتكم الظالم مافعله من أعمال الخبث والردى الا انعاما منه سبحانه وتعالى عليكم حتى تحصلوا بهلاكه وبزوال سلطانه على كل خير ويفرج عنكم ما أنتم فيه من الغم والشدة ...ان كان منكم معاذ الله خلاف ذلك حتى تختاروا محاربتنا ومقاومتنا اعلموا ان كل ما يصيبكم من المكروه والشر انما يكون سببه من جهتكم فلا تلوموا الا أنفسكم فأيقنوا أنه ضد ارادتنا فليكن عندكم محققا... ان كلام سلطاننا المنصور المحفوظ من الله تعالى غير ممكنا تغييره لانه مقدر والمقدر لابد أن يكون السلام على من سمع وأطاع.

ب- الاتفاق الجزائري الفرنسي في **05-07-1830.**

<u>المادة 05</u>: ان الدين المحمدي سيبقى معمولا به كما كان سابقا . وأن حرية أهل

البلاد مهما كانت طبقاتهم ستبقى محترمة.

وان دين هذا الشعب وممتلكاته وتجارته وصناعته .

ونساءه ستبقى محترمة أيضا...

2- الزواوة:

كتب الدوق دومال في كتابه عن الزواويين ، بأن الزواوة مجموعة قبائل أمازيغية (قبايـل) كانـت تقطـن المضائق الخلفية المتأخرة في جبال جرجرة ، و هم من سلالة عرق معتز بنفسه ، إنهم رجال عاملون (خـدّامين) ذوو أنفة و إباء و ذوو شجاعة و إقدام...

كانوا معروفين في مدينة الجزائر منذ عشرات السنين حيث كانوا يقايضون سلعهم التي هي عبارة عن زيـت الزيتون و بعض المصنوعات التقليدية الخشنة ، بما كانوا يحتاجون إليه من سلع و مواد لا تنتجها منطقتهم الجبليـة الفقيرة والوعرة المسالك.

وقد كانوا يتمتعون منذ القدم بسمعة جعلتهم من أحسن الجنود المشاة في الإيالة في عهد الأتراك، بما كانوا يقدمونـه من خدمات عسكرية عند الضرورة للجيش الإنكشاري و للحكام الأتراك.[586]

وقد تمكن الفرنسيون من استمالة أولئك الزواويين إلى صفوفهم مباشرة بعد سقوط مدينة الجزائر و استسـلام الداي ، مما جعل الكونت دي بورمون قائد الحملة الغازية في 25 أوت 1830 إلى إخطار وزير الحـرب الفرنسـي بتمكنه من الاتفاق مع الزواويين لضم فرسانهم المحاربين إلى الجيش الفرنسي . و قد ذهب إلى حد التأكيد مـن أن 2000 محارب زواوي هم تحت تصرف الجيش الفرنسي و ينتظرون فقط الإشارة لبدء عملياتهم العسكرية .

وتسمية الزواوة تطلق على منطقة شاسعة في بلاد القبائل الكبرى بين ولايتي البويرة شـمالا و تيـزي وزو شرقا ، إلا أنني شخصيا أرى بأن في الأمر مغالطة من طرف الكتاب و المؤرخين الفرنسيين، أو لنقل على الأقـل سوء فهم لأوضاع المنطقة و سكانها من طرف البعض منهم ، لأن القبائل التي قدمت خدماتها للجيش الفرنسي منـذ شهر أوت 1830 هي قبائل الزواوة التي تقع مضاربها في منطقة جبلية بجبال الظهرة بالأطلس التلي شمالي غـرب مدينة المدية على بعد 28 أو 30 كلم ، و جنوبي غرب مدينة البليدة على بعد 40 كلم -كما يتضح ذلك مـن خـلال خريطة ميكروسوفت MicroSoft Encarta المدرجة مع هذا الكتاب ، و هذه المنطقة كانـت أقـرب للاحتكـاك بالأتراك سواء في مدينة الجزائر أو في عاصمة بايلك التيتري ، و لذلك كان التعامل و التعاون بـين هـذه القبائـل والأتراك يجري بصورة عادية على عكس قبائل جرجرة التي يقول عنها كل من : الدوق دومال و لادريـر بـأن قبائل الزواوة لم تكن تابعة للأتراك إلا اسميا. و مما يؤكد هذه الاستقلالية التي تعود عليها سكان منطقة بلاد القبائـل هو أن زعيم قبائل الفليسة ابن زعمون كان قد اشترط على الكونت دي بورمون مباشرة بعد استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر، عدم التدخل في الشؤون الخاصة بالسكان و أن لا يحاول التوغـل فـي الـبلاد الداخليـة إن أراد التعايش بسلام مع الأهالي .

وبالإضافة إلى كل ما سبق فهناك بعض المعطيات التي تؤكد على أن ما ذهبنا إليه صحيح للأسباب التالية :

أ- لقد بقيت بلاد القبائل ممتنعة عن الفرنسيين الذين لم يتمكنوا من إخضاعها إلا بعد نهاية مقاومة الأمير عبد القادر و خلفائه من أبناء المنطقة كابن سالم مثلا ، إلا خلال السنوات 1864/1857. و لو كانت قبائل الزواوة المتعاونة مع الفرنسيين حقا من منطقة القبائل بجبال جرجرة كما يدعي الفرنسيون فما الذي منعهم من الدخول إلى المنطقة منذ بداية الغزو مع أن الزواويين كانوا من أوائل الذين قدموا لهم خدماتهم العسكرية مباشرة بعد سقوط حكومة الداي حسين .

ب- فالزواويون الذين يتحدث عنهم الفرنسيون هم فعلا أولئك الذين ينتمون إلى منطقـة في بلاد القبائل بجبال جرجرة إلا أن الزواوة المتعاونة معهم هي التي توجد مضاربها بجبال الظهرة بالأطلس التلي كما ذكرنا سابقا ثم إن كثيرا من أسماء المدن والمناطق في الجزائر يتكرر في عدة جهات من هذا الوطن الشاسـع ، على غرار ما نجده مثلا: عين الترك، و هي بلدية صغيرة بالقرب من عاصمة ولاية البـويرة ، و عـين التـرك الأخرى ، هي بلدية صغيرة غرب مدينة وهران ..و كذلك الشريعة بشرق البلاد بولاية تبسة و الشـريعة الأخـرى مرتفعات بالقرب من مدينة البليدة.الخ...

---

[586] - **Duc D'Aumale:** op. cit, pp. 15-16. Voir aussi **Deladrièe P:** op. cit, p. 1

ج- عندما نعود إلى الكتابات الفرنسية نجد بأن زعيم الزواويين وهوالسيد: عاجي أبراشمان كيني المفاوض المباشر مع سلطات الاحتلال، اسمه (حسب رأينا) لا يوحي مطلقا بأنه اسم جزائري (فهو لايمت بصلة إلى أسماء السكان الناطقين بالعربية أو السكان الناطقين بالقبايلية أو الأمازيغية على العموم).
و مما يؤكد هذا الرأي أيضا هو خريطة مراحل الغزو الفرنسي للجزائر التي أعدها المؤرخ هنري بلات في كتابه:[587] والتي توضح منطقة بلاد القبايل الممتنعة عن الاحتلال الفرنسي حتى سنة 1857.
بالإضافة إلىالخريطة المنجزة من طرف مكتب الدراسات الطبوغرافية سنة 1847 والمرفقة مع هذا الكتاب تبين بوضوح منطقة شاسعة تسمى زواوة تقع في أعماق بلاد القبايل، وبالتالي فقد كانت بعيدة كل البعد عن الاحتكاك بالأتراك أو بالفرنسيين مع بداية الاحتلال.

د- كما أن الماريشال بيجو وجه إلى رؤساء بلاد منطقة القبائل إنذارا و تحذيرا سنة 1844 يدعوهم فيه إلى أن يسلموه خليفة الأمير عبد القادر زعيم الأمازيغ في بلاد القبائل المجاهد أحمد بن سالم ، فإن هم رفضوا أمره، فسيجد نفسه مضطرا إلى حرق قراهم و محاصيلهم الزراعية. و من خلال رسالة بيجو كذلك نكتشف بأن سكان منطقة القبائل لم يتطوعوا على الإطلاق في صفوف الجيش الفرنسي بل كانوا حتى تاريخ الإنذار الموجه إليهم إلى جانب إخوانهم في الدفاع عن سهول متيجة و مساندة ابن زعمون و ابن سالم خليفة الأمير عبد القادر، في توغلهما عبر السهول و الهضاب العليا و لم يقصروا أيضا في إيواء المناضلين القادمين من التل و من الجنوب، وحمايتهم من الجيش الفرنسي المطارد لهم.

وقد أورد الجنرال دوماس في كتابه: القبائل الكبرى، رسالة بيجو التي يحذر فيها زعماء القبائل هذا نصها: "لماذا بدأتم بمحاربتنا ؟ هل تنكرون بأنكم خرجتم من جبالكم لمهاجمتنا في السهول، بل إنكم وصلتم حتى أسوار البليدة؟ و عندما كانت الحرب بيننا و بين عبد القادر حادة، أيدتم قضيته ضدنا جهارا. أو لم تتوغلوا بغاراتكم في الساحل؟ ثم ألم تشنوا هجماتكم على برج الحراش؟... و كنت على استعداد لأن أغض الطرف عن جميع الأمور المعادية لنا، شريطة أن تنشقوا عن الأمير عبد القادر و خليفته ابن سالم. فهل عملتم شيئا من ذلك؟
إنكم أمددتم ابن سالم بالرجال فحاربونا تحت إمرته، و بادرونا بالهجوم... ثم إنكم بانضمامكم إلى صف خليفة عبد القادر تكونون قد بايعتم الأمير عبد القادر..."
و لقد أكد الجنرال دوماس بخصوص هذا التحذير و الإنذار الشديد اللهجة، بأن رسالة الماريشال بيجو و هذه قرئت عدة مرات على مسامع رؤساء القبايل الذين أعلنوا بأن ما جاء فيها من أقوال صحيح لا غبار عليه[588]"

و تلقى بعد ذلك الماريشال بيجو رد رؤساء القبائل الذين عبروا عن وعيهم بقضية وطنهم، و عن تعاطفهم مع إخوانهم، وعن تمسكهم بدينهم الإسلامي الحنيف. بإباء و أنفة، وأنهم لن يستطيعوا البقاء على الحياد لأن ذلك يعني الانشقاق عن رأي الجماعة، و هذا ما كان يسعى إليه بيجو من تفريق شمل الأمة. و مما جاء في ردهم عليه ما يلي: " قامت الحرب بينكم و بين أعدائكم فبقينا على الحياد، و بذلك تغلبتم على عبد القادر ثم على السكان العرب جميعا ، لأننا لم ننجدهم في ساعة المحنة. أما اليوم فإن تصرفكم هذا يدل على اعتقادكم بأننا خرجنا عن الدين الإسلامي بعد هزيمة الأمير عبد القادر... لقد وقعتم في خطأ كبير، لأننا نحن أيضا مسلمون... إن ثلث جبالنا عبارة عن حصون طبيعية... و الله ينصر المسلمين، فلا تعدّونا من بين رعاياكم...

لقد طلبتم منا طرد ابن سالم... و إننا نجيبكم بعدم موافقتنا، لأننا مسلمون و هو مسلم مثلنا... و إذا كنتم قد صممتم على أن تحكموا بلاد الجزائر كلها، و أن تتغلبوا على قوم يحتمون بالصخور و الجبال، فإننا نقول لكم: يد الله فوق أيديكم، و لتكونوا على بينة من أن الربح و الخسارة عندنا متساويان، لأنه من عاداتنا دائما أن نتحدى النفي و الموت... و جبالنا مترامية الأطراف تمتد من بلادنا إلى تونس. و إذا لم نقدر على الصمود

---

587 - Henri Blet : **Les étapes de la conquéte de L'Alérie**. Extrait de La colonisation Française, T.2, ...de 1789 -1870. Ed , Arthand . Paris 1946. pp . 136-137

588 - M. Daumas, **La Grande Kabylie**, pp. 308 et suivantes.

أمامكم، فسوف ننسحب إلى موقع آخر، حتى نصل إلى تلك البلاد التي سوف يجند سلطانها جيشه المكـون مـن إخوان لنا هاجروا إلى تلك البلاد، و سنحذو حذوهم للانخراط في جيشه...

وإياكم أن تعتقدوا أنه بإتلافكم محاصيلنا الزراعية و أشجار التين و الزيتون سنهزم أمامكم، لأن هذه المحاصيل كثيرا ما كان يقضي عليها الجراد أو تجذفها السيول، و تلك الأشجار كثيرا ما كانت تجف و تموت... وما الرزق إلا من عند الله.[589]"

ه- فمن هم أولئك الزواويون المجندون الأوائل في صفوف جيش الغزاة منذ الأسابيع الأولى لسقوط مدينة الجزائر، مع العلم أن منطقة الزواوة الشهيرة تقع في قلب بلاد القبايل الكبرى وفيها يقبع ضريح الولي الصالح سيدي محمد بن عبد الرحمن بوقبرين والمعروف كذلك ب (القشطولي، الأزهري)، وكما هو معروف فإن أتباع الطريقة الرحمانية كانوا منذ بدايات الغزو الفرنسي للجزائر مناوئين ومحاربين للغزاة ، وقد أورد مصطفى الأشرف في كتابه: الجزائر الأمة، المجتمع/ ص ص 121.122 بأن الجنرال دوماس ذكر ما جاء على لسان أحد الجواسيس المتعاونين مع الفرنسيين قوله: إن طلاب زاوية ريفية تقع في ناحية جامع الصهاريج بمنطقة القبايل، و هي زاوية سيدي عبد الرحمن، (شكلوا فيما بينهم فرقة من الفدائيين)، و أن عددهم بلغ 600 أو 700 طالب، و كلهم يجيدون القراءة و الكتابة، كما أنهم مدربون على القتال و مسلحون بالبنادق و السيوف الطويلة و العصي الحديدية.

ثم إن أتباع الطريقة الرحمانية كانوا من المؤيدين والداعمين لثورة المقراني سنة 1871 وهو ماجعل السلطات الفرنسية آنذاك تضطهدهم وتصادر أملاكهم ...

أضف إلى كل هذا فالزواويون كانوا خلال العهد التركي شبه مستقلين عن السلطة المركزية في الجزائر ولكنهم تابعين إليها اسميا ، حسب الدوق دومال في بداية كتابه عن الزواف .

و مما يذكر في هذا المجال أيضا ما جاء به مصطفى الأشرف في كتابه : الجزائر- الأمة و المجتمع، حـين كتب قائلا:" إن الأمير عبد القادر دخل منطقة القبائل سنة 1837 برضا أهلها لكي يطرد منها الزواتنـة و يعـاقبهم على تعاونهم مع الفرنسيين ، و الزواتنة هؤلاء جالية من العساكر كانوا يتعاطون الزراعة ، و قد استقروا في البلاد منذ عهد بعيد ، و رغم كونهم مسلمين ، فقد ظلوا يعتبرون جالية أجنبية ضررها أكثر من نفعها في حظيرة الأمـة الجزائرية ، خاصة و أنهم أقبلوا عام 1830 على خدمة ركاب الإمبريالية الفرنسية ، مما حمل الأمير عبـد القـادر على أن يتصدى لمعاقبتهم[590]".

و هنا لا بد من التذكير بأنه لم يعرف في تاريخ الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830 من سارع إلى خدمـة الفرنسيين و العمل في صفوف الجيش الغازي بأعداد معتبرة و منظمة مثل ما كان من المحاربين الـزواويين منـذ أوت 1830.

و يبقى السؤال المطروح: من هم أولئك الزواويون الذين تعاونوا مع الغزاة الفرنسيين منذ بداية الغـزو؟.. قد يكونون هم أنفسهم الزواتنة ؟.....

الأن و قد صار من المؤكد (لدي على الأقل) أن الزواويين الذين تعاونوا مع الفرنسيين و تجنـدوا فـي صفوفهم منذ الأيام الأولى للغزو ، بعد الاتفاق الذي تم بين زعيمهم عاجي أبراشمان كيني و الكونت دي بورمـون قائد الحملة العسكرية ، ليسوا على الإطلاق من منطقة القبايل الكبرى ، فهم من قبائل الزواوة بمنطقة جبال الظهـرة التي أوضحت مضاربهم الخريطة الأولى كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

و كذلك الزواتنة الذين عاقبهم و طردهم الأمير عبد القادر من منطقة القبايل سنة 1837.[591]

---

[589] - M. Daumas, **La Grande Kabylie**, pp. 301et suivantes.

[590] - **مصطفى الأشرف**: مرجع سابق، ص ص. 136/135.

[591] - **Victor Duruy**, op. cit, p 6.

ذكر المؤلف دوروي بأن كراغلة وادي الزيتون الذين هاجمتهم قوات الأمير عبد القادر سنة 1837 إلتجؤوا إلى الفرنسيين في مدينة الجزائر، حيث جندتهم السلطات العسكرية، و سمحت لهم باصطحاب نسائهم و أطفالهم و عائلاتهم إلى المراكز التي كانوا يحرسونها، و بهذا صار

وهنا لا بد من التنبيه إلى أن الفرنسيين ربما يكونون قد أعطوا تسمية - الزواف- لكل المجندين في هذا السلك le corps des zouaves مكافأة منهم لأولئك الزواويين الذين قدموا خدمات معتبرة للغزاة منذ بداية عملياتهم العسكرية في هذا الوطن الجريح الذي تعرض للحرق و التخريب و التدمير بشكل همجي اسنكره حتى بعض الضباط الفرنسيين الذين كانوا يقولون: إنها الأوامر الصارمة ، و كنا مجبرين على التنفيذ.....

3- بعض المعارك التي انتصر فيها
المقاومون الجزائريون على الغزاة:

1- هزيمة دي بورمون في 1830/07/25 عند عودته من البليدة لما فاجأته قبائل المتيجة في منطقة سيدي هايد حيث فقد الجيش الفرنسي خلالها 60 جنديا بين قتيل و جريح .

2- معركة فج الثنية التي خسر فيها الجنرال كلوزيل مالايقل عن 220 جنديا قبل أن يتمكن من دخول المدية في 1830/11/22.

3- قبائل الفليسة تهاجم الحامية الفرنسية بالبليدة بعد انسحاب كلوزيل بجيشه منها في 1830/11/26 وتقضي على 50 جنديا منهم كانوا قد أرسلوا الى مدينة الجزائر لجلب السلاح والعتاد والذخيرة الحربية وكان ذلك في 1830./11/27

4- حملة الجنرال بيرتيزن على المدية في 1831/06/25 لفك الحصار عن الباي الموالي للفرنسيين ، و بعد انسحاب الجنرال بجيشه من المدية بغية العودة إلى العاصمة تعرضت مؤخرة جيشه بفج الثنية في 1831/7/3 إلى هجوم كاسح من قبل المقاومين الجزائريين الذين قتلوا العديد من جنود العدو ، قدرت أعدادهم البلاغات الرسمية الفرنسية بـ 250 قتيلا ، و هذا ما شجع المقاومين فيما بعد على مواصلة هجماتهم على المراكز الأمامية للفرنسيين بمدينة الجزائر.

5- الرائد دوفيفيي يفشل في استرجاع مدينة عنابة ويعود خائبا الى الجزائر العاصمة في1831/10/11 رغم أنه كان مدعما ب250 مجندا زواويا .

6- فشل الحملة العسكرية الأولى على قسنطينة في شهر نوفمبر **1836** وانسحاب الجيش الفرنسي بعد أن خسر من جنوده الكثيرمنهم **200** مجند تركي.

7- معركة وادي المقطع في16-17 جوان 1835 حيث قضى الأمير عبد القادر على معظم قوات الجيش الفرنسي بقيادة حاكم وهران تريزيل ، مما دفع بالحكومة الفرنسية الى عزل حاكم وهران والحاكم العام الجنرال ديرلون.

في أواخر شهر نوفمبر 1839 قامت القبائل الموالية للأمير عبد القادر بهجوم شامل على إقليم متيجة تحت قيادة نائبه وخليفته ابن سالم ، فأهلكت الكثير من المعمرين . وكان الأمير خلال هذه الفترة في مركز قوة بينما قوات الفرنسيين كانت منهارة وكان ذلك سببا في إثارة ضجة كبيرة في فرنسا داخل البرلمان الذي دعي للانعقاد في شهر ماي 1840 لمناقشة قضية الجزائر.

لكن رئيس الوزراء السيد تيار ووزير الحربية الفرنسي الماريشال سولت قررا مواصلة الحرب والقيام بعمليات عسكرية حاسمة على عكس ما كان يقوم به الماريشال فالي. وعندما تم تعيين سولت رئيسا للوزراء في

بعضهم يزرع الأرض و يشتغل بتربية الماشية، و هذا يعني أنهم هم الزواتنة الذين أشار إليهم مصطفى الأشرف. و قد يكونون على علاقة مع الزواويين ما داموا قد شاركوا في خدمة الفرنسيين منذ 1830.

1840/12/30 تمكن من استصدار أمر بسحب فالي من الجزائر وتعويضه بالجنرال بيجو حاكما عاما على الجزائر في فيفري 1841 . وقد جاء هذا الجنرال بقوات تقارب 120 ألف جندي ومعه التأييد الكلي والصلاحيات التامة من حكومته التي أطلقت يده للعمل في الجزائر بكل حرية (تدمير، تخريب لكل شيئ حي في الجزائر).

4- المواقف والمعارك التي انهزم فيها المقاومون
الجزائريون أمام الجيوش الفرنسية:

1- معركة سيدي فرج ومعركة اسطاوالي حيث فقدت الجيوش الجزائرية مدافعها في جوان .1830
2- حملة الجنرال كلوزيل على عاصمة الأمير معسكر سنة 1835 .
3- معركة الزقاق التي هزم فيها الأمير عبد القادر على يد الجنرال بيجو المدعم بفرقة من قومية الدوير و السـميلة في جويلية 1836 .
4- هزيمة أحمد باي وسقوط مدينة قسنطينة العتيدة في 1837/10/13 .
5- مهاجمة الجيش الفرنسي لعاصمة الأميرالجديدة تاكدمت ثم احتلال مدينة معسكرفي ماي1841
6- الحملة العسكرية على كوجيلات أو عش النسر سنة 1842 .
7- في إقليم الجزائر استولى الفرنسيون على شرشال والمدية ومليانة ولم تفلح قوات الأمير في اسـترجاعها وفـي جانفي 1842 استولى الفرنسيون كذلك على تلمسان ثم تاكدمت، وتم بذلك ولأول مرة ربط الاتصـال بـين مدينـة الجزائر ووهران عن طريق البر.
9- معركة الزمالة في ماي 1843 حيث تفوق الفرنسيون الذين أسروا أكثر من 3000 شخص من أتبـاع الأميـر وكادوا يلقون القبض عليه هو نفسه ، كما استولى جيش الاحتلال على المؤن والذخائر والمكتبة الخاصة بالأمير.
9- استسلام الأمير عبد القادر للفرنسيين في 1847/12/23 .
10- استسلام أحمد باي للفرنسيين في 1848/06/05 .

و- جدول إحصائي للمجندين الجزائريين
في الجيش الفرنسي من **1830-1900**

1- عدد المجندين الزواويين في مدينة الجزائرفي سنة 1830: هو 2000 مجند .
2- عدد المجندين الجزائريين من القومية في القطاع الغربي سنة 1835: هو 5500 مجند شـاركوا فـي الحملـة العسكرية التي قادها الجنرال كلوزيل على عاصمة الأمير معسكر.
3- عدد المجندين الجزائريين سنة1836 في عنابة: كان 500 مجند.
4- عدد المجندين الجزائريين في قسنطينة سنة 1837: هو 650 مجندا من المشاة و40 فارسا.
5- عدد المجندين الجزائريين من السلك الصبايحي سنة 1836 في كل من العاصمة ، وهران، عنابة ، كان:1960 فارسا صبايحيا .
6- عدد المجندين الكراغلة في الجزائر العاصمة سنة 1840: هو 440 مجندا .

7- عدد المجندين الكراغلة في عاصمة التيتري المدية سنة 1841 تجاوز 440 مجندا .

8- عدد المجندين الجزائريين بصفة عامة كان خلال الفترة 1830 – 1841: هو14418.هذا دون حساب أعـداد المجندين المتعاونين مع الغزاة من حراس القياد والباشاغوات ورؤساء المكاتب العربية .

9- السلك الصبايحي كانت عناصره المجندة لاتقل عن 2800 فارس سنة 1841 .

10- عدد المجندين الجزائريين بمدينة الجزائرسنة 1843: هو 700 مجند .

11- عدد المجندين من الرماة الجزائريين سنة 1848: هو 769 مجند .

12- عدد الرماة الجزائريين بالمقاطعات الثلاثة سنة 1852 كان لايقل عن 3984 مجندا .

13- عدد المجندين الزواويين سنة 1854 كان أكثر من 2000 مجند .

14- عدد المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي بصفة إجمالية خلال الفترة 1841- 1855 كان لايقل عن 18 ألف جندي .

15- عدد المجندين الجزائريين سنة 1866 كان 24000 جندي .

16- عدد المجندين الجزائريين سنة 1871 كان 29000 جندي .

17- عدد المجندين الجزائريين سنة 1884 كان 44000 جندي .

18- عدد المجندين الجزائريين في مختلف الأسلاك والفصائل النظامية حتى سنة 1900 كان 49000 جنديا .

ملاحظة: كان المعمرون يرون سنة 1908 بأن التعداد الذي يمكن جمعه من المؤهلين للتجنيد الإجباري هو 100 ألف جندي.[592]

البيبليوغرافيا

1 – 1 - المصادر العربية:

1- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبـار الجزائـر،ج1 ، طبعـة الإسكندرية1903 .

2- مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة: ترجمة العربي الزبيري ، نشر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، طبعة الجزائر1973 .

1– 2- المراجع العربية:

1 - أحمد توفيق المدني : **حياة كفاح ، مذكرات القسم الثاني في الجزائر 1925 – 1954** ، ط. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1977

[592] - **Ageron. ch. R**: op.cit, p.1063

2-. الجبري محمد صالح: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962 ، الدار العربية للكتاب تونس. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983 .)

3- زوزو عبد الحميد: الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية ، طبعة الجزائر1985

4- د/قداش محفوظ-الجيلالي صاري: الجزائر في التاريخ-المقاومة السياسية 1900-1954، نشر الوؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر 1987

5 - مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن.ترجمة مروان القنواتي ، سلسلة مشكلات الحضارة،دار الفكرط 01 بيروت 1969

6- مصطفى الأشرف: الجزائر(الأمة، المجتمع) ترجمة حنفي بن عيسى، نشر: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.1983

7- د/ عبد الجليل التميمي: بحوث، وثائق في التاريخ المغربي 1816 – 1871 ، نشر الدار التونسية طبعة مارس1972

8- د/ صلاح العقاد: المغرب العربي(الجزائر، تونس ،المغرب الأقصى) نشر:مكتبة الأنجلو مصرية، طبعة 1962.

9- الجيلالي صاري ود/ محفوظ قداش: الجزائر في التاريخ- المقاومة السياسية 1954/1900- ترجمة عبد القادر بن حراث، نشرالمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.1981

10- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر القديم.ج 03 نشر ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982

11- د/ أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930 ، ج2، ط3 ،نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1983 .

12- علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط.القاهرة 1948

13- د/ يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، نشر دار البعث قسنطينة 1980.

14 - د/ يحي بوعزيز: الأمير عبد القادررائد الكفاح الجزائري، ط.2 .دمشق 1964

2-1- المصادر الفرنسية:

1- Achille Fillias : Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860), éditeur : Librairie Arnauld de Vresse, Paris.1860.

2- Albert Duruy : Etudes d'Histoire Militaire, 1er volume, éditeur : Librairie Hachette et Cie, Paris 1888.

3 – Benhabiles Chérif - L'Algérie Française vue par un indigène – Alger 1914

4-Capitaine Niox : Expédition du Mexique, Tome.1, éditeurs Michel Levy Frères, Paris 1874.

5- Colonel Stoffle : Rapport Militaire, éditeurs : Michel Levy frères, Paris 1871.

6-Commandant Aubier : La colonne expéditionnaire et la cavalerie à Madagascar, éditeur : Librairie Hachette et Cie, Paris 1897.

7-Commandant de Chalus : Guerre Franco-Allemande de 1870-1871, éditeur : Librairie de France, Besançon.1882

8- Commandant Mérépoix : Etude sur l'expédition de Madagascar en 1895, Editeur : Librairie Hachette, Paris 1897.

9- Der F. Quesnay : l'Armée d'Afrique depuis la conquête d'Algérie, éditeur : librairie Furne, Paris S.D.

10-Duc d'Aumale : Les Zouaves et les chasseurs à pied, éditeurs : Michel Levy frères, Paris 1855.

11-Duc d'Orléans : Compagnes de l'Armée d'Afrique (1835-1839), Publié par ses fils, éditeurs : Michel Levy frères, Paris 1870.

12-Duruy Victor : Le 1er Régiment de Tirailleurs Algériens (Histoire et campagnes), éditeur : Librairie Hachette et Cie, Paris 1899.

13-Ernest Mercier : l'Algérie en 1880, éditeur : Librairie Algérienne et coloniale, Paris.1880.

14-Ernest Watbled : Souvenirs de l'Armée d'Afrique, éditeur : (imprimerie Militaire), Paris.1877.

15-G.G.A : Correspondances du Général Voiral, éditeur : Librairie de la société de l'Histoire de France, Paris 1924.

16-G.G.A : Correspondances du Maréchal Valée 1ere série, par Georges Yver, éditeur : (édition larose), Paris V.1949.

17- Général de la Motterouge : Souvenirs et campagnes, éditeur : Librairie Militaire, Paris 1892.

18- Général de la Motterouge : Souvenirs et campagnes, Nantes.1889.

19- Général Du Barail : Mes Souvenirs, Tome.1, (1820 - 1851) 6ème édition, éditeur : Librairie Plon (E–Plon Nourrit et Cie Imprimeurs), Paris 1894.

20- Général Du Barail : Mes Souvenirs, Tome.2, (1851 - 1864) 4ème édition, éditeur : Librairie Plon (E-Plon Nourrit et Cie Imprimeurs), Paris 1895.

21-Générale Duchesne : Rapport sur l'expédition de Madagascar Tome.1, éditeur : Librairie Hachette et Cie, Paris 1897.

23- Gouvernement Général de l'Algérie : Correspondances du Duc de Rovigo, Tome.1, éditeur : Typographie Adolphe Jourdan (Imprimeur de l'Université), Alger 1914.

24- Juin Oclan : Le livre d'or des tirailleurs indigènes de la Provence d'Alger, éditeur : Librairie Bastide, Alger 1866.

25-Le général Herbillon :Insurrection survenue dans le sud de la province de constantine, relation du siègede Zaàtcha,Paris,1863,pp.6/12

26- L.Darier-Chatelan (Lieutenant en corps) : Historique du 3ème Régiment de Tirailleurs Algériens, éditeur : Georges Hein, Constantine.1888.

27-Louis de Boudicour : Histoire de la colonisation de l'Algérie, éditeur : Librairie Challamel Ainé, Paris.1860.

28-Louis Rinn : Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, éditeur : Librairie Adolphe Jourdan, Alger 1891.

29-Lunnel Eugène : La question Algérienne, les Arabes, les Colons, éditeur : Librairie Challamel Ainé, Paris.1869.

30-M. Daumas : La grande Kabylie, éditeur : L.Hachette et Cie à Paris, Librairie de l'Université Royale de France à Alger 1847.

31- Mac-Mahon (Maréchal de France): Mémoires du Maréchal Mac-Mahon Duc de Magenta, Souvenirs d'Algérie, publié par le comité Guy de Méridel, Paris,1923.

32-Paul Gaffarel : L'Algérie, Histoire, conquête et colonisation, éditeur : Librairie de fermin (Didot et Cie), Paris.1883.

33-Pellissier de Reynauld : Annales Algériennes, Tome.1, éditeur : librairie Militaire, Paris 1854 – (librairie Bastide Octo Alger 1854).

34-Plée Léon : Abdelkader, Nos Soldats, Nos généraux, éditeur: Collection Georges Barba, Paris 1866.

35- Prince George Bibesco : Au Méxique, Tome.1, éditeur: Librairie Hachette et Cie, Paris 1887.

36- Saint Arnaurd : lettres du Maréchal (1832 - 1854) Tome.2, 3ème édition, éditeur : Librairie, Michel Levy frères, Paris 1864.

2-2- المراجع الفرنسية:

1-Ageron. ch. R : Les Algériens Musulmans et la France, T.2, éditeur: presse université de France.(P.U.F). Paris 1964

3-André Féguéras :Gloire à l'armée d'Afrique, éditeur : France ets, Ginou, Monrouge 1987. 4-4-Aron Robert : les origines de la guerre d'Algérie. Fayard . Paris .1962.

5 - Bachagha Boualem : Les Harkis au service de la France. Édition France Empire. copyright 1963

7-Bernard Augustin – l'Afrique du Nord pendant la guerre – Paris P.U.F.927

9-Camille Rousset : La conquête de l'Algérie (1841 - 1857) T.2, 3ème édition, éditeur : Librairie Plon Nourrit et Cie Paris 1904

10-Casèrne Charon : l'Armée d'Afrique, éditeur : L'organe de liaison. Alger 1924.

11-Clément Alzonne : **L'Algérie**,Paris 1937-

12- Commissariat Générale du Centenaire de l'Algérie: **L'Armée d'Afrique 1830-1930**, Ed: Librairie de l'armée, Alger 1930

13-Deladrière. P: coup d'œil sur l'armée d'Afrique, éditeur : l'imprimerie Militaire, Plaine St Pierre, Paris : S.D.

14-Dominique Vallaud : Dictionnaire historique, éditeur librairie Fayad – Paris 1995.

15-Henri Blet : Les étapes de la conquéte de L'Algérie. Extrait de la colonisation française,T.2 de 1789-1870. éditeur :Arthand, Paris1946.

16-Esquer Gabriel : La prise d'Alger 1830, éditeur : librairie de l'Afrique latine, Alger 1923 nouvelle édition, Paris librairie Larousse 1929.

17-Esquer Gabriel : Les débuts de Yusuf à l'Armée d'Afrique (1830-1838), éditeur : Typographique Adolphe Jourdan, Alger.1910.

18 Favrod Charles Henri : La révolution Algérienne . Plon. Paris .1959

19 Jean Mélia – l'Algérie et la guerre 1914-1918. Paris – Plon - 1918.

20-Gautherot Gustave : La conquête d'Algérie 1830, éditeur : Librairie Payot, Paris 1929.

21- Gilbert meynier: L'Algérie révélée la guerre de 1914-1918 et le premier quart du XX èmeSiècle;Librairie Droz.Genève .1981.p.94

22-Hadj-Abdellah-Lieutenant- : L'Islam dans l'Armée Française, S.L.1915 B.N.d'Alger N° 59642

23- Hanotaux G. – Histoires des colonies Françaises T. 2 Paris 1930.

24 - Henri Blet : Extrait de La colonisation Française, T.2, de 1789 -1870. Ed , Arthand, Paris 1946. pp.136-137

25-Huré Robert (général): L'armée d'Afrique (1830-1962), éditeur : Charles Lavauzelle, Paris 1977.

26- Julien (Charles Andrée) : Histoire de l'Algérie contemporaine, 2ème édition conquête et colonisation 1827–1871, éditeur : Presse Université de France (P.U.F) Paris 1964. -

27-Le Français (Capitaine): Une erreur Militaire, une faute, le service obligatoire pour les Musulmans d'Algérie, éditeur : Berger Levrault, Paris.1913.

28-Les armées Françaises d'outre mer: Les grands soldats coloniaux, éditeur :librairie Militaire, Paris 1931.

29-Lespes. R (Capitaine en Retraite) : Les troupes indigènes au service de la France éditeur imprimerie Minerva – Alger 1928

30-Paul Azan : Conquête et pacification de l'Algérie, éditeur : copyright, la librairie de France Paris 1929.

31-Paul Azan : l'Armée d'Afrique (1830 - 1852) Paris 1930, déposé à la Bibliothèque nationale en 1936.

32-Paul Azan : l'Armée indigène éditeur : Charles Lavauzelle et Cie, Paris.1925.

33-Paul Azan : l'Emir Abdelkader, éditeur : Librairie Hachette et Cie Paris 1925.

34-Paul Azan : Les grands soldats de l'Algérie, publication du comité national métropolitain du centenaire de l'Algérie, Orléans 1930

35-Piquet.v :L'Algérie Française , Paris 1930

- مقالات عن دراسات:

1- M. Ben Cheneb: **La guerre de Crimée et Les Algériens**. Par le Cheikh Sidi Mohamed Ben Smail d'Alger, in **R.A.F** Année 1907

3– Gauthier Robert – Alger et Paris in A.F. sept. 1921 p. 204

4-Démontes.v : La sécurité en Algérie, in B.C.A.F.Juillet-Aout1919.p24

5-Rouanet ;Le service militaire des indigènes , in La dépêche Algérienne ,du.Samedi 04/01/1908

6--Depont Octave :une Inssurrection en Algérie pendant la Guerre.in Revue de L'Afrique du nord.T.1 ;nov.dec 1921 .p.06)

7-Signoret :L'Algérie et les Indigènes pendant la guerre.In **R**evue **p**olitique et **p**arlementaire.T.98.Jan.-Fév-Mars.1919.p.291)

8- Desparmet. J : La Turcophilie en Algérie ,In S-G-A. 1917 , pp.01- 82

9- Conscription des indigènes in La dépêche Algérienne 8473.Samedi 10/10/1908

4 - جرائد ونشرات :

1- المبشر(جريدة)

2- Akhbar (Journal)

3- Le Temps

4- جريدة الخبر اليومي : 14 -02-2006. ص.....07

5- جريدة الشروق اليومي : في02 -03-2006 ص.....02

6- Bulletin du comité de l'Afrique française

7- Bulletin du comité de l'Afrique française sup.

8- Revue africaine

9- Revue de Paris

10- Revue des deux mondes

11- Revue politique et parlementaire

12- Revue de l'Afrique du Nord

13- Revue de la méditerranée

14- Temps moderne

15- Gouvernement Général de l'Algérie

16- Commissariat Général du centenaire de L'Ahgérie

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
مقدمة:.....	ص 11
الفصل الأول: النواة الأولى للمجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي 1830-1841.ص 18	
أولا: اضطرار الفرنسين إلى تجنيد بعض الجزائريين منذ 1830 . ...ص 22	
أ- طرد الأتراك من الجزائر. ....ص 22	
ب- هبة المجاهدين الجزائريين لمقاومة الغزاة المحتلين ....ص 24	
1-ابن زعمون..... ....ص 25	
2- ابن سعدي..... ....ص 26	
3- ابن سالم خليفة الأمير ....ص 26	
4 - الأمير عبد القادر..... .... ص 28	
معادة دي ميشال 1834 .....ص 29	
معادة تافنة 1837 ص 30	
نقض معاهدة تافنة والعودة إلى الحرب ص 32	
انسحاب الأمير عبد القادر إلى مراكش ص 33	
عودة الأمير إلى الجزائر ص 34	
نهاية بطل المقاومة العنيد ص 35	
5- أحمد باي قسنطينية..... ص 38	
نهاية أحمد باي ص45	
ثانيا: المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي ----- أ-المحاربون الزواويون ص47	
1-آغا الزواويين..... ....ص49	
2-معسكر الزواويين .... ص 50	
ب-الكراغلة يجندون برعاية يوسف..... .... ص 54	
ثالثا: المتعاونون الجزائريون مع الغزاة 1830 .... ص 57	
أ-رؤساء القبائل و الشيوخ الطامعون في الحكم .... ص 57	
1-1- زعيم قبائل الدوير و السميلة .... ص 59	

1-2- مصطفى بن إسماعيل في عش النسر .... ص 62

2 - السلطان عبد الرحمن شيخ توقرت..... ....ص 64

3- شيخ العرب فرحات بن سعيد..... ....ص 65

4- ابن قانة شيخ العرب البسكري .... .ص 66

ب-القياد و الباشاغوات .... .ص 67

ج-شهادات و آراء الضباط العسكريين عن المجندين الجزائريين.....ص 70

د-خلاصة الفصل الأول ....ص 77

الفصل الثاني: الفرق العسكرية المشكلة من الجزائريين والقوانين التنظيمية من 1830-1900.....ص 80

أولا: إنشاء الفرق العسكرية النظامية-الملحقة 1830-1841..... ....ص 83

1- الفرق الزواوية:..... ....ص 84

2- فرق القومية: .... ص 86

3- القناصة الجزائريون:..... ....ص 90

4- الفرق الصبايحية: ....ص 92

5- سلك الرماة الجزائريين:..... ....ص 95

ثانيا: أ- القوانين المنظمة لفرق المجندين الجزائريين: 1830-1841..... .... .ص 100

ب- التعديلات التنظيمية لسلك المجندين الجزائريين: 1841-1900..... ....ص 102

ثالثا: أ- توافد المجندين الجزائريين على الجيش الفرنسي: 1830-1900..... ....ص 109

المرحلة الأولى: 1830-1841..... .... .ص 110

المرحلة الثانية: 1841-1855..... ....ص 113

المرحلة الثالثة: 1855-1900..... ....ص 116

ب- شهادات وآراء الضباط الفرنسيين عن المجندين والمتعاونيين: .... .ص 121

ج- خلاصة الفصل الثاني .....ص 125

الفصل الثالث: حروب أقحم فيها المجندون الجزائريون 1854-1900 .....ص 128

1- حرب القرم.....ص 133

2- حملة ايطاليا..... ....ص 139

3- حملة السينغال..... ....ص 146

4- حملة الكوشان شين ....ص 151

5- حملة المكسيك ....ص 158

6- الحرب الفرنسية الألمانية ....ص 167

7 - حملة مدغشقر .....ص 171

ب- شهادات وآراء الضباط العسكريين الفرنسيين عن المجندين الجزائريين.....ص 184

ج- خلاصة الفصل الثالث .....ص 189

الخاتمة : .....ص 193

الملاحق.....ص 197

البيبليوغرافيا.....ص 204

المصادر و المراجع العربية.....ص 204

المصادر الفرنسية .....ص 205

المراجع الفرنسية.....ص 207

فهرس الموضوعات .....ص 210